



محمد المنصور السوي

المعسور

٢٠

المغرب



تمام

أصحاب

اللاغيين السوسيين

وهو بقية (التسم الخامس) من الكتاب .

والمدكورون فى هذا الجزء :

القائد الناجم الاخصاصى

القائد المدنى الاخصاصى

القائد الحسن البشيرانى المجاطى

مبارك أبو الطعام الرخاوى المجاطى

أمغار محمد العلوى المجاطى

على ندبوهوش العلوى المجاطى

الحسين الايد كورانى العلوى المجاطى

أحمد أوبخيس الموسوى المجاطى

الحسن ازكوك الموسوى المجاطى

القائد الحاج أحمد التامانارتى

القائد الناجم الاخصاصى

نحو 1284 هـ حى

هذه شخصية عصامية غربية ، ممن وضعوا لبان سوسية من قبائل الاطلس الصغير ، نشأ فى بيئة لا تعلم بمثل المجد الذى جلبها شرفا وعظمة لم يعلم بهما أبناء بيئة كثيرين من أرباب الامارة . واصحاب اليد العليا . والكلمة النافذة . والرأى الاصيل .

ان الفلاسفة الذين يجولون فى علم الاجتماع ، ويجهلون ان يردوا كل شىء الى اصل خاص ، وأن ينسبوا كل ماثرة الى ما لا تنتج عنه الا النادر ، وان يجعلوا لكل شىء كيفما كان سببا خاصا ، لا أدرى كيف يقفون بنظراتهم تلك ازا، هذه الشخصية التى نشأت فى اليتيم والفقر ، وفى الأمية وفى مسارح الغنم ثم لم يدر عليها الفلك الا قليلا حتى صار صاحبها من أبطال الجندية المقادير ، الذين لا يعرفون أن الموت يرصد للاحياء ، ثم كان قائدا محنكا سياسيا كانما يقرأ المستقبل من خلال سحف رقيق ثم خاض طموال حياته كلها من المعارك الطاحنة ما تشيب لهوله الولدان ، ويكره معه غابر الحياة ، ثم رأيناه لا يزال يعيش الحرب فى كهولته كما كان يعيشها فى شببته ، فيطير اليها كلما سمع هيلة ، الى ان جلله الشيب بين الصلوف ؛ وتحت بوارق السيوف ، ثم لم يهدأ حتى لم يجد بعد معتزكا بعد سبعين سنة من عمره ، ثم هو بعد ما استوفى الثانية والتسعين يجلس اليك جلوس الشاب اللقن الذى يستحضر كل ما مر به ، فلا ينسى موقفا ولا شخصا ولا حديثا كانما فى صدره مسجل (مانتيفونون) عتيده ، لا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ثم أنه ليس الا من أبناء حام ، ولكنه فى اخلاقه من خير أبناء سام ، فكانما على لسانه تكلم سحيم عبد بنى الحساس اذ قال :

ان كنت عبدا فتفسى حرة كرما او اسود اللون انى أبيض الحلق

فالآن سر هي ايها القارى، لتقرا صفحة رائعة مملوءة بالبطولة النادرة ،
 طافحة بالانسانية ، وبنوادر الحوادث . متموجة بكل ما تتموج به حياة
 المغامرين الذين لا يبالون اسقطوا على الموت أم سقط الموت عليهم ، ثم تذكر
 اخيرا قولة خالد بن الوليد رضى الله عنه اذ قال : ما فى موضع شبر الا
 وفيه ضربة بسيف ، او طعنة برمح . ثم ها انذا اموت على فراشى كالغزاة ؛
 فلا نامت اعين الجبناء ، لا نامت اعين الجبناء .

نسبه وأسرته

هو الناجم بن مبارك بن مسعود ، ومسعود هذا حفيد عبد كان معتقا
 لاسرة اذ جلسول من ايت بنو ياسين من قبيلة الاخصاص التي يبعد
 موقعها عن تيزنيت بنحو عشرين كيلومترا ، صار اولاده يعرفون بالعتقاء ؛
 وكان ولاؤهم لهؤلاء السادة الجلوليين ، وقد مات العبد المعتق اصالة فى
 مكة ، وكانت حرب بين اسياده وبين اذ بنود وهاج ؛ فكان هؤلاء العبيد
 المعتقون هم الذين كانوا يقومون بكل ما تحتاج اليه هذه الحرب من مهاجمة
 ومدافعة وخدمة ، فلما آتسوا من خصومهم ضعفا حملوا عليهم يوما على غرة
 فاتوا عليهم ، ثم ذهب هؤلاء المعتقون الى الشرق وقد تابوا وتنسكوا ؛ فبقوا
 هناك حتى ماتوا فى مكة ، فبقى اولادهم وراءهم فى الاخصاص مع سادتهم؛ فنشأوا
 بينهم على حسن العهد ، ثم لما قسم سادتهم المال بينهم أعطوهم الثلث من جميع
 الاملاك ، فعلى ذلك نشأ الاحفاد الذين منهم مسعود جد المترجم وقد مات
 أيضا فى مكة اذ التحق بها كابييه وجده ، وقد أدرك صاحبنا من أعمامه بلعيدا
 ومحمدا - فتحا - وسالما ، وقد كان لمبارك والده شأن كبير بين السود
 الذين كانوا يجتمعون كل سنة . لاحفالا لهم التى لا يغبونها ، فكان هو
 يرأسهم ، فيكون عمدتهم فى كل تلك القبائل المجاورة الى وادى نون ، وقد
 مات مبارك عام 1295 هـ . وقد كان يعتنى بالدردبة ، فيقرقب فى كفيه صنجى
 الحديد (1) اللذين يضرب بهما السود عادة على دقات طبولهم (2) فى شطحهم
 حين يلعبون ألعابهم الخاصة ، وحين يتشلون الحانهم بانغامهم الخاصة .
 فيصلون فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ويلذكرون صاحبه (بلالا) بما هو
 أهله ، لان بلالا الصحابى هو بطل القداسة عند هؤلاء السود السوسيين .
 واما والدته فاسمها الزهراء بنت صائبنا ، وهى من معتقين ايضا ،
 ويسمون اذ الرابنس ، وقد كانت هذه الاسرة الرئيسية مشهورة بين

(I) صفيجتان من حديد متقابلتان يقارب شكلهما شكل قدم الرجل ،
 فتربطان بخيط من أسفلهما ، ويعلق أعلى احدهما بالابهام وأعلى الاخرى-
 بالسبابة والوسطى فتتقارعان على نغم الاناشيد ودقات الطبول .
 (3) طبل عظيم يسمى : كاتكا .

رؤساء الاخصاص ، ولها اتصال بالرئيس سيدى الحسين بن الهاشم ،
 يعسوب نجلة تانكوزولت فى العهد الماضى . وآخرهم الفقير على الذى مات
 امام ايلغ يوم حاصر المجايون سيدى الحسين الحصار المشهور عام 1302 هـ .
 وفى ذلك اليوم ايضا مات مبارك بن صائب خال المترجم ، فقد اهوى مع
 سيده لاقترام ايلغ بين المحاصرين فسقطا معا ، وقد كان اشجع الناس ،
 لا يصطلي بناره ، وليستحضر القارى شجاعة هذا الحال فى كل ما سياتى
 من شجاعة ابن اخته ، فان العرق نزاع . فبذلك نجد ما ربما يكون كتصديق
 للاخلاق المتوارثة ولكن من اين ورث السابق .

منشأه

قال : اول ما اعفل ان ابى ذهب بى الى الكتاب فى قرية اد' بقلقاسم ،
 وليست بمسقط راسى ، لان القرية التى ولدت فيها هى قرية اد' جلول
 التى تجاور تلك ، ثم بتشديد الاستاذ المعلم على لم ابطى فى القراءة حتى
 اننى لا انهجنى ولا اكتب ، وتان الاستاذ عمد الى يوما فعلقنى فى (الزائر كا)
 وهى عبارة عن جبل يعلق طرفاه بالسقف فيحمل التلميذ حتى تشابك براجم
 اصابع يديه فى وسط الحبل اشتباكاً لا يمكن أن ينحل متى ارخى الجسم
 المعلق ، ثم يعمد المعلم الى التلميذ المعلق المسكين الذى تجول رجلاه فى
 الهواء فينزل عليه بالسوط حتى يروى منه غضبه ، وقد يؤتى عند بعض
 غلاظ الاكباد من المعلمين بنار فتوقد تحت المعلق ، ويجعل فيها بعض الملح
 فيتفرقع تحت جسم المسكين ، فيكون بين التعليق والسوط وشرر الملح فى
 اعظم عذاب ، قال المترجم : ذلك ما فعله بى الاستاذ القاسى فهربت من الكتاب
 الى اطلال ازا، قريتنا ، فانخست فيها عن اهلى وكل الناس ثلاثة ايام ،
 ففتش عنى والى فى كل مكان ، الى أن اهتدت اسمى الى تلك الاطلال ؛
 فوجدتنى كدت اموت جوعا ، فخلعت على أن لا اعود الى الكتاب ؛ ثم بقيت
 فى دار اهلى اشتغل بأشغالهم ، فالتقط حبات الهرجان (ار'كان') وارعى
 احيانا غنما لسادة ام اى ، فاندفع الى الدئب ذات يوم ولم اكن رايته من
 قبل ، فجعل يهاجمنى ويكشر عن انيابه ، فخفت وتركت له الغنم وفرت ؛
 فقتل منها ثلاثة ، فصرت من ذلك اليوم لا ارعى منفردا . بل اختلط مع
 الاء احتياطا ، وقد جاءنا اللصوص مرة لياخذوا اغنامنا . فناموا فصادفهم
 فنبهت اصحابى الرعاء اليهم فاقمنا الصراخ نحو اهاليينا ، فاصرخونا فى
 الحين . فهرب اللصوص ، ونجت الغنم .

فى دار القائد دحمان

قال : ثم جاءت مسغبة عام 1295 هـ . التى يضرب بها المثل فى سوس ،
 ثم اعقبته اخرى عام 1299 هـ ايضا ، وقد مات والى معا فبقيت يتيما

وحيدا ، فصرت ألقب مع الدهر ، فذهب بعض اقاربي الى دار القائد دحمان في وادي نون فذهبت معه ، فبقيت هناك عدة سنوات كخادم زوجة القائد خنائة بنت عمر بن ابراهيم ، وجاريتها مريم التي تسرى بها القائد اخيرا ، وقد كنت عندهما بمكانة ، لحسن ادبي معهما (ودحمان اذ ذاك لما يكن قائدا) .

في سوق النخاسة

قال : وفي يوم من الايام وسوس الى عبد لشخص يسمى محمدا من آل يبورك ان اتسوق معه سوق الخميس في (تيغمزات) من قبيلة ازا قاضن لشترى منها تمرا نربح فيه لانه هناك رخيص وفي بلدنا غال ، وبعد ان غادرنا السوق ذهب بي رفيقي الى دار انسان تقدينا عنده ، فبقيت عندهم وانا لا ادري ما يراد بي ، فاذا به قد باعني لanas ؛ فحاصروني هنالك الى الليل ، فاتوا ببعير اركبوني عليه تحت جناح الظلام ، ثم ان هذا الذي اشتراني باعني هو الآخر الى آخر من اهل تازارواالت ، وهكذا وقع على البيع مرتين في ليلة واحدة ، فاسرى بي الى محل يسمى (قاصك) فبقيت مع التازارواالت الذي اشتراني اخيرا في دار رجل غائب ، فاذا بصاحبي اخذ يفتش بيوت الدار ليسرق ما عسى ان يكون فيها ، فاغتصمت غفلته عني ، فطلعت الى السطح وقد ارتفع النهار ، فاذا جدار الدار قصير ؛ فقفزت الى حائط المسجد المجاور للدار ، فاذا انفلاسي (رؤساء البلد) قد انتدوا في المسجد ، فسألوني عن نفسي فاخبرتهم بانني عبد للقائد دحمان ، واخبرتهم بان الذي سرقني مختبئ في تلك الدار ، فذهبوا اليه فاتوا به واعتقلوه ، وبحثوا عن صاحب الدار لينظر ماذا اخذ له التازارواالت ؛ ثم ردوني الى القائد دحمان فاعطاهم شيئا كمكافاة لهم ، فبقيت هناك نحو اربع سنين ثم تسوقت موسم سيدي احمد بن موسى بتازارواالت نحو سنة 1298 ، فرأيت فيه الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي وسيدي علي بن احمد الالفسي ، فزرت منهما ودعوا لي بخير ، وكان الاخير منهما في زى الصوفية فقيرا متجردا في مرقعته .

في دار القائد بوهيا

ثم ظهر لي ان اغادر دار القائد دحمان ، فرجعت الى اهل ؛ ثم اتصلت بالقائد بوهيا (ابراهيم) الذي هو قائد قبيلتنا اينت بوياسين ، فصرت اقوم بعمل المعتاد كمسخر ، فبقيت عنده نحو سنة ؛ وذلك نحو عام 1300 هـ . ثم لما اراد القائد ان يسافر الى مراکش سفرته الاولى بعد ان تولي القيادة عام 1299 هـ . عرض علي ان اصحبه ؛ وقد عرفت العربية الدارجة لانفهم بها مع اهل المدن ، لان القائد لا يعرفها لا هو ولا من معه من كبراء القبيلة كمل

الرئيسى ، وعنبلا (عبد الله) بن حمو صهر القائد : وابراهيم من آل بلقاسم ، وعنبلا (عبد الله) بن موسى : وكانوا كلهم يمشون راجلين : لا مركوب لهم ، حتى القائد نفسه : ولم يتوصلوا بعد من السلطان بالخيول : وما معهم الا ناقة حملوا عليها امتعتهم ، وقد اتصل بنا فى الطريق رجل من الشرفاء فصرت احسن اليه بما تيسر من الخبز على آتراهه اصحابى لذلك ، فوقع من هذا الشريف ان سرق ما كان القائد خبانه من الكسوة التى كساه اياها السلطان على العادة يوم ولاء القيادة 1299 هـ . وهى قفطان وفرجية وجبة وشاشية ، ولما وصلنا صهرىج البقرة اغتسل القائد واراد ان يلبس تلك الكسوة فاذا بها قد سرفت ، فلمنى القائد على اننى كنت احسن الى ذلك الذى سرقها .

ولما دخلنا مراكش ومررنا بجامع الفناء ، اشترينا الخبز المراكشى المصنوع من القمح واشترينا معه الزيت لتتغدى بهما ، فصار القائد ومن معه يقبلون بين ايديهم ذلك الخبز ويتعجبون من ليونته وصفاء منظره ، لانهم لا يعرفون من قبل الا خبز الشعير الاسمر او خبز الذرة ، وقل فى بلادنا من يعرف خبز القمح فى غير بعض الدور الثرية: ثم سألنا عن مكان نزول القواد البعمرانيين ، فقيل لنا انهم بدار الصابون ، فقصدناهم فوجدنا القائد محمدا الجرارى ، والقائد احمد بن همتو الخلفى البعمرانى ، فجاءهما الغداء من دار المخزن ، وكان الذى يدفع الطعام عن المخزن هو المحتسب مولاى عبد الله السوارت (بمعنى الماتيج لقب بذلك) ، والطعام المعتاد هو الاسفنج والسمن والعسل صباحا ، وطواجن اللحم المتعددة وطبائيل الكسكس باللحم للغداء ، ومثل ذلك للعشاء ، وكانت تلك هى العادة الدائمة لاضيف الحكومة ، ثم طلع القواد الى دار المخزن فى اليوم الثانى ، وقد اركب القائد الجرارى اصحابنا هؤلاء على بغاله ، فقيد القائد نفسه عند الحكومة بانه ورد هو واصحابه وان له ست عشرة بغلة ينتفع بذلك لئلا ينظر اليه بعين الاحتقار ، مع ائنه من اجراء البحث عما يدعى اصدق هو ام كذب ، فصار العلف ياتيه على ذلك القدر كل يوم من عند المخزن من الشعير ، ونفذت له الدار لنزوله والمثونة على العادة فكنت اطلع انا وصاحب للقائد فناخذ العلف من بعض اهراء الحكومة ، ونبيهه وناتى الى القائد بالثمن ، وقد كان على راسى خصلتان من الشعير ، كل خصلة على فود ، فكان الخزان الواقف على توزيع الزرع من المرس (محل المطاير) ينادينى : يا صاحب قرون المعزة خذ ، وربما قلمنى على غيرى لاستئناسه بما يخاطبنى به .

قال : وذات يوم صادفت الشريف الذى رافقنا فى السفر . وسرق كسوة القائد فلاطفته حتى ادخلته الى الدار التى نحن فيها . واغلقت عليه الباب بالقفل ، خادعته كما خادعنى ، وهذه بتلك والبادى اظلم : فبقى

محتبساً حتى جاء أصحابي ، فارينهم ايده ، فنوروا أن يفتكوا به ضرباً :
 فاذا بالذي يابينا بموائد اعطام أشار بعد أن عرف القضية بأن نحيله على
 عريف الشرفاء (المزوار) ، اذ هو الذي له النظر في شئون كل شريف :
 من قبل المخزن ، فرفعناه اليه فحكم عليه بأن يرد الكسوة فردها كما هي :
 ثم عاقبه بما ظهر له .

الافلات من الاسترقاق ثانية

قال : وفي ليلة عيد المولد الذي جاء القواد ليحضروا فيه مع السلطان
 على العادة ، ذهب بى اصحابي أنا وعبد آخر كانوا اشتروه قبل أن نأتي من
 سوسر ، فاشتروا لنا كسوة ، ولم أكن ادرى من قبل ما يراد بنا : الا أنني
 استفتت أخيراً في صبيحة العيد ، والمومن لا يلدغ من حجر مرتين ، وقد جاء
 الاعوان ليذهبوا بالقواد الى دار المخزن ، اذ العادة أن يأتوا الى محل نزول
 كل قائد فيصعدون به الى دار المخزن يوم الملاقاة ، فلبس العبد الكسوة التي
 اشترت له ، وبقيت أنا على حالتي وعلى زبني لم أغير منه شيئاً، بل أخذت
 الثوب الخلق الذي كان على العبد قبل أن يلبس كسوته الجديدة ، فجعلته
 تحتي، لما نوبته من التلمص، ثم سار بنا الاعوان؛ فوصلوا الى سوق النجارين
 ولما سامتوا بنا سوق أهل تاكنموت (حيث طريق السثمارين اليوم) تسربت
 الى سوق التاكنموتين متسللاً فتفقدني اصحابي فانكشفت في الثوب الخلق
 وتلويت فيه أمام دكان من دكاكين الصاغة ، فوقف اصحابي يمعنون في طلبي،
 فنار فيهم الاعوان واستحثوهم على المشي الى دار المخزن ، فتركوا التفتيش
 عني مرغمين ، فرجعت الى الدار ، فلما عاد اصحابي من ملاقة السلطان :
 جعلوا يلومونني على فقدى من بينهم ، فقلت لهم انكم أنتم الذين أنلفتموني
 في الطريق ، فلم أدر ما أصنع سوى أن رجعت الى الدار كما ترون ، وهكذا
 افلتت من الاسترقاق مرة ثانية ، أما صاحبي فانهم قد اهدوه الى السلطان ،
 فذهبت حتى شاهدته بين عبيد صغار حول نافورة ماء في ساحة دار المخزن .

ملاقاة القائد بالسلطان

دخل القائد لدى السلطان في جملة القواد الذين مروا بين يديه على
 العادة المعلومة ، ولما خرج نفذ له الفرس كسائر القواد : اذ العادة أن كل من
 تعين قائداً يعطيه المخزن فرساً وكسوة تامة ، فاما الكسوة فقد توصل بها في
 سوس يوم عین عام 1299 هـ . واما الفرس فلم يتوصل به الا اليوم ، كما
 خرج للفقهاء القواد الذين صاحبوهم بغلة مسرجة وكسوة بيضاء برداء (حانك)
 وسلهام سكرى ابيض ، وقد كان مع كل قائد فقيهه ليصل به ويكتب عنه،
 وهي عادة مقررة ، فمنهم العلامة الشهير سيدى أحمد بن ابراهيم الساحلي
 وقد كان مع القائد ابراهيم بن سعيد ، وكذلك كان معه الفقيه سيدى الحسن

بن بلعيد المرسى - من مرس ايت باعمران - . ومنهم الفقيه سيدى الحسن الشريف ، وقد كان مع القائد الحسن بن عليات الاصبوني اوى، وكان هؤلاء الثلاثة كلهم قضاة وقد توصوا ايضا باخية ينزلون فيها . كما اعطى القواد فساطيط مقببة . وهذه كلها عوائد منسوبة من قديم .
أجنبي يدهم سوسا بتجارته

خرج فى المجل المعروف بارتكسيس فى قبيلة اصبونيا انكليزى يسمى (تارتيت) باذن مبارك بن أحمد من اذ يانكو من قبيلة اصبونيا، وكان الذى عرفه به هو رجل سباعى يسمى مولاي أحمد ، يسكن بالشياطمة . فاتصل ما بينه وبين الانجليزى فى السويرة ، ثم وصل بينه وبين مبارك ابن أحمد، وكان لهذا الاخير ظهور وشغوف بشجاعته فى قبيلته . وكان يعاكس القائد الرسمى باصبونيا وهو القائد الحسن بن عليات ، فجاء مولاي الكبير اخو مولاي على الذى تضاف اليه عرصة مولاي على الكائنة بزا مسجدة الكتبية بهراش من عند السلطان . ومعه القائد محمد بن الطاهر الدلهى، يحملان امر السلطان بان نهض القبائل من هاسة وبغيلة ومجاجة وما وراءها الى ايت بعمران ، فنزل القائد محمد بن الطاهر ازا، ذلك الانجليزى فى (ارتكسيس) حيث اقبل عليه اهل تلك النواحي لاجداده لهم كل ما يريدونه الناس من ارز وحبوب ، خصوصا والوقت وقت مجاعة ، فصار القائد ابن الطاهر . يمعن النظر فيما عسى ان يفعل مع قبيلة اصبونيا، وقد اجتمعت القبائل المذكورة فنزلت فى (مسنتى) مع الشريف مولاي الكبير ، ولم يتقدم الى (ارتكسيس) الا القائد ابن الطاهر ، ثم داور الكلام مع القائد الحسن قائد اصبونيا فبين له عقل حصيف وتدير ممن يجندون فى قبيلة اصبونيا من اعيانها ، فذعت له عبد السلام الحربلى . فبعث اليه القائد ابن الطاهر . فاتى فجعل يختبره ويطلب منه ان يبين له اوصاف اعيان القبيلة، فلما توصل منه بما اراد اكرمه بهدايا جميلة، ثم طلب منه ان يسرب اليه كل واحد من هؤلاء الاعيان على حدة ، فكان كلما ورد عليه واحد منهم يؤنسه ويلافقه ثم يكرمه بالمال ، ولما اتصل بهم كلهم طلب من القائد الرسمى الحسن بن عليات ان ياتى هو وكل هؤلاء الرؤسا، الى محله ، فلما اجتمعوا عنده نادى اصحابه فوقفوا امام المحل الذى هم مجتمعون فيه مصطفين على العادة . فلما طعم الناس وشربوا امر القائد ابن الطاهر بصندوق . فأخرج منه ظهر من السلطان ، فبندق (رجم مع رفع الصوت بقول : الله ببارك فى عمر سيدى) الاعوان احتراماً للظهير على العادة لما فتح ، ثم صار يقرؤه عليهم ؛ فاذا فيه ان السلطان يسلم على اهل القبيلة، ويطلب منهم ان يمعنوا التامل فيما صنعوه ؛ وانه ما اتى به الى سوس اخيرا عام 1299 هـ . الا ابعاد الاربين عن هذه الناحية ، ثم لم يرجع حتى قتم فآخرجتم اليكم الانجليزى النصرانى وانتم

مسلمون وفيكم حرادة الايمان ، وذلك مما لا ينبغي في الدين ولا في السياسة ولا في الطاعة لملك البلاد . ثم دعا لهم السلطان في آخر الظهير دعا حارا ان قاموا واخرجوا الاجنبى من بين ظهرانهم .

فلما قرى عليهم الظهير فاتتهم القائد محمد بن الطاهر الدليمى في تنفيذ ما في الظهير ثم دفع لهم مالا مجموعا يفرقونه بينهم، فاجابوا كلهم بالتبرى، من النصرانى ؛ واعلنوا أنهم عند أمر السلطان ، ثم تكفل كل واحد منهم أن يرد من عسى أن يدافع عن النصرانى من رعاى الناس ، ثم بعد ذلك استدعى القائد ابن الطاهر النصرانى ، وجعل يلاطفه ويقول له باذن من نزلت هنا ؟ أعندك كتاب من سلطان البلاد ؟ فانك فتحت بهذه المتاجرة بابا لا ينق مع العهود بين الدول من أن المتاجرة لا تفتح بين دولة وأخرى الا باتفاق سابق ، فلم يجد الانجليزى ما يجيب به ، وطلب من القائد أن يؤجله ثلاثة ايام ، وفي الثالث عزم أن يهرب في زورق الى سفينته التى لا تزال مرسية فى نحر البحر هناك ، ولكن الحراسة كانت فى هذه الايام الثلاثة محدقة بالانجليزى تراقب ما عسى أن يصنع ، ثم فى هذا اليوم الثالث بكر العلامة الجليل سيدى الحسين بن عبد الله ، والفقيه سيدى على بن همو الى القائد محمد بن الطاهر وطلبا منه أن يعجل بالقاء القبض على الانجليزى قبل أن تتم مؤامرة يحوكها فى الخفاء الحبيب بن بَيْرُوك الذى يعرف أنه اصل كل بلية هناك ، فكثيرا ما يمد يده الى الاجانب على عكس أمر أخيه القائد دحمان الذى لا ينفك ينصح للبلاد وللملك ، فان الحبيب هذا لما رأى أن الانجليزى محاصر من قبل هذا القائد ، أخذ فى السر يستنهض الحمقى من اهل القبائل ، ويقول لهم : انما هذا رزق مسوق اليكم . فاحرصوا على أن لا يفلت من ايديكم ، ليتمكن بهذا الدس والخديعة من ابقاء النصرانى فى محله ، فصادف الحال أن رمحت بفلة انسان الفقيه سيدى على بن همو فى ذلك اليوم فكسرت يده ، فقال القائد محمد بن الطاهر : حسنا اننا معشر اولاد دليم نتفائل خيرا بالدم ، فقوموا واسرجوا ، فاعتقلوا الانجليزى ونصرايا آخر كان معه مع الترجمان ، بعد ما كادوا يفلتون الى سفينتهم ، وقد قاربوا أن يضعوا ارجلهم فى القارب ليحملهم اليها : فلهبت بهم خيل تغذ بهم الى دار القائد الحسن بن عليّات ، وبقيت خيل أخرى أكثر من تلك فى المحل الذى اعتقلوا فيه ، حتى وصل الداهيون الى دار القائد الحسن ، والقائد محمد بن الطاهر فى الخيل المتأخرة يسأل هل وصلوا اولا ، فلما عرف أنهم وصلوا أقلع من هناك قتبهم .

فى وشك الاسترقاق ثالثا

قال : المترجم : كنا نزلنا مع القائد بنوهيا فى (مستنى) فى هذا الوقت ، فأمرنى القائد ذات ليلة أن اذهب مع رجل لآتى من عنده بملح ، فهجس

فى نفسى ما كان ، ومن الهواجس ما يصدق ، وتوفعت انى مبيع له : ثم
 اصخت باذنى فاذا بالفائد يقول للرجل سرا ، رد اليه بالك فانه (حرامى)
 لئلا يفلت منك ايضا ، فانه دخال حراج كالزئبق لا يكاد يقبض عليه ، فادركت
 صدق ما هجس فى نفسى ، فافلت منه عموا فالتجأت الى محل الشريف مولاى
 الكبير ليلا ، فطلبت من صاحبه ملافاته ، فاعتذر بانه الآن نائم : فحكيت له
 اننى مظلوم واننى حر وان ظلمة باعونى ظلما ، فهربت ملتجئا الى حرم الشريف
 فلم يجد بدا من أن يأمرنى بالاختفاء تحت برادع (اكف) فقال الشريف
 امام خبائه ، فهناك اختبأت الى الصباح ، فلما استيقظ الشريف سلمت عليه
 وقصصت عليه الخبر .

عند القائد محمد بن الطاهر

قال : فارسلى الشريف الى القائد محمد بن الطاهر الدليمى ، اذ لا يقدر هو
 ان يقع بينه وبين القائد بوهيا شنان من اجل ، فصادف ذلك ان ورد الى (مستى)
 اثر اعمال الانجليزى ، ففرقت حينئذ تلك القبائل التى كانت تجمعت وقد قضى الله
 غرض الحكومة فبت مع القائد ابن الطاهر الليلة الاولى معه (ياد مونسكنا)
 ومن هناك خرجنا معه ، فاردفنى احد اصحابه على بقله ، فرأسى على ابن
 الرئيس الاخصاصى المتقدم الذكر ، فاجرى فرسه حتى حاذانى وانا لا القى
 اليه بالا ، فاخطفنى وكان قويا ، فجعلنى وراء قربوس فرسه الذى يجرى
 اطلاقا بملء فروجه ، فلما أمعن فى الجرى وقد أمن من جهتى ، تسلفت انسا
 ايضا بدورى من ورائه . والفرس لا يزال فى غلواء انطلاقه ، فسلمنى الله فى
 تلك السقطة . فقامت سالما ، فجرى حتى ابتعت ، فجعلت أمشى متتبعا اثر
 القائد ابن الطاهر ، فجاء اصحاب القائد بوهيا يطلبوننى منه ، فقام القائد فى
 اصحابى الاخصاصيين - وانا اشأتهم - يخاصمهم على حرصهم على بيعى ، مع
 اننى حر ، فایسوا منى من ذلك اليوم ، فبتنا مع القائد ابن الطاهر فى دار
 القائد بوغزى السرىفى البخارى . وقد كان السلطان تركه هناك عام 1299 هـ
 اعانة دائمة للقائد ابراهيم بن سعيد . ومعه من الجند ثمانون ، كان مرابطا فى
 المحل المسمى (بنو كمارين) ازاء دار القائد ابراهيم بن سعيد ، ومن هناك
 الى (بنو نعمان) ثم الى (تيزنيت) ومعهم التاجر الانجليزى واصحابه معتقلين
 ثم الى قرية (اقاتنسو) فى (ماسة) عند شريف يسمى مولاى اسماعيل .
 وقد تولى القيادة عام 1299 هـ ، ثم الى القائد ابراهيم الدليمى فى قرية
 (تى القائد) فمكثنا عنده اربعة ايام ، ولعبت الخيل امام القائد ابن الطاهر ،
 فرحابه ، وقد وجدنا عنده حماما فى طبقة عليا فى الدار ، فاستحم فيه ابن الطاهر ،
 ثم الى (انتركان) فى (كنسمة) عند القائد الحاج احمد الكنسى ، وكان
 النزول فى الفساطيط خارج القرية ، ومع ابن الطاهر نحو ثلاثين فرسانا . وكلهم

سجعمان ، ومعنا القائد الحسن بن عليات ورؤسا، قبيلة اِصْبُونِيَا ، والقاضي سيدي الحسين ، وكانت الغاية ان يصلوا الى السلطان ليكرمهم على تنفيذ اوامره ، فجاء الحاج احمد الى ابن الطاهر ولامه على نزوه في الساسيط ، وعدم دخوله الى الدار ، ثم تلقاه بكل تكرمه ، ولعبت الخيل فرحاً به : ثم لما استقر المجلس بين القائد بن الطاهر رسالة ملكية جاء فيها ان يسلم الانجليزى ومن معه الى القائد الحاج احمد الكسىمى ان يوصل اليه . فقال له هذا هو الناجر الانجليزى اضعه الآن فى يدك ، فتوصل به الحاج احمد وذهب به الى (السورية) ، ثم انتقلنا من هناك الى (ماسكينة) عند القائد مومناد قائدها ، وهناك التقينا بمحلة مخزنية هي الاولى من نوعها - الادالة - جاءت حاميه لترابط فى آيت بعمران ، بعد التى ذكرنا انها مع القائد ابي غرة السرى البخارى ، وفى هذه المحلة (الحملة العسكرية) القائد العربى بن حمو البخارى ، ومعه جنده من عبيد البخارى ، والقائد الحسن التكتانى ومعه جنده ، وهذان من قواد الارحاء . ومعهما القائد القرشى النوريكى ، والقائد الحسن السكسىوى : والقائد المحجوب الكتولى ، ومع هؤلاء خيل ورجل من قبائلهم ممن ليسوا من الجند النظامى ، فذهب الجميع الى أن نزلوا فى (خميس آيت بوبكر) بايت باعمران ، وذلك قبل أن تبنى القصبه فى (آيت اخلف) اذ لم تبين الا بعد عام 1303 هـ ، اثر السفارة الثانية لمولاى الحسن ، فقد اشترى المخزن مكانها فبنت فيه بأمر السلطان .

قال : ثم ذهبنا فى طريق (المنكروض) فبتنا فى زاوية سيدي عبد الله بن عمر ، ثم فى (تاركانت تايت منوسى) عند الشيخ امروش ، وقد كان المتوكى المتولى اذ ذاك هو القائد مسعود ، فكانت هذه الناحية كلها من ايباله ، ثم فى (ايمينتاتوت) ثم فى (مزوصة) ثم فى (وادى نفيس) ثم دخلنا (مراكش) فهناك ذهب الشريف مولاى الكبير وابن الطاهر بأهل اِصْبُونِيَا الى السلطان فآكرمهم واحتفل بهم ، فقد البسهم وحمى لهم على الخيل بسروج جديدة ، كما اعطاهم مالا ، فرجعوا شاكرين .

اقول : تلك هي سياسة السلطان المولى الحسن رحمه الله ، فأنت ترى هذه القبيلة التى خرقت سجايف الحكومة فثاوت اليها اجنبيا من جنسية متوئبة للاستعمار تحسبه تاجرا ، ولم تدرك ماذا يختبئ وراءه من الاعيب السياسية ، ثم انحلت العقدة من اصلها احسن حل . بيد أمثال القائد محمد بن الطاهر اللبق اللطيف ، ثم اغدقت الحكومة على هؤلاء ما اغدقت مما أنساهم العصيان ، وحل لهم الطاعة ، فهل نعتبر نحن بهذه السياسة فى عهد استقلالنا الجديد الذى ما يزال فى حاجة الى التدعيم والتثبيت لنندرك كيف توكل الكتف ؟ فان مشاكل عهدنا هذا اعظم من مشاكل عهد المولى الحسن قدس الله روحه ، ونحن الآن أحوج الى السياسة والمسامحة أكثر مما يحتاج اليهما من كانوا يعيشون فى

ذلك العهد ، اكتب هذا في 25 نونبر 1958 م . وانا ارى ما ارى من الريف وغيره .

فى مراكش

كانت دار القائد محمد بن الطاهر فى درب بعرضة اوزال بباب دكالة ، فكان مترجما مسخرا عنده ، يزاول الاوانى بين يديه وخصوصا اوانى الاتى ، يجلوها ويهيؤها على العادة ، ولم يبق هناك القائد ابن الطاهر الا ستة اشهر ثم خرجوا .

فى مرافقة السلطان

تهيا مولاي الحسن الى سفر فى الغرب ، فصاحبه القائد ابن الطاهر وفى صحبته صاحبنا ، فلما وصل السلطان الى (قصبة آيت الربيع) بتادلة ارسل ابن الطاهر الى آيت ويثرا ليتوصل من هناك بمال للدولة ، فصار يدور على القبائل قبيلة قبيلة ينزلون عليها على العادة من أن من ينزل على مغرم مخزنى يكون له ايضا حظ يسمى المبيطة . يكتب له بقدرها فى رسالة الاستغرام ، قال : وكان من جملة الضيافة عند هؤلاء أن يذبح لكل فرس شاة ، قال : فبقينا هناك 44 يوما ، فلما اتبعنا جمع المغارم رجعا من عندهم فاذا بهم تبعونا بالبارود بمجرد ما اخلينا بلادهم من قواتنا ، فرجعنا الى (قصبة آيت الربيع) حيث لا يزال السلطان نازلا ، ثم نهض بنا الى (وادى كرو) حيث نزل بنا ايضا 45 يوما ، وهناك وقعت واقعة ينبغي أن تسجل . قال : بينما القائد ابن الطاهر نائم فى القسطاط قائلة يوم ، وانا اشتغل بتهيء الصينىة (طبق الاتى) بالكؤوس والبراد واغلى الماء ، اذا بثلاثة فرسان على احدهم سمة العزة ، على فرسه سرج ممتاز براق ، فوقفوا على . وسالونى عن القائد ، وقالوا اننا نريد أن نتلاقى به ولا بد ، فادخلتهم قسطاطا على حدة ، ثم ولجت على القائد فى مضجعه ، فأيقظته . فاستيقظ غضبان يقول : او لا اجد راحة منكم ؟ فقلت له ان ها هنا من يتطلب لقياك بكل الحاج ، وبينت له أن هؤلاء بلا ريب من على الناس ، فخرج اليهم مجردا ، فاذا بالفرسان هم القائد محمد بن حمو الزياتانى وصاحب له ، جاء بهما احد اصحاب القائد ابن الطاهر . وكان فى زياتان فى جيش كان مبعوثا كحامية مخزنية هناك ؛ فطلب منه القائد محمد بن حمو أن يصحبه الى القائد محمد بن الطاهر . ليراه اولاً . لثقت به ، ولذلك فبمجرد ما رآه القائد محمد بن الطاهر بادره قائلا: انت هذا يا فلان ؟ فقال له نعم . ومعى القائد محمد بن حمو ، فتلقى ابن الطاهر ذلك بدهش كبير ، ثم امره بادخال القائد محمد بن حمو وصاحبه بسرعة ، وتلقى القائد محمد بن حمو بكل اجلال ، فقدمت اليهم الصينىة والحلويات

فى الحين ، فاذا بانسان معروف بانه يتجنس للسلطان يسمى القائد سالما
عشعاش ، وكان اول من اعتنى بلبس الجباب المخططة بين رجال المخزن ، وكان
المعروف فى لباسهم هو البياض ، وكان يتنكر فى تلك الجباب لئلا يتنبه له من
لم يكن يعرفه من قبل ، وقد رأى الفرسان داخلين . فدخل عليهم القسطنط
وسال عنهم ، فلما علم من هم اعتراه دهش، كما كان اعترى القائد ابن الطاهر
من قنوم محمد بن حمو بنفسه ، اذ كان المظنون بهذا القائد الزاينى الطائر
الصيت ان لا يقدم على القنوم على السلطان بعد ان تباعد عنه كثيرا . ثم اسرع
القائد سالم عشعاش الى السلطان ، وكان لا يمنع من الدخول عليه ، فاقصص
اليه الخبر فارسل السلطان فى الحين يأمر القائد بن الطاهر ان يتبها ، وان
يصحب معه الفرسان اليه، وقد جلس لهم السلطان مجلسا خاصا ، قال الحاكم:
فلما اوصلهم القائد ابن الطاهر الى السلطان نحى عنهم ، فدخل السلطان
بالقائد محمد بن حمو، وقد اعتنى به ، واجلسه مجلس القربين ؛ فقال ما قالا
ثم خرج فى الحين ، نوجدنا قد عينانا الطعام باستعجال من الدجاج واللحوم ،
فاذا به سائر فى الحين ، ولم يطعم شيئا ، وكانت نقطة الاستغراب والسرور
فى هذه القضية ان السلطان كان يتوجس سرا من جميع البرابر منذ قضية
مولاي سرور الذى فتنك به هؤلاء ، ولذلك كان يظن ان محمد بن حمو لن يقدم
عليه ، ولذلك فرح به لما جاء اليوم مستسلما .

وقد استتبع هذه القضية واقعة اخرى مما يجرى مثله كثيرا اذ ذاك فى
البلاطات الملكية ، فيذهب المعتدرون والمخلصون ضحية له ، وذلك ان القائد
ابن الطاهر لما ساقته له الاقدار ان يكون دخول القائد محمد بن حمو لدى
السلطان على يده ، غار منه الوزرا والحجاب ، فقد ثارت ثائرة ولى الجامعى
والحاجب احمد بن موسى وقائد المشور ابن العلام ، ولاعوا كلهم القائد ابن
الطاهر على كونه لم يعلهم قبل الملاقاة . ولم يحك لهم ما وقع ، فاسروها فى
نفوسهم ، وجعلوا يتحينون له فرصة يبعونه فيها عن السلطان ، ولذلك
اقترحوا ان يكون هو الذى يبعث لاطفاء ثائرة اناس يقطعون الطريق فى
(عكراش) بين مدينة الرباط وقبيلة زعتر ، فذهب الى تلك الناحية
باصحابه، ومن جملتهم المترجم، وذلك بعد ان اوقع السلطان باهل (قلعة السماعلة)
وقد حضرها المترجم مع القائد ابن الطاهر ، فذكر ان السلطان ظن ثابتا وحده
فى الواقعة بعد ان هرب الوزرا ، وقد وقعت الواقعة فى النجد اولا ، اذ خرج
اليهم من فى القلعة بعد ما استداروا بها ، فهلك من الفريقين كثير ، وكان
بين على امتهاوش وبين من هنا جبل متصل ، ثم صار السلطان يتتبعهم فى
زغير وفى الجبال ازاء زغير بدلالة شرفاء يعرفون بالمباركيين ، فاقتنص منهم
ما تيسر اقتناصه ، وهنا فارق ابن الطاهر ومن معه السلطان فى مفتتح
رمضان ، فذهبوا الى (عكراش) حيث قضيت المهمة ، ثم اتصلوا به فى

الحاجب ، ثم عيّلوا معه فى مكناس ، وهناك أرسل السلطان اهل الحوزة الى بلادهم ، فرجع عنه القائد ابن الطاهر بينهم ، لانه حوزى وقائد رسمى على اولاد دليم ، ومن عادة الحكومة اذ ذاك ان لا يغادر القواد قبائلهم كثيرا .

صاحبنا فى آيت بعمران

قال : ظلت تلك الغضبة الماضية تحز فى نفوس الوزراء ومن اليهم ، حتى اوعزوا الى السلطان ان يذهب ابن الطاهر وجنده كحامية (اداة) فى آيت بعمران ، فذهب معه صاحبنا ؛ ثم اتصل بهم السلطان حين زار سوس للمرة الثانية عام 1303 هـ . فكان هناك هو ومحمد بن القرشى الوديكى الذى خلف ابيه بعد ما مات هناك . وكان القرشى هذا اول من مات هناك من القواد ، ثم مات بعده القائد الحسن السكسوى ، ثم القائد محمد ابن الطاهر صاحب المترجم ، وقد توفى نحو عام 1308 هـ . ثم القائد ابراهيم الشركى ، ثم القائد العربى بن حمو البخارى ، ماتوا كلهم قبل موت مولاى الحسن الذى كان فى مختتم عام 1311 هـ . الا ما كان من القائد العربى فانه ما مات الا بعد عام 1311 هـ . وقد خلف القائد محمد بن الطاهر اخوه يحيى فى قيادته وفى مكانه هناك ، بعد موته .

فى التجارة

اراد صاحبنا ان يبدل حياته بعد موت القائد محمد بن الطاهر ، فاخذ يتجر فى العطرية ، فذهب عطارا الى تسوق موسم المولود فى (آسا) فبيع فى تجارته ربعا نشطه للمضى الى الامام ، فصار يتعاطى التجارة الى ان ذهب فيها الى (شنكيط) متهيئا بالزى الصخراوى ، وقد اطلق شعره . وجرر ذبوله . وتبختر فى (الفراويلى) السوداء المفتوحة الجانبين من الكتف الى العقب ، ثم رجع من هناك بجمال ، فوافق مرجعه عيد الاضحى عام 1311 هـ . فاجتهد ان يصل القائد يحيى بن الطاهر صبيحة العيد ليصلى معه حيث كان نازلا مع القواد فى القلعة المخزنية هناك ، فوجدهم قد صلوا ، فاذا بخبر موت السلطان مولاى الحسن قد ورد ، واول من اتى به انسان يسمى عيسى الزفاضى يسكن فى (آسنرر) وكان يكاتب تاجرا اجنيا فى السويرة ، فوصل ذلك الى الحكومة ، فامرت الناس فى بلده ان يكفوه لثلا يعيد قصة ذلك (التاجر) الانجليزى ثانيا ، فقام اليه الناس فحاصروه ، فافلت من بينهم . فذهب ليتصل بالسلطان ليعتذر اليه ، فالتقى بخبر وفاته فى (ايمينتانتوت) فرجع بسرعة بذلك ، فقامت قيامة القواد ، فعهد محمد بن القرشى الى متاعه يرمله الى صهره ابن بومهلى الهوارى ، واما القائد يحيى فقد بقى فى مكانه غير خائف من احد ، قال كنت لما رايت الناس يثرون على قوادهم قلت له : انك

لست كهؤلاء القواد ، فلم تأخذ بفرما من احد ، وانت صاحب السلطان ؛
والناس لا يقاتمون السلطان وانما يقاتمون قواده الذين انتهبوا اموالهم قال :
فاتبعنى فبقي فى مكانه . فلم يهجه أحد ، ثم وصل الخبر الى سوس بقيام
القواد فى الحوز ضد القواد اجمعين ، فذهب المترجم مع بعض اعوان القائد
يحبوا الى قبيلة اولاد دليم بالحوز ليدافعوا عن اهلهم الشراردة ، وقد اصبح
القائد الناجم منذ اتصاله بالدليميين شراديا يجرى فى مجارى رباحهم ، فلم
يعرف بعد الا بالنسبة اليهم ، قال : فكانت الحرب مسترسلة بيننا وبين
الرحامنة ، لان قبائل الكيش (تصحيف كلمة الجيش) حكومية ، والرحامنة
وامثالهم ثائرون على الحكومة ، حتى اجتمعت كل القبائل على (اولاد دليم)
فذهبت الى خيامهم ليلا ، فقتلوا من قتلوا ، ثم فر الباقون من المداهمن : قال :
فلما بوادى (تانسيفت) تزداد دياهه فصرنا نقطع النساء والجرحى ، فلما
عبرنا ولم نكد ، خلصنا الى بسط (المنارة) بمراكش ، وفيها الباشا عيسى
ابن داود ، وفى (القصبة) الباشا ويده ، فقتلوا لنا الكتان للباس ؛ كما
اعطونا ما نجعل منه الفساطيط للسكنى ، وصاروا يدفعون لنا الخبز والزيت
ليتناقوت بهما الراحلون الجالون عن ديارهم ، فصار كل من لا دار له يسكن فى
الفساطيط ما بين دار البارود الى (سبلى ميمون) حوالى (الكتبية) فجاءت
الرحامنة بقضها رقة يدها ، فاستدارت بمراكش وقد قرب عيد الاضحى عام
1312 هـ . ولم يبق له الا نحو اسبوع ، فصاروا ينادون اهل مراكش ويعيروهم
بانهم سيقون محاصرين ولن يدفع عن صبي لا يزال يرضع اصابعه ، يعنون مولاي عبد
العزيز ، قال : وكان المتوكل القائد عبد الملك قد هرب من البروج الى وفلة
السلطان هو وعيسى بن داود هذا الذى هو باشا مراكش الآن ، فقام المتوكل
الى محاربة جيرانه من القواد ، فهدم دار القائد سعيد الشياظمى ، ودار القائد
مولاي عبد الله السباعى ، ودار احمد بن مبارك الحاحى ، ثم جاء بجيشه الى
مراكش لتقوية الحصون فيها ، فنزل بداره وجعل يحارب الرحامنة ، قال :
وقبل يوم العيد بثلاثة ايام ، خرجنا الى الرحامنة ، فواتنا الفرصة فيهم
فهزمناهم هزيمة منكرة تبجحنا بها ديارهم واستبجنا اموالهم ، فغنمنا منهم
كثيرا من الغنم والبهائم ، حتى بيعت عندنا بادنى رخص فى المدينة ، فتنلسنا
من تفسيقهم بنا ، فصارت القبائل ترد علينا وتنضم الى جانبنا ، وتقدم
(التمركييات) اى الذبايح التى تقطع عراقيبها (وهى عبارة عن
تقديم هدايا الاستسلام ، وتكون عادة بقرا او جمالا يذبحها المستسلمون امام
القائمين) .

قال : كان السلطان مولاي الحسن بعد ما رجع من تافيلالت قد اعتقل ابنه
مولاي محمد وكيهله وجعله فى قصبه مراكش ، وقد كان ظهر منه ما استوجب ذلك

ثم عزله عن ولاية العهد ، ورشح لها ولده المدلل مولاي عبد العزيز ، فقدمه في جيش ايامه الى الرباط ، ثم خرج بعده ، فلما وصل تادلة حتى مات في البروج ، فبايعه هناك احمد بن موسى ومن لف لفه ، فنزل معه في الرباط ؛ وقد كان سبق اليها قبل وفاة ابيه ، قال : فبقى احمد مع السلطان في الرباط لا يدري اين يتوجه ، فبعث الى الباشا حمو بمكناس يطلب منه ان يحتال في حل العقدة ، وقد كان هذا الباشا حمو ارسل بعد وفاة المولى الحسن نالي رؤساء البربر على اختلاف قبائلهم . بقصد اخذ الامان لنفسه وليستولى للحكومة ، فنزلوا عليه ما شاء الله ، وهو يدبر عليهم الاكرامات ويخلع عليهم الخلل ويرتجهم على الخيل ، ثم قال لهم اريد منكم عقد الاخوة بيني وبينكم ، فتعاطوا العمانم على ذلك ، وذلك علامة التحالف عند البربر ثم ودعهم على ان يحضروا عنده متى توقف عليهم ، وقد كان اولاد الجامعي محمد الصغير العلاف ، والمقصود بالعلاف وزير العسكروالنفقات على الجند اى مايقرب مما يسمى اليوم بوزير الحربية - والحاج المعطى الذى هو الوزير الاكبر ، او ما يسمى اليوم بالصدر او رئيس الحكومة ، قد وقعت منهما مؤامرة على احمد بن موسى والسلطان دولاى عبد العزيز ، وذلك انهما امرا بعض قواد العسكر ان يفتكوا بهما عند صلاة الجمعة ، فذهب القائد عبد السلام بن الراضى الحسناوى ، وكان من دخل في المؤامرة ، ليلا الى دار احمد بن موسى ، فطلب منه ملاقاته ؛ فوجد عبدا يسمى بنا الساهل من اخصاء عبيده ، فاعتذر له عن الملاقاة بان سيده نانم ، فالح عليه في ذلك الخاها ، فتحايل العبد بمساعدة الجوارى حتى اوقف احمد بن موسى ، فافضى اليه بالمؤامرة ، وبأن يولدي الجامعي قد دفعها مالا لفلان وفلان ولى انا نفسى لنفتك بك وبالسultan عند صلاة الجمعة ، فجزاه خيرا وصرفه ، فخرج احمد في الخين ، لان الليلة ليلة الجمعة ؛ فوصل دار المخزن ، (ايظ من ايظ ؛ وبعث الى كل القواد العسكريين ومن بينهم القواد النصارون ، فامرهم عن اذن السلطان ان يردعوا مطالبهم كلها في الخين ، والمطالب هي ما يتوقفون عليه هم وجندهم من خيل وبغال وسلاح وفساطيط ، لانهم سيذهبون في مامورية مخزنية الآن ، فطلب كل واحد ما شاء ، ثم زاد هو من عنده مالا فرقه عليهم جميعا كعطية ، ثم بعث الى الشريف مولاي بوبكر من بني عمومة السلطان ، وهو الذى كان السلطان دائما يرسله ليذبح على اضرة الصالحين ، فعينه شريف المحلة (والعادة ان يكون مع الرئيس المسئول في كل جيش ائير من امراء العائلة الملكية . او شريف آخر من غيرها) والى القائد محمد بن بوشنتا بن البغدادى المشهور رئيسا للمحلة فامر الكل عن اذن السلطان ان يخرجوا في الجيش الى (بتقوية) في الريف . لانهم كانوا يعتقدون على الناس هناك حتى ثارت بهم زوبعة بين المغرب واسبانيا ثم امر ان يخرج الجميع في الليلة ، وان يقطعوا قبل طلوع الفجر وادى ابي

دقراق ، وأن يسافروا من الضفة الأخرى قبل الاسفار ، ثم بعث الى الباشا
حمو ليستعمل حيلته في اخراجه مع السلطان ومن معهما الى مكناس ، فاستقدم
الباشا اصحابه البربر ، وفرح بهم ، ثم أعلم أحمد بن موسى ليتها ، ثم صاحبه
الى الرباط ، فنزلوا على الحكومة بكل اكرام ، فاختصت عليهم الخيرات ثم بعد
اسباع سافر السلطان الى (مكناس) فوصل سالما في خلافة البربر ، وهناك
ودعهم .

ثم لما عزم أحمد بن موسى على اعتقال ولدى الجامعى بعد عزلهما عن
الوزارات ، أمر الباشا حمو بذلك ، فدهمهما هذا ليلا . وهما لا يزالان فى الفراش ،
فقيدا وحملتا الى (تطوان) مسجونين .

قال : ثم بعد حين دخل السلطان الى (فاس) فكان أول ما فعله أحمد بن
موسى ان اعتقل المهدي النابهي ، ومحمد أنقلوس الحاحي ، والجيلانسى
الزهروني الذى صار بعد ذلك الثائر أبا حمارة ، وكثيرا من عبيد الشريف
مولاي عمر ، والسبب فى ذلك ان مولاي عمر هذا كان له حرص على ان يتولى
بعد ابيه مولاي الحسن . وكان عالما مقتترا معتزا بنفسه ، فلما بوع مولاي عبد
العزیز ، وطلع اهل فاس بالوفد ، ومعهم النساء يتبعن الوفد مزغردات على
العادة ، لينهوا الى الخليفة السلطاني الفرج بالسلطان الجديد ، غضب مولاي
عمر فى نفسه حين لم يعين هو سلطانا فأمر اصحابه وعبيده ان يحملوا على
الوفد بالضرب والتنكيل ، فقابلوه بالهراوى والاحجار ، ولذلك جازاهم أحمد
ابن موسى بما فعلوا الجزاء الاول ، وبن بين الفاعلين لذلك من تقدم اعتقالهم ،
واما مولاي عمر فقد ضاق به الحال حتى مات وشيكا .

فى قيادة الجند

كان لمرجعنا هذا فى المعارك التى دارت حول مراکش جولات عظيمة مذكورة
تعجب منها الحاضرون ، وتعجب منها السامعون ، حتى لا يسمع الا أن
بوشنتوف (أى صاحب الوفرة) هو الرجل العظيم الشجاع الذى لا يهاب
الموت ، وقد كان شعر راس صاحبتنا لا يزال موفورا كشعور الصحراويين
المرسلة ، فكانت تلك المعارك وما حواليلها من دماء لروسانه مما أظفار
سمعته فى الشجاعة وحسن الاخلاق ، وقد أعجب به الباشا عباس بن
داود ، والباشا ويدة باشا قصبة مراکش ، وهما رئيساه اذ ذاك ؛ ولذلك ما
كادت هذه الحرب تهدأ حتى تنادى الباشوان وأمثالهما بان الناجم يجب ان لا
يفرط فيه ، ولا بد ان يتولى على جند يقوده بشجاعة ، ومن امثال العامة
الماثورة أن مائة جعل تقودها عقرب كلها عقارب ، وان مائة عقرب يقودها جعل
كلها جعلان ، ولمضرب هذا المثل قال هذان الباشوان ما قالوا لما اعلنا أن مثل
هذا لا ينبغي أن يخرج من المخزن ، وأن مثله من يقود الناس فى المعارك ،
ثم اظهرت الايام أن القائد الناجم أقدر رجل على قيادة الناس فى المصارك

قال : فطلبوا منى ان اكون قائد رضى اى فيلق ، فاييت وفسمت رجلا آخر
يسمى القائد محمداً منوبداً ، واكون انا رديها له ، ثم صرنا اولاً نجمع
طابورا يبلغ نحو خمسمائة ، ثم بعد ذلك صرت انا القائد .

فى ملاقاته السلطان

قال : ثم بلغنا اعلام برسول خاص (هو عبد من عبيد السلطان يسمى
القائد بلخير الحمري قائد العبيد) ، ان يخرج كل القواد امثالى ، كالقائد
عمر المراكشى والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى ، والقائد عبيد اليهودى ،
والقائد الحسن اليمورى ، والقائد احمد المجاطى ، والقائد المحجوب المطاعى ؛
والقائد الحاج على البعهرانى ، والقائد الحاج احمد الزنناكى الهنتيفى ، والقائد
احمد بن كبنور الزمرانى ، والقائد خليفة الزمرانى ، وكلهم قواد ارجاء ؛ وقد
اعلموا بان يتلقوا السلطان القادم فى مشرع الشعير، لكن لم يكن الجند كله
مسلحاً عند هؤلاء القواد ، الا جندى انا فانه مسلح التسليح التام ، وماذلك
الا لان الثقة فى وفى جندى تامه ، بخلاف غيرنا من جنود القبائل لانهم ياخلون
السلاح ويفرون الى قبائلهم به .

قال : ثم خرجنا كلنا فتلاقينا مع السلطان هناك، وقد قطعنا بلاد الرحامنة
التي كنا وطانها وعيدنا بغنمها بدل الكلاب والهررة التي توعدنا اهلها
بالتعبيد بها فى العيد الذى تقدم ذكره . فبتنا مع السلطان وراء مشرع
الشعير فى الشاوية ، ثم امرنا ان نسير امام المحلة (الجيش) فعبرنا وادى
ام الربيع قبلها . وقد كان عبد الحميد قائد الرحامنة مع السلطان فى فاس ،
ثم جاء معه الآن ، ثم امرت الرحامنة ان يعطوا المهوئين اولاً ، فيأتى الفارس
فيؤخذ فرسه وسلاحه الى مخزن السلاح ، ثم يذهب به هو الى السلسلة ،
حتى وصلوا مئات ، وكان الذى يرأس هذه الفتنة الرحمانية الطاهر بن سليمان
ملتجئاً الى مشهد سيدى على بن ابراهيم بتادلة، فجاء به هو فى الامان تحت غطاء
السيد، ثم اعتقل وجعل فى القفص على جمل اعرج ليطوفوا به ، قال : وكنت
وقفت امام الجمل ، فلم يكده يقف حتى جاءتة الاحجار من كل جهة ، وقد كان
سيفى فى يدي فضربت به راس الجمل فبرك ، فقال قائل ان الناجم هو اول
من رمى الجمل بالحجر ، وقد كان الوزير انكر ان يكون الجمل قد ضرب
بالحجارة ، فوقفت انا مكانى ، وبعد ساعة جاء من قال لى ان نحو عشرين
عونا يبحثون عنك عند معسكر اصحابك ، وقد اتهمت بكذا وكذا ، فلويت
راسى تحت ذيل ثوبى فانخنست ازاء المعسكر الى العشى، فذهبت الى اصحابى
وقد انطلقت الجلوة ، ونسى ذلك ، وكان الذى يعين الطاهر بن سليمان دحانا
الصنهاجى ، وحموشا من ومات وقد هرب الثانى ، واما الاول وهو دحان
الصنهاجى فقد اعتقل وطيف به فى المحلة ، ثم مات فى الحين فوق حمار

بالحجر الذى يرمى به ، ثم فرقت فيالق الجيش ثمانية على اطراف كل قبيلة الرحامنة ، قال : فذهبت انا والقائد عبد السلام بن الراضى ، والقائد ابن الفكاك ، والقائد صالح الزمراني ، والقائد خليفة المطاعى / نحن خمستنا بجندونا زادنا الوزير على الحاج ابن عيسى ولد الباشا حمو ، الذى معه القائد ولد العسولى ، والقائد العربى الزمرانى ، والقائد عبد السلام بن الشكراء ؛ والكل مرابط على راس العين فى بلد البرابيش ، والفرق السبع الاخرى نزلت كل واحدة منها فى محل عين لها ، وهكذا اديرت الجيوش بكل ارض الرحامنة ، وفى يوم هين زحلت هذه الجيوش من كل ناحية ، فالتهمت كل ما فى الرحامنة ، فقتل من قتل ، واسر من اسر ؛ ونهب ما نهب . حتى تلاقت فى وسطها ، فثابت بنالاف من المسجونين فى السلاسل ، فيصبح الاموات فيها كل يوم ، وقد كانت تجر بالجيوش نحو مراكش ، فلا تسال عما وقع اذ ذاك للرحامنة ، قال : ثم من وسط الرحامنة الى (زاوية ابن ساسى) وقد انهمرت الامطار ، فبقينا حتى دخلت سلاسل المساجين الى (مراكش) وقد رايت سلاسل نصف من فيها اموات يجرحهم من لا يزالون احياء ، ثم فى مراكش يعزل الاموات فيدفنون ، ويذهب بالاخياء الى الدفن فى السجون ، ثم دخل السلطان الى مراكش فى عهد شديد الامطار ، حتى اننا قبل ان نطلع من زاوية ابن ساسى لا نجد مضربا لاولاد الاخبية ما لم نصادف سدا تاصلت جلوره .

فى الجيش الى سوس

رايت ما صنعه الباشا حمو فى تايد احمد بن موسى فى سياسته ، وانه هو الذى اجاره من الرباط الى مكناس ، وانه هو الذى تولى اعتقال اعدائه الجامعيين ، ولكنه جزاه جزاء سنامار ، ففعل به كما يقال فى المثل العامى : ان طلعت بسلم فاكسره لئلا يطلع اليك به غيرك ، فقد راي قوته وحنكته وحسن حيلته ، فزغزعه من مكناس . وارسله كالمغنى الى تارودانت ، فى جيش فيه الشريف مولاى عثمان بن محمد بن عبد الرحمان ، ومعه محمد بن سليمان (والد سفيرنا فى العراق الآن السيد الفاطمى بن محمد بن سليمان) قال : فاعلمتنى الحكومة ان اتها بجندي لاذهب معه ، انا والقائد عبد السلام ابن الراضى ، والقائد البشير بن السناح الشركى ، والقائد صالح الزمرانى ؛ والقائد مولاى عمر المراكشى ، والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى ، قال : خرجنا معه من مراكش ، فنزلنا فى (مزوضة) ثم فى (ايمنتانوت) ثم فى (اركانة ايت منوسى) ثم فى (امسكروض) ثم فى (اكافاي) ثم الى (اثنين اولاد تينمة) فى هواة ، ثم فى (دار هاشم) القريبة ، وكان الوقت وقت مسغبة شديدة ، قال سرق فرسان من امام قسقاط الشريف مولاى عثمان ، وكان السارقون من جندي انا ، فباعوهما فى هشتومة ، ثم استدعانى

الباشا حمو يوما فسألني من السارقون فقلت له انهم من جند السلطان فقال وهم تحت يد من ؟ فقلت انهم تحت يد من وضعهم السلطان في يده ، فقال : لا بد ان يلقوا في السلسلة ، حتى ياتي قواد مناتهم ، فلم اجبهم لذلك ؛ فقلت له ان المجرمين قبضوا عندك ولا يمكن ان تزر وازرة وزر اخرى، فكننت كلهما اراه يقول لي ان اصحابك لا يطلقون البتة حتى يحضر قواد مناتهم ، فاقول له لا والله لا اعهده الى اناس براء في ايديهم سلاح الحكومة فاجعلهم في سجن يضيعون فيه فتضيع امانة الحكومة من السلاح في ايديهم ، قال : وكان الباشا حمو لا يتم تميزه احيانا، وقد عرفت منه ذلك في اول اتصالي به ، ثم ابتدأت المهاجمة ضد الجيش من جهة هشتوكة ، فاغار بعضهم على خيل لنا في (ادميم) ثم تابعت المهاجمات فثارت هواراة ، فقامت في اثر الخيل التي اغبر عليها فركبت في اصحابي فرددناها ، فلرح الباشا حمو بفلعتي وخرج الى في ردا ، ابيض بزوي يتلقاني ويهنئي على ذلك، فاقترحت عليه اطلاق سراح اصحابي فاطلقهم ، وقد كان المهدي المتوكي خليفة القائد المتوكي نازلا بجيشه في (تاركانت تايئت موسى) فاتي اليوم فصادف هذه المداعسة امامه، وقد نوى ان يصالح بين الباشا حمو وبين خصومه ، قال المترجم : فسمعتة يقول وقد رأى الرصاص يندلع : اتينا لنخيط دربلة هؤلاء ، فاذا بهم يزيمنونها تمزيقا . ثم بلغنا ان هشتوكة وهواراة قد جاشوا علينا متوافقين ، فباتوا فرقا فرقا في القرى حوالينا ، فارسل الى الباشا حمو قائلا : الآن نريدك ، فلكل ميدانه وهذا ميدانك انت ، فقلت لست انا وحدي هنا ، فقال عندنا كثيرون . ولكنك انت انت في المعامع ، فقلت له على شرط ان تامر كل القواد ان ياتي كل واحد منهم باربعين من اصحابه ، من اهل الفر والكر - هذه عبارته - وان ياتي اصحاب الابواق والطبول كلهم معنا ، فلما اجتمعوا تقدمتهم الى القرى التي فيها المتربصون بنا ، فلما توسطناها وسط الليل والناس غارقون في نومهم امرت اصحاب الطبول والابواق . فنفخوا وضربوا نفخة وضربة ممتزجتين ، فاهتزت الارض والقرى بمن فيها ، فانزعج النائمون انزعاج المشوّهين ، فلم ينظر منهم الغادي الرائع ، وصاروا يتسللون كالارانب . ونحن ننظر اليهم وهم فارون ، فرجعت عند السحر ، فوجدت الباشا حمو واقفا . وقد توضا على عادته في التبكير بالوضوء . في الاسحار ، فقال هل تم الغرض ؟ فقلت له نزع الله الشوكة بلا دم - هذه عبارته - فقال هل انت متوضي ؟ فتوضات ثم صلينا الصبح معه ، والله دره من محافظ على اوقات الصلاة لا يعرف في ادائها الثاني او الهويني .

قال : ثم تحولنا عن منزلنا الى دار ولد بنوعكاد ، فترلنا فيها ونحن زها ، الفين ، ثم صار الهشتوكيون والهواريون يتقوون علينا، حتى صاروا يعقدون مجامعهم امام اعيننا، ثم يمرون بنا فيقولون: الا تجمعمون عنا يا هؤلاء البخاريون

فما طيبتكم ؟ ويسبون ، ولا يسمون الباشا حمو الا الامة الوتعاء ، وذات يوم نزل شاب من اصحابنا الى ذرة في الوادي . فقطع منها شيئا . وقد اضر به الجوع ، فجا ، بعض المجتمعين في المجمع اذامنا من الهواريين ، فضر به ضربا مبرحا ، فافلت من ايديهم ، فلاقاه خليفة لي . فسأله عما عراه . فاجبره بالخبر . فلم يصبر فاطلق هو ومن معه الرصاص على المجمع ، فثار كل المجتمعين نحو جيشنا ، وصاروا يلقون علينا الرصاص ، فثار الجند يعاربونهم ، فجمعت انا اصحابي واخذنا نشرب الاتاي في فسطاطنا ، فاذا بصاحب الباشا قد جاء . اليها فقال ما تصنعون انتم ؟ فقلت له انك ترانا مجتمعين ، وجاءت رصاصة امامنا حفظنا الله منها . وانما قلت له ذلك لاني اعلم ان بعضهم سيقول للباشا ان اصحابي هم الذين اثاروا الخصوم ، ورغما عن كون ذلك هو الواقع فاني لا اريد ان اتحمل المسؤولية ، ثم اشتلت الحرب فامرت اصحابي بالركوب ، فاستدرنا وراء الخصوم ، فحملنا عليهم من نحو ظهورهم حملة شعواء . تشتتوا بها شذر مذر ، ثم في الصباح المبكر ادبلت الى (المنيرة) ودار ابن ضالي واولاد سعيد ، ودواوير اخرى ، فالتقينا بذلك درسا مفيدا على الهواريين ، فعرفوا حينئذ مع من هم ، ثم صاروا ياتوننا تائبين (منركين) ثم انتقلنا الى اولاد سعيد ، ثم الى (نارودانت) وقد كان الحاج ابن عيسى ولد الباشا خليفة لابيها فيها بمجرد ما حل في هواره ، وقد تقدم قبله خليفة عنه الى هذه المدينة ، فكانا نجتمع في الاغديّة عند ولد الباشا في (قصبة) نارودانت ثم ارسل الباشا ولده هذا الى (سكتانة) في بعض جيشه ليجمع منها المغارم الحكومية ، وذلك بعد ما تمهدت له قبائل راس الوادي من هواره الى (آوّلوز) فيفرض المغارم كما يشاء ، فيلم كل شيء مما يدفعه له الناس من الخيل والبغال وغيرها ، وقد كان الجيش الذي مع ولد الباشا عتيذا قويا ، ثم خرج الباشا بعد ولده فنزل في (اولاد يحيى) بجيشه الكبير الذي فيه الشريف مولاي عثمان والامناء ، قال : ثم من هناك الى (اولاد برحيل) بعد ما زرنا (مشهد) سيدى عباد السوسى في (تامازت) واذا ذاك تعين حيلة بن ميس شيخا على اخوانه اولاد برحيل ، وكذلك الحاج علي بن حماد من سكان ناحية (البريوكة) من اولاد ابن عيسى باولاد يحيى صار شيخا عليهم ، ومن هناك الى (اداو كمتاض) وقد كان القائد العربي الضارصوري وخليفته هارين الى الكنتافي ، واللى تولى في محلهم خال لهم بطين - كما وصفه الخاكي - هو الذي وجدناه في (اداو كمتاض) .

قال : وكان قواد الارحاء الذين معنا يخرجون الى القبائل فيجمعون المغارم ، ويلغزون بالمبيتات ، وقد ينزل القائد فلا يقوم الا بخمسمائة ريال فاكثروا اقل على حسب مقامه ، وعلى مقدار غيبته . وعلى قدر المال الذي يجمعه من المغارم ، ولما وصلتنى النوبة ذهب جنودى واصحابى الى (هوتريوة) وارسلت

معه خليفى واعوانى الخصوصيين، وكان من عادة القواد ان لا يذهبوا بانفسهم وانما يبعثون خلفاءهم ، وقد كان الكتافى يطلب الهوزيويين من الوزير احمد بن موسى صهره ، وقد كان موسى والده وقف حتى صالح والد الكتافى مع السلطان مولاى الحسن ، فاهدى له محمد الكتافى بنته فزوجها موسى من ولده احمد فكانت له بذلك مصاهرة مع الكتافيين ، فنقل له الوزير احمد هذه القبيلة ، فلما جاء الظهير بذلك صادف الحال ان اصحابى هناك يجمعون ما يجمعون ، فاوعد الى الهوزيويين ان يأمروا اصحابى بالانتقال ، فان ابوا يعاربونهم ، قال : فانقض الهوزيويون الجيليون عنهم الاعوان من الجبل ، فكتب الى اصحابى بذلك ، فاخبرت الباشا ، فامرنى ان اذهب بنفسى وانظر ما فى ذلك سياسة وحكمة ، فلما وصلت اهل السهل من القبيلة ، نادانى احدهم الى ناحية انفرادى فيها . فاخبرنى بالحقيقة ، فعلمت ان امر هذه القبيلة اصبح بمقتضى ذلك الظهير فى يد الكتافى ، واذا بالجبلين يتآتون بالثبات لمداقعتنا ، فامرت باسراج الحيل وجمع المتاع ، ثم استدعيت القبيلة مجتمعة ، فوصلت اليها ، فقال لى قائل منهم : ايها القائد اننا راعينا اصحابك ووفيناهم مبيتاتهم ومبسة العون من ريال الى خمسة لكل ليلة على القرية او على الفخذ جمعا ، وقد رايت ان العام مجرب ، فنحب منك ان تطلع عنا الآن بفضلك ، فقلت لهم حبا وكرامة ، ودعوت لهم بغير ، ثم اقلعت باصحابى فلم اكدهم الفارقهم حتى دهمت مئات اخرى من الجبلين تتادينا ان اجمعوا شراو يعطكم يمنون السلاطيط ، فلايتهم حتى خرجت من بينهم وابتعدت ، فاذا بالامطار تنصب علينا ولم تزل علينا كذلك حتى وصلنا معسكر الباشا ليلا ، فقصدت فسطاطه ، فلما عرف من انا ، امر ان ادخل عليه راكبا فرسى . وان لا انزل الا امامه لعلمه بانى مبتل بالمطر ، فلما مثلت بين اديه سألنى الاباس : فقلت له لابس ولة الحمد ، ثم امرنى ان اذهب الى محل الى الفد ، فرجعت عنه وانا اسمه يقول : غدرنى احمد غدرنى احمد ، بعن الوزير احمد بن موسى الذى نبذه الى سوس . ويزل منه القاتل ويعطها لغيره .

فى سكتانة

ثم ان ولد الباشا الذى فى سكتانة ضعف امره، وانقطعت عنه المواد ، وثارت حوالية الاديواج ، وقد فر عنه كثيرون ممن كانوا معه ، فاستدعى الباشا صاحبنا هذا وطلب منه ان يذهب ليشد عضد ولده ، فامتنع امتناعا قالا : انكم لا تستدعوننى الا اخيرا ، مع اننى ما كنت الا واحدا من قواد الارحاء ، ولكنكم دائما تؤخروننى ، فقد ارسلتم فلانا وفلانا وفلانا الى محلات استفادوا منها اموالا ، واما انا فلا تستدعوننى الا اخيرا كما استدعيتونى فى الامسى القريب الى محل جبل لم البث ان طردت منه ، فمتى دارت التوبة فوصلتنى

فها أنذا موجود ، قال : فلما استعصيت عليه ، طلب من الشريف مولاي عثمان ان يطلب منى ذلك ، فلم يصرح لى الشريف بشيء الا انه ارسلنى الى الباشا لما وقفت امامه ، فلما بلغت الباشا ازددت امتناعا معيدا ما قلته آنفا كان لسان حاله يقول :

واذا تكون كرهية ادعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جنسب
هذا وجدكم الصغار بعينه لام لى ان كان ذاك ولا اب

ثم ان الباشا لم يياس ، وعاود طلب الشريف مولاي عثمان ان يكلمنى ، فاذ ذاك الح على الشريف ، واعانه وزيره ابن سليمان ، فبعد لاي لبيت الطلب مشترطا ان اعطى كل ما اريد ، فلما قبلت سالتى الباشا عن كل مطالبى ، فطلبت الجبابر القلاط للجد لان الوقت وقت برد ، والاحدية ، وتعويض نعالها اذا انخرقت (الملخ) وتجديد الفساطيط والامتعة واحوات السفر كلها ، فتم لى كل ذلك بعد ما جاء الجميع من (تارودانت) بعد ايام ، ثم زدت على ذلك ان يعطى جندى مؤنة 45 يوما اقضيها كلها ناضة ييدى ، ولما نلت كل ما طلبت استدعيت جندى وقتلت لهم: يا اخوانى وجواشنى ودرعى ، اننا ذاهبون اليوم فى مهمة مغزنية لا مناص منها ، وقد دافعت لئلا نذهب، ولكننى غلبت على امرى، ثم قلت لهم بمجرد ما تقطع الوداى فلکم ان تجردوا كل من تصادفونه من القبائل العاصية ، ولكم ان تركبوا كل بهيمة تصادفونها من اهلها ، الا ائنى لا آمرکم بقتل احد ، ثم خرجنا لطیننا فبتنا فى (تشلیت) با ند اوزال ، فوجدنا المئونة كلها حاضرة عند ابراهيم بن ابراهيم الانساو زالى ، ثم فسى (دو تاوريرت) بايالة الشيخ عبد الله من سكتانة ، فلم يبيتنا خير بيات فامرت باعتقال كل من حضر . وتجريدهم من ثيابهم وخناجرهم . لان مؤنثهم ضئيلة جدا . كأنهم يسخرون منا ، وقد فرقت فيها الدجاجة الواحدة على انايين مع خبزة ارق من ورقة ، ثم لم اطلقهم حتى ادبتهم تاديبا لم ينسوه ، وقد قممت انا بنفسى بضيافة رؤساء جاوا مع تلك المئونة الضئيلة ، وقد بينت لهم لما تشكوا من اعتقال اصحابهم سبب ذلك. والفعلة التى اتوا منها ، وقلت لهم : اهكذا يقابل اصحاب السلطان وجنده؟ وقد حاولوا ان يخوفونا بالتجمهر على ثنايا الجبال ورؤوس الكدى ليلا ، فتخوف من عاقبة ذلك بعض اصحابى وجعلوا يلوموننى على اعتقالهم ، فقلت له ان عندنا ثمانين من اخوانهم . فليفعلوا ما شاؤوا » ثم بعد ان راونا لا تمشى علينا الحيل . ولا نستخلى للتهديد ، تابوا فجاؤا بالاكبش والسمن والتبن والشعير للبهائم ، ثم لم نطلقهم حتى وصلنا محلة ولد الباشا ، ليكونوا رهائن فى ايدينا . وضمانة لوصولنا بسلامة ، فقال لى الشيخ عبد الله لما وصلنا ، وقد وجدته عند ولد الباشا : ماذا فعلت بقبيلتى يا فلان . مع ائنى فاصح دائما ، فاسأل عنى ولد الباشا ، فقلت له ابراهيم ديكما يمان جند السلطان ؟ فقال لا فقلت له لم حينئذ

فبيلتك لا نحن ، ثم ماننا ولد الباشا ببقرتين وحملين من السكر ، وفي الغد عزمنا على السفر والرجوع بكل ما في المحلة . وما في يد ولد الباشا من الكثير الوثير من الزعفران والبغال والعبيد والزراعي ، ثم تقدمنا الشيخ عبد الله ، والشيخ التازولتسي ، فمررنا اولاً (باينتاون) فخرج اهلها خائفين وقد قدموا ثلاث بقرات ، فقبلت منهم ، ولم يهاجوا ، لانهم ليسوا مقصودنا ، ثم زدنا حتى وصلنا قرية (ديووزور) وهناك محل يسمى (ايفيل نولو) فيه ثالر عاص رفع راية العصيان على الحكومة وهو مقصودنا ، فاذا باناس فارين خرجوا من داره ، فصرنا نضربهم بالرصاص ونضربوننا ، ثم تمكنا من الاحاطة بالدار التي هي مقصودنا . فنزلنا حواليتها ، وحاربنا حتى اقتحمناها بعد ما ضربنا الابراج بالقنابر . فصاب اصحاب المدفع واحداً بعد واحد برصاص من في الدار ، وقد حفظني الله ذلك اليوم مرتين : مرة وأنا على فرسي وقد تقطع حزام سرجه ورميت باربع رصاصات فتخطتني ، والاخرى رميت بفردة رحي من سطح الدار وأنا ازاء حائطها . فاصيب بعض راسي ، ثم لما عرفت انه انما هو جرح خفيف لويت عليه عمامتي ، ثم نقب بعض الهوارين حائط الدار . فوافق مري التين ، فاوقد فيه النار ، فاذا صار المحاصرون يطلبون الامان ، ولكن لم ينج الارب الدار والباقون ماتوا ، ثم لم يوف له ولد الباشا بالامان حين رأني مجروحاً تحت داره . فأمر بقتله ظلماً وعدواناً . ثم طلع اليانا الباشا في جيشه ، فسرنا حتى وصلنا معه الى (زناكة) وكانت من ايلة القائد المدني الاكلوي ، فهناك ادى عن زناكة مغارمها ، واذا ذلك تمهت كل القبائل فاستبحرت المغارم ، ثم رجعت الحملة الى (آولوز) وقد كان الكتافي نزل في (هوزيوة) بجيشه ، وقد ساق امامه كل ايلاته من اهل (وادي نفيس) و (آيت سملك) و (آوتايين) فنزل مع جيش الباشا حمو ، ولكنه لم يكد يستقر ويأخذ مغرماً او مغرمين من هوزيوة حتى ثارت عليه ، وقد زحف يوماً اليها فلم يصادف نجاحاً ، مع أن من معه غير قليلين ، والنصر لا يكون في الحرب الا باستماتة . قال : ثم وقع بيني وبين بعض القواد هناك شتان تجاذبنا فيه السباب ، وقد علم كل من هناك أن ذلك القائد هو الظالم ، وانما افنت أن اتحمل الظلم ، فصادف ذلك ان وردت رسالة لاطلع من سوس مع قواد آخرين ، فاستدعاني الشريف مولا عثمان فقرأ على الرسالة ، ثم سألني الباشا حمو عما اتوقف عليه في سفري ، فذكرت له خمس بغال فاعطانيها وأمرني أن ادفعها لولده الحاج احمد الساكن في (عرصة اوزال) بمراكش حيث توجد داري . وقد كنت اشتريتها قبل ذلك الوقت .

هذا ، وقد ذكر ان من جملة من في جيش الباشا حمو (آتسوكا) خليفة القائد سعيد الكيلوي ، ثم لما هاجم الهشتوكيون والهواريون الباشا حمو طلب

من الحكومة مددا ، فامرت القائد سعيد الكيلتولى أن يهبط الى (سوس) باخوانه ، فلما وصل (اكادير) تلاقى مع الذين انهزموا من (تابوخنا يكتنأ) من قواد سوس الجنوبية ، فطلبوا منه أن يذهب معهم الى جهتهم ليستعينوا به فقال لهم لا تطلبوا منى ذلك، ولكن اطلبوه من السلطان ، فكتبوا اليه فاسعفهم، وكان الذين انهزموا من هناك ثلثة صفره فيها الشريف مولاي عبد السلام الملقب (الباثاكرن) قال انه من احفاد مولاي سليمان ، ومعهم قواد الجنوب السوسيون ، ومعهم القائد ابن يطو الشرقي، وكان غنيا مشهورا في قبيلة اولاد جامع ، يحتر بنحو مائة زوج ، ومعهم الامين العربي العبدى الكاتب ، والقائد خليفة الزمراني مع القائد الحسن اليموري، والقائد رجال بن التونسي الرحمانى.

رجوعه الى مراكش

قال : سافرت من تارودانت انا والقائد ولد الحاج المعطى التادلاوى، والقائد مولاي عمر المراكشى ، والقائد بوعلام الزمراني ، قال : فلما قاربنا مراكش ، تلقانا رسول فامرنا أن نأتى نحن قواد الارحاء سابقين . وان نتركنا وراءنا من معنا حتى يصلوا ، فوصلنا دار العلاف (اى ما يقرب بما يسمى اليوم بوزير الحربية) السيد سعيد بن موسى ، فارسل معنا صاحبه السيد ابن عيسى . فمثلنا بين يدى الوزير الكبير احمد بن موسى ، فامرنا ان نجلس امامه في القبة التى يجلس فيها ، وهى مكتظة بالكتاب عن يمينه وشماله على العادة، وكل واحد مكب على شقه فى صموت وهدوء ، كأنهم لا يتحركون ، فجلسنا امام مكتبه . وقد رددنا سيوفنا الى وراء ، ومقابضها ازاء اذرعنا على العادة التى يقعد بها القواد امام الوزير ، قال : فظل يسألنا عن اسمائنا ، فسكت الذين معى مندهشين ، فبادرت انا اجيبه عن كل واحد ، حتى سألنى عن اسمى ، فقلت له الناجم بالله باريك فى عمر سيدى ، فانجل حين سمع اسمى . فاعاد السؤال فاجبته ثانيا بمثل جوابى ، فتناول ورقة فيها اسمى على ما يظهر ، ثم سألنى ثالثا ، فالتار الحاحه فى السؤال اهتمام الحاضرين، فرايت وجوه السيد عباس الفاسى - وهو جالس عن يساره ومولاي الطاهر البلفيشى ، وهو جالس عن يمينه ، تعلوها صفره ، كأنما يتوجسان ان يلمر بنا للتكيل ، ثم امرنا بالخروج ، فلم يزد على ذلك ، ثم رجعنا الى السيد سعيد وزيرنا ، فامرنا ان نجلس فى المحل الذى يجلس فيه عادة قواد الارحاء ، فى دار المخزن على زريبة ، ثم امرنا ان ندفع كل ما عندنا من السلاح ، وكل ما تحت ايدينا من الدواب والجند ، وما فعلوا ذلك بنا وبجميع قواد الارحاء الا للاتهام باننا لا نقوم كلنا بالمهمة المنهطة بنا، فلا نمشا بجموعنا دورا جدنا فى العسكرية ، وغالب القواد منا حنا حضر بوزن لا يعرفون ما يصنعون « فارادوا ان ينقوا الجندية بذلك ، فاضافوا جندنا الى طواس اخرى ، وسلبونا من تلك

القيادة ثم ضمنى انا سى سعيد اليه ، فاكون أنا والسيد محمد الكباص فى موتبه . فتركب معه دائما ولا تفارقه ، فيقضى بنا اغراضه الخاصة يبعثنا اليها، وقد آنست منه انه يعتمد على كثيرا فى مهماته ، لانى احسن التأديب معه كما ألفت من صفرى مع سادتى ورؤسائى .

فى رحلة أخرى الى سوس

قال : جمع من الشاوية جند وظفته الحكومة على الناس يبلغ زهاء ثلاثة آلاف ، فبعثه الوزير سى سعيد معى لاوله الى القائد سعيد الكيلولى بترنيت ، فذهبت أنا والقائد بلخير الحمري ، والامين الذى فى يده النفقات هو السيد عبد الله الايكيد رى الحاحى الزلطنى ، وكان معى اربعة من أصحابى على خيولهم ، ومع القائد بلخير اربعون من عبيده ومعنا شريف صاحبه معى الله يسمى سيدى محمدا الاسماعيل ، وقد كان نازلا عند الشريف سيدى محمد بن الرشيد القاطن فى القصبة ، لاوله الى تيزنيت لغرض له فيها، وهو شريف عليه لوائح الخير ، قال : فلما اوصلنا الجند الى الكيلولى ، دفعناه له عددا امام الذين حضروا من القواد السوسيين وغبهم ، وقد جلسوا كلهم لغرض هذا الجند ، وكان مع الكيلولى من قواد الارحاء ، القائد ابن الفكك ، والقائد علال ابن الحسن الرحمانى ، والقائد عبد الله المهارسى الحاحى ، والقائد عصر بن المصوب الزمرانى ، قال : وجدنا الجيش الكيلولى يقوده الحاج احمد الكيلولى الى جزولة ، بوجلائن، وقد اجتمع كل الوليتيين (اداوليتين) عليه وحصنوا الجبال بذلك السور الشهير المستدير بتلك النواحي والمسمى هناك بـضراس- قال : ففى حضرة القائد سعيد كنا نتغدى ونتعشى دائما ، بعد ما أنزلنا فى دار القائد العربى بنحمو البخارى وقد اخلاها لما انزلته الحكومة فى ايت بعمران لخلاف بينه وبين الكيلولى ، فنحن فيها الآن مع القائد بلخير ، قال : وفى عشية مر بنا عبد رايت الزبد الابيض على طرف سرج فرسه متبلدا ، ورايت وجهه متقلصة شفاهه . ومتغيرة سحنته ، فقلت جليسى ان لهذا العبد لنا ، ثم لم يكده يدخل الى دار القائد حتى سمعنا ثلاث صرخات عالية موية، فقلت جليسى اسمعت ؟ ثم بعثنا من كشف لنا الخبر ، فاذا بالهزيمة وقعت فى جيش الكيلولى ، وان الرئيس الحاج احمد قد أصيب فى الحرب وان الحسين ابن الصالح ، التكنز يرينى ، والقائد احمد بن سعيد قائد الرحي الحاحى ، وامثالهم من كبراء حاحة قتلوا ، فرجعنا الى منزلنا ، وفى الليل سمعنا جلبة الحوافر الكثيرة مرت بدارنا وهى واقعة على ظهر الطريق لمن يخرجون الى خارج المدينة ، فتقيل لى انها لجيش للقائد سعيد فقد ذهب الى محل المعركة لينظر كنه الواقع، فطلبت من القائد بلخير ان نذهب معا فى اتباع القائد . لانه لا ينبغي لنا ان نتخلف عن مثل هذا ، ونحن حاضرون ، فتأبى ما شاء الله ، فلما

رأى منى الجد ، أمر ان تسخن له طواجين ، وكان اكولا نهما . فاليهم منها :
 ثم خرجنا حتى لحقنا القائد فى محل المعركة ، ازاء (تاساوتنتندريس)
 فى بعيلة ، قال : اوجئتم ايضا وانتم اصحاب سيدنا ؟ فلمته على ان لم
 يعلمنا ، فقال : لا اريد ان ازعجكم فى الليل ، وقد وجدناه واقفا وامامه
 فى الجبل البعقيليون يصيحون به ، وقد حملوا جثث الموتى الحاحين فترسوا
 بها ، وقد عملوا اليها يطمعونها حتى ما تركوا فيها مسلكا لتنجر ، ثم صار القائد
 يفرق (القرطاس) فاخذنا منه لاصحابنا ، فرأيت القائد كانه جاء ليتفرج ، فقلت له
 ايها القائد : اما ان تبأشر الحرب مع هؤلاء واما ان ترجع ، فلان هذا الوقوف
 ليس من سياسة الحرب ، ثم نويت ان احمل مع فرسان اخترتهم من الحاحين
 فقال لى قائل : ان هؤلاء الجلبين لا يضربون الا فى الراس او فى الكبد ،
 ثم شنت غارة على اشبار (المترس) لهم ، فاذا به قد خلا ممن كانوا فيه ،
 ثم جاء القائد الطاهر ابلاغ ، فقال له القائد سعيد : اهنا ما يليق بكم
 فقد جئناكم انتم معشر العواد السوسيين ، فاذا بكم ترون اخواننا يمزقون
 هكذا بايدي اخوانكم ثم لا تحركون ساكنا ؟ فقال له القائد الطاهر : انى
 كنت سبقت لـ اخوانك حتى دخلنا وسط بعيلة ، فوصلوا الى (تيغمي) فامتلات
 ايديهم بالفنائم ، فارادوا ان يرجعوا فى طريقهم ، فدللتهم على طريق (تاماشنت)
 الامن لكل من يسلكه ، فالدين وافقونى فسلكوه نجوا . ولم يصب أحد منهم
 بجرح ، واما الخليفة الحاج احمد فقد خالفنى وسلك الطريق الآخر الضيقة ، ففقد
 له الاعداء فتمكنوا من اصابته هو ومن معه ، ثم التفت انا الى القائد الطاهر
 فقلت له : اليس هنا من يحترمون فيانون من عند هؤلاء بهذه الجثث ، فقال بلى
 عندنا علماء ومرابطون يحترمون ، فارسل الى الفقيه سيدى محمد بن العربى
 الادوزى وآخرين ، فضموا ان يسلموا الجثث من القوم ، ثم قال ان اردتم
 دفنناها فى (تاماشنت) وان اردتم الاتيان بها اليكم آتينا بها فامر القائد
 ان يوتى بها ، فبعثنا عشرين بغلة فيحمل على كل بغلة ثلاث جثث او اربع ،
 فدفنت فى (وجات) قال : ثم رجعنا الى (وجات) فرأينا المجروح الحاج
 احمد جالسا . وفى يده خرقة صر فيها قطرانا وشيئا آخر . فسخنها على نار
 فى معجر فيضعها على الجرح فى جبهته ، ثم لا يكاد يمس الجرح حتى يشور
 قالها ، فخرجت فقلت لصاحبى ان هذا قد أصيب فى دماغه ، فكانك به
 ميتا ، فلم نكد نصل تزيت حتى مات .

قال : ثم كتب الى القائد سعيد الاجوبة عن الرسائل التى آتيت بها ، بعدما
 استعجلنى القائد سعيد بلخير الى الذهاب ، فرجعنا وقد انعم علينا القائد بمال
 كثير ، فكان من جملة ما اعطى لصاحبى خمسمائة ريال وجملين واربعين
 كبشا وثيابا وبغورا سودانيا ، الا أنه قليل الادب فلم يقنع ، فكتب القائد
 سعيد بغلة ادبه معه الى الحكومة . فسلبته كل ذلك ، ثم كتبت انا رسالة

الى سى سعيد وزير الحربية بينت له فيها امر الهزيمة كما هى ، فبعثها على يد رسول خاص أعطيته عشرين ريالاً فذهب يطوى الليل والنهار حتى أوصلها ، فذهب بها سى سعيد الى اخيه أحمد بن موسى ، فسأله عن له هذا الاعتناء ، فذكرنى له ، فازددت بذلك عنده شغفاً ، ثم مررنا بخليفة القائد سعيد فى (تطوان) بالحاجة. وهو مبارك الكيلولى فى طريقنا ، فأعطى كذلك للقائد بلخير ثلاثمائة ريال ، ولكن أين من يشكر ؟ ثم وصلنا الى مراکش بسلام وقد غنمت الخير الكثير الذى أفاضه على القائد سعيد الكيلولى لحسن ادبى معه، والادب كنز لا يفنى أبداً .

فى مراکش أيضاً

قال : لازمت سنى سعيد حتى مات قريباً من هذا الوقت ، ثم أخاه ادريس الذى قام مقامه ، وقد كان حاجباً للسلطان من قبل ، ولم يبق . ان مات أيضاً ، قال ويشاع ان أطباء هؤلاء هم الذين قصوا هكذا عليهم نكابة بالامة ، لانهم هم الذين أبغوا فيها الرمق بعد موت المولى الحسن ، وقد كان الأطباء من المانية واسبانية وانكلترة ، ولكن المتهمون هم الانكليزيون وحدهم ، ثم بعد ادريس لم ينسب الوزير أحمد ان مات هو الآخر بعد مرض غير طويل ، قال : حضرت دفنه ، ودخلت قبة مولاى على الشريف مع الداخلين ، وقد كان فيها السلطان فمن دونه ، فرأيت المنابى قد أزال نعله وجعلها وراءه ، فتناولتها بيدي ونفقتها وجعلتها تحت أبطى ، فأراد صاحب له ان يزيلها منى ، فراجعته الكلام ، فالتفت المنابى ، فلما علم سبب المراجعة ، وعلم ان ذلك لتعظيمى له لما يجمعنا من النسبة الى الشراودة ، قال لصاحبه دع الرجل ، ثم أخذت أنا برجلى أحمد بن موسى عند انزاله القبر ، وأخذ الشريف علوى بجهة راسه ، قال : وكان أحمد جد هذا الوزير يسمى أحمد الاتاى ، وهو مهري من هوادة بسوس ، قال وكان المنابى مقرباً عند هذا الوزير محظياً عنده كأنه روحه ، وقد جعله عاملاً كبيراً على قبائل شتى ، وينوب عنه فى ملاقات الناس العظام ، وبعد ثلاثة أيام من موت أحمد صار المنابى يظهر ظهوراً بيناً ، فاذا به سعى وزيراً للحربية ، وسعى غريط الذى كان وزيراً للخارجية ووزيراً أكبر ، ثم اتصل المنابى بالسيد حمان كاتب أحمد بن موسى ، فأخذ منه الكناش الكبير . وأعطاه لعبد الكريم بن سليمان يعاونه زبير السلاوى ، وقد كان هذا اميناً ، واليه تضاف دار زبير المشهورة الآن بعارة رياض الزيتون بمراكش ، ومعهم عبد الوهاب التازى ، فجعلهم أمناً ، ثم صار يخلى دار أحمد ابن موسى مما فيها ، وقد كان أحمد أعطى مفاتيح الخزائن لمن يوصلها الى السلطان لما احس بالموت ، وكان عباس ولده صغيراً ، ولم يزل المنابى ينقل من دار الوزير أحمد بن موسى الى دار المغزن ، والى داره هو (كما شاع وذاع)

وظهر اثر هذا الاحتلاس من تبرة الاموال الى صار يبدها بلا حساب ، ولم يزل ينقل من دار الوزير أحمد حتى لم يبق فيها شئ ، وقد كان احاج المختار بن عبد الله بن أحمد جعله الوزير أحمد بن موسى معه ، فلما مات طرده المناهبي ، وكان عالما جليلا ، فذهب به الى تافيلالت هو وكل افراد اسرة آل أحمد بن موسى .

وقد وقع اثر ذلك أن عباس بن داود باشا مراکش دخل على المناهبي فاستدعى الطاس فغسل يديه بالصابون ومسحهما بالمنديل ، فقال له المناهبي : لماذا غسلت يديك ولم تأكل بهما شيئا ؟ فقال له : اننى غسلت يدي من داري ومن دارك ومن دار المخزن منذ آتيتنا بغريط الفاسي الوزير الاكبر ، فانه سيقضى على الجميع ، فاسرها المناهبي فى نفسه ، ثم بلغ ذلك غريطا ، فبعث ذات ليلة الى عباس ليطلع الى السلطان ، فصحب معه خنشة فيها خمسمانة من اللويز ، فاذا به اعتقل ، ونقل فى الحين الى تيزنيت ، وتان فيها القائد محمد انفلقوس ، فوجده الرسول فى (ايتبومريم) بمجاط ، فسلخوا اليه طريق (تازاروالت) فطلعوا الى القائد فامرهم برد المسجون الى تيزنيت ، فادخل السجن ، فاذا ذاك فقط حل حزامه فانتشر منه ذلك اللويز ، فبقى هناك الى أن سرح ، فراجع الباشوية قليلا ، ثم كان فى فاس ، ثم فى طنجة حيث توفي عام 1326 هـ .

فى الجندية أيضا

قال : بسبب معرفتى بالمناهبي طلبت منه فى فجر ظهوره بعد موت أحمد بن موسى ، أن أرجع الى الجندية وأكون أيضا قائد رحي ، فأنعم على بذلك ، فصرت ادخل الجند على يدى من جديد ، قال : والعادة اذ ذاك أن يعطى قائد من القواد الاذن ، ثم يتطلب من يتجند معه ، ويحسب على الحكومة جميع من معه من الجنود ، وكذلك فعلت الى أن وصل ما عندى من الجنود سبع عشرة مائة ، قال : ثم اشتغل غريط بالمناهبي وغيره ، فتسبب عن ذلك ان ذهب المناهبي الى انكلترا ، كما ذهب عبد الكريم بن سليمان والكباى الى فرنسا ، ثم تولى ابن الشكرا الزمراني وزارة الحربية بعد المناهبي ، قال : وكنت نزلت بجندى فى قصبة الحاج مننو الكائنة حول جامع الفنا ، وهى مستندة الى عرصة ابن القرن ، قال : وفى عشية كنت جالسا مع بعض من اعتدت مجالستهم لقضاء العشايا فى المحادثة ، فاذا برسل المناهبي قد ابلغونى انه يطلب أن ارسل اليه خنزيرين كان أحد القواد الذين سبقونى هناك تركهما صغيرين ثم كبرا ، فقامت لمحاولة قبضهما ، ولكن لم نقبضهما الا بالخيالة والاقتناص وجعلناهما على بصل ، فدخلت بهما دارا كان المناهبي يجلس فيها ، وبينه وبين دار السلطان باب يدخل عليه منه متى شاء لما بينهما من المصافة ، قال فدخلت على المناهبي .

فاذا بالسلطان مولاي عبد العزيز معه ، فاطلعا على الخنزيرين سلوفيين يجريان عليهما ، وهما يستعلان وراء شباك يمنع عنهما وصول الخنزيرين الشرسين ، فينبعانهما مع السلوفيين فيتعرجان على نظاردهما في ساحة واسعة ، حتى قتل السلوقيان الخنزيرين ، وكذلك يفعل السلطان في غالب اوقاته لعبا لصغره ، والصغار معلورون :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل السباب فلا يرى في الليل الا الحراقيات نعلو في السماء فتتراءىها العيون، تنملي بالمسوح على الملك الصغير اللعوب، وقد تان للمناهي يد طولى في هذه الالاعيب التي عدت سحبا دتنا حول الملك الصغير اذ ذالا ، وقد كان هذا من الاسباب الداعية الى ابعاد المناهي عن السلطان بحجة انه يفسد عقليته ، ثم استفهم غريط ادريس بن يعيش الذي كان باشا في تطوان فجعله قائدا للمشور، وقد كان قبل تطوان في وجدة قائدا عليها وعلى قبائلها حتى استغنى .

قال : ثم التفت غريط الى كل من له ادنى ملابسة مع المناهي فطرده الى ان لم يبق منهم أحد ، وقد منعت كل الرسائل المعنونة باسم المناهي الذي سافر الى اوربة ان تبعث اليه باسمه وب عنوانه الخاص حيثما كان ، وصدر الامر البات بالنهي عن ذلك في جميع المراسي ، وقد كان هناك مناهي آخر يسمى احمد الحراب ، تحت يده 15 مائة من الفرسان ، وثلاثة آلاف ونصف من الجند ، فطلبوا منه ان يبعثوه برسائل الى المناهي في اوربة ، ومقصودهم ابعاده ، فاستجار بحرم الفزواني ، قال : فذهبت اليه فعاتبته على الخلاف للحكومة ، فاستخرجته من هناك ، وقدمته الى دار المخزن عند الشيخ التازي ، وهو أخو عمر التازي الذي كان اذ ذاك عوننا عند المناهي معلودا من المسخرين بين يديه ، ويسمى عمر الافرع عند من يلمزونه ، فأخرج اليه الرسائل ، فذهب بها الى الجديدة ، لكنه لم يسافر بها ، بل التجأ بها الى حرم أيتامغارفي دكالة ، فبقى هناك ما شاء الله ، قال : ثم ان انسانا يسمى ابن المعروفي أحد قواد دكالة على الزمامرة ، أرسل رسالة الى بعض من مع المناهي ، فزج فيها بطاقة اخبره فيها بكل ما وقع لاصحابه وانهم ازيلوا كلهم ثم ابعدوا او سجنوا ، فركب المناهي في الحين باخرة تجارية ، فمر بطنجة ، وقد كان فيها الكنتافي الذي كان رافقه من مراكش يوم ذهابه الى اوربة ، فبقى وراءه في طنجة ، فأرسل اليه الآن ، فركب معه من طنجة ، فلما ارست السفينة في الجديدة ، وتان الباشا فيها ابن الحمدونية ، طلع هذا الباشا الى السفينة فحاول ان ينزل عنده المناهي ضيفا ، وكان عنده امر باعتقاله ان طرق الجديدة ، فاعتذر اليه بان البحر اثر فيه ، وانه لا يقدر ان ينزل الآن ، ثم خاتله حتى نزل في وقت غفلته الى البر ، فمال الى اصحابه الذين كان تركهم يوم سافر ، وفيهم نحو خمسمائة بغلة حمل عليها اثقاله ، وقد كانوا ضربوا اخبتهم خارج

المدينة منذ سافر عنهم ، نأوى الى فسطاط من فسطاطهم ، نأى اليه ايضا
 الباشا ليذهب اليه الآن ، فاعتذر ايضا بأنه لا يزال مسترخيا، ولكنه سيأتيه
 غدا ليدخل الحمام ، فاطمان الباشا الى ذلك ، وحين ارخى الليل سدوله ، ركب
 فيمن خف من اصحابه على عتاق الخيل ، فوجد امامه من ينتظره بغيول اخرى
 مستريحة، كان ارسل لتهيئتها في صباح ذلك اليوم، وقد تعرض له كثيرون من اودائه،
 منهم القائد بوعلى الفرجى ، فقد وجده مع أصحابه فى (سیدی ابى النور) ثم من
 هناك الى السونية فى المنابهة، ولم يكن معه الا الكتتافى وخاصة اصحابه على خيول
 مسرعة ، ثم قدم رسولا الى بواب باب الخميس ، أحد ابواب مراش ، وبعث
 معه الى البواب مائتى ريال للنلا يغلق الباب حتى يدخل عيال قائد مخزنى
 سيبطى ، قليلا عن وقت اقفال الباب ، فوقف البواب يرصد ، ولم يحف الباب
 اجافة نامة انما رد مصاريها ، وهكذا دخل المناهى مراکش على غفلة من الاعين
 الراصدة وقد كان رجل فى سوق ابن صالح ، فبر به فارسان عليهما آثار
 تلفت الانظار ، فاذا به يعرف المناهى ، قال المترجم : كنت ذلك المساء صليت
 المغرب فى المسجد الكبير بباب دكالة عند بابه المفتوح الى المدرسة القديمة ،
 انا والقائد ابن احمد أحد قواد الارحاء ، والسيد عباس بن المختار الجامعى ،
 فقال القائد ابن احمد : ان المناهى لطخنا بالعسل وتركنا للذباب هذه عباته
 فاننا الآن مهددون من كل ناحية ، قال : والسبب فى قوله هذا انه بعث اليه
 ليطلع الى دار المخزن فى القد ، ويخاف ان يزال منه جنده ، وكذلك طلبوا منى
 أنا ان اذهب الى (تارودانت) لاكون باشا فيها ، قال فلما خرجنا من المسجد
 جلسنا امام الباب ، فاذا بانسان استدعانى فقال لى كم تعطينى بشارة ان
 اخبرتك بخبر يسرك فقالت له البشارة على قدر سببها ، فقال ان هذه البشارة
 من اعظم البشارات عندك ، ثم قال : انتى جلست الآن فى سوق ابن صالح ،
 فمر بى فارسان أحدهما صاحبك المناهى والآخر لا أعرفه ، قال : فكنت أثور
 من الفرح ، فأرسلت خليفة لى الى دار المناهى ، وقد كانت عليها المراقبة من
 الحكومة ، وكان المراقب عليها هو القائد محمد العبدى مع أصحابه ، حتى
 لا يتصل بها أحد ، قلت له اذهب الى القائد العبدى ، فسلم عليه منى ، وقل
 له يسلم عليك فلان ويطلب منك أن تعطيه ما عسى أن يكون هناك من جديد
 الاخبار ، فخاف هذا الخليفة على نفسه، وقال : اتريد أن يقطع رأسى ان ذهبت
 الى دار المناهى فانوته أن يتنكر فى شملة اعرابى وسخة ، ثم ذهب على تناقل
 منه ، فرجع الى بسرعة ، وقد خلع الشملة التى تنكر فيها وجعلها على كنفه
 وهو يجرى ، فقال : ان المناهى قد جاء ، وهو الآن عند السلطان ، وقد أمر
 بوابه ان تأتى فى الحين ، قال : فقلت للقائد بن احمد : رح مطمئنا الى دارك،
 ثم لا تأتى الا فى العاشرة غدا ، فافرح ونم ملء جفنيك فقد طويت هموك طيا.
 دع المقادير تجرى فى أعينها ولا تبيستن الا خالى الببال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال
ثم اننا لن نطلع مبكرين الى دار المخزن بل عند العاشرة فقط ، لئلا نظهر
بمظهر من استخفهم الفرح ، فلما دخلنا دار المخزن في الغد وجدنا المخزنية
عامرة ، فارسل الى وزير الحرب ابن الشكرا ، فطلب مني أن أرسل اليه فرسا
وبفلة مسرجة ، ليأتي بعيماله من فاس ، فامتنعت واعتذرت بأن ليس عندي الآن
ما يصلح لذلك ، فأعاد على فأعدت عذري فأغضى ، قال : وكان عيسى بن عمر
العبدى مسجوناً بعد ذهاب المناهبي . وقد كان من أصحابه ، ثم أطلق سراحه
في هذه الليلة نفسها ، فاذا به جاء ، معه في موكبه ، فلما قرب الموكب قمت
اليه فسلمت عليه ، فلامني أصحابي من القواد الذين لا يهبون بريحنا حين
سلمت عليه وحدي ، ويرون ذلك سوء أدب مع وزير الحرية وقد كان حاضراً .
ثم دخل المناهبي عند السلطان ، فاذا بالحاجب ينادي وزير الحرية ابن الشكرا ،
فدخل الى السلطان ، ثم لم يخرج الينا من الباب الذي يسامتنا ، فقد خرج
من باب آخر الى داره ، ثم أرسل الى (تازة) باشا عليها ، هذا والوزير الأكبر
غريط جالس ينظر وكأنه غير موجود ، لأن الأمر عاد كله الى يد المناهبي كما
كان قبل أن يسافر ، ولا يذكر الا هو ، وهو الذي يبرم وينقض في كل شيء ،
ثم عمرت المخزنية الى ما بعد وقتها المعتاد ، ثم خرج المناهبي فقام القائد الحاج
على الباعمراني فسلم عليه ، فقال له : أحتي أنت رجعت من ماموريتك التي
أرسلتك اليها ؟ فأجابته : ان كلام المخزن ذهب بنا ، وان كلام المخزن رجع بنا ،
وما نحن الا مؤتمرون بالأوامر العليا ، وقد كان مرسلنا في عهد المناهبي الى
جهة الغرب في جيشه لمامورية خاصة ، ثم بعث اليه بعد ذهاب المناهبي فرجع ،
قال : ثم جمعنا بيننا نحن أصحاب المناهبي نحو ثلاثة آلاف ريال ونصف ،
فذهبنا بها لنسلم عليه بها ، ونحمد له السلامة ، لأن السلام اذ ذاك على الاعيان
السلطان والوزراء لا بد فيه من المال ، حتى ان كل من أراد ان يدخل على
السلطان أو الوزير يسأل عما يسلم عليه به ، فيجعل في تقييد يعلن للسلطان
أو الوزير ، ولكل مقامه ، فليس السلام على السلطان مثلاً كالسلام على الوزراء ،
قال : ثم اننا ذهبنا اليه بجماعتنا وقد رفعنا رؤوسنا وتباهينا ، فوجدناه
يتفدى ، فقابلنا بكل تجلة ، ووجهه يطفح بشراً ، وقد استرجع مكانته بسرعة
خارقة للعادة ، واقتحم كل العراقيل فنجا منها ، وكذلك عاد المناهبي الى الوزارة
الحربية على رغم الانوف ، وأعداؤه ينظرون ، فرجعت مياهه الى مجاريها .

في بني مُسْتَارَة

قال : وقفنا يوماً في هذا العهد لعرض الجند ، وكان الكباد هو العارض ،
فوقعت بيني وبينه مراجعة في واحد معروف من أصحابي غاب عن العرض ،
فقد قلت له ان الرجل معروف ، وهو الآن موجه لقضاء غرض لي ، فبالغ في

التعنيف على ذلك . وواجهى بكرم مر . فقلت له انى لا اخدم بتمس ريار
يوية تم اجعل هذه الاشانة ، وما ضرى الا ان يهينى من لا ارده فوقى بل
هو دوى ، فبذلت ذلك نذرا لظهار الباف من الخدمة كلها ، واحتججت
وانانى فود الارساء - على نلة ما نالنه يوميا وادلينا باخجج وابراهيم على
انه لا يكفينا فى التكاليف الخاصة المنوطة بنا . وبعد احو ورد مع الوزراء ، رجع
مرتبنا الى ثمانى ريات يوية ، ثم اونا ان تهيا لمسفر فى جيش تحت
قيادة حوى عبد السلام الارانى . فذهبنا حتى بلغنا (سيدى بودومة) فى
قبيلة (بنى دستارة) بقينا هناك ما شاء الله ، والقواد الذين معنا هم بهذا
الترتيب فى مكانتهم فى الجندية ، لان لكل واحد مقاما خاصا . فيقال فلان
ثم فلان الخ ، فالاول القائد العربى المناهى ، ثم المترجم القائد الناجم الذى
يقص علينا ما ، ثم القائد الملودى السرعينى ، ثم القائد صالح الزمرانى ،
ثم القائد سعيد الدماى ، ثم القائد الحسين اليمورى ، ثم القائد احم
اليزوى ، ثم القائد برك الهوارى ، ثم الحق بنا القائد الحاج على البعمرانى
وليس هذا الا لير اذ ذاك من سملهم النظام الخاص الذى انا به المناهى
فيما اتى به من التنظيمات الاوربية ، وكان من هذه التنظيمات ان تجمع اموال
الرعية تقسيطا على الاشجار ورؤوس الغنم وتسل ذى روح وعلى المزروعات
بالخروس ، وعلى الرؤوس ، على العادة التى سار عليها الامر بعد الاحتلال ،
ورقعت محاولة تنظيم جميع الجند على تلك القواعد .

قال : وقد كان فى هذا الجيش الذى كنا فيه ، القائد عبد الملك المتوكى ،
والقائد الحاج الجيلانى له ثنائى ، فبعدما لا فاريحنا من هذه الخدمة فى هذه
الناحية ترجعنا بعد ان كانا معنا ما شاء الله ، ثم توجه القائد العربى المذكور
الى (بنى مراكندة) فانهمز فيها ، فالحقونى به ، فهزمناهم حتى وصلنا
مشهد (سيدى انزغارى) فارصيت جندى باحترام مقام السيد وما اليه ، ثم
جاء المنهزون بهديهم تائبين ، ثم رجعت الى (بنى مستارة) ثم جاءنا الامر
ان ننتقل الى (وزان) فافاض علينا الشرناء كل خير مدة ستة ايام ، ثم الى
مدينة (القصر) الكبير ، ومن هناك انطيت لنا ثياب ملفية ، وبقينا فى
القصر ثلاثة ايام ، ثم اونا بالرجوع ، وكان السلطان اذ ذاك قد انتقل من
مراكش الى فاس ، فالتحقنا به فى فاس .

فى حروب أبى حمارة

قال : فى هذا العهد كان يطرق اذاننا فيما يتداوله الناس ، ان انسانا
خرج فى بلاد الحياينة معه بركة عظيمة ، وهو الجيلانى الزرهونى الذى كان
مغزينا عند حوى عمر ثم سجن ما شاء الله كما تقدم ، كما كان ايضا عونا
عند والد ابنا محمد الشركى ، ومنشاه من اولاد يوسف بجبل زرهون ، وقد

فيل لنا إذ ذاك انه حلف ان يكون اميرا بعد ما أصبح المناهبي وزيرا
(كما يقال : انه رمد على المناهبي فلم ياذن لملاقاته . فقال لنن كان المناهبي
وزيرا لا نون انا اميرا)

قال : ويتداول كثيرون ان المناهبي ومحمد انفلوس الحاحي دفين تيزنيت ،
والجيلاني الزرهوني هذا ، حين اجتمعوا في السجن كما سبق ذكره ، كانوا
يستخرجون بانزيرجة ما هو مستقبل كل واحد منهم ، فيقول محمد انفلوس
انه سيكون كبيرا متبوعا ، ويقول المناهبي انه سيكون وزيرا ، ويقول له
الجيلاني الزرهوني هذا اننى سأكون ملكا وافسد عليك وزارتك ، ونسمع كذلك
ان هذا الثائر زار المناهبي في مراكش بعد خروجهم من السجن ، فترفع عنه
المناهبي لفضب هذا وعزم على ما عزم عليه من الثورة ، وانه زار فاسا وصلى
صلاة الجمعة مع مولاي عبد العزيز ثم خرج على حمارة من فاس الى القبائل ،
ولذلك يسمى ابا حمارة ، هكذا كان الناس يتحكون اذ ذاك ،

قال ثم لما وصلنا فاسا نزلنا بمحلتنا في ظهر المهراس ، فوجدنا امامنا (ابا
حمارة) نتمكنا في تازة ، ببيع فيها ، ويصلى به الناس يخطبون به فسي
الجمع ، وقد فرطت الحكومة في امره بادی، ذى يله حتى انتشر بسرعة ، وكان
اساس دعوته انه يحكى انه مولاي محمد ابن السلطان مولاي الحسن الذى
كان أبوه غضب عليه (كما سبق أن ذكرناه) واول ما ابتدا به امره فيما
سمعنا انه اشترى سبعة ثيران سود فذبحها كلها في مشهد سيد ومحمد
ابن الحسن الذى يقام له موسم بقبيلة الحياينة قرب فاس ، وقد كان جال
كثيرا في تلك الناحية حتى عرف كل كبار اهلها ، كما كان في كثير من
مدن المغرب والجزائر ، ينتحل التموف والمخاريق ، وقد صبح في يده السحر
فيهر به من حضر عنده ، وبعد ما ذبح تلك الثيران جلس ازاء الموسم وقد
امتلا بالناس فصار يبكى ويقول للناس الملتفين حوله : ارايتم ما وقع في دارنا
التي استولى عليها النصارى . فلقاهوا فيها اخى الصغير عبد العزيز المولع
بالاعيب هم ذكورا وانانا ؟ ثم يعطى لكل من حضر اليه اللوز الكثير . ولا
يلرى الناس من اين ياتيه في اول امره - القول : ياتيه من صنوق فرنسة
التي اثارته فيما يقال - قال المترجم : فيسلب عقول الناس ، فقام بعض
غياثة والحياينة بمبايعته ، فازكبه على فرس واعطوه فسطاطا ، ثم توجهوا
به مع ان التف حوله الى تازة ، بعد ما فرغها الحاج عبد السلام الزمراني
المعروف بابن الشكراء ، وقد اغلق الباب دونه ذلك اليوم . فبات في قبة
امام الباب مبنية على بعض الصالحين ، وفي الغد دخل المدينة فصار الناس
يلتفون حوله بسرعة . والحكومة معرضة عنه ، ثم توجه بمن التفتوا حوله الى
فاس ، فارسل الخزن جيشا يلاقيه . وعليه مولاي الكبير ابن السلطان مولاي
الحسن ، وفيه القائد البشير بن المساح ، والقائد الفاسى ، والقائد يرعى

السباعي قائد الرحى ، والقائد محمد بن العربي بن حمو البخارى ، والقائد الجيلانى الشراوى ، فنزلت هذه المحلة فى بلاد (الهبارجة) فى الحايضة . ف وقعت الحرب بينها وبين جيش التائر فظهر عليها ظهورا داء ، ثم انهزم ، ولكن هزيمته لم تكن تامة ، وقد جرح القائد يرعى اذ ذاك . فارسل مولاى الكبير والقواد الذين معه الى الحكومة يطلبون النجدة بالدافع ، قال : فاستدعانى المنابى فطلب منى ان اذهب بالدافع ، فان من فى المحلة يقولون ان التائر التجا بعد انهزامه الى قلعة ، فاحتاجوا الى ما يهددها عليه ، فاقترحت ان اختار من يذهب معى ، وذلك بعد ان ذكر لى هو من لا ارضاهم لميدان الحرب من القواد الذين لا يصلحون الا فى حين الاستعراض ، فلمبى طلبى ، فذهبت بالقائد صالح الزمرانى وحده كعاملون لى اشجاعته ، فاستدعى المنابى عمر التازى الذى اصبح بعد ذلك الحاج عمر التازى والذى كنا نعرفه من قبل بعمر الاقارع (1)، وهومن اعوان المنابى الذين يقفون له على مئونة داره . فيشتري له من السوق ما يتوقف عليه ، فآره ان يشتري للجنود خمسة الاف خبزة وتينا وتمر ، قال : ثم لم اذهب الا بنحو مائة وخمسين مع مدفع واحد . فسافرنا فى الحين ، فلما وصلنا (بنى سادى) نزل علينا مطر كثير ، فآثر ذلك فى بعض دن معنا فقدمت دن معى الى المعسكر ، وتأخرت انا مع المدفع خوفا عليه ، فبت معه فى الحلاء تحت الامطار ، ثم اتصلنا بالمحلة صباحا ، فدعينا المدفع الى تلك القاعة ، فاذا بها ليست سوى اكواخ وباب نقوس ، فقد درت بالمكان وتحققت كلب من اخبروا بانه قلعة محصنة وطلبوا ما طلبوا ، (حتى ابو حمارة فانه ليس فى المكان ،) بل هو فى (تازة) ثم نزلنا فى (دار الدبان) حيث تضاربنا مع غيابة والتسول والبرانس ، وقد انخرطت قبائل كثيرة زيادة على هذه فى بيعة التائر بسرعة ، حتى عمت اياله كل تلك القبائل يدينا وشمالا ، وقد استفز الناس بالفرجة الدينية التى تنور اقواله على مجورعا ، قال : وكانوا يعيروننا باننا نصارى كر ونيثون - نسبة الى الكرونى النصرانى الانجليزى الكبير على الجند - ثم كتبت الحكومة الى انا ان اعود الى فاس ، ثم خطر للمنابى ان يرجع مع السلطان الى مراكش وقد قال له مولاى عبد السلام الامرانى : لا عليكم فى هذا التائر النهار . فانى سانسفه نسفا بالمحلة التى كنت ذهبت بها الى (بنى مستارة) فلذلك عين الامرانى كبير كل الجيش المحارب للتائر ، قال : فكنا معه ، فذهب بنا حتى نزلنا على جيش مولاى الكبير ، والامرانى هو المفوض له رسميا فى الجميع ، قال : وكان ابن الشكرام الزمرانى الذى فر من تازة لما دخلها (ابو حمارة) قد نزل بفاس وبين للحكومة قوة ابى حمارة ، وان كل القبائل قد اخلصت له بسرعة ، فلما سمع السلطان والمنابى ذلك تأخرا عن السفر الى الحوز ، بعد ما كان السلطان عازما على الرجوع الى مكانه المجيب اليه مراكش البهجة .

(T) لولا امانة النقل لحذفت الكلمة لاننى لا أحب مثل هذا فى الناس الا اضطرارا.

حيث الفما ألف مند صباه الباكر ، ثم صار الامرائى النازل فى (اوطابوغبان) يخالط نصوصا من كتاب القبائل وسداذها ويستميلهم بنمال ، فاطمعهو فى ان تنقلب ناك القبائل على أبى حمارة متى كان الزحف ، قال : فداول الامرائى ذلك مع القائد صائح ، والقائد الحاج على البعمرانى والقائد الماودى ، وتركنى انا عمدا فلم يحضرنى ، لاننى كثيرا ما أقول لهم ان للحرب وسياستها لرجالا ، فظن أننى لا اسلس لما يقول من افن الراى الذى يبدية ، وفى الصباح امر بالنعبنة والزحف ، فوقف الامرائى فى موقف الاستعراض ، فصرنا نمر به طابورا طابورا ، وقد كان السحاب يكفه ، وابتدا الرذاذ ، فأمرت جندى أن لا يغبروا الرادى وأن يقفوا دونه ، فعبرت أنا وحدى كما عبر كل الناس من الجنود غير جندى ، فاذا بالماجرين قد انهزوا امام العدو بكل سهولة كالارانب أمام السلاقى ، ف وقعت الواقعة فى لحظة واحدة ، فانهمز الجميع ، ولو كان هناك من يتبعهم لما وقفوا الا فى فاس ، وقد كان الامرائى منتكلا على ما بينه وبين ان يكذبون عليه من أولئك اللصوص الفتاك ، فقد طمع أن ينصروه كما وعدوه . فاذا بهم قد خذلوه خذلانا فاضحا فى وقت الزحف ، قال : فقلت للحاج : على أرايتهم ما اداكم اليه رأيكم المادون ؟ فما نحن اولا لا تقوم لنا قائمة منذ الآن امام هؤلاء ، فقد هتأ فى اعينهم هوانا لا عز بعده ، قال : ثم تأخرنا عن معسكرنا متسحين متجلدين ، وقد تجرات علينا القبائل ، فتركنا فى (كعدة الارانب) من الحيانة ، ثم صارت المحلات تتوارد على محلتنا ، فقد جاء عيسى بن عذر بمحلته ، ومولاي عبد السلام الوزانى وجيشه ، وسيدى محمد الامرائى بمن معه ، وهو أخو مولاي عبد السلام ، وعباس المناهى أخو الوزير بمحلته قال : فما أثر الجوش بلا فائدة ، ثم زحف النائر يوما آخر ، فلم تكد الحرب تشتعل حتى كان كبار المحلات أول من هرب من المعركة ، كمولاي عبد السلام الامرائى ودولاي الكبير ابن دولاي الحسن ، ومولاي عبد السلام الوزانى ، هكذا هرب هؤلاء الشرفاء أولا ، قال : وكنت فى الطليعة احارب مع بعض المشجعان ، فلما رجعت وقت المغرب ، وجدت رؤساء المحلة قد خلت منهم مراكزهم ، وكذلك الضعفة الرعايد من القواد ، فلم يبق الا القائد صالح والقائد المولودى ، قال : فطلبنا متى ان نذهب كذلك اثر المنهزمين ، وقد كان اليوم يوم رمضان ، فبقيت القساطيط قائمة مدفوعة بالخيرات والاثاث والمتاع والقرطاس . كل ذلك فيها دمراكم ، وقد كانت خمسماية بقلة كما وصلتنا من فاس محملة بكل شىء ، فتركنا كل ذلك لقمة سائفة فى يد العدو ، ولم يبق أخيرا الا أنا فى اصحاب لى قليلين نحو سبعة ، هذا مع أن العدو لا يزال بعيدا عنا بعدا ما ، كأننا ينتظر أن نفرغ له المحلة ليدخلها ، ثم دهمت القبائل التى معنا المحسوبة من جانبنا وجيوشنا تجمع من عنادنا ما قدرت عليه بنورها اغتناما للفرصة . قبل أن يستأثر دونه العدو بذلك . ولما شم

الذيب في المنية ، صار الكل ذئبا ، - هذه عبارته - قال : كنت يوم ذاك مجروحا ، مركب احد اصحابي على بغلتي . وكان لي عليها مال . فكان دليلي ، فاذا بعباس احى الوزير وفد بقى معه اثنان فقط من اصحابه ، وكذلك الطيب ابن عيسى بن عذر ومعه ابن دحان الذي اشتهر بعد ذلك في تيزنيته ، وقد كان من المستبعد ان ننصر ، لان شرفاءنا الثلاثة يتافسون ، ويدعى كل واحد منهم انه رئيس المحلة ، حتى انهم في عشايا رمضان يطلق كل واحد منهم عند المغرب مدفعه ، فتسمع ثلاثة مدافع ، قال : فلما اشرفنا على فاس انسنا نارا بعيلة في الافق ، فاذا بها نيران محلة جده بها محمد بن بوشنا ابن البغدادي هيئت لنفشنا ، فاذا بها قد انهزمت ايضا بالسماع فقط لما سمعت بانهمزنا ، فلوقلت النار في اكواخ كانت قد اتخذتها لنزولها ، فلما راي رفقاؤني تلك النار اندهشوا ، فقلت لهم : الواجب علينا ان نقف هنا في وسط هذا الليل الخالك حتى يطلع النهار ، فنعرف من يقاقلنا ومن نقاتله ، فابوا على ، فبقيت انا مع اصحابي الاخضاء . وقد الح على ذلك الجرح ، واما رفقاؤنا الآخرون فقد ساروا فاذا بهم في وسط جيش كبير جاء من الحوز تحت قيادة القائد المدني الاكلاوي ومعه اخوه الحاج التهامي . وقد تخلف القائد عبد الملك المتوكي عن هذه الحرب . ولم يحضرها البتة مع قواد الحوز ، فامر المدني باولئك المنهزمين فادخلوا عليه . فاتاهم بالحريرة وبالنار ليصطلوا حتى انتعشوا ، ثم ذكروني له . وقالوا انه تخلف وراءنا ، ولم اتحرك انا من مكاني حتى طلع النهار ، فسرت امامي . فلما وصلت هذا الجيش استقبلني اصحاب القائد المدني وادخلوني عليه ، فوجدته كانها كان ينتظرنى ، فاجلسنى اياه ، واتانى بأدوية الجرحى ، وقد كان وردت معه حاحة واهل الدير ومسفيوة من الحوز وموتكة تحت امر خليفة غير قائدهم ، وكانوا كثيرين ، وبينما انا عنده اذا بكبار جيشه دخلوا عليه ، فتصاحبوا به : ان قم بنا نهرب فان الناس كلهم قد هربوا ، وماذا تنتظر بنا بعد ؟ فان كل من امامنا قد هرب الى فاس - وكان منزله ذلك تحت (القنصرة) وهى كدية ازاء (سادن) - فقال لهم : اسرجوا الخيل واوكلوا البغال ، واجمعوا المتاع ، ولكن لا تقلعوا الفساطيط ، فقلت له : ايها القائد لا يستعملك هؤلاء ، فيجب عليك الثبات ، فان ما تركناه للعدو وراءنا سيشتغل عدة ايام ، والضباع متى وجدت الفريسة لا تشتغل الا بها حتى تنقضى ثم تتطاب غيرها ، - هذه عبارته - فاعجبه كلامي ، فقال لي ما العمل اذن ؟ فقلت له ارسل الى الحكومة واستاذنها فيما تفعل ، فارسل رسالة الى الوزير يخبره بالواقع واستاذنه فيما يفعل ، فجاء الامر بان يتاخر الى فاس ، وكان الذى ذهب بالرسالة الفقير ناصر الاكلاوي ، وهو خال المناهى ، فهو سبط الاكلاويين ، ولكن هؤلاء لسوا من اسرة القائد المدني وانما تزوجت امة هناك عرضا ، وهى ابنة رجل منا بهى لا شان له ، قال :

ثم وصلنا دار المخزن ، فنزلنا بالامر أيضا في (ظهر المهراس) فاخرجت الينا فساطيط جدد ، سلاح جديد ، وكل ما يحتاج اليه الجيش ، وقد ضاع الجند كثيرا في الهزيمة بأيدي القبائل ، فذهب اسلح المخزن الكثير . فلما تم الاستعداد ، نزلنا في المحل المسمى بـ(الطافى) قرب وادى فاس ، وفي وسطنا فسطاط المنابهي نفسه ، وهناك اجتمع جميع من حضر ، فلما غنم الثائر كل ما تركناه ضرى علينا ، فدب الى فاس ، فتترحز متاخرين عن منازلنا خوفا من مهاجمة الثوار ، فقد نزل الثائر في (ثلاثاء النخيلة) فبكرنا اليه يوما تحت قيادة المنابهي ، وهو شجاع جري ، - فنظم الجيش ، فجعل عيسى بن عمر والمدني الاكلوي ورعى السباعي ومن معهم في المسيرة ، وثلاثة طوابير مقدمة ، وعمر اليوسى ومن دعه من البرابرة في الميمنة ، ثم هاجم الجيش الثوار مهاجمة صادقة ، فلم تكن الا لحظة حتى انهزموا هزيمة منكرة ، وقد وقع البربر على كل ما غنمه منا الثوار قبل اليوم ، فهرب الثائر مجفلا ، قال فبقينا وزدنا قدما ، فنهز بجث جنودنا الذي كان هلك منا منذ ايام ، حتى نزلنا (عين القرع) في الحباينة ، فاستدعاني المنابهي انا والقائد صالح . والقائد الحسين البعمراني ، فامر ان نكون دبابدب (جمع ديندبلن وهو الرقيب) في الطليعة دائما ، فكنا نحن ودجلة من الشراردة اول من يصدم لو اغار على الجيش مغير ، ثم ان الثائر ذهب الى (عين مديونة) من صنهاجة مع من التفوا حوله ، فصار يتعهدهم بالتمائم ، ويصيحهم بان يحتاطوا دائما ، وجعل اهم كلمة السر (سالم) ثم انه بيت دجلة الشراردة لالا فنهزها وذبح بالمدفع الذي فيها ، ولم يهاجم غيرها ، قال : حتى نحن الذين كنا ازاء هذه المحلة لم يهجمنا ، فبقينا في موضعنا خوف الدسيسة ورائنا لو تترحزنا عن مكاننا لنعينهم ، وقد ادرنا ان للرجل مكاييد ودسائس خبيثة فصرنا نتحرز منها .

قال : وفي الصباح المبكر ، قامت المحلة فتبعث الثائر فاخرجناه من (عين مديونة) فافتكنا الاسرى الذين كان اعتقلهم في الليلة الماضية من الشراردة ، كما استرددنا المدفع الذي استولى عليه ايضا ، ثم رجعنا الى محلنا الذي كنا فيه ، فبقينا فيه اياما ، فرجعنا الى (فاس) حتى عبدنا عيد الاضحي ، قال : ثم رجع الجيش كله مع المنابهي ، فرابطنا في بلاد شراكة بهجل يقال له (البغل) ومن هناك الى فاس البالي ، فانشبنا البارود مع قبائل جباله حتى مهدناها ، ففرعوا ما وظف عليهم ، وقد كان قائد المشور اندريس بن يعيش مع المنابهي في هذه الحركة ، وقد بقينا هناك نحو شهر ونصف ، ونحن في جمع كل ما يراد من قبائل هذه النواحي .

قال : ثم كتب الى المنابهي من دار المخزن بان ما هو فيه هو ومن معه من الاشتغال بقبائل جباله تغريبها ، واختلاف عائلاتهم بينهم وبين فاس كانهم يتنزهون لا تريده الحكومة ولا تحبه ، ان المقصود هو الصمود الى (أبي حمارة)

حتى يؤتى عليه ، فان على المخزن فى كل مطلع شمس مائة وخمسين ألف ريال .
اقتذهب هذه الادوال فى الاشتغال بجباله التى لا ينتفع منها المخزن دائما
بأى شئ ؟ وورقات كناس خراجها دائما بيضاء ، قال : قمنا عن جباله لاجل
ذلك ، فاذا بقبيلة منهم تعرضت لنا فحاربناها ، فجرح هناك الجرح الثالث
فى عرى ، ولم تتجاوز جرحاتى خمسة فى حروبى كلها مدة حياتى ، ثم
ذهبتا قديما والثلث (أبو حمارة) مول وجهه شطر (وجدة) ، فقد احتاجا
وخطب له فيها ، وانما نلاقى القبائل التى تهب معريجه فحاربها الى أن
وصلنا (تازة) التى انتزعناها من غياثة فاحتلناها احتلالا وقع فيه بعض
حيف على الملاح وبعض المسلمين على ما هو معلوم من عبث الجند الغير
المضبوط ، فمكثنا فيها كثيرا ، وقد كان شريف يسمى سيدى المدنى السملالى
يكرهه (أبو حمارة) كما يكرهه هو أيضا فانتهب داره وزاويته ، فأوى الى
المخزن ، فكان معنا حتى فى وجدة ، فهو الذى حث المناهبة على أن نحمل
قصة (مسنولة) وهى وسط هواة فحابة أو هواة الحجر - الشك منه - .
فان الدائر اذا احتلها قبلنا سيتمكن فى هذه الجهات ، فانتدب المناهبة قواد
الشراردة لاحتلالها ، وهم القائد الحبيب الشرادى ، والقائد الحافظ ، والقائد
ابن ادريس ، والقائد ولد السيد مولود ، والقائد عمر ، ومعهم القائد محمد
ابن العربى بن حمو البخارى ، والقائد السفينى ، والقائد المالكى ، وقائد
الحاط ، والقائد صالح الزهرانى ، وعلى رئاستهم الشريف المذكور سيدى
المدنى ، قال : فاستدعانى انا ليرسلنى معهم فاعتذرت بالجرح الذى أصابنى
فجزم على ، فقلت له : أترى أن أتكلم معك بالحقيقة ؟ فقال : لا بأس ، قل .
فقلت له وهو يتكىء على مخدة لهاميل فى مقعدته ، الا تزال تستحضر ما
كتب اليك به من دار المخزن بأن المتصود منك هو أن تذهب قديما حتى
تقضى على (أبى حمارة) ؟ وهل ذهابنا الى هذه القصة هو ذهابنا الى (أبى
حمارة) الذى هو الآن فى محل آخر ؟ ثم انك قدت من القبائل ما قدت ،
فالواجب عليك أن تحافظ على من معك من أولاد القبائل حتى تردهم سالمين ،
ثم ان الراى السديد فى مثل هذه الحالة هو أن تخل (تازة) وتلك سورها
لانك لا تقدر على المحافظة عليها حتى لا يحتلها أبو حمارة ثانية ، كما لا تقدر أن
تخرجه منها حتى يحتلها ثانية ، ثم بعد ما تدك سورها ترجع الى السلطان
والى من معه من ارباب الكلام (لا من ارباب الحسام) فتطلب أن يخرج السلطان
ليراه الناس فيؤمنون بان سلطانهم موجود ، وليس بخيالى كما يذيعه النائر
بين الناس حتى صدقود ، ويخرج كذلك من لا يعرفون ما تلاقه أنت ومن
معك فى هذه المعارك ، ليدوقوا حظهم من راحة الحرب ، ثم ان خرج السلطان
فان الناس سينقادون اليه بلا ريب ، وان لم يخرج فقد قمت بواجبك ، وحافظت

على من معك حتى رددهم سالمين ، قال : فامعن في بعيتيه مليا متاملا فيما قلت ، فاذا بالفائد عمر اليوسي يناديني يا فلان : ان المحلة قد قامت واصحابك لا يزالون جالسين وانت لا تزال هناك ، فطلب منى المناهبي ان اذتر دطاييبي . فقلت له بغضب لا مطلوب عندي ، فتبعته الاوامر ، فتهاينا فذهبنا مع الداهيين ، قال : فاما وصلنا تلك القصة ، وجدناها عامرة ببعض من يجاورونها ، فذهب سيدي المدني للاطف من وقفوا ازاءها . ففتحوا لنا الابواب فاحتللتناها ، وقد كان طلب منى مالا يعطيه لهم ، فقلت له : انت هو كبير الجيش فان كان عندك رصيد لمثل هذا فانفق منه ، اما انا فليس عندي الا القنابر والرصاص ، فولى عنى عابسا باسرا .

قال : ثم ان المناهبي مكث بعدنا في تازة سبعة عشر يوما ، ثم في ليلة اعلم خيلا من بني عوفته ، فلم يصبح الا مسافرا الى فاس ، فلما وصل اقترح على السلطان ان يخرج ليراه القبائل ، فاذا بغريط وامثاله وسوسوا للسلطان وراءه بانه ترك الجيش في تازة وجاء ، يطلب منك الخروج فبأي جيش تخرج الآن في أعين الناس ان اردت ان تخرج ؟ فاصاخ لهم السلطان فاجاب المناهبي بمثل ذلك الجواب ، فارسل هذا الى الشريف مولاي الطيب الوزاني ، وكان البرابر واهل المغرب ينصتون لهذا الشريف ، فقال له : اريد منك ان تعلم القبائل لئلا يناتوا بغيلا ورجلها بريالين للفارس وريال للراجل ، عن كل يوم ، ولهم السلاح الجديد نعطيهم لهم بدل سلاحهم المعتاد ، فاجتمع بذلك كثيرون فخرج بهم السلطان من فاس مع المناهبي . فتنزوا في (اوطابوعبان) وقد كان محل نجوى المناهبي في تازة عيسى بن عمر ، وادريس بن يعيش ، والطيب الكتناوي ، وعمر اليوسي ، ومحمد الكتناوي ، الا انه لم يشاورهم يوم غادر تازة .

ثم ان (أبا حمارة) الذي عرفنا انه في جهة (وجدة) صار يذب الى جهة (تازة) من جديد في هذا العهد . بعد ما ظن انه مهد تلك الناحية ، فلما وصل ملوية بلغنا الخبر نحن الذين في قصبة (دسنول) انه في محل يسمى (مئلوتو) فاجتمعنا نحن القواد الذين في القصبة ، فاقترح الشريف سيدي المدني ان يذهب جند منا على البغال التي معنا بكرة اربعين ريالا لكل بغلة ، وعلى كل بغلة ، جذريان ، ليعارض الثائر هناك ، قبل ان يصل ، ولم يكن المحل الذي هو نازل فيه بعيدا عن القصبة كثيرا ، فلما ذكروا لي ذلك اعتلدت بانسي مجروح ، وبأن من دعي لا يفيدون في ذلك ، ثم اعلنت معارضة في ذلك المقترح ، فانفخ ذلك بما قلت ، قال : ثم بينما احلق رأسي يوما امام القصبة اذا بمن اخبرني ان خيل الثائر قريبة منا ، يقول انها تهاجمنا قبل ان استتم حلق رأسي ، فقمنا فكان الهالك من العدو اكثر من الهارب ، وفي الغد حمل علينا ايضا الثائر نفسه ، فاردنا ان ننحاش الى تلك القصبة فاذا بابها مسدود

بأمر القائد محمد بن العربي بن حمو صيانة لها في زعمه ، فتراكم الناس
 أمام الباب وهم ينادون مصارعها، وهناك سقط فرس القائد مبارك الكيلولي
 ومعنا القائد عمر السكتاني ، فصرنا ندافع العدو أمام الباب ، وكذلك بعد
 ما دخلنا مقتحمين ، وقد تركنا المدفع أمام الباب بعد دخولنا ، فتربص بنا
 العدو المنكمش وسط الوادي ، فصرنا نستقيث بمن في (تازة) بالرسائل التي
 نلقيها في الظلام وراء السور للرسول ، فلم يفتنا أحد ، حتى أن خيلا نحو
 ستمائة من هواره فجأة ، أصحاب هذه الأرض ، وقفوا يتفرون علينا ولم
 يعينوا أحدا من الطرفين ، وقد كان دخل معنا القائد حلو الورائني ، فلما
 رأى البارود قويا ذهب إلى الرئيس المدني فقال له انني سأخرج ، وقد خامره
 الرعب وظن أن هناك مقبرتنا أجمعين، فجاء إلى الشريف سيدي المدني يستشيرني
 في ذلك ، فقلت ان شاء الله ان يذهب فليذهب إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم ،
 فطلب مني ألا يعطيه له لعله بهذا ، فأنكرت عليه من ذلك كما أنكرت عليه
 في مثله من قبل ، ثم فتحنا الباب فخرج القائد الرعيد خائفا يتربص ، فما
 ابتعد قليلا من الباب حتى وقف ، فتمعجت أنا حين تركه الثائر وأصحابه فلا
 يطلقون عليه الرصاص ، فأمرت بعض أصحابي فخرجوا فنظروا ، فلذا بالثائر
 وأصحابه لا أنيس منهم إلا من ماتوا ، ثم تبين أن الثائر كان مجروحا فحملة
 أصحابه . وفروا به إلى قبيلة البرانس ، فأرنا إذ ذاك بغروج البهائم لترد
 الماء ، فتفنسنا تنفس الحياة ، وفي الغد جاءت محلة تازة بأعلام عظيمة ،
 كغابة النخيل ، قال : فقلت لهم ان الثائر مجروح وهو نازل هناك ، فإن
 أردتم أن نزحف إليه زحفنا . فقالوا انما جئناكم بلخيرة البندقيات بسبب
 رسائلكم التي واليتموها إلينا ، فقلت لهم أمس الدابر هو يوم الحاربة لا
 هذا اليوم الذي لا حرب فيه ، ثم ان (أبا حمارة) لما رأى هو وأصحابه الجيوش،
 وقد كانوا نزولاً به في (الشميحنة) أهر فنزل من هنالك إلى (عين القرع)
 فوق (مكناسة الكبيرة) ثم أرسل طابور قبيلة حمزة تحت إمرة قائدهم ،
 وطابور القائد يرعى السباعي إلى (مكناسة الكبيرة) فاحتلوها ، فهم تحت
 منزل الثائر وهو فوقهم ، وفي الليل طرقتهم جيشه ، فهلك كثير من جيش
 يرعى ، وهرب هو في ثلاثة من أصحابه ، كما هلك جميع الحميرين ولم يبق
 منهم أحد ، فغنم منهم العدو سلاحا كثيرا ، وقد كان عدد الجميع خمسمائة،
 فاذا ذاك انتعش (أبو حمارة) ثانيا بما غنمه من هؤلاء ، وقد برى من جرحه،
 فصارت القبائل تأتيه أيضا ، وفي ذلك المحل وصل إلى الثائر عبد الملك بن
 عبد القادر بن محيي الدين من الجزائر ، فيتعاون معه ، وقد كان عبد الملك هذا
 عارفا بإدارة الحرب على ما بلغنا ، فصارت الحروب تترى في هذا العهد بين
 المخزن وبين الثائر ، وهي سجال بينهما ، هذا والسلطان لا يزال في محله،
 ولا تلبث كل حش باتي من عنده أن نهزم ، وقد صمد الثائر للمقاتلة بحيلة

ودساسه قبل خيله رجله ، فل : ثم ان من في (نازة) من كبار الجيوش تشاروا ردهم على الافلاخ عنها الى محلة السلطان من غير من معهم من الجند فاذا بالقبائل نزلت عليهم في (وادى الحضر) فهلك منهم كثيرون ، فوصل من نجا الى محلة السلطان ، وحوصر من بقي في (نازة) حصارا شديدا والخوف ، فهلك فيها كثير من الالف الخيل والبغال والجمال ، فعادت صولة التأثير جدعة ، هذا ونحن لا نزال في قصبتنا في (منسولة) فل : فاعلنا الامان لكل من يصل اليها من القبائل المجاورة لنفوز بالمبايعة في البضائع معها ، ولما آنسوا الامان اقبلوا علينا فبيع دهمهم واشترى بالغلاء الفاحش ، حتى اننا نشترى صاعا من شعير بأربعين ريالاً احيانا ، ولغافة الدخان بربع ريال ، واما ما بين نازة وفاس فان الحصار ممكن فيه ، والسبل مقطوعة ، حتى لا يمر الا من له قوة تجيزه ، فقد اتى المدنى الاتلاوى مع اخيه التهامي من فاس بماله مخزني الى نازة ، فعورضوا في (وادى الحضر) فدافعوا عن انفسهم وعن المال المخزني المحمول على خصمائه بغلة ، فلم يجزوه الا بمشقة ومقاتلة شديدة ، وقد جرح هناك القائد المدنى ، وبسبب جرحه تخلف عن القواد الذين غادروا نازة فاربوا الى محلة السلطان كما ذكرنا ، فكان هذا المال هو الذي نفع من في نازة ومن معنا في تلك القصة ، وقد كان التهامي اذ ذاك يتردد مع اخيه القائد المدنى .

قال : فبقي الامر كذلك ازيد من سنة ، لا يصل اليها شيء من فاس الا بقوة ، او بحيلة . كما فعل المناهي مرة ، اذا استدعى البرابر وطلب منهم ان يوصلوا بالكراة مئونة الى من في (نازة) وفي قصة (منسولة) التي نحن فيها ، فعلا امامهم الاواني الفخية وبكعب الفزال واهمالهما ، فلما ناموا على ان يبكروا الى السفر عمد الى الضرورات من ذلك ففتحها وملأها بالمال الا ما يجعله في اعالها من ذلك سترًا وتقليطًا ، فلما اصبحوا حملوا ذلك على انه طعام ، فوصلوه الى اماكنه هم لا يشعرون ، فنفع الله به ايضا مدة ، وبهذه الطريقة يرض علينا احيانا ما ينفع غلتنا بعض النفع .

قال : ثم جاء الامر بان نرتحل من (القصة) ومن (نازة) فان قدرنا ان نقطع من هناك الى (فاس) فعلنا ، والا فلنذهب الى (وجدة) حيث ستلقينا السفن لتحملنا الى المراسى الاخرى ، فاخترنا ان نتوجه الى وجهة (وجدة) وهكذا امضينا ما امضينا في مكاننا هذا ، وقد تيسر لنا بعض المعاش ، على حين ان من في (نازة) لا يزالون دائما في ضيق ، ثم اننا لم نجد ما نحمل عليه الاثقال . لما عزمنا على الارتحال ، فقد ماتت الهائم التي كانت عندنا كلها بالحمى لعدم التبن او الكلا ، فصرنا نوقد النار في المتاع الذي معنا اسبوعين . وتلك عادة الحرب ، تقضى بالفساد ما يخاف ان ينتفع به العدو . وقد غادرنا هناك كثيرا من السلاح الذي لم تسمح نفوسنا بان نفسده بأيدينا ، ثم وصل اليها من في (نازة) فانه معنا حتى انتقموا ما جلوده عندنا من الحبوب ، ثم

أقاعنا معهم ، فحملنا أعباء القتال بين تلك القبائل ، وقد نظمنا سيرنا ميمنة وميسرة وساقة ومقدمة ، قال : ومعنا القائد المدني الاكلوى واخوه التهامي ، والقائد يرعى ، والقائد صالح ، وهؤلاء وأنا هم الساقة ، وبيننا المدافع الى ما بقي في الحياة من الدواب التي تحملها ، فسرنا هكذا منزلة منزلة بنودة وتحرز ، حتى وصلنا بلاد الاحلاف ، فانتهب الجند الذي في المدممة سلاح (وادى زا) فانكرنا عليه ذلك ، ولكن ما العمل مع الجند الجائع العريان ؟ وقد وجد الجند الدرة كما افركت في الحقول هناك ، فصاروا يشوونها وياكلون ، وقد بقينا هناك ثمانية عشر يوما ننظر حمادة البوزكاوى ، وان مصاهرا للسلطان مولاي الحسن بيته . ولم يتبع هو (أبا حمارة) لذلك ، فانتظرناه فلم يات ، فاقلعنا ، فلاقطنا حرب من بعض شذاذ القبائل امامنا ، فكنت انا والتهامي الاكلوى نرجع الى المهاجمين فنردهم وحدنا - ثم اتنى على شجاعة التهامي وثباته - الى أن وصلنا (عيون سيدي ملوك) قال وهناك ورد علينا السيد عبد الرحمان بن عبد الصادق باشا طنجة ، مع احمد بن كروم البخاري الذي كان باشا في (وجدة) وفي القد جاء ولد حمادة البوزكاري الينا عوض أبيه ، وبعد مكثنا هناك ما شاء الله ذهبنا الى (وجدة) التي افلتت قبلنا من يد (أبي حمارة) وقد رجع اليها باشاها المذكور ، فبقينا ننتظر هناك ما شاء الله ، فاذا بالامور تنقلب في الحكومة ، وقد سقط نجم المناهبي ، وكان عمر التازي يتولى كبر ذلك مع انه ولي نعمته ، فجازاه كما نرى ، واعانه عليه الكباس وغريبط وعبد الكريم بن سليمان ، فاتفق الكل عليه ، فغادر يوم عيد فاسا تحت مطر منهج . فقصص (طنجة). وقد كان محميا بحماية الانكليز ، فكان ذلك آخر عهده بالحكم العزيزي ، فتولى عمر التازي المالية ، فاذا ذلك تمزق السلف الذي تسلفه المغرب كما هو مشهور ، وما يوم حليلة بسر .

قال : ابطانا في وجدة ، فكان يتسرب الينا ان كل من فيه رائحة المناهبي تنصب الشباك حوله ، ونحن هنا منهم ، ولذلك لا يهتم بنا ، بل حتى المئونة تقطع عنا كثيرا ، حتى كنا في ضيق شديد ، وربما لا يعيش بعضنا الا بالخزون ، هذا زيادة على الحرب التي نلقاها صباح مساء من أصحاب أبي حمارة .

قال : ومن الوقائع التي وقعت انا معه ، وقعة (ماجن بقتة) ، فقد انهزم فيها عسكرينا ، وقتل منا جيش الثائر ست عشرة مائة ، وقطع منا من الرؤوس ما حمل على اربعين بغلة ، واخذ من الاسرى مئات ، فارسل الجميع مع ثلاثين فارسا الى محله ، فرأى القافلة رجل يزاسني يسمى عيسى ، فتعرض لها ، فردى قائدها ، ثم آخر ، فهرب الباقون ، فسمال الاسرى من هم ، فلما عرفهم اطلقهم كلهم ، فكان انتصارا غريبا برجل واحد ، قال : وكان الثائر ينوي ان يعلق تلك الرؤوس على الديوانة التي في يده ، وهي المجاورة

(مليلية)، وكان يستغلها واخذ دخلها الى آخر ايامه ، ولم نستطع ان نحول بينه وبينها .

قال : كان ابو حمارة خطب بنت البوزكاوى المذكور ، فلم يمكن له الا ان يخطبه فيها ، فلما زفت اليه ردها قائلا انها غرضى فى بنت ولدك السيد محمد الجميلة ، افتعطون لمولاي الحسن ما يريد لما زوجتموه وتعطوننى أنا ما امره ؟ فقال له : ان مولاي الحسن ارسل من اختار له ، فارسل انت ايضا الينا من وزيارتك ودمن تتق بهن من عريفتك ليخترن لك ، فارسلهم وكانوا نحو سبعين ، قال : وقد كان البوزكاوى ارسل الينا سرا ان نرسل اليوم الفلانى مائة بغلة مع ثمنيتها وثمونة من معها ، ثم ان اصحاب ابى حمارة جاءوا فاضاف الوزراء منهم ، وفرق غيرهم على اخوانه ، ثم جعل بينه وبينهم اماره ، ثم صار يستدعى الوزراء فى العشية وقد اخرج لهم الكسوة ، فيامر كل واحد ان يستحم أولا ، فكل من ادخل الى الحمام يذبح هناك ، ثم اعلن لاقوانه الامارة التى تمارع معهم عليها ، فذبحوا أيضا كل من عندهم ، فحمل ائقاله على بهائمهم وبهائمهم وعلى البهائم التى وردت اليه من عندنا ، قسم الدست بذلك على ابى حمارة .

قال : فتلقيناه ومن معه ، وفرجنا بهم واتينا بهم الى (وجدة)، ثم اغار ابو حمارة على تلك القبيلة فمكت بها .

قال : ثم جاءنا احمد الركينة التطوانى الذى تعين حاجبا للسلطان اخيرا ، وقد بعث بهال عظيم من فاس ، وقد سبق الينا العلم بما جاء به فينا ، فبعد ايام طلب منا ان نلبى دعوته . وان نتهيا لعرض الجند عليه ، هذا وقد تناجيت أنا والحاج على ، والقائد صالح ، واحمد الخراب ، والمدنى الاكلاوى ، فيما نحن يقدمون عليه ، وقد راودنى بعض اهلى از أفرط فى المدنى الاكلاوى . وان لا أقف دونه . لاننى شرادى وهو كلابى ، فاييت أنفة . ثم خرجنا الى سيدى عيسى خارج المدينة ، وهناك ضرب الركينة فساطيطه ، واتينا بجنودنا كما طلب ، والمقصود ان يعتقل المدنى الاكلاوى كما فهمناه بما وصلنا ، فلما جلسنا كلنا اخرج رسالة فيها ان كل من فى وجدة يذعب مع الركينة ، ويبقى الناجم والحاج على واحمد الخراب والقائد صالح ، فقال له القائد صالح اننا ما جعلنا قط حامية فى أى محل ، بل نحن جيش الكر والفر ، وانما يكون حامية من كان مستضعفا من الرجال ، ثم قمنا زاننا فامرنا ابواقنا فاطلقت صرخات زاعقة ، وذهبنا عنه وتركناه اذل الناس .

قال : ثم صرنا لا نذهب الى دار الحكومة التى يحتلها ، وندير الحرس بدار المدنى خوفا عليه ، ويكون معه يرعى . وان كنا نعرف ان يرعى غدار ، حتى اننا ان اراد المدنى الحمام نجرسه فى الازقة وفى الحمام نفسه ، ولا نفارقه حتى يرجع ، وكل ذلك مراعاة لكون الاكلاوين احوال المناهية ولى نعمتنا .

قال : فلم نزل في حرب مع ابي حمارة سنين ، والحرب بيننا وبينه سجال ، حتى ايس بن احتلال (رجلة) فذهب الى (سلوان) ثم اعطى المدني مائة الف ريال لعمر التازي ، فسرح الى فاس ، ثم الى دره . فذهب من عندنا ، وتان مروره على الجزائر . وفي تلك السفرة وصل الاسلاك مع فرنسة ، ثم كان ما كان بعد ذلك مما يعرفه التاريخ . .

قال : كن المدني ويرعى قبيلي الدين غير مصونين في اخلاصهما ، يعرف ذلك كل من عاشرهما اثباتا - هذه عبارته . وعليه عهدها .

قال : تان ابو حمارة احمل (وجدة) ما شاء الله ، حتى انجلي عنها لما بلغه خبر احتلالنا لتازة ، يورد علينا فوق بيننا وبينه ما درناه ، فوجدنا نحن في رجاء احمد بن سرتوم وعبد الرحمان بن عبد الصديق ، ولم نجد فيها واحة للناظر ، وانما الذي لا يزال يهذب بريجه بعض اقباض عنا وهناك ، وهي التي لا تزال نحاربها ، على أن القبائل لا تحارب عته وانما تحارب دفاعا عن مالها الذي تخاف أن يبتزها الجيش منها ، فلا ريب أن ما فعله الجيش يوم دخل تازة باليهود وبعض المسلمين ، وما فعله أيضا بالملاح الذي ذكرنا بهبه في (وادي ز) - يشير شعور الناس بالخوف ، وذلك زيادة على المغارم المحزنة (الغرايض) ، ثم ان احمد الركينة لم يات لي (وجدة) الا احيرا بعد ما كنا فيها ما شاء الله ، ثم بعد ، سافر القائد المدني الى الجزائر بعد أن ذهب قبله أحوه انتهى الذي ذهب بسلاح كثير . كان هو واخوه يشتريانه من الجند لما جاع ، بقينا نحن في رجدة ما بقينا . حتى جاءنا أيضا ابو حمارة ، وقد عرفنا نحن السمكة في حلقه . فحاربناه ما شاء الله (عين انصافا) بن بنى يازة سنين ، وفي (وادي بدير) حيث انهزمنا امامه . وكنت أنا وكتبراء القواد بوزة بالايدي ، وقد ضرب ترسي بكنت اسقط من فوقه ، لولا اصحاب لي اعانوني حتى علوت فرسا آخر ، وقد استمرت هذه الحرب التي كانت سجالا من عام 1321 هـ الى 1325 هـ . وقد انكسرت رجلا القائد الحاج على البعهراني آخر في إحدى المهادك ، فهناك بقي بذلك ، وقد دهم الثائر (عيون سيدي ملوك) بعد ما نسف السور ، فقتل من كان فيها بعد ما حاصره ما شاء الله ، وما أكثر الوقائع هناك ، ولكن لكونها تشابه لا يستطاع ضبطها (من العاتى) ، ولذلك اختصرناها ، قال : وقد كدنا نهلك كلنا في بعضها ، فاولا أن انسأنا أقصى الينا بأن بنى يتر تاسن سيزحفون الينا ، فاتخذنا الاحتياط لقضى علينا ، لانهم لما زحفوا الينا وجئونا مرتحلين .

قال : ثم جاءنا الاهر بأن نقلع من (وجدة) الى (الريف) يوم انقطع ابو حمارة الى الريف ، ولم ندر سبب هذا الاهر الا بعد حين ، خرجنا متوجهين لما امرنا به ، فنزلنا في (وادي ماوية) وبعد ثلاثة أيام احتلت فرنسة مدينة (وجدة) ، فعرشنا ان هذا هو السبب ، وكان هذا الاحتلال بعد وقعة الطيب

(موشان) الشهيرة بمراكش ، وقد خرج اهل وجدة مرحبين بالحملة الفرنسية، كأنهم لا يعرفون أنها فاتحة احلال عام لكل البلاد . فخرج معهم الحاج على على بقلته رغما ، لكونه وحيدا بينهم ، وهو كما تماثل من شقاء رجله . فيقدر ان يمشى عليهما بعكازين ، وحين كان الناس يحيون رئيس الجيش الداهم لم يرفع اذاج على يده للتحية ، فنادى هذا الرئيس اليشا احمد ابن كروم . فسأله عن هذا الذي لم يحيى كما يقضيه الادب . فقال له انه من بقة الجيش الذي كان مرابطا هنا ، فجاء ترجمان فترب على الحاج على ، فاطرق هذا براسه ولم يجبه . فاذا كان جواب الاحمق السكوت فكيف لا يكون السكوت جواب من لا تومن بوادره من الطغاة ، ثم دخل داره ، فاذا ببعض من هم مع الفرنسيين قد وغلوا عليه فانتهبوها ، فبقى هناك الى حين فقيرا وقيرا

قال : ثم صرنا بعد نزولنا في (ملوية) نطلع من الكدى ومن ثانيا الجبال وشعفها نحو الريف ، حتى عرفنا الطرق اليه والشعاب فركبنا يوما بفرساننا، وقد تركنا أثقالنا وأخيبتنا وراءنا في محلها ، فولجنا في طرف الريف ازاء (كبدانة) فبيننا اخصاصا اتقاء للمطر لتسكتها ، وفي كل يوم يركب طابور منا ، فيذهب حتى يتقابل مع طابور يرسله ابو حمارة ، دما على ذلك بلا قال ما شاء الله، قال : ونحن كثيرون أكثر من عشرة آلاف ، وهي البقية الباقية من السبعين الفا التى خرجنا بها من فاس ، وفي يوم ثار البارود بين طابورنا وطابور النائر ، فاغتننا اصحابنا ، فدهمنا محل نزوله في (مرشكة) فغنمنا منه ما غنمنا ، وكان هناك يتوصل من فرنسة واسبانية بما يريد ، فيقيم هناك سوقا لقبائله لاستحوذنا على كل ما في معسكره فرجعنا به ، فبيننا الاخبية التى غنمناها منه ، وفي يوم زحف الينا ايضا من منزله الجديد الذى ينزله هنالك ، وأما محله الخاص فهو (سلوان) ازاء الناصور ، وكان قصبة مخزنية فاحتلها واتخذها دارا ، وهي حصينة ، قال : ولم ارها وانما وصفت لى ، قال : ثم لما عرفنا مسالك الريف وطالت فيه اقامتنا ، ارتحلنا بأخيبتنا وهاطنا وكل أثقالنا من ملوية الى غيرها، ثم زحف الينا ايضا فدحرناه ، ولكننا لا نتمكن من القضاء عليه ، وانما نترك منه قتل تقطع رؤوسهم ، ثم تقدم جيشنا فنزلنا في (مرشكة) نفسها ، ازاء (الجزيرة) في سيف البحر الابيض ، ثم صار يلم ايضا جيشا آخر ، وهو يتوصل بالسلح التام وبالمدافع وبالتونة وبالمال الكثير من اصحابه فرنسة واسبانيا كما كان يقال ، فكان يعيش هو ومن معه فى سعة ، وأما جيشنا ففى شظف عيش ، فلا تقنات الا بالسنايل نقتطفها من الزرع فتشويها ونلتهمها ، وكان الوقت وقت افراك الزرع ، فلما اجتمعت له القبائل بحزمه وعزمه واخافة الناس حتى انه قتل فى يوم واحد سبعين من الطلبة أنكروا عليه ، يجمعهم

خمسة ويوقفهم امام المدفع ويطلقه عليهم ، قال : بكر الينا يوما مع
الفجر زاحفا فقمنا اليه ، فظلت الحرب بيننا وبينه الى ما بعد المغرب ، وقد
حزرننا من معه باكثر من ثلاثين الفا خيلا ورجلا ، وقد التفت هذا
اليوم حوله كل من انضاف اليه من غيثة الى الريف ، فوقف اليوم بنفسه
يقدم القبائل ، ويعين الفرسان ، ويتبين مواقع الضعف من بين اصحابه .
فيرسل اليها من يسدها ، فلما نزل الظلام ، وانقطعت الحرب بيننا وبينه ،
وقد توافقنا النهار كله ، ظننا انه لا يزال مرابطا علينا ، فحفنا ان يهاجمنا
فى الليل ، فدسسنا الى جهته من رجح ، فاخبرنا بانه لا اثر له ، وانما صار
وجه الارض حوالى موقفه مكسوا كله بالقتلى والجرحى ، والخيال الميتة والمنكسرة ،
قال : فذهبت الى صاحب ذخيرة الحرب فسألته عن الباقي فى الخزانة ، فقال :
ان اليوم اتى على كل ما عندنا ، فكننت اعطى الى كل من اتى الى بلا حساب ،
لانه لم يكن فى امكاني الا ذلك ، فلم يبق الا ستة عشر صندوقا . قال : فدهشت
وقد علمت ان (القرطاس) لم يطلق كله على الاعداء ، بل خبي ، بعضه عند
الجند ليسيئوه من الفد للقبائل ليتوصلوا منهم بما يقتاتون به ، لان الضيق
والفاقة قد بلغا بهم الغاية ، وقد انقطعت عنا المؤونة من ازمان ، وقد تمر
ثمانية اشهر فلا نتوصل الا بمؤونة شهر ، وقد نعطي عن هذا الشهر اكياسا
من السهميد يحسب علينا فى ثمنها كل ما سنتقاضاه ، فيريد احدنا ان
يبيعها ليقضى بثمانها بعض اغراضه ، فيشتريها منه نفس من دفعها اليه بنصف
ما حسبها به عليه ، وربما يردها علينا هى نفسها فى حساب آخر بضعف
ما اخذها به منا ، وهكذا ذواليك ، قال فاستخرجنا تلك الصناديق الباقية
من القرطاس ، فاستدعينا القواد . وسألنا كل واحد عما مات من خيله
ورجله ، فلما قيدنا ما قال كل واحد منهم ، امرنا بحفر الخنادق حول المحلة
ووضعنا متارس وراءها تحصينا لموقعها ، ثم عمدنا الى التقييد لئرساله الى
كبير محلتنا عبد الرحمان بن عبد الصادق الذى اوى الى (مليية) فيتصل
بنا بواسطة اخوانه الريفيين المتحاشين اليه يترددون بيننا وبينه بالفلاك ،
فلما هيأنا للدفاع عن المحلة اوصيت كبار الجند ان لا يفرطوا فى الدفاع ان
رجع اليهم النائر غدا ، فان لم يجلبوا مناصا فالجزيرة المنقطعة عن البروهى
وراءهم يتحاشون اليها ، قال : فدخلت انا فى القارب الذى يقوده الريفيون
اصحاب عبد الرحمان بن عبد الصادق فكننت انا هو الرسول ، فلما قاربنا
مايلية ليلا نادانا الحرس من الاسبان ، فاجبناهم باننا قادمون على رئيسنا ابن
عبد الصادق ، وطلبنا منهم ان يستاذنوا لنا ، فاذن لنا بالدخول الى المرسى ،
فدخلت على الرئيس فوجدته نائما ، وكان توجهنا فى الليلة التى وليت
يوم الحرب ، فايقظناه من النوم ، وقد عرف من انا ، فخرج الى وهو حاسر
وله اذنان طويلتان تبينتهما فى الليل على ضوء القمر ، فقلت له لا كلام قبل

أن توصلنى بطنجة . لا يرق إليها بما أتيت من أجله ، فأمليت البرقية بخبر ما وقع لنا في المعركة ، من موت ما هلك لنا من الخيل والرجل ، وأنه لا قرطاس ولا مئونة عندنا . فقد زحف اليها الدائر بنفسه ، فقاومناه النهار كله ، فامنا أن نقيثونا والا فوداعا بينكم وبين جيشكم هذا ، ثم جاء الجواب في الحين بأن السفينتين المخزنتين اللتين تسميان (المعدنوس) و(الجبل الكبير) موجودتان الآن في مرسى طنجة ، وسيوسق عليهما في الحين كل ما طلبتموه ، زيادة على ثلاثة طوابير أخرى من الجند ، فسياتيكم الجميع في الحين ، فكونوا رجالا كما يراد منكم ، فإن عليكم وحدكم الاعتماد في مقاومة الثوار .

قال : وهناك سفينة أخرى ثالثة تمام سفن المخزن الموجودة عنده اذ ذاك تسمى (التريكي)

قال : فلم آكل ولم أشرب ، وسرت ألى ، كل ما فى بطنى بتأثير هواء البحر ، حتى جاءنى الجواب فكتبت رسالة مع الرقيقين بذلك ، فذهبوا بها فبكروا عند أصحابنا فى المحلة ، ثم بعد صلاة الصبح استلقيت نائما من الاعياء ، فظلمت ثم يت هناك ، وفى اليوم التالى شاهدت السفينتين أمام (مليية) فرسبت احدهما ، فأتيت اصحابى ، بكل ما طلبناه ، واما المئونة فلم تصلنا الا مئونة خمسة ايام فقط دراهم ، ولكننا فرحنا بالقرطاس ليتمكن لنا الدفاع عن انفسنا لئلا ياخذنا العدو باليد ، قال : ثم قطعنا ضحل الماء الذى يعبر به الى الجزيرة فبنينا فيها الاخبية ، فامنا فيها أن يبيتنا العدو ، وقد كان التأثير استولى هناك على المحل الذى تعشر فيه السلع - الديوانة - فاردنا ان نحول بينه وبينه بحملة منا على محلها ، ولكنه دافع عنها دفاع المستميت ، فقتعنا من الغنيمة بالاياب ، ثم صادرت اجوبة الرسائل التى نواكها بطلب المئونة من الحكومة لا تتضمن الا قولها : صار بالبال ، صار بالبال ، فاين ذهب السلف الذى دخل اذ ذاك الى المغرب ؟ أم لعبت به ايدي تجار فاس وغيرهم ؟ فلا حول ولا قوة الا بالله ، قال : وهكذا بقينا فى مسغبة عظيمة حتى رقت لنا اسبانيا قبل ان نجد الرقة فى وزرائنا ، فاعطتنا دفعة مئونة شهر ، فقد دفعت لنا التبن والشعير للبهائم ، والدقيق والزيت والحوت والتهوة ، ثم اننا متى اردنا أن نكتال من قبيلة (بنى يزر-تاسن) بما نتمصصه من الدراهم بمخالطة بعض القبائل نذهب بنحو ألفى بقة ، مع نحو ذلك من الخيل حراسة لها ، فبقينا هناك أكثر من سنة والحرب متصلة الحلقات ، وهناك مات القائد المولودى عم القائد العربى الذى هو الآن فى عهد الاستقلال قائد للمشور الملكى ، فقطع رأسه وذهب به الى (سلوان) عاصمة التأثير فعلق هناك ودارت حوله ألعاب الخيل ثمانية عشر يوما فرحا بالظفر به لكاتته عندنا ، فتولى القائد العربى المذكور مكانه ، وكانا معا تحت نفوذ القائد الناجم الذى يحكى لنا .

قال : وذات يوم وردت علينا رساله جاء فيها : الم نامركم مرة بعد مرة ان
تسحبوا من هناك وان تدخلوا الى الجزائر لتاتيكم السفن لتردكم الى داخلية
البلاد ؟ فدهشنا وتساءلنا متى وردت علينا مثل هذه الرسائل بهذه الاوامر ؟
فعلمنا حينئذ ان من يلون شئون الحكومة يريدون ان يخلو الجو للتاثر لينتصر
ويعلو شأنه تنفيذا لخطه فرنسة التى تعين التاثر وتسخره لقائدها ، فاتصلنا
نحن اذ ذاك باسبانية ، فقال لنا من نتصل به منها : ان حكومتكم قد
غدرتكم ، وادارت من قبل اليوم ان تضحلوا . افلا ترون انكم امرن ان
تخرجوا من (وجدة)اولا ، ثم لم تكادوا تغادرونها حتى احتلتها فرنسا ، وان
المثوبة قد قطعت عنكم كل هذه الاحقاب ؟ انم تكن لكم عقول تفكرون بها ؟
ثم كتبه الى الحكومة انه لا يتبعنا احد من جنودنا اذا اردنا الان ان نذهب الى
الجزائر ، كما امرنا به ، لتركب من هناك . هذا ونحن نريد ان نقف معنا
اسبانية حتى تدخلنا الى حمى (مليلية) فلبت اسبانيا مطلبنا ، وهيات لنا ما
نحتاج اليه من الفلانك والسفن التى حشرتها الينا حشرا ، فكنا حين سفرنا
من الجزيرة فى حالة سيئة، وثياب خلفه فاجتمع اتباع التاثر فى ساحل البحر
يشيرون الينا ، ويسخرون منا ، شامتين ، وقد هددتهم اسبانية ان هم
حركوا ساكنا ضدنا ، فانقلنا بكل امتعتنا ومن معنا ، فتلقتنا العساكر
الاسبانية فى (مليلية) ترحيبا بنا ، وقد اثنوا على شجاعتنا وتضحيتنا فى
موافقة الثوار فى كل هذه السنين ، رغم اعراض حكومتنا عنا ، ثم دفعنا
للاسبانيين اسلحتنا بالقييد لناخذها منهم كذلك يوم نخرج من عندهم ،
فانزلونا هناك ، فى سيطر امام مدينة (مليلية) وصاروا يمونوننا كلنا مثوبة
كافية بالدقيق والحوت والزيت والتبن والشعير والكل على نفقة اسبانية .
وبعد مدة جاء الامر من الحكومة ، وقد خجلت لما حل بنا من الضياع لولا
اسبانية ، بان يدخل الجند من (مليلية) الى الايالة المغربية ، فتانى البواخر
فتحمل الجند شيئا فشيئا ، فنذهب به الى (الرباط)حيث مولاي عبد العزيز ،
بعد سفره من فاس ، وقد اراد ان يستعين بجنودنا فى زحفه الى مراکش ،
فذهب الجميع حتى لم يبق من القواد الا انا ، والقائد صالح ، والقائد محمد
ابن الجيلانى ، والقائد الحسين البعمرانى ، والقائد بريك . وعيالهم واصحابهم
الخصوصيون ، والجميع نحو السبعين ، والسبب فى تاخرهم انهم يسمعون
بانهم متبوعون من قبل فرنسة ، وانها بمرصد لهم ، لحنقها عليهم من
وقوفهم فى سبيل التاثر بوحماره الذى تعينه هى ، وتشجعه على ثورته على
الحكومة المغربية ، سعيا فى تمزيق وحدة البلاد ، ولذلك اضطررنا الى الالتجاء
الى اسبانية ولم نرد ان نفارق منطقة نفوذها . اذ هى التى لنا فيها وحدها
الامان ، فلدهبنا الى حاكم (مليلية) بعد ذهاب جيشنا كله ، فقصصنا عليه
خبرنا واعلمناه باننا مستجيرون بهم ، فاستشار حكومته ، فاجيب بالموافقة.

فرحب بنا واحتفل وماتتنا وانزلنا كما ينزل الكبار الملحوظون الى ان يظهر لنا ما نريد . فذلك بقينا هناك . ونحن الذين كنا من بين قواد الجيش على فكرة واحدة وشعور ممتزج ، خلافا للقواد الآخرين الذاهبين .

قال : هذا وكان امر قيام مولاي عبد الحفيظ يصلنا مجملا ، ولم نستبن بعد حقيقة الامر عنه ، بل كان القائد المدني الاكلوي يكتبنا ان نتسرب الى الحوز ، بل اوغز الى بعض الريفين ان يقفوا معنا حتى تخلص مما نحن فيه ، قال : ولكننا لا نريد ان نصيع الامانة التي في ايدينا من الجند والسلاح ، بنفض ايدينا مما نحن فيه بدون تأمل ولا تعقل ، وذلك ما يقتضيه منا الشرف العسكري ، ولذلك صبرنا حتى ادينا الامانة بالتى هي احسن ، ثم اخترنا السلامة من ذلك الجو المعتكر ، حتى تبين لنا الحيط الابيض من الحيط الاسود ، ففعلنا ما فعلنا ، فصرنا هكذا ملتجئين لحفظا لشرفنا العسكري والشخصي . قال ثم لما بايعت غالب الخواضر السلطان الجديد مولاي عبد الحفيظ ، واتفق الناس عليه ، صرنا نتأمل في امرنا ففعلنا حينئذ ان ندخل فيما دخل فيه الناس ، فاكترينا سفينة انجليزية على حسابنا ، فذهبنا الى رئيس (ميلية) فافضينا اليه بعملا ، بعد ما قابلنا بكل جميل واحتفال تام على عادته ، ثم ودعنا ، فارسل الى حارس المرسى ان يتقاضى عنا فيخلى المرسى وقت خروجنا لئلا يوخد بآية مسئولية ، فادخلنا في السفينة ما معنا من العيال ومن الحيل ومن المتاع ، واقبلنا الى سواحل المدن الداخلية .

على وشك الاعتقال فى آسفى

قال : سافرت بنا السفينة ، وكنا نقصد آسفى التى كان بلغنا أنها دخلت فى ايالة السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ الذى عرف بغيرته على الاسلام وكرهه فرنسة علوتنا ، حتى اذا سامتنا هذه المدينة ، وقد انقضت ضبابه غرتنا حتى تجاوزناها وكان الاقدار تحلونا منها ، فرجعنا اليها ، فاذا بقارب اتصل بسفينتنا ، فقال لى اصحابي اذهب أنت اولا حتى تتلاقى مع باشا المدينة ولد عيسى بن عمر صاحبك ، لتهبى لنا عنده النزول ، فلما نزلت من سلم السفينة ووصلنى القارب قلت لسائقه ، كيف الباشا ولد عيسى بن عمر ؟ فقال لى واين ذلك الباشا ؟ فقد غادرنا منذ اسبوع ، وقد صارت آسفى فرنسية اذ احتلها جيش مولاي عبد العزيز ، وطرد منها اصحاب مولاي عبد الحفيظ ، وقد جرى اليها بذلك العسكر - وأشار اليه امام المرسى - ، وهذا الباشا الجديد وهو ابن عيسى العبدى ، ظالم جبار يضرب ويسجن ويلدو الفلفل فى عين كل من يتكل بهم ممن فيهم غيرة على الاسلام ، قال : فتركته يتكلم من غير ان اجيبه الا بكلام حسن ، وحصلت الله على ان ساق الى من اطلعنى على الحقيقة ، فرددت رجلى من طرف القارب بعد ما اهويت بها اليه لانزل فيه الى المدينة ، وعزمت على الرجوع الى مكاني فاذا باحد اصحابنا ينزل

من السلم ، فقال لى : اريد ان اذهب معك الى المدينة ، فقلت له اننى نسيت شيئا امام صاحب القارب ، فطلع فتبعته فحكيت لاصحابى ما سمعت ، واعلمتهم بان القائد ابن عيسى الذى تركنا فى (ملييلة) هو الباشا هنا ، ومعه جنده ذلك ، وادريتهم عسكرا متهين امام المرسى ، وبينما نحن واقفون اذا ببارجة فرنسية وقفت ازاءنا فى تلك اللحظة ، فاذا بها كانت تقتلنا آثارنا من (ملييلة) ، ولكنها لم تصادفنا فى البحر ، فصارت تبادل الاشارات مع من فى اسفل من اصحاب القنصلية الفرنسية ، ولا ريب ان خبر مقصدنا قد تسرب الى اسفل ، فلذلك تهيأ ذلك العسكر لاعتقالنا ، ثم راودنا صاحب سفينتنا الانكليزية ان يرجع بنا الى مأمنا ، فابى علينا كل الاباء ، وقد خاف لما توجس من حولنا ما عسى ان يصيب به ، فاذا برجل جاء فى فلوكة ، فطلع اليها فاستدعانى فاسر الى سلام الباشا ابن عيسى ، وطلبه منى على وجه الاخوة ان ارجع وان لا اورطه هو واهل اسفل ، قائلا : ان كل من هنا من جندك ، وانهم متى راوك فسيقفون بازائك ويقتلوننى ، فتشور الفتنة فى المدينة ، فلا يعلم الا الله ما سيقع ، قال : فقلت له رد عليه السلام ، وابلغه انى ذاهب الى حال سبيلى ، ولكن لماذابقى هو ازاء النصارى ضد المسلمين؟ ولماذا يبيع آخرته بدينه؟ ثم جاء ايضا انكليزى على قارب وطلع اليها ، فسأل رئيس السفينة من هو ؟ ومن هؤلاء ؟ فاخبره انه انكليزى وان السفينة انكليزية ، وان هؤلاء قد حملهم من ملييلة الى هنا باجرة ، وانهم مضمونون عنده ، فصار يخاصمه ويقول له : ألم تر البارجة الفرنسية تقف ازاءك ؟ ألم تر المدافع موجهة الى سفينتك ؟ أما تخاف ان ترمى سفينتك بالقنابر ؟ فلماذا لم ترفع الراية الانكليزية ؟ فرفعها ، فامن بذلك على نفسه وعمل سفينته ، فاذا ذاك اكترينا من عنده ايضا على ان يردنا الى جبل طارق ، فرجعنا اليه ، قال : وهكذا كان ستر الله وحفظه وتوفيقه علينا حجابا ، ومن حفظه الله فانه لا يخاف ، ثم بعد وصولنا الى جبل طارق اتفقنا معه ايضا على ان يردنا الى ملييلة حيث كان لنا الامان التام تحت ظل اسبانية .

فى اسبانية ثم فى ملييلة

قال : كنا خيرنا اصحابنا وهم نحو اربعين ان يذهب كل واحد منهم الى حيث يشاء من البلدان ، فابوا مفارقتنا الا واحدا هو الذى ذهب ، فقبلناهم وحسبناهم من عيالنا ، فذهبوا على تلك السفينة مع العيال الى ملييلة فبقوا على نفقتنا كما كنا معهم من قبل ، ثم ركبنا نحن مركبا بخلويا آخر ونحن ثمانية الى الجزيرة الخضراء ، ومن هناك ذهبنا فى القطار الى مالقة ، حيث بقينا اياما ، فاصاب القائد صالحا مرض ، ثم برى منه قريبا ، وكان الفصل فصل الصيف ، قال وكنت ابكر الى سيف البحر ، فاتلقتى برجال من بنى ورياغل يترددون

بالتجارة الى مالقة ، ثيغطوننى خبر مولاي عبد الحفيظ . وانه دخل فاسا .
وكان دخوله اليها عام 1326 هـ .

قال : ثم رأينا حوائنا في النزل جواسيس يحومون حولنا ، ثم اتصل بنا احدهم وأقضى الينا بان الحكومة الاسبانية التي تتبعنا بعيونها قد عرفتنا ، واننا عندها بمكانة ، ثم ابلغنا ان حاكم المدينة سيستدعينا وقت كذا ، ثم استدعانا الحاكم فعلا وقد ارسل الينا المركوبات ، فأبلغنا ترحيب حكومته بنا ، ثم سافرنا الى مقر الحكومة بعد استدئانها ، فاتصلنا في (مدريد) رجال الحكومة فرحبوا بنا ، ثم ردونا الى مليية ، وقد افرغوا جهودهم في ايناسنا نحن واولادنا وكل من معنا ، فنزلنا في الدور التي كنا فيها من قبل ، ثم استدعانا حاكم مليية صاحبنا الاول ، فتأسف كثيرا على ما وقع لنا في آسفى ، وقال : انه لم يكن يعلم بالانقلاب الذى وقع هناك الا بعد سفرنا بكثير ، ثم قال : ان فرنسة عاتبة عليه كثيرا لما فعله معنا ، واخيرا رجب بنا واخبرنا بان حكومته ايصت علينا كثيرا .

فى تطوان

قال : صارت اخبار مولاي عبد الحفيظ تتوارد علينا من كل ناحية ، وان تطوان دخلت فى ايالته ، فاستدعينا القائد بريكما مع رجل آخر كان تاجرا فى مليية ، فطلبنا منهما ان يذهبا حتى ينزلا فى سبتة ، فودعناهما على ان يبرقا الينا بردوز اتفقنا عليها ، فان وجدا تطوان كما سمعنا أبرقا بكلمة (الرخاء) ، والا فبكلمة (الغلاء) فأبرقا بالرخاء ففرحنا ، وفى العشى طلعنا عند الحاكم فحكي لنا معنى البرقية ، فضحك من حيلتنا ، ثم بعث الى حاكم معه ، فاعطاه البرقية ، ثم بين له معنى الرخاء فاعجب ايضا بذلك ، فقالا معا : هكذا ينبغي ان يكون من يعرفون كيف يدبرون الامور ، قال : ثم فاولضناه فى الالتحاق بتطوان ، فوافق على ذلك ، وقال : انه لا ينبغي ان تعملوا كما عملتم فى المرة الاولى ، فاذهبوا بانفسكم اولا ، ، ودعوا عيالكم ومتاعكم هنا ، فان ارسيتم فعلى انا ان اوصل اليكم عيالكم واصحابكم ومتاعكم ، فاخبرناه باننا قد هيانا بالكراء فلوكة توصلنا الى (تطوان) فلوغز الى حارس المرسى ان لا يحضر لخروجنا كما سبق له ان فعل فى المرة الاولى ، ثم ودعنا بكل احتفاء .

قال : ركبنا عشيبة فما اصبحتنا الا فى (مرتيل) حيث مرسى (تطوان) فلم نجد فى المرسى الا كوخين فقط ، ولا بناء فيه ، فجلسنا فى ظل احد الكوخين ، واستخرجنا سلاحنا فظلفناه ، وقد كنا لوينا فى الاخبية ، كما هيانا فطورنا ، ثم كتبنا الى الباشا القائد عبد السلام بن الحسين البخارى الذى ارسله مولاي عبد الحفيظ باشا الى هذه المدينة .

قال : فلما تقلص عنا الظل ازاء الكوخ قمت لاريق الماء ، فاذا بانسان وقف على وقال لى : ان الشمس قد وصلتكم ، وفي هذا الكوخ الآخر محل مفروش وظل ظليل ، فذهبت معه ، فدخلت المحل ، فاذا بفراش حسن وطعام مهيب ، ثم اجلت بصرى فى اندائه ، فاذا بسلاح كثير جديد نحو ستين بندقية اوربية (منابيه) وهذا نوع من البنادق الانجليزية جاء على يد الوزير المناهيه فصار يضاف اليه ، فسألته عن اصحاب السلاح ، فذكر أنهم لا يأتون الا كل عشية ، ثم يركبون فى الفلانة عشرة عشرة ومعهم رئيسهم فيسيئون يدورون على ما يجاور المرسى من البحر ، وقد أوصوا أن لا يفلت منهم أناس ينتظرون ورودهم ربما يطرقون المحل ليلا ، فان أمكن أسرهم فذاك ، والا فيقتلون بالرصاص ، سمعت ذلك ففهمت المقصود ، ثم غيرت مجرى الحديث ، فخرجت معه ، فاستدعيت القائد صالحا فاعاد نفس السؤال على رب الكوخ لما رأى السلاح ، فسمع نفس الجواب ، ولكنه لم يملك نفسه ، فجعل يقول هذا هو جزاؤنا من اخواننا المغاربة ، وقد ضحينا بانفسنا امام هجوم الثوار الذين ما آثارهم الا الاعداء ، فدهش صاحب الكوخ وكاد يذرب ، ثم قال : الحمد لله الذى أنقذكم ، قال : وقد كانت هذه التوصية من قبل فى عهد اصحاب مولاى عبد العزيز الذين كانت تسيرهم فرنسة ، فينصبون لنا ولائنا الفخاخ ، اما وقد انقلبت الصحيفة ، وجاء عهد السلطان الجديد ، وذهب تأثير فرنسة ، فقد عاد الينا الامان والله الحمد ثم لم نلبث ان جاءت بقال مسرجة من عند الباشا لركبتها ، فدخلنا تطوان قال : فوجدنا سفراء مولاى حفيظ كما رجعوا من (برلين) وهم : السيد محمد بن عزوز ، والهاشمى بن السيد عيسى بن عمر العبدى ، ومكوار وبئيس ، فقامت بنا وبهم تطوان اكراما واحتفالا واحتفاء . فقل : أن تكون هناك دار كبيرة لم تكرم فيها ، وقد كان للسيد عبد القادر الرزىنى الشفوف فى ذلك على الجميع ، وقد كان (الفدان) له ، ولا تزال تجرى حلباتنا مع أولاده كل يوم فيه وكانت له مودة مع المناهيه ، فهو الذى أهدي لأولاده هذه الخيل ، وقد انزلونا فى دار عشعاش ، ثم التحق بنا كل من فى مليية ، وقد وفى حاكم مليية بوعده ، فسكن كل واحد منا فى دار اكترها .

قال : ثم جاءنا الحاج مبارك اخو القائد الحاج على البعمرانى الذى تركناه ، فى وجدة بخمسة وثمانين بقلة ، مع رسالة سلطانية لتطلع عليها الى فاس ، ثم اعقب ذلك الامر بأن نبقى فى تطوان ، وإن ندخل الجنود على يدنا كما كانت عادتنا من قبل ، فاعطيت لنا الاخوية والسلاح ، ثم أمرنا ان نكون تحت طاعة الريسونى والمهدي المناهيه .

فى جباله

قال : ثم أمرنا أن نخرج من تطوان ، وأن ننزل فى (بوصفيحة) فلما كنا فى

هذا المكان كتبنا الى المهدي نقول له : تاهر مولاي أحمد الريسوني ان يرسل
الينا من اياته الاشياخ وذن قدر عليهم من الرجال والفرسان ليرابطوا معنا ،
فان هن معنا الآن قليلون ، ولا يزال من ينضمون الينا دون القدر المطلوب ،
وبعد ذلك صار كل من سمع بنا من جندنا القديم ، ياتني فينخرط معنا من
جديد ، ثم تتابع الجبليون يردون في كل يوم ، حتى اصبحنا جيشا كبيرا ، ثم
انتقلنا الى محل يسمى (الفنديق) ثم الى (نزالة الطلبة) .

ثم بينما انا جالس هناك على (فرتالة) امام خبائي ، اذ تراءى لي رجل انكرته
عيني ، فارسلت اليه اساله فادعي انه شركي ، ثم زاد من تلفيقات كلامه ما
اثار مني الريبة حوله ، ثم صرفته عني فرجع الى مقعده ، فاذا بانسان ملثم
وقف ازاوي فحسر اللثام عن وجهه فاذا به شخص أعرفه يسمى أحمد . كان
فارقتا لما كنا بوجدة ، ثم حكى انه صار جاسوسا عند الفرنسيين منذ فارقتا ،
وانه يتتبعنا الآن كما يتتبع غيرنا من قبل ، فادركت ان الاخر مثله ، فشكرت
اليه ما أفضى به الي ، ثم أمرت بعض اصحابي ان يذهب به الى خباء الطعام
ليطعمه ، ثم استدعيت الآخر فاستجوبته فابى ان يقر بأى شيء ، فأمرت
بالماءون (ماءون الجلد) فمده الجند فصارت الاسواط تختلف عليه حتى أغشى
عليه ، فصببنا عليه الماء البارد حتى أفاق ، فراجعناه جلدا مبرحا ، وهو
مصمم على ان لا يصارحننا بالحقيقة ، فأمرت ان يلوى في تليس ثم تجعل حلقات
الحديد في ركبتيه ، فيعلق بها في شجرة ، ثم أمرت بحراسته لئلا يقتله
الجبليون ، ثم لم نطلقه الا عند رحيلنا ، ثم جاء صاحبه أحمد ، فقال ان هذا
صاحبى ، وأنا معه دائما في التجسس ، وأنا تائب الى الله ، ثم صاحبنا فتحسنت
حاله .

فى العقبة الحمراء

قال : ثم وصلتنا رسالة رسمية ان نجتهد فى احتلال العقبة الحمراء قبل
ان يحتلها جيش فرنسى يتجه اليها ، قال : فميزنا أهل جباله فساروا فى
طريق على حدة تحت رئاسة ابن أخت الريسوني ، وقد قل فيهم الفرسان ،
وسرنا نحن فى طريق آخر ، فتواعدنا العقبة ، فاذا بهم سبقونا ، فوجدناهم
قد كادوا ياتون على جيش الفرنسيين وليس فيه الا المغاربة ، وما فيهم من
الفرنسيين الا بعض الرؤساء ، فصاروا كلما قبض واحد منهم يقول : انا
اخوكم ، او انا كنت جنديا عنديكم ، وما أضر بى الا الجوع ، فأسرع القتل
فى بعضهم نحو ثمانية عشر رجلا ، ثم نهينا عن القتل ، فانتهب كل ما فى
الجيش الفرنسى ، ثم مال الناس الى كل ما فى القرى جوار طنجة ، من النعمى
فلم يبقوا منها شيئا ، ثم آتتنا رسالة المناهى يقول : ان ما نهى جيشنا
غالبه للمحميين الاجانب ، فصدنا ذلك عن ان نستمتع بما فى ايدينا من

ذلك ، فرددنا كل القنائم الا ما سبق اليه الجند من الغنم فذبحه فاكله ، قال :
ثم اقام لنا المناهى والريسونى حفلة فى المحل المعروف بالقهاوى طفحت
بالخيرات ، فصار المناهى يقدمنا واحدا واحدا الى الريسونى ودموعه تتساقط
تذكرا للهود القديمة معنا ، فأكرمنا بمال ، ثم امرنا المناهى أن تكون تحت
طاعة الريسونى . فقطن معنا ، ثم بايعت العرائش واصيلا للسلطان الجديد .

فى الاثنين بسيدى اليمانى

قال : بينما نحن جالسون عشية اذا بالمناهى وقف علينا بقلته وحده ،
فانزلناه فصرنا نهىء له ما أمكننا مما تحسن طبخه ، فاذا به اكتفى ببئس
وحليب وسكر ، ثم امرنا نحن الفرسان بالركوب معه ، فركبنا فمررنا
بالريسونى فاذا به على بقلته وأمامه نحو مائتين من رجال جبالة كأنهم فهود
او غزلان خفة وقوة ، فكانت بغال المناهى تمشى مشيا عجيبا بالهملجة
السريعة المستمرة ، ونحن وراءها فى جرى الخيل ، وأولئك الشبان الجيليون
يقفزون امام البغال كأنهم لا يعينون ولا يحسون فى الجرى بأى لقب، وسلاحهم فى أيديهم
كأنهم لا يحسون له ثقلا مع جريهم المتتابع ، فسرنا حتى وصلنا بعد نحو
مسيرة يوم معسكرا بسيدى اليمانى، يرأسه ولد لمولاي عبد السلام الامرانى ،
ومعه قواد ، وهم جيش كثيف رابط هناك باذن السلطان الجديد ، فنزلنا
عندهم ، فاذا بطلقات الرصاص تدوى فى الفضاء ، فقال لنا المناهى : الحقوا
مولاي احمد الريسونى ، فذهبنا مسرعين فوجدناه قد اعتقل القائد بوسلهام
الريمقى الخلطى ، والملاى ابن أخيه ، ثم أراد أن يعتقل خليفة له اسمه العيتور
فدافع عن نفسه بالرصاص الذى سمعناه، ثم أعجزهم هربا ، ولم ندر السبب
الذى اعتقل من أجله الريسونى القائد الريمقى ، مع أن هذا قائد كبير . وهو
قائد الخياط ، وقد أتى بقبيلته فربط بها مع ابن عبد السلام الامرانى ، ثم
أخذ النهب فى متاع الريمقى ، فانتبهنا بين المنتهين ما قدرنا عليه ، ثم دفع
لنا الريسونى أسيريه لنوصلهما اليه فى (طنجة) ، ثم أطلقا بعد نحو
اسبوعين فقط ، لان الريمقى كان تحت الحماية الالمانية . والمحميون اذ ذاك
لا ينالهم أدنى ضرر حتى اذا نالهم فسرعان ما يزول .

فى وادى الدجاج

قال : تحولنا الى وادى الدجاج ، وهو غير بعيد من طنجة ، فربطنا هناك
بجيشنا ، ثم لم نبطئ فوصلتني رسالة من ادريس مثنو ، يطلب منى أن
ألقاه وهو مارا ازاءنا وقد أتى من آسفى الى طنجة ، فهانا الطعام ، فاذا به
قد وصل لما متع التهار ، فقلت له : اننى ما أتى بى من اسبانية الا اثنا
س معنا ان سيدك هذا - يعنى مولاي عبد الحفيظ - ما قام الا غيرة على الدين

والدفاع عن كيان الامة ، فالآن ابلغه سلامى وقل له : لا يدعنا هنا بعد اليوم ، وليبعث الينا لنطلع عنده ، هذا ملخص ما قلناه .

ثم ان المناهى صار يتأهب للذهاب الى فاس ، ثم بدا له لسر لا اعرفه ، وامله خاف من الجو الذى تعيش فيه فاس اذ ذاك ، وفى يوم ارسل المناهى الى القواد الذين معى فوصلوه ، فامرهم ان يذهبوا الى محمد الكباص وهو اذ ذاك فى طنجة ، بعد ما كان وزيرا للحربية اثر المناهى زما ، واما أنا فلم اذهب معهم ، فطلب منهم ان يقدموا مطالبيهم لانهم سيذهبون الى فاس ، فقيدوا له مطالبيهم فسال عنى فاعتذر اليه بانى فى وعكة ، فلما افطرت فى الغد، بكرت الى المناهى ، فسألته عما طرا فقال ان الامر جاء لنذهبوا الى فاس .

قال : فقلت للمناهى لما اخبرنى بورود الامر بذهابنا الى فاس : ما هذا الحال الذى أنت عليه ؟ افى كل يوم تدفعنا الى مهاو عميقة ؟ فالى متى تتركنا يتصرف فينا غيرك ؟ فاننا قد نقبل الدل لك ولامثالك ، ولكن كيف نقبل الدل لاذلاء ، اخرين (كانه ينظر بذلك الى قول الشاعر :

واذا لم يكن من الدل بد فائق بالذل ان لقيت الكبارا

ليس بالذل ان تجل كيسرا انما الدل ان تجل الصغار)

فقال : اصبر فانك ستراهم جميعا هنا اذلاء مثل - يعنى سيعزلون كلهم ويقتطون مثله فى طنجة - فقلت له : أوكلما انتهت واحد منكم اموال المسلمين ياتى الى طنجة فيقاسم الكفار ما فى يده ؟ فقال : انك ايها الناجم لوقوح ، فقلت له طالما نصحتك للاخوة الشراعية التى بيننا وانت لا تصدقنى ، اتقتحمى عنك لكونى اسود ؟ أو لكونى فقيرا مملقا ؟ أو لكونى قويدا بسيطا ؟ فقال الحنين هو الذى يرث ، - هذه عبارته ، - وذلك مثل عامى مغزاه ان الصالح هو الذى يرث الارض ، وذلك مأخوذ من الاية الكريمة «ان الارض يرثها عبادى الصالحون» ، والمقصود بالمثل العامى ان الذى يراف بالناس ويتحمل اذاهم ويتواضع لهم هو الذى سيفوز فى النهاية ، كأنما يقول له ان تحملت اذانا فانت الذى ستبقى بعدنا ، قال : ثم ذهبت الى الكباص فلما دخلت عليه قال : اين كنت أمس ؟ فقد كمت اظن ان اول من يفرح بى هو انت ، فانك رفيقى فى خدمة السيد سعيد بن موسى ، فقلت له : الا تزال تستحضر ما كنت كتبت به فى رسالة الينا كجواب حين هناناك يوم عينت وزيرا للحربية بعد المناهى ، ثم تناولت الرسالة عينها - وقد كنت حياتها - فاريتها اياها ، وفيها بعد ان ذكر انه توصل بثلاثة آلاف ريال منا : (لا تعودوا لمثاها ابدًا ، لا تعودوا لمثلها ابدًا) ، فقال : انما كان مقصودى الرافة بكم ، وانتم الذين تستحقون الاعانة اذ ذاك ، فقلت له من لا يفرح باحسان اخوانه ، فانه فى الحقيقة لا يفرح بهم ، وهذه هى المخزنية ، وهذا هو ادبها ، فهل نفهم ممن لا يريد احساننا الا انه لا يريدنا ؟ فقال : حقا ،

انك لمخزنى صميم ، ثم اظهر الفرح بى فهش وبش ، فقدمت اليه مطالبي كلها باقتراحه ، هذا وقد استقدمنا نحن على يد المناهى أخانا المصاب فى رجليه الحاج على البعمرانى من وجدة ، فكان معنا من جديد ، لكنه بلا جند ، ولا يمشى الا بعكازين لعطب رجليه .

الى فاس

قال : ثم ذهبنا بجندنا الذى جددناه تجديدنا الى فاس ، وقد استحدث عندنا التنظيم الجديد بالشى بقدم واحد صفا صفا ، والخفة فى الحركات ، والموسيقى الحديثة والابواق والانفار وما الى ذلك من كثير من الاسماء والالفاظ ، كان جندى اذ ذاك نحو خمسمائة فقط ، وصعدت مئونة القائد من ثمانية ريالات الى عشرة فى اليوم ، ومئونة الجندى من نصف بسيطة الى ربع ريال . قال وبمجرد وصولنا الى باب السناكمة (احد ابواب فاس) ارسل القائد الحسين دوابه لترد الماء ، فاذا ببربر قد وقعوا عليها فساقوها امامنا ، وقد وجدناهم ضروا هنالك على الفارات ، فتبعناهم فى الحين فانزعناها منهم وراء وادى النجاء .

ثم لا قانا السلطان بمجرد ورودنا فى باب البوجات ، فرحب بنا ومنانا كل خير ، وقد وقف ازاءه صاحبه ونجيه ادريس مثنو ، ومحبوب خادمه الاخر لما كان يصادفنا ، فقلت له بعد ما استتم كلامه معنا : يا سيدنا ، ان المصائب التى مرت بنا لا يعلمها الا الله وحده ، فقد عشنا سنين فى مسغبة حتى لا ناكل الا الخبز ، ومشيينا راجلين يوم ماتت دوابنا جوعا حتى نقبت ارجلنا ، وقد انقطعت عنا المئونة سنين فلا نراها الا اماما ، ثم نحن فى كل ذلك صابرون محتسبون اعمالنا لوجه الله ، ولم نخرج قط عن الاوامر السلطانية التى ترد علينا ، فقد حاربنا فى السهل والجبل ، وتحاربنا مع ابي حمارة فى كل محل طرقة ، وما استطاع لا هو ولا غيره ان ينال من سلاح دولتك ومن مدافعها ما يمكنه ان يباهى به ، وقد غدر كثيرون ممن فى الجيوش ولكن لم يستطع احد ان يزعم اننا خسرنا قط للمخزن عهدا ، او نقضنا وعدا ، او اننا آخرننا قط امام عدو للدولة ، فالآن ها نحن اولاء بين ايديكم يا سيدنا ، فلا يسهمن فينا سيدنا تلام الخسدة والمنافسين ، فان كثيرين من المتاجرين فى اللحم والاعراض ممن لا يرقبون فى امثالنا الا ولازمة من ابناء فاس وغيرهم قد اطلتوا فينا الالسنه يوم كنا نحارب فى الميدان ، فكنا بين نارين : نار العدو امامنا ، ونار الكاذبين والمرجفين وراءنا ، ولولا تشييت الله لنا وتوفيقه لكنا بدورنا ممن نفصوا ايديهم من داركم هذه ، ولكن نحمد الله تعالى على ان احيانا فى طاعتها ، وجعلنا من جنودها ، الى ان توجها سلطنتكم السعيدة الموفقة ان شاء الله ، فقال السلطان : والله لا ترون منى الا كل خير ان شاء

الله فاربعوا على نفوسكم ، فقد عرفت منكم كل شيء ، فليياس كل من توسوس له نفسه حوالىكم ادنى همس ، فاطمنوا وزيدوا فى الخدمة ، قال : وقد كان السيد العباس الفاسى واقفا حين كنت أقول ذلك للسلطان ، وكان بينه وبين الكباش صحبة . حتى ليقال أنه متيناعم ، والله اعلم ، فخطت أن يكتب فينا الكباش على يده بما يسمونا ، وقد كان سيدى العباس الفاسى خليفة الوزير المدنى الاكلاوى لما رجع الى مراکش ، فهو الذى يزاول كثيرا من الامور كالوزير الاخير ، قال : ثم رجعت القهقرى على العادة فيمن ينفتلون من بين يدى السلطان . ذلوا واولونه ادبارهم ، ثم نزلت من قبة زجاجة فيها كانت الملاقاة .

ثم ذهبنا الى وزير الحربية - العلاف - وهو محمد بن القائد المدنى الاكلاوى ، فحينئذ التحية العسكرية ، لانه الآن رئيسنا الرسمى ، وفى اليوم الثانى جهعنا بيننا نحو خمس عشرة مائة ريال ، فسلمنا عليه بها ، وقد ظهر لنا من هلامحه أنها لم تقنعه ، فقد رفعها بيده ثم وضعها كأنه استغلها ، وهو لا يزال غرا صغيرا ، ثم ذهبنا الى عمر اعلى الاكلاوى ، وقد كان المدنى تركه ازاء ولده هذا لياخذ بيده ، وهو الذى يستدعيه السلطان كلما اراد شيئا من محمد بن المدنى ، وقد كان عمر هذا مربى عند القائد محمد ولد طييب بنت (لقب باسم لطائر كالعصفور احمر الجسم يميل عنقه الى الزرقاة يالف المساجد والمنازل منتشر فى الحوز وسوس ولا يتخطى وادى أم الربيع وهو من الطيور الضعيفة المستصغرة الشأن) ، والد القائد المدنى ، فلما دخلنا عليه لاقانا ببشاشة ، مع أننا لم نأته الا بستمائة ريال ، ولم يفعل بها بيده كما فعل مخدومه محمد ولد المدنى الاكلاوى ، بل قال اعلرونا فما نحن الا بدويون ، وأنتم اهل المخزن والادب والراى ، ففسى أن تروا منا ما لا تقبله عقولكم أو تذكره عيونكم ، فارشيدونا ونبهونا ، فما نحن هنا الا خدم للسلطان ، فعرقت أن الرجل عاقل .

قال : ثم امرنا نحن قواد الارحاء أن نربط فى وسط المحلة - المعسكر - ثم ارسل الينا السلطان ، فوجدنا عنده سعيد بن البغدادى باشا فاس الجديد ، اخو القائد محمد بن البغدادى الشهير ، وذاك ابن حرة وهذا الباشا ابن امة ، وادريس منتنو والعبد الذى اسمه رزوق ، وهو عبد للسلطان ، ومحبوب ، فخرج السلطان الى خارج مجامسه الخاص ، فوقف فيه ، وهناك من قواد الشراردتوانا معهم ، وقد اصطف القواد امامه .

فى أيت يوسى

قال : فامرنا السلطان أن نصب قبيلة أيت يوسى بغارة ملحاح ، لنقضى عليها ، وحشا على قضاء الفرض كما ينبغي ، فبندقنا له وقد اعلنت

السمع والطاعة ، ثم صرنا نمر به واحدا واحدا باذنه ، نقبل يديه واحدة فواحدة ، وكان هو يودع في يد كل واحد منا غلافا فيه لوزيات من الذهب نحو 25 ، ثم خرجنا لطيتنا مستبشرين بهذه الحرب الجديدة على عادة الجندي الفتح ، فاذا بابن البغدادى الاسود ذهب فى صبيحة اليوم المهود مع القواد اصحابى سابقين الى ناحية من ايت يوسى ، ومعهم رزوق بوهو ، وتركنى انا فخرنا مع قواد الشراردة ، لنذهب الى ناحية اخرى ، الا اننا سبقناهم الى ناحيتنا . فلنا المقصود ، فقد طرقتنا ايت يوسى فى الليل وهم لا يزالون فى مضاجعهم ، فقصينا على دن وقعنا عليهم قضاء مبرما ، وقد كان الحبل الذى ترك لنا هو الذى تظن به المسقة الفادحة ، ولذلك تركوه لنا كيادا وختلا . ولكن الله خيب ظنهم ، فلما أصبح الصباح ، طلع السلطان الى برج يسمى الفيل فى دار المخزن ، فصار ينظر بالمنظار المقرب ، فترأى له سواد مقبل من ناحية ايت ينوسى ، فظن الجيش منهزما ، فارسل الخيل تباءا لترجع بالاخبار ، فاذا بجندنا قد رجع بالبقر والغنم والخيل والبغال والتماع ، فيسأل الرسل من أى جند اتم ؟ فلا يسمعون الا جند الناجم ، فرجعت اليه الرسل بخبرنا . فعلم اننا نحن الذين قضينا الغرض كما ينبغي ، ثم نزلنا ازاء السور فاذا بالآخرين لم ياتوا الا بالقليل من التماع الذى لا يعد شيئا ، قال : وكان ابن البغدادى هذا الاسود حاضرا معنا فى وجدة ، وكان اذ ذاك كبيرا على الحلة ، فزحفنا هناك يوما الى بنى يازناسن ، فنزلنا فى (عيون الصفا) والوقت صيف ، فكان يامرنا باحراق السدر ، فتكرر منه ذلك فى الهواجر ، فتهلك خيلنا بالحراة ، فقل يوم لا نترك فيه هناك فرسا او فرسين ، وفى يوم ذهبنا الى هناك ايضا ، فلحقنى وقال : الست بمعى ؟ فانا لست بمعى ، فاجبته جوابا بسيطا ، ثم قلت له ما هذا العمل ، فان خيلنا فى هلاك كل يوم فى حمارة الهواجر ؟ فان كان الغرض احراق السدر فقط ، فلنات فى العشمايا وفى اوقات البرودة بمناوبة . وان كان المقصود شيئا آخر فما هو ؟ فقال لى ان المقصود اظهار القوة للعدو ، لكنه لما اغار علينا بنو يازناسن كاد هو يهلك مع الهالكين ، فكان ذلك هو السبب حتى فسد ما بينى وبينه ، فلا احبه ولا يحبنى ، وقد وقع لى ايضا معه مثل ذلك فى زحف آخر فى (وادى برديل) حيث كان ابو حمارة لا يزال يحاربنا يوم قتل القائد الرلطنى الاحى والقائد على السادنى ، والقائد ابن الجريف ، وكثيرون امثالهم . فقد كان اليوم عصيبا علينا ، فقد كدنا نؤخذ باليد لولا فرارنا من العدو الذى هاجمنا على غرة ، ول ذلك من ابن البغدادى هذا المنحوس ، ولذلك لا يقربنى ولا اقربه ، ولا سيما حين نوى ان يعتقل هناك بعض القواد ظلما وندوانا ، فعارضته ، ففارقنا اقبل ففرق من ذلك اليوم .

قال : ثم امر السلطان ان نرجع ايضا الى آيت يوسى ، فنزلنا فى (مزدغ الجرف) ازا، مشهد سيدى الحسن اليوسى ، وكبير الجيش هو محبوب خال مولاي الكبير ولد مولاي الحسن ، قال : فلم نزل هناك حتى اذعن اليوسيون كهم واضطوا المغارم الخزنية ، والعسكر الذى وظف عليهم ، ثم نزلنا ايضا فى (كيكو) ، هنالك ، وكان السلطان جهاز اذ ذاك جيشا آخر تحت رئاسة القائد بوخبة، وفيه القائد الطيب ولد عيسى بن عمر والقائد العربى بن عيسى بن عمر ، واخوه ، والقائد عبد الله الرحمانى ، والقائد عنو الذى كان القائد ابراهيم الخاخي الساكن وقتئذ بسلا كجندى تحته ، فخرجوا الى بلاد بنى مطير ، واذا ذاك امر كل من كانوا فى (كيكو) ان يرجعوا الى فاس بسرعة ، فرجعوا ، قال : فاذا بنا لقينا احد قواد آيت يوسى وفى يده المدفع الكبير نهبه من الجيش المنهوب فى بنى مطير ، فنزعناه منه ، وتعجبنا لى كونه يطعم ان يخفى المدفع الكبير عن العيون، كما يحكى عمن يسرق الصومعة دون ان يفكر فى حفر بئر يخبئها فيه .

فى بنى مطير

ثم اننا امرنا ان نذهب الى بنى مطير لناخذ بشار الجيش المنهزم المنهوب ، وقد جهزنا السلطان بكل ما نحتاج اليه خير تجهيز ، قال : فاذا بالمدنى الاولوى اقبل من مراكش ، مع المتوكى ، ويرعى السباعى ، وقد انقادا الى مولاي عبد الحفيظ ، بعد ما كانا يدافعان عن السلطان السابق اخيه مولاي عبد العزيز فى حروب كثيرة وقعت فى الحوز ، وقد أعطى المدنى العهد للمتوكى عن السلطان ، فجاء به الآن فى جيش كبير . يقصدان الى فاس ، ولكن رأى المدنى ان يأتى الينا نحن أولا ، فسبق الى المدنى بعض الاسلاويين الذين يتزعمون ، وهو المسمى اكرار عبد الرحمان ، فافضى اليه بما افضى عنا ، قال له : ان قوادا جاءوا بعدك ، فاستولوا على ناصية الحكومة ، فصاروا يحقروننا نحن الاسلاويين ، فلم نعد نساوى شيئا امامهم ، قال : فاعلمنا القائد المدنى بانه سيعرج علينا قبل ان يصل الى فاس ، فتهيانا لملاقاته . كما هو الواجب على امثالنا لامثاله ، فلما جاء رأى ما لم يكن فى حساباته من جند منظم كثير ، تحت قواد محنكين ، وهم رجال آخرون غير من كانوا يتبصبصون له . ومن يعرف انهم لا يحنون الرؤوس امامه ، وقد كنا هيانا لنزوله هو عند رئيس المحلة محبوب ، واما رفقاؤه فينقسمون على قواد الطواير ، لكنه لم ينزل عند محبوب ، بل ذهب عند ابن عمه عبد الرحمان اكرار، ذلك الذى وشى اليه عنا بما وشى، قال المترجم: ثم ارسل الى ، وقد عرف القارى، ما تقدم من الصحبة بيننا ، فوجدته مع المتوكى ، فظاهر ما كان معهودا منه من حلاوة اللسان . وحسن اللقى ، وطلاقة الحيا،

ولطافة المسألة ، وهي عادة له ولاخيه الحاج التهامي . ثم قال : منذ الآن لا ترفعوا قدما من مكانكم هذا الى الامام . فهنا يجد سير جيشكم فلا تنوغلوا ، فسارسل اليكم القائد المختار الكمداني المطيري ، وقد كان صديقه ، فانتدوه مستشارا متبوعا ، وسنذهب نحن الى هذا الرجل - يعنى السلطان - لآرى من أين هذه الجيوش التي ننتهب كل يوم ، فالتفت اليه القائد المتوكى قائلا : اهذا هو القائد الناجم الذي تنهى عليه ؟ فقال المدني : هذا هو فلان الذى من نعمته وصفته هذا وكذا ، فأطال فى الاوصاف الحسنة ما شاء ، فقال المتوكى : انك عزيز لدى ابووزير ماحوظ ، يملأ بذكرك مجالسه : فلا يزال يذكر فيك بكل احبوة حسنة ، قل المنرجم : ثم فارقتهما فخرجت مما هما فيه ، ووجدت بل رداء الوزير قد دخلوا عند اصحابنا قواد الطواوير الا اذا كان من اتوبيين والسباعيين ومهمهم يرعى ، قال فعنيت على يرعى الذى كنت صاحبه من قديم ، فقلت له الا تعرف اخييتى ؟ الا تعرف اصحابى ؟ فيها منعك ان نذهب توا انت وكل دن معك اليها ؟ فقال كانه يداعبنى : اننا ثارون وما ايننا الا باهن ، فمن ذا الذى يقبل ان ينزل عنده الثارون على اسلطان ؟ فقلت له انا الذى اقبلكم ، واريدكم تيفعا كنتم : ثم ادخلت الجميع الى اخييتى ، ثم دلت ليرعى : استدع لك على انفراد كبراء متوكة للبلوس معك ، فاسدعاهم الى محل خاص وبقي غيرهم فى محلات اخرى ، فطعم الجميع طعاما كافيا ، وقد كنت هيات كل شئ من الطواجين والشواء والاسكسو ، ثم لما هيات لهم كل ما يتوقفون عليه ، ونظمت اطعامهم كما ينبغي ، اسرعت حتى تلاقيت مع محبوب ، فآخبرته بما قال الوزير المدني الانلاوى من ندم اتقدم الى بنى مطير ، فقال اذن ما هو العمل ؟ فقلت له العمل ان نكتب الآن للسلطان ان يرسل الينا رسالة توبىخ يقول فيها : (اننى اوسلتكم تنقضوا غرض المخزن ، لا ان تجلسوا وتنعموا هناك ؛ فزيدوا قدما فى الحين حتى يتم الغرض) فأرسلنا رسولا لم بيتالافى فاس ، ثم لم يصبح الصباح حتى ورد الجواب بذلك الاقتراح ، فاجتمعنا على قراءة الرسالة كائنى انا ومحبوب مفاجئان بها ، وفيها ازعاجنا للتقدم بالجيش فى الحين الى بنى مطير ، وان لا نقف حتى نصل الى الحاجب ، فهناك نقف ، قال : فلما تبججنا بلد بنى مطير ، اذا بهم ساقوا ما ساقوا من خيلهم ورجلهم كثيرا مدافعنا ، فداعناهم مداعسة شديدة حتى هزمناهم هزيمة منكرة ، فأمعنا فيهم ، ففروا امانا ، فاستفقت وانتبهت الى ما سبق ان عرفته من كون البربر يحتالون فى مدارباتهم ، فرددت جندى الى السوراء . وأبقيت الفرسان فقط فى مواجهة العدو ، فلم اكمد أرسى الجند فى التاريس المحصنة . حتى رجعت الهزيمة على جيشنا ، فانهزم كل من فيه ، حتى وصلوا الى جندى الذى كنت أرسيت به فى التاريس ، فوافهم حتى انحصرت

الهزيمة ، ولولا ما فعلته لقضى علينا جميعا القضا المبرم ذلك اليوم، ثم ادرك الليل بنى مطير فرجعوا عنا ، وفي الصباح تلاقينا معهم أيضا ملاقة تكافات فيها الكهتان ، وفي اليوم الثالث ظهرنا عليهم فصاروا يطلبون المهادنة ، فتلاقينا أنا وآخر معي ، وقد خرج منهم كذلك اثنان ، فتبادلنا العمانم ، ثم اعلنوا بيعه السلطان ، فقلنا لهم ان بكرت الينا هديتكم فان كلامكم مقبول والا فلا ، وفي الصباح جاء تلاميذهم وثلاثة ثيران ، ثم طلبنا منهم أن يذهبوا الى السلطان بفاس ، فذهبوا بخمسة ثيران مع تلاميذهم ، فقبلهم السلطان وضيغهم وكساهم ، ثم طلعنا نحن الى الحاجب ، فاستقررنا هناك ، فاستولى الجيش على كل ما فيه، وجعلنا نحمل الواح الارز التي وجدناها هناك بكثرة، فاذا ذاك صاروا يغرمون المقارم المخزنية ، ويعطون المسكر الموظف عليهم بين القبائل ، قال : ثم جاء الينا وزير الحربية محمد بن المدني الاكلوي -العلاف- فنزل معنا لانه رئيسنا الرسمي ، وقد اراد ابوه أن يتمكن فينا بواسطته .

مع أبي حمارة ثانيا

قال : في هذه الايام ولي أبو حمارة أيضا وجهته شطر فاس ، ، وقد استرد قوته وضرى على الحروب ، وتكون له جيش يلزمه في تنقلاته ، وضبط أموره ، واوى اليه شجعان يخلصون له ، فنزل في (عين القرع) وامامه عبد مشهور في حروبه يسمى الجيلاني صاحب الوضوء ، وكان أولا عبدا لاولى عرفة عم السلطان - وهو والد محمد بن عرفة الذي وضعه الفرنسيون والأتلاوي على العرش أيام الازمة المغربية - فهرب منه والتحق بابي حمارة ، فوجده شجاعا، فصار يقدمه بين يديه ، لان ناصيته محفوظة، ورايته منصورة، فما توجه في حرب الا انتصر انتصارا باهرا حتى صار ذكره ملء الافواه ، وحديث المجالس ، وكان جيش عظيم من الحوز فيه القائد العيادي ، وعبد الملك المتوكي ، والقائد خبثان وامثالهم من كبار الحوزيين ، يقاتلون ههنا العبد. فلم يقدروا منه على شيء، وكانت المعارك تدور بين بنى سادن وبين الحيانة . وفي جوار تلك النواحي ، فلما أعياهم امره ، أرسل السلطان من الجيش النازل في الحاجب من يشد عضد ذلك الجيش ويغيثه ويعينه في مهمته ، فذهب القائد محمد بن الجيلاني السرخيني ، والقائد صالح ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد ابراهيم بوعودة المرابطي الرحمانى ، والقائد عبد الرحمان اكرار الاكلوي، قال : فبقيت أنا بعدهم مع الحاج احمد الكريسي، والقائد محمد بن سعيد الفاسي الشراي، والقائد سعيد الممناني ، بين الباقين من قواد جيشنا، فمثل أولئك امام السلطان . فندبهم أن يلتحقوا بجيش الحوز المحارب لابي حمارة ، والوزير المدنى جالس ، فالتفت أولئك القواد الى السلطان فطلبوا منه أن يلحق بهم القائد الناجم -يعنونى- فوعدهم بذلك،

ثم كساهم كسوة جيدة ، وحملهم على خيول عناق ، فلما جلس الوزير في مكتبه ، ذهب اليه القواد ليسلموا عليه ، فلامهم على أن طلبوا التحاق بهم من الساطان ، فاعتلوا له بأنهم ما فعلوا ذلك الا (رحمة بولد له راوه يبكى شوقا الى ابيه ، فارادوا ان يدخل فاسا ليراه ولده) - وهى كذبة مكشوفة لفقوها - ثم كتب الى ائدهم بما وقع ، لكنى لم اذهب معهم ، ثم التحقوا بجيشهم فالتقوا مع ذلك العبد ، فهيا الله لهم ان هزموه بعد ما جرح ، ولولا جرحه ما انهزم ، ثم انتهوا دمسكره عند (حجر الكحيله) من (وادي سبو) ، فتقدم اليهم ابو حدارة بنفسه ، فالتقوا في بلد بنى وريتاغل ، فوقعت ملحمة عظيمة استمات فيها الفريقان ، فظفروا عليه وانتهبوا ما معه ، واعتقلوا كثيرا من اصحابه ، فكانت حادثة عظيمة على ابي حمارة في الوقت الذى ظن فيه ان امره قد تمكن ، وقد استمرت الحرب الى الليل ، فاستدار الجيش بالتائر الثابت في موقفه ، ولم يرد ان يفر هو ومن معه ، وفي وسط الليل انسحل من الحصار وقد حمل عبده المجروح ، ثم تبعه الجيش الى واد يسمى (اوضير) فوقعت هناك ثانيا معركة اخرى تواقف فيها الفريقان ايضا ملازمين مستميتين ، قال : ثم جاءنا الكلام نحن ان ننتقل من (الحاجب) فامرنا انا واصحابي القواد الباقين ان نذهب الى ذلك الجيش لننضم اليه في مقابلة التائر ، فبتنا في (اخناوف) وفي الصباح وصلنا الى الجيش ، فذهبت انا الى كبير العسكر محبوب ، فصار يقول لى مباها : يا بئا الناجم ، هذه راية ابي حمارة ، وهذه موسيقاه ، وهذه كنوزه ، قد استحوذت انا بنفسى عليها كلها ، ورأيت أحجار الذهب الصامت الذى كان يحمله معه فى جوالق البغال حيثما ذهب ، كما كان يفعل بكل ما عنده ، يفعل ذلك من الحزم الذى حنكه به الدهر ، وقد ألف ان لا يستقر فى محل خاص ، فيريد ان لا يترك وراءه ما يلتفت اليه ، قل : فقلت لمحبوب واين ابو حمارة الآن ؟ فقال انه مات وضربه الله ، وانقضى امره ، وذهب مع الداهيين ، فقلت له : اذن وداعا ، قلت له ذلك لما رأيت من غروره وثرثرته وتبجحجه بما فعله غيره من الشجعان ، واما هو فلا يقدر ان يفلى القمل فى ثوبه - هذه عبارته - فهو لم يلق من الرجل وحيله ما ذقته منه انا ، فخرجت من عنده ، فوجدت اصحابنا لما بينوا الاخبية بالاطناب والاسباب فامرت بخيل وبخييل بعض اصحابنا ، وبكثير من البغال ، فعملت على كل بقل جنديين ، فقمنا لاتباع ابي حمارة ، لاننى اوقن باننا اذا لم ننتهز هذه الفرصة فسرعان ما ينتفش ، فتماديانا امانا ، فوجدنا الوادى الذى وقعت فيه المعركة مضرجا كله بالدم ، ومفروشا بجثث الناس وجيف الخيل ، وقد اتنن جوه اتنانا لا يطاق ، فسدنا أنوفنا حتى تجاوزناه ، فوصلنا قبيلة بنى ذروال ، فاذا بزواية الشيخ سيدى عبد الرحمان الدرقاوى حيث مشهد مولاى الطيب ، وقد كنت عرفت

مولاي عبد الرحمان قبل اليوم ، وعرفني ، وقال يا فلان : اريد ان تكون زاويتي في امان ، فقلت له يا سيدي عليك وعلى زاويتك وعلى كل من معك امان الله ، ثم سألته عن ابي حمارة فقال انه لا يزال حيا ، وأنه بات امس في (خولان) وقد ضيفه بنو زروال هناك ، فاعتقل منهم أناسا ، فثاروا عليه بالبارود ، فخرج فارا من بينهم ، ثم لا ادرى أين ذهب ، فاستدعيت من كتب لي رسالة الى السلطان ذكرت فيها الواقع ، وانني الآن وراء ابي حمارة ذاهب ، وطلبت منه ان يتبعني الجيش ، وان ينزل قريبا مني ، وان يرسل الى ما اتوقف عليه من المدفع وبعض جند آخر ، ثم طلبت من الشيخ ما اسد به رمقي ورمق من معي ، لاننا لم نذق الطعام منذ صباح الامس ، وكنا ثلاثمائة ونصفا من الخيل ، وأما الرجال الذين على البغال فنحو اربعمائة ، ومعنا مدفعان على البغال ، فهيا لنا الشيخ ما هيا ، وما كان اكثر ما هيا لنا الشيخ من الخبز واللحم والدجاج والكسكسو ، ثم سرنا قلما بعد ما دعا لنا الشيخ ، نسأل عن ابي حمارة كل من نصادفه ، فقليل لنا انه في بلاد (بنى قيس) فصمدنا الى تلك الناحية ، فترلنا في محل هناك يسمى (الاربعاء) وقيل لنا انه في مشهد يسمى المدفون فيه (مولاي عمران) وانه صار من جديد يرسل الى القبائل يستنهضها ثانيا لمناصرته ، وللدافعة الجيوش التي ستستبيح ديارهم ان تلكؤوا عن نصرته ، وعن الدفاع عنه وصار يجد في الدعاية التي يعرف كيف يصوغها ولا يياس ، قال : فجددنا اهل جباله خائفين على انفسهم ، فنقول لهم لا غرض لنا الا ابو حمارة وحده ، فلا يخافن أحد ، ثم جاء الجيش الذي طلبته من السلطان حتى نزل قريبا منا ، فطلع الى من كل طابور حفظ واثر ، وجاءتني المدافع ، فبقيت هناك نحو اسبوع ، ونحن نستيقن امر الرجل لنتحقق أين هو ، والثاني في الحروب قبل انتسابها هما يجمع الرأي ، وبهيء للانتصار ، ولا يصح للحروب الا المكث (كما قال عمر بن الخطاب) واذ ذاك كان القائد عبد الرحمان اكرار الاكلوي يسأل عن غنم شيئا من ابي حمارة له باليلفت الانتظار ، فلذكر له ان رجلا غنم بغلة عليها جاريتان جميلتان بارعتان فانتان رائعتان ، فارسل من انتزع الجاريتين من غنمهما ، فاتي بهما على تلك البغلة نفسها ، فجاءني صاحب الجاريتين حتى وقف أمامي ، فقال لي : هل أنت تكذب ؟ فقلت له حاشا ، وفي اي شيء كذبت عليك ؟ فقال : انك ذكرت لنا ان مقصودكم هو ابو حمارة وحده ، وانا غنمت منه جاريتين فترعتموهما مني ، مع ان كل من غنم شيئا فهو له ، فكيف اظلم وتنتزع مني غنيمتي ؟ فقلت له : ومن الذي انتزعهما منك؟ فلذكر ان رجلا من المعسكر هو الذي انتزعهما مني بالقوة ، فارسلت من يبحث لي عن ذلك ، فعاد الى الرسول بما فعله عبد الرحمان اكرار صاحبنا الواسي ، فارسلت من

انتزعها منه بالقوة ايضا مع البغلة ، ولا أبالي بما عسى ان يكون ، فناننى
 اكرار هذا يقول : انهما جاريتان جميلتان تصلحان للوزير الاكلوى ، واما
 هذا الجبل فماذا يصنع بهما ؟ فقلت ألم يشبع الوزير الاكلوى من رائعات
 الجوارى وعنده المئات منهن؟ فغضب مما فعلت وقلت واعد ان يوصل الخبر الى
 وزيره ، ولكنى ما باليت بأى واحد منهما فى سبيل القيام بالواجب ، ثم
 بلغنى ان رجلا يسمى ابن الخمسية كان متبوعا فى قومه ولا يسألونه عن أى
 سبب اذا استفزهم لحرب ، قد اتصل بأبى حمارة . فصار يتردد عليه طمعا
 فيما يصله من مال منه ، فعرفت أن الامر جد ، وانه يجب ان نبادر بالضربة
 الاخيرة ، وعند ظهر يوم سمعت صراخ الفجار والابواق من الجهة التى فيها
 ملجا أبى حمارة ، نادا بجيشه ينبعث من جديد أمامنا متموجا يزحف الينا ،
 فقلت لجندنا ولكل من معنا : تهينوا وانتظموا وكان الوقت وقت الغداء فى
 انبواذى ، فنصبنا المدافع والرشاشات لظننا ان التائر سيهاجم جيشنا ، وقد
 كانت مساحة بسيط متسع من واد عميق بيننا وبينه ، قال : وقد كنت

منفردا مع جيشى الخاص عن الجيش الذى جانا به محبوب جوابا عن رسالتى
 التى كتبتها الى السلطان ، فوقفت أنظر ، ثم علمت بعد ذلك أن التائر قال
 لمن معه : اننى لا اقصد تلك الشريعة التى مع الناجم ، بل اذهب صامدا الى
 الجيش الكبير ، يظهر بذلك لمن معه انه على قمة امره ، وأنه لا يزال يملك
 مفادة الحرب ، فتنبكنا وسار على طريق بنى مزككندة ، فاقبلنا وحملنا ما
 معنا وسائرناه الى الجهة التى يقصدها . فسرنا معه موازين ، حتى سقط
 علينا الليل ، فبات فى بنى مزككندة ، وبتنا فى بنى زردوال ، فقمنا
 قبله وسبقناه الى جيشنا ، فقلت لرئيسه محبوب قم لترى ابا حمارة الذى
 زعمت انه ذهب مع الذهبين ، فها هو ذا يزحف اليكم ، فكنت اول من أعلمهم
 به ، لانهم لا علم عندهم بزحفه شأن امثال محبوب الذى لا يعرف الخزم ، فقام
 القائد أبو خبزة ومن معه كالقائد مبارك الدليمى ، والقائد عنو البهرانى ،
 والقائد عبد الله الرحمانى ، والقائد الحبيب باقا الفطواكى الاسلامى الام
 (وقد كانت امه يهودية فاسلمت) فلاقوا الزحف وكان اليوم يوم سبت ، فلم
 يزيدوا على أن نعطوا الرصاص بينهم وبينه من غير أن يتلاحموا تلاحم الحروب
 فلم يروا منه ولم ير منهم ما يجدى ، قال : وفى اليوم الثانى تهاى الجيش
 كله ، ما معى ، وما مع الرئيس محبوب ، وما مع غيرنا من القواد ، فتلاقينا
 مع التائر فى موقعة عظيمة انهزم فيها - بعد استماتة - انهزاما شنيعا ،
 فتهبنا قبيلة بنى مزككندة وكل ما وجدناه أمامنا ، فولى عن التائر اذ ذاك
 كل من معه فتركوه منفردا ، فرجعنا نحن عن المنهزمين عند نزول الليل ،
 فثاب التائر الى محله فى مشهد (مولاي عمران) ولم يتبعه احد ، لا منا ولا
 ممن كانوا معه ، وقد تفرق عنه حتى أصحابه الاخصاء. وقد كان العبد المجروح

قد مات . فمات معه الدليل الاخير من بخته ، قال وفي أثناء الليل جاء رجل من جبالة يسأل عنى ، فدل على خبايى ، فقال : اريد ان اتلاقى مع القائد الناجم ، قال : فاعلمت به ، فامرت بادخاله ، فرايته فى ضوء السراج ، فاذا هو صاحب الجاريتين اللتين انتزعتهما من عبد الرحمان اكرار الاكلوى ، فقال : انك قد احسنت الى ذلك اليوم . واسديت الى معروف ، والاحسان يملك الانسان وقد جئت اجزيك احسانا باحسان ، و اردت لك ان تحوز وحسبك شرفا لا يشاركك فيه احد من هؤلاء القواد ، وان ابن الحمسية الذى كان يناصر ابا حمارة قد ولى عنه بعد ما قتل اصحابه . وجرح كثيرون من قبيلته ، فلم يبق عند الرجل الآن الا اهله فقط ، وليست معه اية قوة تدافع عنه ، فبادر اليه الآن ليكون لك وحدك شرف القاء القبض عليه ، فانك اهل لكل شرف ، فهيا اليه بسرعة قبل ان يفلت منك ، فاني تركته وليس معه من الحيل الا خمس وسبعون فرسا ، تركها له فرسانها وقد هربوا عنه ، وقد ادخل سروجها البراقة المذهبة الى مشهد مولاى عمران ، فقم واسرع ، ولا تنس فى حياتك ان اسدء المعروف لا ينسء الرجال اهل جبالة الاحرار ، فقمتم فى الحين فايقظت اصحابى من القواد ، القائد سعيد الدضاتى والقائد محمد بن سعيد القرقورى ، فذهبنا ثلاثتنا مع جنود انتقيناهم من بقية جنودنا الثلاثة ، فلم نختر الا من نعلم منهم الرجولة والمغامرة والبسالة ، وقد كان جندي اذ ذاك يصل الى 1200 وربما بلغ جند القائد سعيد 800 ، اما ما عند القائد محمد بن سعيد فيبلغ 3000 ، فذهبنا من غير ان يعلم رئيس الجيش محبوب بنى شىء ، فتقدمنا ذلك الرجل الجبل يهدينا الطريق ، فسبقت انا بالفرسان ، وتبعنا المشاة مع المدافع ومعهم القائد محمد بن سعيد ، فهاجمت أولا الجهة التى فيها مشهد مولاى عمران ، فوجدت المكان كما وصفه لنا دليلنا ، فقد وجدت فيه الحيل مصطفة وحدها دون ركابها حول المشهد ، فلم نكد تقرب من المشهد عند طلوع الشمس حتى اطلقت علينا ثلاث طلقات من المشهد ، عرفنا بعد ذلك ان الذين اطلقوها هم ثلاثة عبيد صفار ، هم وحدهم من بقى لابی حمارة ، فسقط احد افراسنا ، فتحزونا وتنحينا ، ثم خرجت عجوز من المشهد تصرخ فينا وتقول : ما تريئون من بلادنا ؟ فقلت لها لا نريد الا ابا حمارة وحده ، فقالت انه قد خرج آنفا وليس هنا ، فتجاوزنا المشهد قليلا ، فراينا تساقط الرجال علينا من القرى التى تجاور تلك الناحية ، فتراكموا على مقربة منا مبتعدين ، يتصايحون بنا قائلين : (نحن بالله وبالشرع معكم يا اصحاب السلطان) وقد علاهم الخوف من الجيش ، فقلت لهم وقد رفعت عقب البندقية وانا اسير اليهم - وتلك علامة المسالة - : اخرجوا الينا منكم من نتكلم معهم ، وعليكم الامان التام ، فاننا لا نطلب الا طلبة السلطان ابا حمارة الفتان ، فقبل لنا : انكم تركتموه وراءكم فى المشهد ، فقد اختبأ فيه عنكم ، فرجعنا

فدهمنا المشهد ، ولما اردنا ان ندخل اليه من الباب ، اطلق علينا اولئك الغلمان النار فقتل واحد منا ، فاذا باصحابى انتشلونى بايديهم من امام الباب وهم يقولون : كانك لا تريد دائما الا ان تموت ، فأبعنوني عنه ، فرغنا الى ناحية اخرى فاقتحمنا المكان واولدنا حوله النار ، وقد كان غير مقبو كالعادة ، وانما هو مسقف بأعواد فوق الجدران المرفوعة ، ثم على الاعواد تراب ، فشبت النار فى السقف ، فلما اشتد الدخان على أبى حمارة اندلق من المحل ، فانقضضنا عليه، فكنت أنا اول من لمست يده ، ومعى القائد العربى الذى هو الآن قائد المشور فى القصر الملكى حرسه الله ، ومعنا القائد البخارى من قواد جندى ، فنزعنا منه الخنجر أولا من تحت ابطه ، والمسدس ، والتمائك المخططة بخيوط الذهب الحقيقى وهى الخفان اللذان يلبسهما الفارس ، فأدخلت يدي لانظر هل على جسده ما يقال لنا من التمام ، فلم أجد شيئا ، ثم أخرجناه، فاذا بالجند قد دهموا علينا ينتهبون كل ما فى بناية المشهد ، وليس فى المكان من الناس الا نساؤه وجواريه وخدمه ، والبناية متسعة تسع عشرات من الناس . وقد كان جيشنا وصلنا اذ ذاك بقضه وقضيضه ، فكان كل من وصلنا يضع على الثائر يده ويقول: يا ناجم، هل انا الذى قبضت ابا حمارة؟ فأقول له نعم يا سيدى ، انت الذى قبضته ، اذارى الناس بذلك لئلا يغلبوني عليه فيقتلونه ، وقد ازدحم علينا الناس حتى صار مرفوعا فوق الاكتاف ، واصحابى يدافعون عنه ، فكاد يخنق ، وقد اضر به العطش ، فصار ينادى يا ناجم اغثنى بشربة ماء ، فقد كدت اموت عطشا، فالتفت الى القائد العربى هذا الذى فى القصر الملكى الآن ، فأمرته ان ياتيه بالماء ، فأتى بقلعة ماء لا باس بها ، فأعلاها يصب الماء فى فيه ، فمن الماء ما يصل فاه ، ومنه ما يسيل على اكتاف الناس المتراحمين ، ثم أمرت جنديا معى ان ياتى ببغلة ، فوقف معى القائد محمد بن الجيلانى - وقد بلغ منى الاعياء مبلغا عظيما - فأركبناه عليها ، واردفنا وراءه القائد البخارى ، وهو رجل من اصحابى معروف ، ولا يزال اولاده الى الآن فى الحرس الملكى ، فتمكن منه ، وهو ماسور مربوط اليدين وراءه ، فقلت له اذهب بالرجل وحافظ عليه ، ونكبه وسط الجيش ، وباعده من المعسكر خوف ان يقتله الناس ، فذهب به ، ثم استلقيت القائد محمد بن سعيد ، فأمرته ان يذهب به مع اصحابى ليدافعوا عنه بقوتهم ، ثم استلقيت بعد ان اطمأنت على الرجل بثقات اصحابى ، فاذا بى قد اغمى على فوقف على الشراردة ، واتوا بالسعتر والبصل ، حتى تماثلت واسترجعت عقلى ، فتبعمت اثر اصحابى وأنا على فرسى ، فوجدتهم فى خلا . وقد ابتعدوا عن الجيش كما أمرتهم به ، فصار بعضنا يهنى البعض بالسلامة ، ثم جعلنا (ابا حمارة) وسطنا طوال تلك الليلة ، فبتنا معه فى مراجعة الحديث ، نند عليه بما كان يفعله بنا منذ سبع سنين ، فكنت أنا الذى احادثه كثيرا فى ذلك

والقواد الذين باتوا معنا في تلك الليلة حوله هم القائد صالح ، والقائد محمد ابن الجيلاني السرخيني ، والقائد الحسين البعمراني ، والقائد بوعودة الرحمانى والقائد عبد الكريم ولد بن محمد الشركي ، والقائد محمد بن البغدادي الابيض الشهير ، باشا فاس بعد عهد مولاي عبد الحفيظ ، والقائد ادريس الجويشى الاوديسى ، والقائد الحافظ الدليمي ، والقائد عمارة الشراذى ، والقائد الحبيب الشراذى، والقائد ابن ادريس الشراذى، والقائد محمد القريضي المستارى الجبل ، هؤلاء هم الذين استداروا بأبى حمارة تلك الليلة ، مع اصحابنا ، وقد اطلقت يديه لراحته ، فلما اكثرت عليه بالتنديد والتشريب وعمله في السحر والسعوذة التى يفر بها السذج التفت الى القائد عبد الكريم فقال له : قل لصاحب الركب هذا - يعينى - يسكت عنى ، فقال له انه ليس بصاحب الركب ، بل هو الشجاع الذى تعرفه بمواقفه معك ، ثم التفت الى انا فقال : افقرأت كتاب (مشارك الانوار) ؟ فاجبته بانى اى لا اقرأ ولا اكتب ، فقال : ولماذا تصدع راسى وانت لم تقرأ حتى كتاب (مشارك الانوار) ؟ ثم قال : ان كل ما رايتك جار على وفق الاقدار ، لانى انا الذى تركت بلاد السبب ، وجئت الى بلاد الزبيب يعنى ترك محل الحيل - والسبب شعر الحيل عند الناس - كبلاد ائتكد واماها حيث الفرسان الشجعان ، واتيت الى بلاد الجبن التى لا يعرف أهلها الا أن ييبسوا الزبيب . ولا معرفة لهم بالحروب والاقدام . فهلكت عندهم ، ثم تكلم القائد محمد المستارى فقال له : انك معتقل الآن فى بلاد الزبيب التى احتقرتها ، فقال له : من اين أنت يا هذا ؟ فقال له اننى من جباله هذه ، فالتفت اليه أبو حمارة بالحماليق المحمرة كما يتوتى لنا فى الظلام ، واهد اليه بصره مليا ، فمد يده الى ما وراء راسه . كأنه يتناول شيئا من (قبة) - وهو غطاء الرأس من الجبة او السلها- فاهوى بيده اليمنى كأنها ينثر شيئا منها على ظهر ابهام يده اليسرى ، ثم اهوى بانفه الى ما فوق ابهام اليد اليسرى. كأنه يستنشقه، ويحاكى بذلك فعل مستنشق مسحوق التبغ (التنفيحة) ، ثم قال : انكم يا بنى جباله لا تعجبوننى الا حين تتناولون (الكوزة) ، يعنى وعاء التنفيحة ، فتستشقون مما فيها ، واما الرجولة فاين انتم منها ؟ فمثلك يا ابن كذا وكذا - يسبه سبا فاحشا - لا يتكلم امام سادته ، ثم التفت الى القائد عبد الكريم فقال له : أما دارك أنت فنعم الدار ، وليس عندى فيها ما يقال ، وقد سبق فيما تقدم ان ابا حمارة هذا كان فى اول امره عوناً عند آل عبد الكريم هذا . قبل ان يكون عند مولاي عمر ، ثم قال له : القائد الحافظ كلاما ، فسأل عنه ، فلما عرف من هو ؟ قال له او تظن ايها الابرس اننى اجهل من انتم ايها البخلاء. حتى لا يجد الضيف عندهم الا الدشيشة السوداء مع اللبن الحامض المتن الذى تاباه حتى الكلاب؟ ثم صار يسأل عن كل واحد من الحاضرين على حدة ، فلما ذكرنا له القائد

بوعودة قال : هذا ابوعودة . وانا ابو حمارة . فانه ياتى بابى جمل ، ثم التفت الى والى الجالسين اجمعين ، فقال : تبا لكم يا اشباه الرجال فمتى كنتم رجالا فى أعين الناس وكنتم السمعة بين أقرانكم ؟ فبمن اكتنزتم ما اكتنزتم من الاموال والمتاع والحيل واليغال ؟ او لست انا هو السبب فى كل ذلك ؟ بففضلى ظهرتكم وصرتم تتوصلون من خزانة اللولة بالمئونة . وبكل ما تقدمون فيه مطالبيكم ؟ فهلا أمرى اليوم قد انقضى ، وستذهبون اليوم الى حيث تقبعون وتتقمعون فتلذذون اللذباب وتهوون ، (1) فأين رجولتكم وشهامتكم ومجادتكم يا ابناء الكرازة والبخل والتسح واللؤم ؟ فلو كان فيكم عرق ينبض بالرجولة لما تركتهونى بينكم هكذا ارتعد من شدة البرد وانتم تنظرون ، فززع القائد ادريس الاديشى سلهاما رقيقا فدفعه اليه ، فرماه اليه بكل انفة وقال : ابهذا الرقيق الشفا فيرد البرد القارص ، ثم همس أحد أعوانى فى اذنى بأن عنده بردة غليظة ان لاقت به ، فذكرت ذلك لابی حمارة ، فقال ايتونى ولو بالجلس ، فان البرد قد بلغ منى مبلغا عظيما ، فأتيناه بها فالتف فيها ، ثم جمعنا طرفيها تحت ذقنه بشوكة ، وهكذا أمضينا معه جل الليلة ، وفى الصباح التحقنا بجيشنا . وبرئيسه محبوب ، ثم أردت أن اتأدب مع هذا الرئيس . فدخلت عليه بالمعتقل معتولا ، فرحب بنا ، فنطق القائد بوعودة قائلا : لولا انا أغثناكم أمام مشهد مولاى عمران لما نجحتم فقلت له منفضبا : لمثل ذلك الموقف يريد الانسان اخوانه ، ثم بعد قليل أعاد مثل ذلك الكلام ثانيا ، ثم أعاده ثالثا ، فقلت زمام ارادتى من يدي . فلم املك ان رفعت يدي فلطمت بوعودة هذا لظمة طنانة ، ثم قمت فوضعت يدي على مسدسى ، فشار من فى القبة يحول بينى وبينه ، فاذا بابى حمارة نادى بين الجالسين بصوت عال : اهدأوا فانا أفصل بينكم ، ثم قال ما هذا البهتان على الناجم ؟ ثم التفت الى ابنى عودة . فقال له فى أية معركة أغثت القائد الناجم ؟ فقد كنت احاربه يوم كان معى ما احارب به ، واما هذا اليوم فلم يكن معى الا اهلى وحدهم فى المشهد ، فما اوقع الكذاب الذى يكذب والناس كلهم يعلمون أن ما يقوله كذب ، ان صاحبنى هو الناجم وحده أعينه بينكم جميعا ، قال المترجم : ثم قمت وانا لا ازال أفور غيظا . وقلت لمحبوب : انما أردت أن أتأدب معك بمجيئى هذا اليك بصفة كونك رئيسا للجيش ، فأتيتك به كما ترى ، والا فعند السلطان رسائلك التى كنت قلت فيها ان ابا حمارة ذهب مع الداهيين ، فما أنذا ذاهب بأسيرى الى السلطان ، فان أردت أن تذهب فقم معى ، فخرجنا بالرجل ومعه ولد له صغير ابن نحو ست سنين يسمى خليلا ، (وقد تبناه الحاج احمد الكريسي بعد ذلك) ثم كبناه وجعلناه

(1) قبح القنفذ : ادخل رأسه فى جلده . وتقمع الانسان : جلس وحده .
والذئبان جمع ذباب . وهوئ الانسان : هز رأسه من التماس .

على بغلة ، ووراءه القائد الذى يردف قبل وراه ، وهو حاسر ليس على راسه شئ ، وعليه وفرة ، فبتنا ذلك اليوم فى (شراكة) وفى اليوم الثانى اصبحنا فى (لمطة) وأبو حمارة يقول لى اريد كسوة ، فأقول له : انسى بعث الى السلطان ليرسلها اليك، وفى لمطة اتينا بالفطور، فطلبت منه أن ياكل فقال: كيف آكل وأولاد اليهود ينظرون الى ؟ يقول ذلك لان كل من مررنا به ياتى ليراه متمجبا ، ثم أدت برودا (حوالك) حول أشجار زياتين فى المكان الذى نزلنا فيه ، فقربت اليه طواجين ودلاحا وعنبا ، فلم يتناول الا بعض الدلاح . وانما اكل ابنه ، ثم قمنا متوجهين الى فاس ، فتلقانا جمل بعث الينا من عند السلطان وعليه قفص ، فقال لى الرسول: أيها القائد اسمع كلام السلطان، فانه يامرك أن تجعل الاسير فى هذا القفص ليدخل الى فاس على تلك الحالة، ثم التفت الى يقول : أيها القدار ويا كذا ويا كذا يسب ويشتم بأقبح الفاظ السب والشتم . اهله هى الكسوة التى قلت ان السلطان سيرسلها الى ؟ فبندقت له ملاطفة وتهكما ، لان مقصوده أن يشير غضب أحدنا ليقته فيستريح فلذلك وسعت له صدرى . والتت له القول ، ثم انه أنزله البخاريون القلاط الاكباد ، فسلسلوه وطوقوه بالاغلال ، حتى لا يكاد يتحرك بثقل الحديد ، ثم جعلوه فى القفص ، ثم ربطوا القفص على الجمل . ثم توصلت أنا بزمام البعير . وبذلك جاء الامر من السلطان ، ليعلن للناس انى انا الذى اعتقلته ، فلما دخلنا المدينة صار اهل فاس يتلقوننا زرافات ووحدانا . ليسروا أبا حمارة ، فلم تبق مخدرة فما دونها ذلك النهار الا خرجت ، وقد بلغ كراء البغال مائة ريال ، وكان يوما مشهودا ، فمشيت بالجمل حتى دخلت دار المخزن حيث المشور ، فوجدت السلطان جالسا ، وحوله الوزراء ، فابركت الجمل بين يدى السلطان ، ثم تقدمت فبندقت على العادة ، وسلمت الى يده الادانة كما توصلت بها من (مولاي عمران) ثم وضعت امامه ما كنت اخذته من الاسير : الخنجر والمسدس والتمايك - الحفين - وصرة فيها طوابع التى كان يطبع بها رسائله ، فتناول السلطان بيده صرة الطوابع ، وهى خشية صغيرة من الملف، فاخرج منها الطابع الكبير وجعل يقرأ ما كتب فيه ، ثم التفت الى أبى حمارة بالكلام الشديد حين يزعم فى ذلك الطابع انه مولاي محمد ابن مولاي الحسن . فصار يثرّب عليه بشدة . فصار ابو حمارة يتكلم بفمغمة لا يفهم السلطان معناها ، فنادانى يا ناجم يا ناجم . وامرنى ان اتقدم الى أبى حمارة . لاسمع ما يريد أن يقوله فى غمغمة ، فاقتربت منه . وأذنت اذنى منه . فقال لى : اهلا هو حفيظ ؟ وكناه بكنية قبيحة ، فقلت له انت تعرف ، ثم سألتى عن الوزراء ، فأشار الى المدنى الاكلاوى وسماه (بنو وهران) اى صاحب الشفاه الغليظة ، ثم قال : لقد خلت دار المخزن حين يصلها مثل هذا ، ثم اشار الى القائد عبد الملك المتوكى ، فقال ومن ذلك الاعور ؟ فقلت

له انت تعرف ، ثم اشار الى عيسى بن عمر . فقال هذا صاحب الدناب -
يعنى انه يالف صيدها - فقلت له انت تعرف ، ثم اشار الى ابن البغدادي
الاسود ، والى الكريسى ، والى بوخبزة ، وادريس بن بوشتى ، وكلهم سود
بجر البطون ، فقال من هذه العريفات المتفتحات البطون . كأنهن حبال - فما
الذى سيلبن ؟ فاقول له فى الجميع انت تعرف ، فلما ابطات عن السلطان
نادانى فقال ، ما يقول ولد الحرام ، فقلت له . وقد حرفت الكلم عن مواضعه :
انه يا سيدى يتشكى من الجوع . ويريد ما يسد به رمقه ، قال : ثم دفع
الى السلطان المسدس والخنجر والخفين ، اعطانى ذلك على قاعدة من قتل قبىلا
فله سلبه ، فاخذتها ، ثم امر أن ينزل أبو حمارة من ففصه الذى أغلق
عليه ، فادخله البخاريون من باب الى دويرة سجن فيها ، ثم تفرقت المخزنية ،
ثم خرجنا فآخذ الوزير المدنى الاكلاوى بيدى ، فصرنا كلما خطونا خطوة
يلتفت الى ويقول لى : يا ناجم تعديت ، كرر ذلك مرارا ، فاقول له انا تائب
الى الله يا سيدى ، ثم قلت له باى شىء تعديت يا سيدى ؟ فقال حين قبضت
هذا الرجل واتيت به ، فأجبت به باني أظن أنى قمت بواجب عظيم أنفع به
حكومتى وبلادى فانه تسبب فى خلاء المغرب ، فقال : لا انك لم تفعل حسنا ،
فهذا الرجل الذى نحن حوله - يعنى السلطان - غدار ، وكان بودنا أن لا
نزال نراوغه بمحاربة هذا الانسان الذى آتيت به اليوم ، فقضيت علينا بما
كنا نتخذه دائما جنة نستتر وراءها ، فقلت له : ايا كان ، فانى آتوب الى
الله ، ففارقته وقد اسود فى عينى . وادركت ما يضمره للمملكة كلها ، وفى
الليل أرسل الى فرسا عتيقا كانه لاطفى لاستر ما قال ، ثم بنيت دكانة
مرتفعة فى باب البوجات ، فصنع قفص آخر صغير أصغر من الاول ، فيجعل
فيه أبو حمارة ، وفى كل عشية يخرج الى ذلك المحل . فتقام عليه ألعاب
الحيل ، كما هى العادة فى الافراح المخزنية ، وتضرب حول قفصه البنادير
(الدفوف) بأيدي النساء الفاسيات ، قال : ثم كان ذلك آخر عهدى أنا بابى
حمارة ، ثم سمعت أن السيد ادريس مئثو كان يجالسه احيانا فى الدويرة
التي سجن فيها ، وفى ليلة بعد اسابيع من اعتقال هذا الثائر ، أسر القنصل
الامانى الى السيد ادريس مئثو - وقد كان صاحبه - أن يعلم السلطان بأن
قناصل الدول سيأتون غدا اليه ليطلبوا منه تسريح أبى حمارة ، فاذ ذاك
حكم السلطان بقتل أبى حمارة فى تلك الليلة ، فذهب ادريس منو الذى كان
يستأنس به ويمنيه بأنه سيطلق سراحه ، فخرج معه الى بستان من بساتين
دار المخزن . فصار يسايره على عادته معه فى بعض الاوقات . وأوصى عبدا
يسمى مبارك السوسى أن يطلق فيه المسدس من ورائه حين يتحدثان .
لكن العبد - وقد كان رعيديا - أصابه الدهش ، ثم زاد على ذلك أن الطلقة
لم تنطلق من المسدس ، فالتفت أبو حمارة بسرعة حين سمع الحركة وراه ،

فقال هذا هو الغدر ، ثم صار يشهد ، فعمد ادريس منو الى المسدس . فاطلق عليه منه رصاصات حتى مات ، ثم قطع راسه . فأتى به الى السلطان ، ثم رجع به فأحرقه هو واجتة ، وكان ذلك كله سرا لا يعرفه الا الخواص ، ثم ان هذا العبد مباركا ولى بعد هذا اليوم قيادة جند من أمثاله ، لانه كان منظورا اليه عندهم ، قال : ثم لما طلع القناصل فى الغد وطلبوا تسريحه ، اعتذر اليهم السلطان بان الحكم الشرعى قد نفذ فيه قبل اليوم ، ولو كان لا يزال حيا ما ضن به عليهم ، وهكذا ردهم بملاطفة ، قال وحين خفى ذلك عن الناس صار البعض منهم يزعم انه فر من السجن . وانه لا يزال حيا ، وادعى بعضهم انه بما له من السحر وعلم الاسماء خرج من دار المخزن بين الناس . ولم يظهر للعيون ، وقد تمكنت هذه الفكرة من بعض أصهاره حتى أبى ان يزوج بنته بعده انتظارا لرجوعه اليها ، وعن الاوربيين من أشاعوا ان السلطان رماه فى زبية أسد فافترسه ، وذلك كذب وبهتان .

يقول مؤلفه : كان السيد ادريس منتو حدثنى فاه لاذنى بما قاله الناجم ، فلا خلاف بينهما ، وقد ذكرت ما اخبر به السيد منتو فى كتاب (حول مائدة الغداء) .

منه

وكذلك انقضى امر ابي حمارة ، بعد ما ملا المغرب حروبا نحو سبع سنين ، وكانت له نفس قوية وهمة وعزيمة ، وكم مضى من أمثاله فى التاريخ ثم جهلهم التاريخ ، وربما كان ما يحكيه لنا اليوم القائد الناجم أبسط ترجمة لبعض ما خاضه من الحروب ، ولو كان كل ما يحكيه لنا المترجم ملصقا باليوم والشهر والسنة لثم المراد ، ولكن هذا ما امكن الآن .

تعقيب

راى القارئ فيما يحكيه القائد الناجم ما يظهر منه انه مثبت متحرز أى لا يقول الا ما هو الواقع فى كل ما قصه عن ابي حمارة ، وقد راجعت ما كتبه شيخنا المؤرخ الكبير الاستاذ هولاى عبد الرحمان بن زيدان رحمه الله فى قضية ابي حمارة فى تاريخه الكبير ، فوجدت فى غالبه موافقة مع ما يحكيه صاحبنا المترجم هذا ، الا ان ما كتبه شيخنا مختصر جدا ، وما كتبه عن المترجم يكاد يوفى الموضوع حقه ، الا ان هناك بعض مخالفات فى أسماء الاماكن التى وقعت فيها تلك الحروب ، وقد سألته عن بعض امور وقع فيها الاختلاف بينه وبين من يحكى عنهم الاستاذ ابن زيدان ، فبين الحقيقة كما هى . ولا سألته عما ذكر هناك من أن الذى اعتقل أبا حمارة هو العشى - من الاعشاس قوم بالشاوية - وكان احمد بن موسى ضربهم ضربة ماحقة فى عهده ، فلما اعتقل منهم من اعتقل وقتل من قتل ، أتى بكثير من اولادهم كغلمان مسوقين بين الجند ، فكان منهم هذا الفتى ، فكان اولاً جندياً فى طابور

الحاج على البعمراني ، بعد ان كان عند المحبوب المطاعي الذي كان يدفع له
اهاله من الفلمان المسيبين ليربيهم ، فلما شب فارعا كان عند الحاج على
اولا . ثم انتقل الى طابور بوعودة ، وقد اصبح جنديا سافل الاخلاق لا شان
له ، قال المترجم : وقد كان هذا العشي اذ ذاك في غمار الحاضرين الكثيرين
من الجند ، لكنه لم يحضر وقت اعتقال الثائر حين انزلت اليد عليه فانزع
منه الخنجر والمسدس وما معه من خنشة الطوابع وغيرها ، ولم يحضر الا
القائد العربي قائد المشور الملكي الآن ، وكل من ادعى ان العشي هو معتقل
ابي حمارة في كتاب ما - يعني تاريخ الاستاذ ابن زيدان - فانما اصله من
اخبره به اما كذبا او جهلا بالحقيقة ، هذا ما قاله المترجم ، وقد ظهر الآن
الحق عيانا ، وقد كنت سمعت من السيد ادريس مثنو ان الذي اعتقل الرجل
بيده هو الناجم ، وذكر ان ذلك مستفيض ، وها هو ذا القائد العربي قائد
المشور ما زال حيا يرزق ، وقد اخبرنا بذلك عدة مرات ، كما اخبرنا به
القائد ابراهيم الحاحي القاطن بسلا الآن . وقد كان اذ ذاك في ذلك الجيش ،
على ان الامارة الكبرى هي ان البخاريين الذين وضعوا ابا حمارة في القفص
الذي جاء من عند السلطان لذلك ، لم يغلبوا القائد الناجم على زمام البعير .
وقد كان ذلك في امكانهم ، بل ردوه اليه حتى دخل به فاسا . وأبركه أمام
السلطان ، وعلى كل حال فان ما ذكره استاذنا ابن زيدان في تاريخه عن
العشي وانه معتقل ابي حمارة غلط محض .

في تغريم قبائل جباله

قال : لما انقضى امر ابي حمارة ، تمكنت في ادارة الامور المخزنية يد الوزير
المدني الاكلاوي . وصارت القبائل تدخل في طاعة السلطان ، الا ما كان من
غنياته وبني وراينز والريف ، قال : قصرت انا بين الذين يدورون في
قبائل جباله المطيعة ، نجمع منها مغارم السلطان المعنادة ، فبقيت هناك
ما شاء الله ، الى ان رجعنا الى فاس من اجل التعيين مع السلطان .

في حرب مع نكوشة

قال : هناك بين عين مديونة والحياينة والبرانس ، توجد قبيلة نكوشة ،
وكانت ابية لم تنفذ للحكومة بعد سقوط ابي حمارة وكانت ممن اخلصوا له ،
فخرج جيش يرأسه عمر بن عدى الاكلاوي خليفة وزير الحربية محمد بن
المدني الاكلاوي - العلاف - وكان من بين القواد الذين فيه عبد الرحمان
اكرار الاكلاوي ، وكان قائدا على الاكلاويين ، فقتل اذ ذاك فيمن قتل ، فتولى
على بن صالح مكانه ، وقد كانت تلك الحرب ايضا شديدة ، ثم رجع ابن
عدي ، فخرج الكريسي ، فصار رئيس الجيش . فتمادت الحروب ، وقد شاركت

نكوشت فى هذه الحرب قبائل اخرى ، كفيانة والتسول والبرانس ، ومن لف لفهم ، قال : فلم نستطع ان نغلبهم ، وفى عشية زحفوا الينا ، فتمادت الحرب الى الليل ، ثم هاجمونا ايضا مهاجمة شديدة فى اثناء الليل ، قال : فخرج على المهاجمون وانا واقف على حدة ، فقلت من هؤلاء ؟ فقالوا نحن جند القائد الناجم ، فعرفت انهم كذبوا على ، فرمينهم بالرصاص ، ثم ناديت احد اصحابى ، وكان ممسكا لفرسى وهو بعيد منى ، فقلت له ان العدو معك (اى انهم قد جاءوا) فاذا به يقول لى انهم ضربوه وذهبوا بالفرس ، فكان ذلك آخر ما نطق به ثم مات فاذ ذاك انسحبوا، وفى الصباح باكرناهم بالهجوم، فدام البارود ماشاء الله حتى غلبناهم فانهمزوا امامنا ، فعلونا عليهم منذ ذلك النهار ، ثم لم يعودوا الينا بعد ، فبقينا هناك نحو شهرين هائثين فى محل تتوالى علينا فيه التزه فيما بيننا ، اذ يستدعيانا كل قائد منا يوما فيغمرنا بها للوطاب .

فى مناوأة المدنى الاكلاوى

قال : رجعنا الى فاس فاذا بى وجدت اذامى اعجوبة وقعت فى مالى، وذلك ان لى دارا فى فاس الجديد ، جعلت فيها كل ما عندى من الاتاث والصناديق والحرفى ، وجميع ما اقول عنه عندى وفى ملكى ، ودارا اخرى فى فاس السفلى حوالى مشهد الشيخ التيجانى كنت اشتريتها على يد فاسى يسمى سليمان ، كنا هدمناها وبنيناها بناء متقنا بالرخام والزليج ، كما تبنى الدور العليا فى فاس ، ثم وقع اثناء سفرى هذا ان جاء سليمان الى صاحبى الذى تركته فى الدار التى فى فاس الجديد ، فقال له سرا : انى سمعت بان السلطان سيعتقل كل القواد العسكريين الذين منهم صاحبنا الناجم ، فيجب علينا ان نحافظ على ما لصاحبنا القائد الناجم فى غيبته بكل امانة ، ونصيحة ، فأرى ان تنقل كل ما فى هذا الدار الى الدار الاخرى ، وصار يحدث صاحبى بمثل هذا الكلام ، حتى اصاح لكلامه ، واسلس له القياد ، فحولوا كل شىء سرا ، شيئا فشيئا حتى نقلوا حتى لباسى الخاص فى صندوقه بين الصناديق وفى الليلة التى سابكر فيها راجعا الى فاس ، جاء سليمان متباكيا الى صاحبى يقول له : ان الدار قد استل للصوص كل ما فيها . فلم يتركوا سبدا ولا لبدا ، فاسرع صاحبى معه ، فلما دخلوا الدار ، تأملها صاحبى فلم ير اثرا للصوص، فلما فيها نقب، ولا فى ابوابها كسر ، ثم سال الجيران فلم يخبره احد بانه آثر للصوص قال : فلما بكرت الى فاس وانزلت جندى خارج المدينة ، جاء الى صاحبى منتقع اللون ، يعلوه ما يعلو الكتيب الذى ياخذ الحزن باكظامه ، فحكى لى ما وقع ، فتفطنت الى ان سليمان الذى صنع المفاتيح على يده ، هو الذى فعل الفعلة ، وأنه صنع اذ ذاك مفاتيح اخرى على اقفال الابواب

وهو الذى كان وقف على بناء الدار ، ولذلك لا يحتاج اخراجه لما فى الدار الى نيب جدار او كسر باب ، او نسلق الى سطح ، فادركت ادراكا حقيقيا لا شك فيه انه هو الفاعل لذلك، ثم استعرت كسوة رسمية تجملت بها امام السلطان، لان الكسوة الرسمية الملفية ذهبت ايضا فى صندوقها ، ثم ذهبت بهديه من دراهم الى الوزير المدنى الاكلاوى لياخذ لى حقى من سليمان ، فصار يماطلنى وكأنه يشمت بى ويفرح بكل مصيبة تنزل على . ثم اتصلت بالقائد عبد الملك المتوكى بهدية ايضا . وقد رايتنه يجالس المدنى ليحبه حنا على أخذ حقى من ذلك الفاسى ، وقد كانت العادة أن اذهب كل يوم حين تنقضى الحزنية عند الظهر انا والمتوكى وراء المدنى الاكلاوى الوزير الكبير ، حتى يصل المدرج ، حيث دار الحاج عمر التازى التى نزل فيها ، فالتفت الينا امام منزله وقد اهوى الى النزول فيودعنا ، فاذهب مع المتوكى . الى رياض بنيس، وهو قريب من ذلك المحل ، وفيه يقطن صاحبي المتوكى ، فتتوضأ هناك ونصل الظهر ثم اذهب الى دارى فى فاس الجديد ، وحين رايت أن كلا الرجلين لم يهتم بقضيتى ، قيدت المهم مما سرق لى ، ولم أقيد الكل - والله يشهد - هذه عبارته - ، فقدمت القائمة الى السلطان ، فلما جاء الوزير المدنى الى مجلسه اعطاها له ، فلما قراها ورأى ما فيها من ثرة الاثاث والمتاع ، قال : هؤلاء القواد وزراء بل ملوك لا مطلق قواد ، ثم صار يرى للسلطان كثرة ما فى القائمة من الفراش والمتاع والحلى والاونى المفضضة وما الى ذلك ، فقال له السلطان : وأين أضعاف اضعاف هذا من موافق القائد الناجم ؟ فقف معه غاية الوقوف حتى يسترد متاعه كله ، فأرسل الوزير المدنى الى القاضى العراقى والتجار وسليمان المدعى عليه ، فاجتمعوا فى القرويين ، فسألنى التجار هل عندى بينة على ما ادعيه على سليمان ؟ فقلت لهم ليست لى بينة . ثم قصص عليهم القصة كيف وقعت ، فانكر سليمان أن تكون له يد فى السرقة ، بل ادعى أننى استاتمته دائما ، ثم سألنى القاضى ايضا مثل ذلك السؤال، فأجبتهم بمثل جوابى الاول ، فقال : حينئذ ليس لك عليه الا اليمين ، حين أنكر ، وليست لك بينة عليه وقد صيرته آمينا.. ولم تات بأية تهمة عليه من قبل ، فقلت له حينئذ يحلف عشية الجمعة عند ضريح الشيخ سيدى احمد التيجانى، ثم طلبت منه أن يعطينى رسم الدار التى كنت اشتريتها على يده ، فأتى به فقرأناه ، فاذا فيه أيضا تعريف ، فقد كنت أدبت الثمن عن جميع الدار . وصرت أملكها كلها ، لكن وجدته كتب فى الرسم أن له خمسين اثنين ، وليس لى انا الا ثلاثة أخماس ، فكان ذلك ضغنا على ابالة ، فقال لى القاضى : وهل يمكن أن نصدقك ونتجاهل الرسم الذى كتبه العدول ؟ فعرفت أنى مغلوب ، وأن حسن نيتى حين فوضت لهذا الخائن هو الذى قضى على . فلم اجد ما اصنع معه ، وقد أدار بى كل حيلة كما يشاء ، فاتفق مع العدول على أن يزوروا ما زوروا ، فافترقنا على أن استوفى منه اليمين عشية الجمعة ، فاذا به ها

حفلة استدعى لها قواد الارحاء اصحابى . يستشفع بهم الى على ان لا احلفه ، فاجتمعوا على يلحون فى ان اسامحه من الحلف ، فاستحييت وسامحته على رغم انفى . قال : فكانت كية قاسية تؤرخ وتسجل للاحفاد . عسى ان يتعظ بها امثال من البله الحسنى النية ، وانى لا ازال احس صدمتها فى كبدى الى الآن ، ويشهد الله انه تاذب فيما اختلق ، وانى صادق فيما ادعيت ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وما لم يكن لهذه الدار فليكن لتلك الدار . - هذه عبارته - ثم بعد ذلك علمت ان السبب الذى جراً على سليمان هو انه صار يتصل ببعض اصحاب المدنى الاكلوى ، وهو الذى شجعه على تفقيرى هكذا نكاية بى ، ثم ان المدنى الاكلوى اشتغل بالوسوسة بيننا نحن قواد الارحاء ، وعلينا عند السلطان ، فقد استدعينا نحن قواد الارحاء ذات يوم ، فتهيأنا كلنا بالجند والخيول والسلاح على العادة ، فامرنا بان نحشر كلنا فى المشور ، ثم سد علينا الباب ، فامرنا ان نخلع الكسوة العسكرية القديمة التى علينا . وان ندفع كل ما عندنا من الخيل والبغال والسلاح والمنايع المخزنى ، ثم حوسبنا فى كل ما دخل ايدينا فقيده على كل واحد منا ما ربما لا يوجد عنده مما كان مفيدا علينا قبل اليوم ، وهكذا ازيل منا كل شىء ، بل طوقنا فى ذمنا أشياء أخرى ، ثم صار اصحاب المدنى يخرجون خيولنا عشرة عشرة فيفعلونها فى الخلاه قتل ليمحوها من الوجود ، ثم يصبون على جثتها الجير ، وذلك كله بحجة الخروج بالجندية من الانظمة القديمة . الى النظام الجديد انذى يكون الجند كلهم مشاة فيه ، فلا يركب الا الرئيس وحده ، هذا ما كان يقال لنا اذ ذاك . ولكن كنا نفهم ان مقصود الاكلوى هو اضعاف القوة المخزنية ليدرل الفرنسيون اصحابه ما يشاءون من المغرب ، قال : وجمعنا ذات يوم هدية فذهبنا الى داره ليسمع منا ونسمع منه ، فصادفنا وقت الغداء فى داره ، ففدانا اصحابه . ولم نره هو ولا خرج الينا ، وانما ارسل الينا من داخل الدار يقول : ليس عند احد ما يقول ، فان السلطان هو الذى استرجع ماله ، وهو انذى اوحى بالتنظيم الجديد ، ثم رجعنا من عنده ، فاستدعينا مرة أخرى ، فنوقشنا الحساب مناقشة شديدة على النقيير والقمطير . مما هو مفيد علينا قبل اليوم ، فمن بقى فى ذمته شىء طوّل بادائه فى الحين ، فاجمعنا امرنا على ان نقدم نحن ايضا حساب ما كان لنا كحق ثابت من الثياب الجديدة يوم تقطع ما علينا من الثياب الرثة ، فكنا نلبس ما يزرى بنا ، وكذلك حسبنا على الدولة ما تمزق من الاخبية ، او ذهب فى الحروب ، كما قدمنا ايضا الطلب بما لا نزال نطالب به من المؤن التى لم نأخذها فى السنوات الماضية ، فلما اجتمع حساب كل هذا وهذا . ورأى المدنى ان مالنا على الحكومة اكثر واكثر . اغضى وانكف على رغم انفه ، فسحب ما كان يطلب منا ادائه فى الحين . قال : ثم ابندى ، فى التنظيم الجديد ، فاصر على ان الجند يعرض على الطبيب واحدا واحدا ، ومن

لا يرضون بذلك من اصحاب الحميات ذهبوا الى حال سيئ لهم . حتى لم يبق
غالب الا من لا همة لهم . ولا يقصد الا ازجاء الوقت . قال : فبقيت كذلك قائدا
على جند منظم من هؤلاء الذين رضوا بهذه الجندية الجديدة ، فلا يركب من
قوادهم الا أنا وخليفتي وقواد المئات (الفسيانات) ، وأما فرق الفرسان
فقائداهم القائد الحسين البعمراني ، وقد كان هو الجاسوس الخاص للمدنى
الاكلاوى ، فميزه بذلك من بيننا ، وقد كان يعرفه قبل ذلك فى جبل
الكلواتحين كان يتحارب مع ابن حليمة ، ولذلك اتصل التعارف بينهما الى
الآن ، قال : ومما وقع اذ ذاك ان المسمى بنو بريسنى الاكلاوى كان خليفة على
الشراردة . عينه عليها الوزير المدنى الاكلاوى . فكان ياخذ المكوس من
الناس فى السوق هناك ، فباعت امرأة لاحد اولاد دليم بقرة ، فطالبها اعوانه
بالمكس ، فقالت اننى زوجة لاولاد دليم . وهم من الجيش الذى لا يؤدى الجبايات
المخزنية ، وكل قبائل الشراردة من هذا القبيل . لا فى الحوز ولا فى غيره ،
فذهبوا بها الى المذكور ، فامر أن تجلد ، فبلغ الخبر من هناك من اولاد دليم .
ففرغوا اليها ، فثارت السوق ، فاجفل الخليفة الى فاس خانقا يرقب ، فذارت
ناثرة المدنى الاكلاوى ، فطلب منا ان نخرج الى الشراردة لنؤدبهم حتى يستلسوا ،
فيطيعوا بعد فعلتهم هذه التى عدها المدنى عصيانا للحكومة ، فلما خرجنا امرنى
من فوقى ان اكون فى الساقة لا فى الطليعة ، وسبب ذلك ان القائد بوعودة
الذى لطمته تلك اللطمة يوم اعتقال أبى حمارة - كما تقدم - قال للمدنى :
ان الناجم يهب دائما بريح الشراردة ، وهو مولاهم . ويعد نفسه منهم ، ولا
يؤمن أن يقلب اليوم ظهر المجن ان كان فى مقدمة الجيش ، فيجب ان يكون
فى الساقة لا فى الطليعة ، لئلا يسبب لنا فضيحة هناك ، فوصلنا مرس
القائد الحافظ الشرادى ، فابتدأ البارود بيننا وبين الشراردة ، ثم ثارت
القبائل : شراة ولاو داية واولاد عيسى واهل الغرب الايسر . تبعنا للشراردة
فكان ذلك هو السبب حتى بويع مولاى الزين فى مكناس بين هذه القبائل ،
فنزل فى (راس العين) فوق وادى فاس ، فحوصرنا نحن فى الشراردة ،
فيزحف من مع مولاى الزين الى من فى فاس . فنقع حروب كل يوم ، ودام
الحصار علينا هناك نحو اربعين يوما . فخرج المدنى الاكلاوى والمتوكى وامثالهما
فى جيش الى مقاتلة مولاى الزين ، فهزهم جيشه ، ففر المدنى وكاد يوخد
باليد . لولا القائد ابن هند الحياتى ، وكذلك المتوكى ما انجاه الا فرس قدمه
اليه محمد بن عبد الرحمان المتوكى الذى كان محتسبا بمراكش بعد ذلك ،
وأما الحاجب الكريسى فقد انجاه القائد محمد بن الجيلانى ، وقد مال به الى
جانب عن مجالات الفريقين لا يسلكه احد ، وكان هذا القائد قبل هذا اليوم
بقليل فى جيش عليه مولاى يوسف . ارسله السلطان الى الشراردة ، وهكذا

نشأت الثورة العامة علينا بسبب السياسة الخرفاء من المدنى الاكلوى واصحابه
قال : وقد كان للمدنى الاكلوى هذا مائة كلب سلوقي يصيد بها ، وقد
جعل عليها قائدا خاصا ، فكان اذا اراد ان يهين قبيلة ينزل عليها قائدا
السلاقي ، فعادت معاملة المدنى الاكلوى وسياسته بالنحس على الدولة المغربية
وعلى السلطان ، فقد هدم الجند الثابت بحجة أنه يريد تجديده ، ثم اندلعت
الثورة ، فاذا الحكومة بلا جند يستطيع الدفاع عنها ، فلا قديم ولا جديد ،
فتسلسلت تلك الثورات وتوالت ، ثم لم تنه الا بالاحلال ، قال : ثم
بعث الينا . فحينما بعد ما قتل هناك فى الشراردة القائد الحسين البعمراني ،
ومع ذلك تلغانا المدنى الاكلوى لما دخلنا فاسا بوجهه البشوش المناق ، ثم
صارت محلة مولاى الزين تزحف اثينا فى كل يوم ، فكنت لا انام فى المحلة
بل فى دارى بفاس الجديد ، وفى يوم كنا فى حرب فهزمنا اصحاب مولاى
الزين ، فوجدت عسكرا يسلب مجروحا ، فعابته وقلت له انك خالفت
الضابط ، فلم تنهوا عن السلب ؟ فقال : ان الكلام اليوم للرئيس النصراني
وليس لكم ، فاسررتها فى نفسى ، وعلمت اين بلغ الظل فى العشى ؟ - هذه
عبارة - (وهو تعبير تقصد منه الدلالة على فوات الوقت ، لان بذرع الظل
بالاقدام يعرف انقضاء النهار او بقاءه ، وكثيرا ما يقع ذلك لمن اخر صلاة
العصر فانا ان الوقت لا يزال ممتدا ، فصار ذلك مستعملا فيمن استيقظ من
غفلة ولات حين استيقاظ) قال : ثم امرت بالجندى الى الجلة على ان اجابنى
ذلك الجواب ، فلما جلد جلدنا امرا به الى السلسلة حيث بقى هو
وصاحب لهلقى منى مثل ذلك ثمانية ايام ، فعلت ذلك كله عمدا امام الرئيس
النصراني ، وقد نويت ان تعرض لى فى ذلك ان افتك به ، ثم افر الى الشراردة
ثم يفعل الله ما يشاء ، ولكنه لم ينس بيت شقة ، وانما صار ينظر فقط ،
ثم لم البث ان رجعت على نفسى باللائمة حين بقيت فى هذا العهد المنحوس
موظفا هنا مع المدنى الاكلوى الذى به وصلنا كل هذا الهوان .

فى قيادة الكيش بمراكش

قال : يرى الناظر ما نحن فيه الآن مع هذا المنحوس المدنى الاكلوى ، فقد
كدنا نفقد شرفنا العسكرى والشخصى معه ، فتثور على نفسى فلا اجد مناصا
فيما عسى ان يخرجنى مما انا فيه ، فصرت اتأفف دائما عند السلطان من
خدمة الجندي ، فاقول له : يا سيدى : اننى كما يرى مولاى جرحت مرارا ،
وصعقت قوتى ، فلا اقدر ان اقوم بالمناورات العسكرية مع الجند الجديد ،
كما هو الواجب على كل من يقف فى مثل موقعى ، فيجيبنى بان المقصود منك
ان تكون بركة هذا الجيش ، فقد اعفيتك من كل مناورة ، ولا يطلب منك الا
ان تحضر على فرسك معهم ، فذبح امانى فقط ازاء جندك ، فلم ازل اكرر عليه
ذلك ، وألح عليه الحاحا ، حتى لئن لى الله قلبه ، فاراد ان يعيننى باشا على

مكناس ، وعلى كل القبائل المضافة اليها كزرهون وامثاله ، ثم شاعت اخبار هذه الباسوية ، ففى يوم دخل على الرجل الصالح المجنوب مولاي عبد الملك الحشاش ، وفى يده ففة فيها فبعة - وكان غريب الاحوال - فقال لى : اشتر لى نعلين لاولادى ، فارسلت من يشتريهما له ، فقال لى : هل عينت باشا على مكناس ؟ فقلت له نعم يا سيدى ، فقال لا تكون باشا فى مكناس ، بل تكون قائدا فى الحوز ، ثم خرج .

وفى تلك الليلة اجتمع كل الاعيان الذين جاؤوا عن قواد قبائل الكيش الحوزية : المنابهة ، وأولاد دليم ، ومن اليهما من قبائل التشراردة ، فصاروا يلوموننى على اننى قبلت أن أتوظف فى مكناس . مع ان قبائل الحوز التى كان اهلها يمتنون الى وامت اليهم بالولاء هم أولى بى من غيرهم ، ثم قالوا ان السلحين الكلاويين من الحاج التهامى الى اصغر اعوانه ، قد هتكوا عرضنا ، واتهموا اموالنا ، وتفرقوا عظامنا ، وتمصصوا مخنا ، وملأوا مسامعنا بالشتم والاهانة ، افلا تزيلنا انت اليوم من هذه المذلة ، فقلت لهم : اننى سأنظر فيما قلم ، ثم فاوضت ادريس منثو فى ذلك ، وطلبت منه أن يهيس لى الملاقاة مع السلطان ، فلما جلست امامه ، قدمت اليه هذا الطلب فقال : أوليست هذه القبائل عند الاكلاوى ؟ فقلت بلى ، ولكن سيدنا يعرف نفسه هؤلاء ازا ، امثال الاسلاوى ، فقال وهل تفكر انت على مقاومة الاكلاوى مع ما له من الشوكة هناك ؟ فقلت له : انفخ فى الجبل يعد ثعبانا - هذه عبارته - ثم انعم على بطلبتى فى الحين ، قال : ثم اننا أنا وادريس منثو ، لما راينا الفرصة سانحة فى زحزة الاكلاويين عن المكانة الى تبواوها فى الدولة ، سعينا حتى توصلنا بالقيادة على زمران لصاحبنا القائد صالح ، وعلى السراغنة للقائد محمد بن الجيالى ، وعلى السويرة للقائد محمد بن سعيد القرقرى وعلى آسفى للقائد الحبيب باقتا - وهو رجل فياش متكبر - وعلى مراکش للباشا ادريس منثو نفسه - قبلها اليوم ، بعد ما كان أعرض عنها عند بيعة السلطان - وعلى القصبة ، للقائد مبارك بوخبرة ، هؤلاء كلهم توصلوا بالظهان فى يوم واحد ، قال : ثم ارسل الى القائد عبد الملك المتوكى فى اليوم الثانى ، فاكلنا وشربنا فى داره ، ثم صرف عنه اصحابه الى أن انفرد معى ، فقال : انتصب القواد بنفسك يا بٹا الناجم ، كرر ذلك مرارا ، فاجبته الله يبارك فى عمر سيدى ، ان الذى ينصب القواد هو سيدنا السلطان نصره الله ، ثم أعاد ذلك فاعدت الجواب ، ثم قال : يا فلان : انك دخلت فى باب ، واردت أنا بنفسى ان تفتح لى ذلك الباب لادخل منه ايضا ، فان هذا العطار - يعنى المدنى الاكلاوى ، لان الاكلاويين مشهورون فى تلك النواحي بالدوران بالمطرية على الحمير امام ابواب الديار ، فيعير القواد الاكلاويين بذلك - قال : ان هذا العطار قد بلغ فىنا بغمزه ولزّه واهانته

مبلغا عظيما ، ففي كل شهر انزل الى بهكل ما يمكن لي من الهدايا من كل نوع ، فكم سمن وعمل وطرف املا بها اجمال قوافل متتابعة ، فاسوقها اليه سوقا ، وكم جوار اتوصل بها من عند الذين انتصبوا لجمع بنات الناس السود ، من سوس الى الخوز اقدمها اليه ، فلا يزال ابراهيم بن صالح ازاء تيزنيت ، ومولاي احمد من آل الشريف الهشتوكي ، وابن حيدة في هواره ، وعلى الامزالي من اداوزال ، ويحيا من اكفتاي ، وابن حميدة في سهب العتروس السبائي ، والتهامي بن القرشي ازاء امينتانتوت - يتابعون لي المتخيرات من الجوارى - وهؤلاء هم النخاسون المشهورون اذ ذاك ببيع العبيد أو من ارادوا ان يسموهم بسمة العبيد والاماء من اولاد الاحرار وبناتهم ، وان لم يكونوا الاحرار اقحاحا ، فيسربون ذلك يدا ليد ، بتدى السلسة من يد ابراهيم بن صالح ، الى أن تنتهي الى يد التهامي بن القرشي ولا يسيرون بقوافلهم الا ليلا بحراس ، ثم من التهامي بن القرشي يكون البيع لقواد الخوز ولاثرياء الحواضر ، قال : فكنت اتملق دائما العطار بالجوارى الرائعات التي تهينها زوجتي في (بنو ابوض) حيث دارى خير تهينة ، بالاستحمام والترفيه حتى يكسون النضارة والبضاعة ، ثم اتخير لهن من احاسن الكسوة والحلي ، ثم أجلوهن اليه كالعرانس ، ثم بقدر ما أتقرب اليه يهينني ، ويريد أن يتخذني كاحد اتباعه ، فقد رايت أنت بعينك كيف يعاملني ، وينبذ طلباتي فلا يسعفني فيما اطلبه منه من حوائج الناس ، فقد تكلمت معه في قضيتك أنت حين سرق متاعك ، وكذلك في قضايا القائد ابن هند الحياتي ، والقائد الكرافس من اهل الغرب الايسر ، والقائد عقة الكيمانى المطيرى ، وهى قضايا مشهورة ، فقد تعلق بى الجميع ، واهدوا الى ، ثم فاضته فيها كما فاضنه في قضيتك انت ، فهل قبل وساطتي ؟ أو هل قام معى قيام الرجال في قضائها ؟ بل انك رايت ما يعاملني به كل يوم حين اتبعه كعبده ، وانت معنا الى باب داره فى اللوح ، ثم لا يزيد على ان يلتفت الينا فيصرفنا كاننا له اتباع من شسوع نعاله ، وكذلك رايت مجلسي معه فى دار المخزن كيف اقمى كالكلب تحت مكتبته بلا شغل ، كأننى صرت من اخس اعوانه ، فلا يزال يتعمد أن يهينني ، والآن أريد منك أن اتخلص من كل هذا الهوان كما تخلصت انت واصحابك منه ، فقد صرتهم اليوم انداده ، وستذهبون الى قبائل كانت تحت يد اخيه التهامي ، فتزولونها من يده ، فافتح لي يا بنا الناجم الباب - فتح الله لك ابواب الجنة - كما فتحتك لنفسك ، فلقد سئمت المذلة وحياة الهون ، قال : تركته حتى قال كل ما يريد أن يقول باسهاب ، فقلت له سمعا وطاعة أيها القائد الكريم ، فأننى سأجتهد لك كما أجتهد لنفسى وعلى الله الكمال ، ثم قلت له : لا باب عندى اذا ادريس منو ، وبعض جوار فى دار السلطان كانت لي بهن مواصلة

قبل اليوم ، ثم صرن محظيات اليوم عند السلطان . فالآن اطمئن ، فسنفرع الباب ، فانه يفتحه ، ثم استدعى محمد بن عبد الرحمن ، فافضى اليه بكل ما قال لي ، فقال له محمد اننا ما كنا لنصير للقطار لولاك انت ، ثم لما ذكر له المدني عبارته المتقدمة من ان الناجم ينصب القواد ، اجابه : لا لا بل ان الذى ينصبهم هو السلطان ، قال الخاكي ، عرفت ان الرجل عاقل ، ثم فارتفتها على ذلك ، فتفاوضت مع ادريس منو في الحيلة ، فاتصل بالسلطان ، فرجع وقال هل يمكن ان يتفرق الشليحان ؟ يعنى المدني والمتوكى ، لان السلطان كان يقن انهما متوافقان عليه ، قال فقلت له نعم تفرقا ، فحكيت له كل ما راج .

هذا وقد كانت سياسة السلطان اذ ذاك مرتكزة ان يقلب ظهر المجن على الاكلاويين بعد ما صبح عنده انهم لا يسعون الا فى مصالح فرنسة . وفى افساد قوة الحكومة ، وهم السبب حتى ثارت هذه القبائل ، ولذلك اراد ان يزغزع ايدى الاكلاويين عن الحوز ، وان يضع فيه اصحابه الذين يعتمد عليهم ، فبدأ ينصب هؤلاء القواد ، وبعزل التهامى عن مراکش ثم ينظر بعد ذلك ما يصنعه ، مع وزيره المدني الذى كان يتربص به وباهله كلهم الفرصة منذ زمان ، ثم لما سنحت له هذه الفرصة فيهم حين تفرق المتوكى والمدنى انتزها ، ولذلك لم يكدهم يفارضة ادريس منو فيما ذكر حتى امر بان يطلع المتوكى صبيحة الغد للملاقة الخصوصية ، قال الخاكي : فطلع المتوكى من داره ، فلما دخل فى المشور ومعه سقى بريك بوابه ، وقد حمل معه تحت ابطيه من المال ما سيتلاقى به مع السلطان ، فذهب قدما من غير ان يعرج بمقعد الوزير ، وقد كانت عادته دائما ان يذهب توا اليه منصبصا ، فاليوم لما وجد فسحة رفع عليه راسه ، غير مبال ، ثم دخل فى الحين للملاقة ، لان السلطان كان امر ان يدخل اليه توا ، فبقى هناك معه كثيرا ، ثم لم يخرج الا عند انقضاء المخزنية فى الظهر ، فاذا ذاك قال مع السلطان كل ما يريد ، فوعده السلطان ان يرجع الى الحوز ، وان يكون هو كبير القواد هناك ، فخرج مرتفع الهامة من حينه ، وقد ادرك كل امنياته فغبر فى وجه صاحبه ، قال : ثم تهيانا الى السفر ، فاذا بجند فرنسى كثير جدا ، وصل الى فاس ، وقد كان خرج من المهديّة باذن السلطان ولم يلاقه احد حتى وصل الشراودة فتعاطوا معه طلفات قليلة ، ثم مر الى ان اجفل امامه جيش مولاي الزين الذى كنا ذكرنا قبل انه رابط فى رأس العين ، ثم امره السلطان ان ينزل فى دار الديبغ ، فامرنا ان نزور رئيسه قبل ان نساوّر فذهبنا كلنا ، فلما مثلنا بين يديه ، قال لنا : اعلموا انكم انتم القواد الاولون من عندنا الذين سيذهبون الى مهماتهم ، قال الراوى : فسكت كل من معى ، فاجبته انا : نحن قواد السلطان ارسلنا الى مهماته ، فان كان لكم كلام فيبتكم وبين السلطان ، لا

معنا نحن ، فخرجنا ، ثم بلغ ما قلناه الى السلطان فأعجبه ذلك ، ثم ارتحلنا من فاس نحو الحوز نحن القواد في اصحابنا الى أن نزلنا في مشرع الصغير ، ومعنا المتوكي ، فتلقانا القائد العيادي هناك ثم وجدت في سيدي أبي عثمان أصحابي من رؤساء قبائل الكيش ، قد هياؤا لي هناك المئونة ، ثم قال لي الباشا ادريس منثو ، اسبق انت الى مراکش لتهدأ أهلها للملاقاة ، فزدت امامي الى المدينة ، ومعى نحو اربعين من اصحابي ، فحاذيت السور الى أن دخلت في باب أحمر الى القصبة ، فقصدت دار المخزن حيث الخليفة مولاي أبو بكر ، فأعلمنا (التبندقة) امام باب دار المخزن ، فأسرع أصحابه فأعلموه بي ، فدخلنا اليه ، فأعلمته بما جئنا اليه ، فأخرجت الرسالة السلطانية المكتوبة الى التهامي الاكلاوي . ليتخلى عن المدينة للباشا الجديد ، فطلبت منه أن يوصلها اليه ، فقال لا لا ومن يقدر أن يذهب بها الى ذلك الجبار ، وهما انتلما ترى الزبل يدخل على في دار المخزن ، ثم لا اجد منه اعانة لكنسه ، ثم خرجت الى أن انزلت أصحابي في فندق بباب دكالة ازاء دار لي هناك ، فسالت عن هو الخليفة الكبير على المدينة ، فذكروا لي محمد بن العباس ، فلوسلت اليه ، فطلبت منه أيضا أن يوصل الرسالة فابي معتذرا ، ثم طلبت منه أن يرسل الى مقدمي الخومات ، ليؤلفوني فأرسل اليهم ، فأخبرتهم بعزل الاكلاوي عن المدينة ، وأن الواجب أن يتهاؤا لملاقاة الباشا الجديد صباح الغد ، وقد كنت سألتهم عن العادة في تلقى الكبار الذين يدخلون المدينة ، فقالوا يخرج الناس كلهم ، ويصطفون بالبغال والرجال من تانسيفت الى باب المدينة ، وهناك تقدم اعلام السبعة الرجال خصوصا علم سيدي ابن سليمان الجزولي ، وعلم سيدي أبي العباس قال : ثم لما علم الاكلاوي بورود رسالة عزله ، صار يتململ ، ويريد أن يهيم ما يدافع به ، لكن عمر بن عدى الاكلاوي قال له : ماذا تريد أن تصنع الآن ؟ أممراكش دارك ودار أبيك ؟ ، فانك لم تمكث فيها الا بأمر السلطان فما هو الآن يزيلها من يدك ، فلازم الطاعة ، ولا تفتح على نفسك ما يهلكك ، ثم ماذا عسى أن تصنع لا نحن ولا انت ، فالقائد الناجم قد دخل المدينة ، فلاذ ذاك انخس الاكلاوي ، فترك المدينة للباشا الجديد ، قال : وفي اليوم الثاني خرجنا للملاقاة ، فوجدنا القائد يرعى مع اصحاب القائد المتوكي في تانسيفت ، كذلك دخل الباشا الجديد في مهرجان عظيم ، ثم قرا الظهير في مسجد ابن يوسف ، فاستقر الامر الجديد في عهد الباشا الجديد . فطوبت بذلك صفحة الاكلاويين في الحوز الى أن تفتح يوما آخر قال : ثم خرجت الى قبائل الكيش التي هي ايبالتى حتى نظمتهما ، ثم جئت لآعين الباشا منثو في القبائل التي ضمت اليه ، زيادة على باشوية مراکش ، فذهبت الى (دمنات) ، وقد كان قائدا فيها القائد علال الاكلاوي أخو التهامي والمدني الاكلاويين ، فأخلاها لما عرف أنها مسندة الى ادريس منثو ، ولكنه ما

كاد يخرج منها حتى دخلها القائد محمد - فتحا - ابلاغ ، فاخرجته منها ،
 وقد كنت قدمت امامي القائد صالحا الزمراني ، فنقب هو واصحابه في السور ،
 ففتحوا الابواب حتى اخرجوا ابلاغ ، قال فلما دخلتها ، صار السيد العباس
 الثنائفمئنتي يقول للناس : ان الناجم من قواد النصارى ، وسبب ما قال :
 هو ان الاكلادين اطلقوا علينا الدعاية باننا ما تولينا الا بقوة اولئك النصارى
 الذين دخلوا فاسا ، يوم خرجنا منها ، وقد اعلنوا اننا تلقينا اوامرهم يوم
 زرناهم ، فبسبب ذلك صارت مضادتنا تحوم حول هذا المحور ، فقام امثال
 الثنائفمئنتي ينزعم معاربتنا كهجاهدين فينا ، ولذلك قام من قاموا على
 وانا في دمنات فصاروا يجمعون جيشا على القبائل ، ومعهم الخنصال المشهور ،
 وكل قبائل الشلوح ، فبقينا في حرب معهم نحو ستة اشهر ، وقد امدنى
 القائد العيادى بمائتى فارس وخمسين ، والمتوكى بمائتى راجل وخمسين
 فارسا ، فكنا نحارب على السور ، ولم نسد الابواب ، فكلما زحفوا يرجعون
 بالموتى . فلما لم يلبثوا شيئا ، ولم يقدروا ان يحتلوا المدينة نزلوا الى
 السراغنة . فاتهبوا اولاد خلوف ، ثم زادوا الى ان وصلوا الحمادنة ، وفى
 ذلك اليوم قتل القائد اليعقوبى ، قال وبعد العصر رأينا اولئك المغيرين يرجعون
 بكثرة الغنائم ، فخرجنا اليهم ، فاجاناهم فى وجه الليل الى الهزيمة المنكرة ،
 ثم فى صبيحة اليوم الثانى خرجت بالدافع وبالرشاشات وبالجند ، فتبعتهم
 الى وادىضة ، فواقفنا قليلا الى ان قتل منهم . : 350 فارسا فاجفلوا اذ ذاك
 اجفال الارانب نحو جبالهم ، ثم رجعت الى دمنات ، فصارت تتوارد على الهدايا
 والتوبة من تلك القبائل المجاورة لتلك الناحية ، ثم قرب عيد الاضحى ،
 فذهبت مع الشيوخ الى مراكش ، فعيدنا مع الباشا . ثم اخرج الخليفة مولاي
 ابو بكر لى فرسا عتيقا . وعليه سرج فائق ، وقد اجتمع كل قواد الحوز للتعبيد
 مع الخليفة ، فذهبنا معه حتى صلى صلاة العيد كالعادة ، فامضينا الاسبوع فى
 حليات الميدان ، ثم ودعت الشيوخ . وقد استقام ما تحت ايديهم ، فاستقر امر
 ادريس منو فى تلك القبائل بهم ، وقد تركت هناك مظامير الزيت المخزنى ،
 فاعطينا فيها للبيع مائة الف ريال ، فابى الباشا من بيعها ، فبقيت الى ان
 ذهبت بعدنا ، قال وكانت سكناي فى رياض القائد الحافظى فى دواب
 زمران . بجومة باب دكالة ، ثم ان الحاج التهامى ذهب الى فاس فلم يلاق
 خيرا ، لانه صار يتطلب الرجوع الى محله ، وقدم خنشات من اللوز ، فبذ
 السلطان ذلك نبدا امام الناس فطرده ، ثم سافر الى طنجة عند المهدي
 المنابهي ، فقام معه المهدي حتى مكن ما بينه وبين الفرنسيين ، فكان مما قال
 لهم المنابهي اذ ذاك : ان القائد الناجم انا اعرف الناس به ، لا يمكن ان
 يسلس القيادة لغير المسلمين ، لكن هؤلاء الاكلادين تجد فرنسة منهم ما تريد ،
 فهم الذين ينبغي ان تعتمد عليهم فى الجنوب ، فاذا صار الحاج التهامى لا

يعتمد الا على الفرنسيين ، ولا يعتمدون الا عليه ، فتم الامر بين الفريقين ، ولكن ينتظرون الفرص ، ثم ان القائد المدني اتى الى مراکش ، وفى نيته قلب الحكم . وقد ضعف امر السلطان ، وعلا عليه رأى الفرنسيين ، ولهذا الضعف قلب السلطان رايه ، فاعطى الكلمة للاكلويين فى مراکش بالضغط من الفرنسيين ، فإراد هؤلاء ان يقرأوا فى مراکش الظهير بذلك ، قال : ولكننا نحن - وقد عرفنا ان ما كتبه السلطان انما كتبه تحت الضغط - نقف فى وجه قراءته ، ولم تكن الظواهر تقرأ الا يوم الجمعة بعد الصلاة ، ولا تقرأ الا فى المساجد الكبرى ، كابن يوسف وجامع باب دكالة ، والكتيبة ، والمواسين ، وبريمة فى دار المخزن ، فقسمنا المساجد الكبرى بالحراسة ، لئلا يقرأ فيها اى ظهير ، فيقف القائد عبد الملك المتوكى على الكتيبة ، فيرسل خليفته العربى اليها فى كل يوم جمعة ، ويقف القائد محمد بن الجبالى واصحابه فى ابن يوسف ، والقائد الناجم واصحابه فى باب دكالة والقائد صالح واصحابه فى المواسين ، والقائد يرعى فى مسجد بريمة ، فيبقى الابر كذلك ، وقد ملأ الاكلويان : المدني والتهامى ديارهما باخوانهم المتسلحين ، وقد كان القائد العيادى يعيننا فى كل شىء ، فاتصل الاكلويون مع القائد عبد السلام البربوشى ، احد قواد الرحامنة فصار يخطط معهم ، وقد كان هو والعيادى ، وابن الزادى ومبارك ابن التهامى والطاهر بن الاعظم ، توصلوا بالظواهر فى يوم واحد ، يوم بيعة المولى عبد الحفيظ ، فلما هب عبد السلام بريح الاكلويين ، قام ضد القائد العيادى ومن معه ، فثارت معه فتاك الرحامنة حتى اتسع خرقهم على الراقع ، فهرب القائد العيادى من الرحامنة مع القواد الآخرين الى مراکش فعادت الفتنة جذعة ، ورجع الفساد يسود فى الحوز ، فرجعت هيف الى اديانها ، حتى انحجر القواد كلهم بمراكش ، وكانت العامة فى خارجها وفى هذا الجو المظلم ، طلع نجم احمد الهيبة متالفا ، فكان ما كان .

مع الهيبة فى مراکش

قال : فى يوم من الايام وصل البنا خير مضمته : ان القائد عبد الرحمن الكلولى صار يستنهض ولد الشيخ ماء العينين دولاى احمد الهيبة ، ليقوم الى الجهاد ، فيرسل اليه بعض السلاح وبعض المال ، وذلك كله سرا ، قال : وفى يوم ورد مولاى احمد الايلوكانى الشريف الهشتوكى ، فاجتمعنا معه نحن القواد فى دار القائد عبد الملك المتوكى ، فتداولنا امر الهيبة ، فقلنا له : اذهب وانظر لنا الرجل ، ايصالح ان ياتى الى هنا ام لا يصلح ؟ فذهب ومر بأهله آيت ايلوكان ، فوجدهم لم يبايعوا الهيبة بعد ، هم واهل ماسة التابعون للاغبنالويسى ، فذهب مع اهله فبايعوه ، ثم امره الهيبة ان يكتب الى القواد بمراكش بما رآه من استقامة امره ، قال الحاكسى ، ثم ان

المتوكى ارسل ايضا الشريف مولاي عليا واخاه مولاي محمدا المتوكيين - وكانا هما المكلفين بعسكر متوكية - فوصلا الهيبة وهو نازل في هواره في طريقه الى مراكش فلما استوعبا احواله ، رجعا فقصا على القائد ما رايا ، فود القائد عبد الملك لو جاء الهيبة على طريق حاحة لثلا يينا باياله ، ولكن القائد عبد الرحمن ثنى الهيبة عن ذلك ، ليخفى عن الاعين ما كان له وللالمانية التى تملده بتلك السياسة سرا ، فامال وجهته الى طريق (امسكنر:وض) خوفا عليه ان ترميه قنابر البوارج فى سيف البحر الذى لا بد ان يمر به ان سلك ذلك الطريق ، فيكون فى ذلك القضاء عليه ، وعلى سائر اصحابه ، وعلى ما هو بصلده فى لحظة واحدة ، ثم ان المتوكى ارسل خليفته العربى فتلقى مع الهيبة فى مبدا ايالته عند (تاركانت) فاهدى له : الا ان الاعراب اهانوه فارجلوه ومن معه عن الحيل ، فآسر ذلك فى نفسية القائد المعروف بغيرته الاسلامية ، لكونه ضد الاكلاوين الذين رفعوا راية النصارى ، قال ثم اننا نحن القواد حتى المدنى الاكلاوى والحاجى ، والعربى خبّان وجميع القواد الذين انحشروا اذ ذاك فى مراكش صرنا نعقد الاجتماعات فى دار المتوكى ، فكان يحضر فيها القنصل الفرنسى ، فيتداول الامر فيما يفعل فيستنهضهم القنصل للقيام لمقاومة الهيبة ، فيجيب القواد بانهم الآن منعزلون عن قبائلهم ، وقد سادت الفوضى الناس ، فالقلوب ثارت فيها النعرة الاسلامية ، ثم نزل الهيبة فى (ايهينتانوت) فضاق الامر بالقنصل ، فجلس مع ادريس مننو ، فقال له : انك وحدك المكلف بمراكش دون كل هؤلاء القواد . وهنا الآن من الفرنسيين والانكليزيين والالمانيين وغيرهم من ابناء الدول ، من يخشى عليهم من الفوغاء ومن الهيبة يوم يحتل المدينة ، قال فارسل الى ادريس يستشيرنى فيما يفعل فالتفت القنصل الى قائلا : ان هذا الباشا صاحبك . وامر الاجانب عظيم ان وقع فيهم حادث ، فقد اظهر صاحبك هذا عجزه عن المحافظة على المدينة ، لان يده خالية من اية قوة ، وانت الآن هو الوحيد بين القواد الذى لا تزال قبائله تحبه ، فتخرج اليها وتدخل بلا خوف ، فقلت لا اعدو ان اكون واحدا من الناس فى هذا الامر ، ثم رايت ان افك العقدة فسألته عما هو المقصود عنده فقال مقصودى ان تبعد التجار من الاجانب والقناصل واتباعهم الى اسفى ، خوف ان يفتك بهم فاتكون ، فقلت له وقد اردت ان افرج عن صاحبى ادريس مننو بسرعة - حسنا اننى سابكر فى صبيحة الغد باصحابى الى خارج باب دكالة ، فاعلم كل اجنبى كيفما كان تاجرا او طبيا او سياسيا ، لاجد الجميع هناك ، لنسافر بهم ، فمن لم نجده هناك فلا يلومن الا نفسه فيما عسى ان يقع ، فارسل القنصل فى الحين الرسائل الى جميع الاجانب الذين فى المدينة ليتهاوا الى السفر صبيحة الغد ، ومن اراد ان يتأخر فليكتب ذلك بتوقيعه فى هذه البطاقة . ففرقت الرسائل ، وفى الصباح سافر الكل الا

ألمانيا واحدا ، والا فرنسيين منهم قبطان وكوماندانر ، وفسيلان ، وطبيب لهم
 وترجمان ، أمروا من حكومتهم ان لا يخرجوا من مراکش ، قال فقدت الجميع
 أنا بنفسى مع مائة فارس وهم على البهائم فى قافلتهم، ومعهم كثير من المتاع
 بل معهم يرتغالى منكسر الرجل حمل فى محفة ، قال : فلما فارقتا وادى
 تانسيفنت رأينا فى الافق من اليمين الى الشمال سواد اتخيل من الرحامنة ،
 فلما رأوا الاعلام من جهتنا ، جرى الى بعضهم ، فقالوا لى : أحتى انت الذى
 نظنك مسلما تقود بنفسك النصارى ؟ فقد احبك كل الناس بسبب ما
 يظنونه فيك من غيرة الاسلام ، فقلت لهم : هل القبيلة هى التى ارسلتكم ؟
 قالوا نعم ، فقلت لهم : ابلغوا القبيلة عنى . وقولوا لها : اعقلوا عنى وافهموا
 ما اقول لكم ، فانا منكم وانتم منى ، وما انا الا مسلم . على الاسلام اموت،
 وعليه احيا ، ولكن المميز لا بد ان يفرق بين المواقف . فانتم ايها الرحامنة ،
 ثرتم ثورتكم المعروفة عند موت السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن ، ثم
 وقع لكم ما وقع ، ثم ثرتم عند موت مولاي الحسن . فوقع لكم ما وقع ، ثم
 وقعتم على مولاي عبد العزيز امس القريب، وشكركم الناس حين كسرتهم مولاي
 عبد العزيز الذى ما جاء الا بقوة النصارى ، فالآن يا اخواني لا تفسدوا
 سمعتكم بعد ان حسنت ، فلهذا اليوم غد ، ولكل عمل جزاء ، وانتم تعلمون
 ان (وجدة) ما احتلها النصارى الا بموت نصراني واحد قتل هنا فى مراکش
 وان (الدار البيضاء) ما احتلها النصارى الا بمثل ذلك ، اتريدون ان نترك
 هؤلاء التجار من النصارى - وهم كثيرون - ، يبقون فى مراکش حتى ياتيهم
 اهل سوس ، فيقتلونهم فيذهب الحوز كله بجميع قبائله بذلك سدى ؟ فيميزوا
 بين الامور بارك الله فيكم ، واسمعوا من اخيكم الناجم المسلم ما يقوله .
 وافهموه حق الفهم ، وها انذا الآن بينت لكم ، واعلمتكم اننى خرجت بهؤلاء
 النصارى ، لاوصلهم الى آسفى ، ليذهبوا عنا بباسهم وبمشاكلهم ، فينجون
 من الهلاك ، لننجو نحن بسبب نجاتهم من الهلاك ، فهم فى عهدتى الآن ، فلا
 تصلهم اية يد حتى اوصلهم الى آسفى ، وهى فى يدى امانة . فان اردتم
 يا اخواني ان تغفروا ذمتى فى امانتى، فاننى ساموت عليها ميتة الشرف ، بلغوا
 من وراءكم ما قلته لكم حرفا بحرف ، قال : ثم رجعوا من عندى ، فاجتمع
 عليهم الرؤساء الرحمانيون ، فاستوعبوا ما قيل لهم ، فقال ذوو الراى
 منهم: ان ما قاله القائد الناجم كله صحيح، وهو عندنا مصدق فرجعوا الى، فقالوا: زد
 امامك بكل امان ، قال : ثم ذهبت بهم الى قبة سيدى احمد ، فانزلتهم حتى
 طعموا ، والوقت وقت صيف ، ثم بت معهم فى قبيلة اولاد دليم ، فاذا بمرض
 الم بى . لكونى كنت ازلت القفطان فاصابنى البرد ، فصار اصحابى يتناجون
 بينهم بان ما اصابنى هو تأثير همة الهية ، وان اولياء سوس ضربونى من
 بعيد . قال : لكننى تجلدت ، فارسلت اصحابى مع النصارى الى ان دفعوهم

فمرت بزاوية سيدى الزوين . فبت عند سيدى حامد ، فدخلت عنده الحمام ،
فنفعني فبرئت ، قال وفى العشية ، قيل لى : ان خليفة الهيبة مرييه ربه ،
سيبيت الليلة فى (دار ولد عناية) من قبيلة ايت يمنور ، ومعه القائد
المدنى الاخصاصى وسعيد بن الحسن الامزالى من ثلاثاء النحاس - جعل قائدا
اذ ذاك على قبيلته بظهير من الهيبة ، فبت انا فى (الرديزات) من ايت يمنور
قال : فاذا ذاك خرج الحاج التهامى مع جند قليل الى فساطيط فسى باب الرب .
على نية محاربة السوسيين ، فكتبت رسالة الى مرييه ربه ، أعلمه بان ما
عسى ان يسمعه من ان المخيمين فى باب الرب سيدافعونهم عن مراکش لا
يؤثر فى عزائهم ، فليزيديا امامهم الى المدينة ، فلا يرون الا خيرا ، فلما
وصلهم الرسول جعلوا يسألون الرسول من هو ومن هو ، فاخبرهم بأنه من
عندى ، فقرأوا الرسالة ، فاستدعى مرييه ربه القائد المدنى ، فسأله عنى ،
فقال خيرا ، وقد كان التعارف تقدم بينى وبين القائد المدنى أيام الكيلولى
وفى الغد ذهبت فسلمت على مرييه ربه ، فذهبت معه فكنت اول القواد
المراكشيين اتصلا به ، ، فنزلنا فى (اسنوفيس مولاى سعيد) وهو بستان
كبير من الزياتين فاهدت فى تلك العشية ثلاث ناقت لمرييه ربه ، كما اهدى
ولد مولاى سعيد الثاء صملوحتى فرسا ، قال : فاذا بذلك الجند الذى كان
رابط امام باب الرب جاء بعد هروب الحاج التهامى عنه . مع قائده : القائد
مبارك الديلمى ، فتقدم الى جيش مرييه ربه ، فانضاف اليه . فقام اليه الاعراب
والى من معه . فجردهم من السلاح . فجمعوه فى خباء ، وقد سرق بعضهم
منه أو من بعض مسامير البندقيات وهى حالة تندر بان الاعراب هؤلاء لا
يفهمون ما يريدون اقامته من الملك - قال : وقد كان مع مرييه ربه :
الفقيه سيدى محمد اعبو الهشتوكى كوزيره ، ثم فى الغد جاء القائد عبد
الملك المتوكى فى موكب ، فلم يكذب يصل المكان الذى يخيمون فيه حتى ثار فى
وجه الاعراب يقولون : هذا نصرانى ، هذا نصرانى ، فيقول له احدهم :
تشهد يا هذا فيقول انا مسلم دائما : اشهد أن لا اله الا الله . واشهد أن
محمدا رسول الله ، فدخل الى مرييه ربه ، فجلس قليلا ، ثم خرج فذهب
ليلقى مع الهيبة الذى جاء وراءه . فليفته هذا ، قال ثم اتصلت بالفقيه اعبو .
فقلت له : ما هذا العمل ؟ اكلمنا جاءكم كبير تقابلونه هكذا ، جاءكم القائد
مبارك بجنده فجردتموه واهنتموه ثم جاء اليوم المتوكى فاسمعتنوما اسمعتنموه
فهل تدوم لكم حالة على هذا النمط ؟ فصار يعتذر ، فقال ماذا عسى أن نصنعه
مع هؤلاء الاعراب الذين لا يفقهون للسياسة معنى ، وقد ندمت على مصاحبتي
لهم ، قال : ثم جاء ادريس مننو وبوخبرة مع أصحابهما الى مرييه ربه ، قال
وكنت حاضرا ، ولم يقابلهما احد بمثل ما قابلوا به المتوكى ، وفى عشية

اليوم استهل هلال رمضان ، قال فدخلت الى مراکش فاذا بكل الناس فى
الازقة يعلنون بيعة الهبة فى بهجة وفرح غريبين ، لان الناس خافوا من
الفرنسيين ، وسئموا من المغام ، فلما سمعوا بمن ينصرون الاسلام ، وبمن
يقولون لا مغام ، احبوه من اءهاق قلوبهم ، فتنطح الوجوه بشرا ، والقلوب
مسرة ، قال : ثم دخل مريه ربه الى القصة ، فنزل فى قبة الصويرة ،
قال ثم وصل الهبة ، فسبق الى مشهد مولاي عبد الله بن حسين فى
تامصلوحت فزاده - قال قائل كان معه يوم زاده ، وقد كان صاحبه من
سوس : عهدى بوجه الهبة يطفح نورا الى ان زاد مولاي عبد الله بن حسين ،
اذا بذلك النور قد ذهب ، وعلته غيرة قاتمة ، قال : فاحسب ان ما كان يعتمد
عليه من سر ربانى فقد ذلك النهار هناك - هذه مقالته نكتبها للتاريخ بكل
تحفظ - ثم نزل صهريج البقر ، فهناك ذهب القواد كلهم : ادريس منو والقائد
المدنى الاكلوى ، والقائد المتوكى ونظراؤهم ، فدخلوا عليه جميعهم فى وقت
واحد ، قال الحامى : وقد كنت انا لا اكاد افارق آل السلطان الجديد ، فصار
الناصحون يأمرون الهبة ان لا يدخل المدينة فيابى ، فلم يسترح حتى دخل
الى القصور الملكية ، ثم ان مولاي ابا بكر ، امره مريه ربه ان يخرج من دار
الحلافة ليسكن فيها ، كما ان اخاه الهبة دخل الى دار الملوك ، فصار مريه ربه
يجلس فى (البنيقة) التى كان يجلس فيها الوزير احمد بن موسى . ثم صار
أهل المدينة يواخلون فى كل عشية بتقديم الموائد الى اصحاب الهبة فتطلع الى
دار المخزن بالمئات ، فشق ذلك على الناس . -

(وصعب على الانسان ما لم يعود)

ومنهم من يدور أمام الديار ، فيتطلبون اعانة المجاهدين فى مانية ، فربما
ملت امرأة يدها بشى ، فيؤخذ ما فى معصمها نزعا ، ومنهم من يقف أمام
دار ، فيطلب صاحبها ان يخليها باذن من السلطان الهبة ليسكنها هو .
ومنهم من يقف أمام دار فيأمر من فيها من النساء أن يسرن معه ، ليعقد
عليهن له أو لاصحابه ، زاعما لمن قالت ان لى زوجا أن ذلك النكاح فاسد ،
لانه كان فى عهد النصارى ، الى امثالها من جزئيات تعدد وقوعها من رعا
الاعراب ، وهكذا انقلب ذلك الفرح الذى تلقى به المراكشيون الهبة واصحابه
الى بغض شديد ، قال : ان الفرح لم يدم الا ثلاثة أيام ، ثم صار يتناقص حتى
صار حقدا وضغينة وكراهة ما مثلها كراهة ، حتى ان الفرح يوم غادروا مراکش
يساوى الفرح يوم دخلوها ، قال : وهن جملة ما حضرت له اذ ذاك ، اننى
كنت جالسا والباشا ادريس منخو ، فولج علينا اعرابى فى عرصة ابن ادريس
التى كان يقطنها ادريس منو ، فقال بكل جفا لادريس يا بغل ، اعطنى مفتاح
(المرس) الفلانى الذى تحت يدك ، فان علباءك الغليظة تقطر دهنا ، فتار
ادريس ثورة الحق ولم يتكلم ، فغاب عنا كثيرا . فقلت للاعرابى : ما هذا

الذى قلته للبasha، فقال يجب عليه ان يعطى (المرنس) الذى ملاه قمحا وشعيرا : فقلت له : وهل انقضى ما توصلتم به من مرنس الحكومة الكبير - مرنس الحاج حمادى - ؟ فقال كيفما كان الحال لا بد من مرس هذا الانسان ، فقلت له انه مرسه ، وفيه جوبه الخاصة له بملكه . فقال : وهل للانسان ان يملك اليوم شيئا خاصا وحده بين المسلمين فى ملك سيدنا السلطان ولد شيخنا وشيخكم الشيخ ماء العينين فسكت عنه ، ثم خرجت فرأيت ادريس فى جانب العرصة . وقد اغلق بابها ، وهو واقف على عمل يعمل امامه ، وقد أخرج كل من فى العرصة من الاعوان ، فذهبت اليه فاذا به وحده مع عبيد له ، يحفرون حفرة يهينها لاقيار الاعرابى ، فجعلت استرحمه عليه ، فاقول له بحق الصعبة لا تفتح علينا بابا يعسر سده ، وهو يابى الا ان يقتله فيدفنه فى تلك الحفرة العميقة، حيث لا يكشف احد امره، فلم ازل به وأنا أترامى على رجله بعمامتى حتى تنفس غضبه ، فقلت له : انا اكفيك مؤونة هذا الاعرابى الجلف ، فرجعت فوجدت الاعرابى لا يزال ينتظر ، فثرت فى وجهه ، فاقمته من مقعده يبدى بعنف ، ثم عتلته حتى أخرجته من الباب بغلظة . وأنا اسبه سباعظيما، فذهب، ثم ذهبت الى الهيبة فحكيت له ما وقع . فلمته على أفعال هؤلاء الاعراب القبيحة بالناس أجمعين . ثم حكيت له ما فعله الاعرابى ببasha المدينة الذى سبه فى وجهه ، وطلب منه كذا وكذا ، فقال : ان (آبنا ولد الحبيب) - وهو اسم الذى جاء الينا - ما سقله فى ذلك الا امثال محمد بن عبد العزيز ، وقد كان هذا يدور مع عشرين من الاعراب فى المدينة . يامرون - فى زعمهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعلن انه قاضى السلطان ، هذا مع ان اعرابهم اذ ذاك لا يصومون ، فيتجاهرون باكل رمضان ، وبالاختلاف الى ديار الساقطات والناس ينظرون ، قال : ثم نصحت الهيبة ، وقد جالسته يوما ان يخرج الى خارج مراکش بجيشه ، ثم يستدعينا نحن القواد الغزنيين ، فيطلب منا الاعانة للجيش المجاهد ، وأن نقوم نحن بأنفسنا وبأموالنا للجهاد ثم قلت له أنا اول من يفتح هذا الباب ، فاذهب بما عندى من المال والسلاح والحيل لاكون قدوة لغيرى ، فقال اننا ارتائنا ان نرسل أولا خليفة فى الطليعة . فارسل اعرابيا يسمى ولد مصباح . لا يفقه للحرب لا قبيلة ولا ديبرا ، فبعثت معه خليفة لى ، فمضى الجيش حتى رابط فى اربعاء الصخر ، فاذا ذاك زحف اليه الجيش الفرنسى من الشاوية على خفية ، فرأى بعض الخدائق من اصحابى ممن كانوا مع خليفتى كلبا من كلاب النصارى سبق الى ذلك المحل ، فذهب الى ولد مصباح ، فقال له : ان هنا كلبا للنصارى ، وهو يدل على ان زحفا من جيش منهم قريب منا ، فلم يصدق ذلك ، قال فاذا بالجيش الفرنسى دهمهم فقتل كثير من منهم وفر الباقون ، ومن قتل من اصحابى اربعون كلهم شجعان وبينهم الخليفة الذى ارسلته ، واسمه ابراهيم ابن السيد

الدليمي ، ثم خرج بعده مرييه ربه مع القائد حيدة وجنده ، والهشتوكيين ، وكل قواد رأس الوادي ، وكان حيدة هو كبير الجيش ، فربطوا في فنترة تانسيفت قال : فارسلى الهية مع القائد يرعى ، لنرى كيف الجيش ، فلما رجعنا الفيت الفقيه الشيخ أبا شعيب الدكالي ، فاستدعاني ، فعراني في الخليفة ثم قال لي : لا عقل لك ، فانك لا تعرف هذا العصر وقوته ، فمن ذا الذي يقدر أن يقف أمام الجيوش الزاخرة التي ترسلها فرنسة ؟ ثم ذكر انه سيرسل سائمته الى تسرح عندي ، فاعمت له بذلك ، ثم لقيت الفقيه محمدا اعبنو بيكي وهو متوجه الى الجيش ، ولا ندرى ما يبيكه أفرح بالشهادة التي يقبل عليها ، أم قرح على الحياة التي سيفقدها ، فقلت لصاحب لي هكذا علمنا ، اما استعظام لقوة النصاري ، واما بكاء بكاء النساء ، ثم رجعنا فقلنا للهية : اننا راينا الجيش ، فنطلب الله أن ينصره ، ثم تلاقي هذا الجيش في سيدى أبى عثمان مع الجيش الفرنسى الزاحف ، فاندحر جيش مرييه ربه امامه في لحظة واحدة ، ثم سبق مرييه ربه الى مراکش كل المهزمين . كانها جاء ليكون مبشرا لا منلدا ، قال : كنت اجالس السوسيين كثيرا اذ ذاك . وكان سيدى الحاج الحبيب البوشوارى من أكثرهم اتصالا بنا واصحابه ، ومولاي أحمد من آل الشريف ، وصالح بن الحسين ، وأحمد الافيرى ، وكلهم هشتوكيون . اتلاني معهم عند الباشا ادريس منو ، لانهم يفترون عنده دائما ، والشهر شهر رمضان ، قال أعطيت يوما لسيدى الحاج الحبيب (لوبيزات) من ذهب فابى أن يقبلها منى ، مع اني ما اعطيته لها الا لاننى اراه بين السوسيين عالما حسنا ، كسيدى الطاهر الافرانى ، وسيدى الطاهر الهشتوكى ، وهؤلاء كثيرا ما يدخلون على الهية .

قال : كان القائد مبارك عنثو الايوبى البعمرانى ابن عم الحاج على البعمرانى المتقدم الذكر ذهب يوما بكل البعمرانيين الى الاتلاوى ، وهم : سيدى أحمد نقتالب وامثاله من الاعيان ، فتعشوا عنده ، وتذاكروا معه ، فالان لهم الفول ، وقال لهم أنا اخوكم ومسلم مثلكم ، فى كلام آخر ، فلما ارادوا أن يخرجوا أعطى لكل واحد منهم صلة خاصة من المال ، فلما أخبر المتوكى بذلك ، ارسل الى مولاي أحمد من آل الشريف الهشتوكى ، قال وكنت ساعتئذ مارا بدار المتوكى . فدخلت عنده ، فطلبت منه حليبا لتشربه أنا ويرعى ، فقال لمحمد ابن عبد الرحمن ، اذهب مع بنا الناجم الى ذلك المحل ، فسيبنى الى رياض كما كان اشتراه . ففرشه فراشا جديدا ، فلما رجعت من الرياض قال لي : ان البعمرانيين تعشوا امسى عند الاتلاوى . وقد فرشت ذلك المحل لاضيف فيه بدورى الهشتوكيين ، وقد ارسلت الى مولاي أحمد ليأتى معهم ، ثم لم ننشب ان جاء كل اعيان الهشتوكيين ، منهم الفقيه اعبنو ، وأحمد الافيرى ، وصالح ابن الحسين . وأحمد الايد أكثرانى فمزلوا هناك ، ثم قال لي المتوكى : فماذا

ظهر لك من هؤلاء الاعراب ، فانهم كفأوا علينا الانا، حتى لم تبقى فيه نmale
 - هذه عبارته - فقلت له ماذا اقول ، فقد خاب فيهم الظن حقا ؟ فظهر انهم
 انما كان غالب دن معهم خطافين . قال : ثم كان وصول مريسه ربه من
 الهزيمة قبل سحر يوم ، فارسل الينا الهيبة انا ويرعى وانفلوس والكلولى -
 والكيلولى هذا ما وصل الالى منذ يومين فقط - فوجدنا مريسه ربه منحيا امامه ،
 فقال ان الخليفة جاء بلباس والحمد لله . ونريد منكم ان تخرجوا التلاقوا هذا الجيش الزاحف
 الى مراکش ، فقال انفلوس بشرط ان تستدعى الينا المتوكل والمدني والتهامي ، فاننا اذبحهم
 بيدى هاتين تقربا الى الله بذبحهم ، فالتفت اليه الكلولى . فقال له : ما تقول ؟
 ما تقول ؟ ما تقول ؟ - استنكارا لما يقول ، فقال له انفلوس والله ما فضحنا
 ولا فضح هؤلاء ، ولا كل المسلمين غيرك . فان هؤلاء السادة كانوا فيما يعرفونه
 من اذكاهم ومن علمهم ، وهن ارشادهم للناس ، فلم تزل بهم حتى اثرتهم
 وشغلتهم بما لا يعرفون له قبلا ولا دبرا ، فهل رأيت الا عاقبة رايتك
 المافون ؟ فهذا انتلدا تاخرت عنهم بعد ان استرثتهم ، ثم لم تجىء
 الا افس ، ثم انك والله لتعربن غدا ، فتفرقنا على لا شىء ، فخرجنا انا
 ويرعى ، فذهبنا الى ادريس منو . والليل لا يزال فتسحرنا ، وخرجت من
 عنده بقرطاس احتجت اليه لبندقياتي . فذهبنا انا واصحابى الى دار المتوكل ،
 فوجدت عنده القائد العيادى . والفقيه التكرورى السباعى ، وقد كان التهامى
 الاكلوى حاضرا ، فانخنس عنا لما رآنا داخلين ، فقام التكرورى وطلب من
 يرعى ان يذهب معه ، فاعتذر له . فخرجت مع يرعى ، فتفرقنا كل الى
 داره ، فصرت انهيأ بالقرطاس للدفاع عن مراکش المهتدة بالعدو ، ثم وصلنى
 رسول يرعى يستحثنى ان اصله لى الحين . فذهب فوجدت عنده كل الفقهاء
 السباعيين ، فقلت ما تريد ، فقال ان الحاحين باعوا كل ما ينقل عليهم من
 فضل الزاد من السممن والسميد ، وسيخرجون الى بلادهم الآن ، فلنخرج نحن
 كذلك ، فصرت أندد عليه واخاصمه ، فقلت فيما قلت : انك انت الذى تبث
 افس القريب الدناية للاعراب بالكذب ، تقول ان المدفع عندهم ينسبح ، وان
 الرصاص يبرد امامهم ، الى امثال ذلك مما كنت تزرف به علينا يومذاك ،
 والآن تريد ان تفر ، فافعل بنفسك ما تشاء ، واما انا فوالله لا اخرج معك ،
 فذهبنا الى حال سبيل ، ثم مررت بمجلوب كان يجلس فى دجل خاص به
 امام زنقة من زنقات (المواسين) - ويسمى مالكا التناف - فالتفت اليه ثلاثة
 قروش . فصار يقول بكل ما فى فيه من قوة : الله يحفظك . الله يحفظك ،
 الله يحفظك ، فصادت رجلا بعمرايا يسمى جامع بن موسى الايوبى ، فادسك
 فخلد اسماكة غريبة ، حتى اثرت فى فخذى اصابعه ، ثم مر ولم يقل شيئا ،
 وقد كان يختلف الى التهامى الاكلوى ، ثم لاقيت القائد مباركنا عشو البعمرانى
 فقال لى : انك لا تزال تدور هنا ، والناس يتربصون بك ليقتلوك . ففهمت

حينئذ دعنى ما فعله بفخذى جامع البعمرانى. من انها اشارة خاصة لكل ذلك .
ثم جاء الى اخصاصى نهب الاكلويون لباسه. ودمغوا رأسه . وذهبوا بسلاحه.
ثم أرسل الى العربى خبثان ، فذهبت اليه ، فوجدته قد هيا للرحيل . وقد
حمل على بغاله متاعه ، فقال : عندى الخبر بانكم ستخرجون الى الجهاد . فزيد
ان لا تخرج حتى اخرج معك ، ثم اتنى الخاكي عليه اسلامه ووجه للخير -
ثم امرته ان يرجع البغال الى محلها ، ثم حكيت له الواقع من اننى حيران فى
امرى ، وان الناس فى هرج ، فلم يكذب يرجع ببغاله الى الاروى حتى وجد اصحاب
الاكلوى ، طاروا باحدى بغاله ، فذهبت الى داره ، فأتى صبي صغير ، كنت
اعرفه قبل من جهة التهامى (يتجسس على) فقال ان الاكلوى ضربه ونزع
منه سلاحه ، فأمرت اصحابى فأعطوه السلاح والقرطاس . - فعلت به ذلك
لعلنا نستميله - فذهب واخبر الاكلوى ، بان اصحابى مسلحون موجودون ،
ثم بدأ الاسفار فى الافق ، فذا بالقائد صالح جاء الى ، فقال ماذا تصنع ؟
فقلت له : ان كثيرين من اصحابى فى الجيش الذى ذهب ليدافع ، وفى الحين
سمعنا طلقة مدفع من الجهة التى يأتى منها الجند الفرنسى ، فقال اسمعت
المدفع ؟ فقلت نعم ، فقال اذهب بنا لنرى هذا الاعرابى الذى قلب اوضاعنا بما
فعله بنا ، فركبت على بغلتى ، وركب صاحبى على فرسى ، ومعى اربعة جنود
فقط ، واما القائد صالح فليس معه الا رجل واحد ، ثم لما وصلنا قرب درب
(زمران) رأيت رجلا ينزع عمامته ثم يردها فى الحين ، ولم يقل لنا شيئا ،
فلما ساءتنا الدرب اذا بحركات الزناد ووضع القرطاس فى البنادق فوفعت
فرقة عظيمة ، فثرت فقلت بكل ما فى صوتى من قوة : ان هذا محل السبعة
الرجال فان اردتم الحرب ، فاخرجوا بنا الى خارج المدينة ، فقبض الله ايديهم .
ولو ردونا لهلكنا كلنا فى الحين ، ثم ذهبنا قدما حتى وصلنا رياض الحاج
علاء بن بيهى ، فخرج منه مولاى المصطفى الذى كان قاضيا . فقال ما هذا ؟
فقلت له لا أدري ، ثم لاقيت القائد كاتبنا ، فقال اننى كنت اريد ان اذهب
الى دار المخزن ، فلم اجد منفذا اليها ، فان الطلقات تتتابع ، يضرب الاكلويون
الاعراب ، ثم ملنا من جهة ثلاثة فحول حتى مررنا بدار المتوسى ، فرأينا خيله
واقفة عند صودعة الكنبية ، فذهبنا الى الخيل فرأيناها مهيأة تنتظر خروج
القائد ، فوجدنا القائد يرمى مع صاحب له قد وقفا ، ثم خرج المتوكى ،
فقال لى اركب على فرسك ، فكرر لى ذلك ، قال وأنا اذ ذاك لا ازال جاهلا
لما وصله الحال ثم أسر الى بان الاعرابى صاحب البطائن - كلمة سب - قد
هرب ، فاستدعيت القائد صالحا ، فقلت له : ان صندوقك الذى هو امانة
عندى ، هو فى يد الوصيصة مسعودة فى دارى ، ولدى الصغير محمد ابو
نوس لا تلحقه يد ، قال ان ولدى هذا سميت فى وجدة على كنية سيدى
يعيا ابى يونس ، وقد ولد لى هناك ، فوصلنا انا وخيل المتوكى الى (باب

الرب) فوجدنا هناك الاكلويين تمكنوا فى الباب وفى البرج فوقه ، فخرجنا
 حتى وصلنا (صهريج البقر) فاذا بالتهامى الذى كان قد تبع الهيبة قد رجع
 عنه ، فتوجه حتى دخل (باب ايقلى) فلمح القائد عبد الملك المتوكى ، فارسل
 اليه ان يتبعه الى دار المخزن ، فتكررت الرسل اليه ، فقال له احد اصحابه
 يطلبك الباشا الاكلوى لشريفك وانت تناخر عنه ، فقال له انها تاخرت
 خوف تلويث سمعتى ، ثم قال له : اذهب وقل لمولاي على ان يعطى مائة فارس
 للقائد يرعى والقائد الناجم ، قل الحاكى وسبب هذا ان القائد يرعى كان
 قال للمتوكى : ان هؤلاء الاعراب الذين غدرونا ، لو اعطينتى انا والناجم مائتى
 فارس لاعتقلناهم لكم ، فان خيلنا معا قد ذهبت الى سيدى ابنى عثمان ، ولم
 ترجع بعد الينا ، ثم ذكر الحاكى ان ما قاله يرعى انها هو حيلة منه ايضا
 تسمية حاله على المتوكى ، قال فذهبت انا ويرعى مع ذلك الرسول ، فلما
 وصلنا ايام قبة الامام السهيلي ، اذا بكثير من السوسيين الذين تخلفوا فى
 سيدى ابنى عثمان ، وهم جم كثير ، فقال صاحب المتوكى ابدأوا بهؤلاء ، فقلت
 له : لا والله ، فان هؤلاء اخواننا السوسيون ، وانما غرضكم فى الاعراب الذين
 تقولون انهم يعتدرون على الناس ، قال : فوجدت فيهم الباقية من اصحابى ومن بغالى
 وخيل ، وقد هلك كثير من اصحابى وخيل فى معركة سيدى ابنى عثمان ،
 فامرتهم ان يتبعوا الاحايين الذين سلكوا طريقهم متجمعين ، وليس عليهم حرب
 ولا يتبعهم احد ، فذهبوا وراءهم ، ثم قال لى يرعى : ماذا ننتظر نحن ، افلا
 نزال نتعلق باصحاب الاوساخ السوسيين هؤلاء ، ثم امر صاحب المتوكى الذى
 معه الحيانة من المتوكيين الذين معه : ان يرموا اولئك السوسيين المساكين ،
 فبدأوا يضربونهم بالرصاص فاخذتنى الحمية ، فكنت احدهم ، وقد دخلت فى
 غمارهم فحارب اصحاب المتوكى معهم . فكنا نصاب كثيرا وكثيرا ما يضرب
 مترادفون على جمل او بغل فنتظم رصاصة واحدة كل المترادين ، فصرت
 احثهم على ان يسرعوا وان يتقدموا الى الامام ، ثم ان القائد يرعى ذهب فسي
 اصحابه حتى ابعد عنا . فوقف فارسلى الى عبده لاذهب اليه ، فقلت له :
 سلم على القائد يرعى وقل له : وداعا الآن ، فان طال الحياة فسنلتقى ، وان
 متنا فمسامحة بينى وبينك . ثم صرت انادى ايها الهشتويون ، ايها
 الهواريون ، ايها البعمرانيون : زيدوا ايامى ذانا وراءكم ، فالتفت الى رجل
 هشتوكى اكثر انسى ، يسمى شيرتا فقال : انرمى نحن ايضا بدورنا هؤلاء ،
 فقلت له لا ، ولكن خففوا عن بهائمكم هذه الاثقال ان كان لكم غرض فى البهائم ،
 والا فاتم عارفون ان لا مطمع لكم فى البهائم بعد . فصاروا يلقون الاثقال عنها
 حتى اذا وصلنا القائد يرعى قال : ابعد عنا لوجه الله البارود ، فانك بمن
 تجمع حوليك من هؤلاء هكذا ، سيقصدنا كل ذى بندقية ممن يقصدون اهلاتنا ،
 فلم اجبه ثم زدت مع الناس ، وقد بقى حولى من اصحابى الباقين نحو عشرين

من الفرسان . لكنهم اسود الهيحاء . لا يصطلي لهم بنار ، فلما ابعدنا عن المدينة امرت السوسيين ان يدافعوا عن انفسهم كل من قاربهم ، وقد تمكنا من نواصى امورنا ، فلما وصلنا ايت ييمور ، صار اليموريون يقتلون بحيلة من معنا من ارباب الصحراء ، فان اليمورى ياتى بقعب لبن ويعرضه امام الاعراب فيهش له الاعرابى ، لان شربه للبن هو لذته الوحيدة المألوفة فى حياته ، فاذا اخذ القعب وصار يشرب ، يطلق فيه اليمورى بندقيته فيذهب بسلبه وبفرسه ، وقد تعدد ذلك امامنا ، فكنت اصرخ فى وجه الاعراب المساكين نهيا لهم عن الاغترار باى قعب قدم لهم ، ولكن الاعرابى ينسى كل شىء كلما رأى بياض اللبن ، قال : فلما وصلنا (الحصية) فى تكتة ، انفطر قلب فرس عندى عزيز ، كنت اتيت به من انكاد ازاء وجدة ، وهو عندى كسكاب ، علق نفيس يعزز ويكرم دائما ، يجاع له العيال ولا يجاع (1) قال : فنزلنا هناك وقد انقطع عنا الطلب ، حتى اكلنا وشربنا عند من معهم بعض زاد واوانى المزاولة من السوسيين ، واما انا فيدى صفر من كل ما يذاق ، فذهبنا الى : (بوجمادة) دى (آل السباع) نقصد دار يرعى وهو معنا يسبقنا باصحابه حتى وصلنا داره ، فنزلنا فيها ونزل السوسيون حوالى الدار ، وبينما نحن نتهيا لشرب الاتاى اثر الدخول ، دخل على انسان نادانى للاقاة اناس خارج الباب ، فخرجت فوجدت ممن كانوا معنا بعض الشتوكيين ، وشذاذ القبائل المتجمعة التى كانت تسير بسيرنا من مراکش ، من البعمرانيين والهوادرين والجزوليين ، والازغاريين ، وبين ايديهم خمسة اكباش ، فطلبوا منى ان اتوسط لهم عند القائد ليرسل معهم من يخفرهم حتى يصلوا دار القائد العربى خبان بالشباطمة ، فقلت لهم ان الامر سهل ، فلا تخافوا فاننا لم نطلق فيكم الايدى امام باب مراکش حين كانت النار ملتظية ، افنجزتم الآن ونحن فى امان ؟ ثم قلت لهم اننى هنا غريب مثلكم ولكن سأتكلم عنكم مع رب الدار ، فحكيت له الواقع ، فقال ابلفهم عنى انهم اضيافى فى دارى ، وغدا سيكررون مع خليفتى الى دار خبان ، ثم ضيفهم ومانهم هم وبهائهم ، وهناك جاء فقهاء القبيلة : سيدى العربى الساعدى ، وعبد المعطى وسيدى الضوء ، وابن المدنى ، فصاروا يديرون الكلام فى الحوادث الواقعة من جراء الهيبة ، قال : كنت فارقت مراکش كيوم ولدتنى امى ، ولم احمل معى اى شىء من دارى حتى الكسوة ، فلم املك الا ما على ، فاعطاني اذ ذاك الفقيه سيدى عبد المعطى رداء حسنا ، فلبسته على جبتى ، قال : هذا ما قدر الله على ، فقد خرجت منسلا خاوى الوفضة ، وتركت ورائى كل شىء ، فلم

(1) كسكاب كحذام : فرس لعربى ذى فيه يخطب بعض الملوك ساومه فيه .

(أبيت اللعن) ان سكاپ علق نفيس لا تعار ولا تباع

مفداة مكرمة عينا تجاع لها العيال ولا تجاع

أحمل معي ولو درهما واحدا الا ثلاث رياللات . ولا متاعا ولو قليلا . ولا فراشا ولا ما تضم عليه الاصابع ، مع ان ديارى المتعدة التى تصل 12 طافجة بكل شيء ، فعمد اليها الاكلوى كما هي ، فاسترط الجميع . والله ما اعطى وله ما اخذ ، فان كان سليمان الفاسى ذهب بمناعى فسي فاس من دار واحدة ، فان الاكلوى ذهب بمناعى من اثنتى عشرة دارا من مراکش (سم قال ها انذا اثر الاستقلال قد رجعت ، فاین ديارى يا عهد الاستقلال ؟) قال فبقيت هناك فى دار القائد يرعى خمسة ايام ، ثم انتقلنا الى داره الاخرى فى سيدى المختار فنزلت عنده فيها اياما ايضا ، وهناك وصلنى القائد مبارك الذى كان الاعراب سلبوه امام مربيه ربه ، وقد جاء اليهم مع جنده ، فارسلته الى عيسى بن عمر ، وهو فى داره البعيدة ، كما أرسل يرعى صاحبنا له ايضا اليه ، نامره ان ينظر فى قضيتنا ، هل يمكن جبرها لنعرف ما نحن فيه او لا ، ثم آنست فرسانا يختلفون الى القائد يرعى ، اربعة او خمسة ، ارى ذلك كل يوم ، ولا اعرف ما يروج ، ففى يوم قلت له : ما هذا الذى ارى من مجئ الفرسان واياهم ؟ فقد يؤتى لى ان الامر يدور حولى ، فان كان الامر صحيحا كما ظننت ، فلا عليك ، فوجهنى لتنجو انت والشريفات اللاتى فى دارك ، فقال حقا انك كمجنون يخبره الجن بالواقع ، ثم انكشف الحال انه كانت الرسائل والاجوبة حقا تدور حولى ، فقد كان الاكلويون يطلبون منه ان يسلمنى لهم ، ثم يكون له هو الامان ، فيتمتع من ذلك دفعا للممرة التى تلحقه فى اخفار اللمة فى اضيافه ، ثم كتب اليه الفقيه التكرورى رسالة يقول له فيها : انك يا يرعى لست من صميم السباعين الاصليين ، وانما اجدادك قيون لسيدى المختار ثم اندغم فيهم آباؤك الاخيريون . ثم انك ان غدرت فى ضيفك يوشك ان يفضحك الله فى اهلك فضيحة عظيمة ثم اننى - ان فعلت ما يكاثبك به بعض الناس ، ففقدت ضيفك سائين للناس اجمعين ما هو اصلك ونسبك ، قال : ثم ارانى يرعى احدى الرسائل التى جاءته فى ذلك من اجل ، وقد سمعت منها بين ما سمعت بعض ما ذكرته ، قال : ثم مر بنا ، وانا هناك (مرون) الالماني التاجر من السويرة الى مراکش فاعطانى مالا لمعرفه كانت بينى وبينه ، ثم رجع من ارسلناهم الى عيسى بن عمر ، فاخبرونا بان المتوكى سياطينا انا ويرعى ليعتقلنا فان كان عندنا مهرب فلنبادر اليه قبل وروده ، واذا ذاك غيرنا انظارنا ، وعزما على مقادرة الحوز الى سوس ، فبمجرد ما وصلنا هؤلاء الرسل قبل غروب الشمس صرنا ندبر امرنا بسرعة ، فسرب يرعى ماله الناض وما غلا من متاعه الى احد اصحابه الذين يستأمنهم ، وارسلت انا العيال الذين كانوا وصلونى وشيكا الى زاوية سيدى عبد الله بن حفيظ بالشيظامة ، ولم تصل العشاء حتى صار السباعيون يظهرن العداء لقائهم ، حتى انهم خطفوا من باب داره بهائم له . فركبت

فى اصحابى ، وركب فى اصحابه . فلما ابتعدنا عن داره ليلا ، وقف وقال :
 ربما ضللنا عن الطريق ، فوقفنا مليا نتأمل فقللت له : قفوا انتم هنا حتى
 ارجع ، فسادهب الى دارك متتبعا للطريق ، ثم ارجع فيها لارى هل نحن
 سائرون فى الطريق المعتادة ؟ فذهبت فرجعت ، فلما وصلت المكان الذى
 تركتهم فيه لم اجد هناك احدا لا اصحابى ولا يرعى واصحابه ، فسرت انا
 وصاحبان لى ، فلما زدنا ما شاء الله مررنا بقرية تنبع كلابها علينا ، وقد نام
 الناس ، وابهار الليل ، فناديناه وراء الديار ، فخرج الينا رجل فاتنا بقعبه
 لبن ، ثم سألته عن الطريق السورية ، فرددت اليه الاناء بعد شربى فمددت
 معه شيئا من دراهم فطلبت منه ان يذهب معنا حتى يرينا الطريق ، فذهب
 معنا حتى وقفنا عليها ، ففسرنا فى المعجزة فسرنا قلما ، حتى وصلنا قدام
 دار القائد سعيد الشياظمى ، فمررنا حتى وصلنا (تفتششت) فلم نشعر حتى
 سقط العبد الذى معى عن فرسه فى جعفر ماء (١) ، فاجتهدنا حتى استخرجنا
 الفرس من قعر الجعفر ، فجلسنا لنستريح ، وقد ودعنا صاحبنا ، فلما طلع
 النهار صلينا الصبح تحت الاسفار ، فاذا بثلاث طرق فاخترنا الوسط
 من بينها ، وقد اضر بى البرد كثيرا ، لان لباسى رقيق ، فصرت اسعل وخفت
 ان امرض ، ولكننى تجلدت مع ما احس به ، وقد حرصت على ان نتنكر
 فوصيت اصحابى ان لا يكلموا احدا زيادة على رد السلام عليه ان سلم ، فزدنا
 وقد عرفنا اننا فى طريق السويرة ، ثم تلاقينا مع سبعة اعوان لبعض القواد
 فكدنا ندهش من ملاقاتهم . لاننا تحت ضباب الخوف يؤتى اليها انه ربما
 يعرض لنا احد ، ولكن هؤلاء مروا من غير ان يتكلموا معنا ، فلما وصلنا
 (ثلاثاء الحشاشان) وجدنا انسانا قال لنا : انكم اصحاب الناصرى الذى مر
 بنا فى اصحابه ، فوصفهم لنا ، فعرفنا انهم القائد يرعى ومن معه ، فقللت له
 نعم - وقد عرفت ان يرعى جعل نفسه مرابطا ناصريا لان الناصريين اذ ذاك
 هم الذين يسافرون على تلك الهيئة يعنى بذلك عن نفسه - ثم قال انه يامرهم
 ان تتبعوا طريق اربعة اداو كسراض (فزدنا نحن فى تلك الطريق
 السورية احتياطا ، ولم نتبع طريق الاربعاء التى سلكها يرعى ، لاننا
 سنلتقى فى (تمانار) ، ثم لاقينا قافلة ، فلما مرت سمعت قائلا فيها يقول
 ان هذا هو القائد الناجم ، ثم رجع الى ، فنادانى فليبينه ، فقال اريد ان اتكلم
 معك على حلة ، فتحدثت معه ، فقال ان لك عندى امانة من عند محمد الامين
 ولد الزاوية . فقلت له ما نوعها ، فقال سلها من ملف اسود ، وعشرة
 اوطال من اناى ، ولقافة كنان من نوع (حياتى) الرقيق فاخذت منه السلها
 ولقافة الكتان ، وامرته ان يدفع الاتاى للسيد الشافعى من أبناء سيدى
 المختار السباعى الذى سيمر به عند قبة سيدى المختار . وكان السيد الشافعى

حبيبي ، فأكرمته بذلك لوجه الله . ثم نزلنا لنستريح من كثرة اللغب ، فنام أصحابي لكثرة أعيانهم ، فبت أنا حارسا الى أن استيقظوا ، ثم سرنا الى أن وصلنا قرية فنزلنا عند رجل معروف بالكرم قصدناه لذلك ، بعد ما سألنا عن كريم يقصد في القرية ، فضيفنا خير ضيافة ، وقد ذبح لنا كبشا ، وعلف بهائمنا ، فسمرت معه بعد نوم أصحابي ، فسألني عن اسمي ، فقلت له اسمي احتياطا - والتكر واجب على كل من كان في مثل موقفنا - ثم سألته عن العربي الفويري الذي كان صاحبا للقائد عبد الرحمن الكيلاني ، وقد كنت عرفته مع القائد سعيد ، فقال : انه مر هنا مبكرا ، ثم طلبت منه بعد أن نهضنا من عنده أن يسبقنا ليهدينا الطريق ، فسرنا حتى بتنا في مشهد سيدي (أبي زكري) فوجدنا القائد يرعى وأصحابه كما خرجوا من هناك ، ولا تزال النار مشتعلة في الاتافي التي طبخوا فيها ، وفي الغد سرنا امامنا فوجدنا أثرهم ايضا في (تيسنقارين) ثم سرنا حتى أطللنا على (تهمانار) . حيث دار القائد عبد الرحمن ، وقد كان القائد يرعى سبقنا إليها، وقد جلس حين أقبلنا على القرية . هو والقائد يرعى في العلية المشرفة العالية على الباب ، وهما يطلان من النافذة المقابلة للطريق فرأيا سوادنا ، فتناول القائد عبد الرحمن المرأة المقربة ، فعرفني بما نعني به القائد يرعى ، ثم تلقاني في الباب ، ثم اخذ بيدي القائد عبد الرحمن اجلالا واحتراما وحسن تضيف ، وقد كان يرعى قال له : ان القائد الناجم قد غدر ، فرجع عني ، ولكنه لما جئت كذبه الواقع ، ثم رحب بنا رب المثنوى ، وأكرمنا في تلك الليلة اكراما دائما ، وقد اجتمع علينا الكبار من الحاضرين هناك ، فسمعت الجميع يلومون الاعراب ، وينعتونهم بكل وصف قبيح ، خصوصا الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي ، وفقهاء آخرين، حتى أكثروا وتجاوزوا الحد ، ثم لما ذهبوا ليناموا قال لي يرعى ماذا نصنع بعد عند هؤلاء الذين يسبون الاعراب الذين نقصد الالتجاء اليهم ؟ أما نخاف نحن ايضا بلورنا منهم ؟ فقلت له : ان هؤلاء أنا أعرفهم وعجبت طباعهم ، لا يغدرون اضيافهم . وانما جعلونا كانفسهم ، فقالوا امامنا ما قالوا ، ولكن يجب عليك أنت ان تسد فاك ، ثم لا ترى منهم الا خيرا ، قال وعند الصباح جاء القائد فصلي معنا الصبح عند الفجر ، ثم هيا لنا الحمام ، فأتانا بالطيور التام ، ثم طلبت منه أن يودعنا فاننا مسرعون ، لنذكر الهبة والذين تجمعوا عنده في تارودانت لنقودهم الى ما فيه منفعة المسلمين قبل أن يتفرقوا . فما جئنا الا للجهاد لا للحفلات ، ثم أفعمت أذنيه بالشكر على حسن ضيافته ، فاذ ذاك طاب نفسا بوداعنا ، ثم أخرج الينا كسوتين تامتين ، وأعطاني أنا بقلة وجوالقا وحملا ، وكل ما يحتاج اليه من الربط ، فقال : ان عندي تحبرا بانك خرجت من دارك من مراکش بلا شيء ، ثم قال : هل وصلت اليك امانة من الدراهم . فقلت له نعم . وقد كان أرسل

الى حقا تلك الدراهم ، فقدر فيها الرسول ، فلم ارد ان اقول له لم تصلى .
لئلا بظن اننى اقصد ان يعطينى ثانيا ، ولذلك اجبته بانها وصلتني ، والحقيقة
اننى لم ارها ولم تصلى ، ثم بنا فى عين (افرا) عند ابن عدى صهر
القائد عبد الرحمن ، فهناك حكى لنا رب مثوانا انه كان حج فى رفقة مع
التهامى الاكلوى ، قال فقمتم له بكل مؤونة يتوقف عليها ثم سلفته زيادة على ذلك
خمسماة ندرال ، ثم لم يردھا الى الى الآن ، ثم التقينا بخليفة القائد عبد الرحمن اخيه :
الحاج الحسن الكيلتولى فى وادى (ايت امر) وقد ركب على حلس بقلّة تتدلى
رجلاه على جنبها وهو سمين يرفض عرقا تحت حمارة القيط ، وقد كان
خليفة لآخوانه على أكادير سنين متعددة . ثم طرده الاعراب اليوم من اكادير ،
فصار يلومنا على ذهابنا الى أولئك الاعراب الخائسين للعهود ، والهاتكين للحرم
والدم ، قال : اننا نحن الذين اقمناهم ومهدنا لهم كل شيء ، واسسنا
لقيادهم بالدعاية والمال والسلاح وربط الاسلاك مع كل جهة ، ثم ها نحن
اولاء لا نرى منهم خيرا ، فقد دخل على جلف من أجلافهم ، فأخرجنى من دارى
مرغها ، وها انذا ارتحل منها كائننى احد المجرمين ، قال ثم ودعناه فسرنا الى
الامام . فتسوقنا خميس (تامراغت) وقد كان لى هناك معاريف حين كنت
أتجر (كما تقدم) ، فقاموا لى بكل ما فى طوقهم من الضيافة ، فصاروا
يتواردون على بالشواء والتمر والفواكه ، وكل ما يوجد فى السوق ، وبعد أن
استرحنا ركبنا ، ثم بتنا فى فندق ابن عدى فى (فونتي) فوصلنا رسل الخليفة
الاعرابى الم رابط فى اكادير ، وهو الذى أخرج منه الخليفة الحاج الحسن الكيلتولى
فاعتلرنا باننا لا نقدر على الطلوع الى اكادير . وقد أعيننا ، ثم جاءتنا مؤونة
الضيافة حين لم نذهب اليه ، فيها ستة قوالب من السكر ، والاثاى ، ولحم ؛
ثم فى الفد ذهبننا الى (كسيمة) فلما وصلنا مفترق الطرق بين (انتركان)
و (الدشيرة) فقلت لاصحابى اننى كنت أعرف آل (انتركان) وفيهم نزلت
مرارا ، والان عظم شأن آل (الدشيرة) فلا ندرى الى من نذهب ، فلنترك
البغال تذهب بنا حيث يطيب لها . فارخينا لها الاعنة . فاذا بها مالت الى
(الدشيرة) فتأقانا الرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمن من آل الحاج العربى ،
فضيفنا خير ضيافة ، ثم أثنى على سيدى محمد بن عبد الرحمن ثناء عطرا ،
قال ثم انه بعث الى الهية يعلمه بورودنا ، وقد وجدنا فرحا عظيما يوم
ورودنا ، لان الناس يكبرون امثالنا من القواد ويرون لهم شانا عظيما فى
ميدان السياسة .

فى تارودانت

قال : ثم خرجنا من (الدشيرة) وقد تركنا هناك فرسا لنا اضر به الطريق
اضرارا عظيمة . حتى لا يمكن ان نصاحبه الى مقصدنا ، وخلفه لنا سيدى

محمد بن عبد الرحمن باخر ، جزاه الله خيرا ، فرحنا الى (اولاد تيمه) في (هواره) عند ولد الحاج محمد ، فاذا هناك شرفاء ، فلاليون ، فاشتبكوا مع يرعى في امر الملك ، وقد قالوا له : من اين جاءكم الملك ايها الاعراب . فان الملك لنا نحن الفلاليين ، فيجاذبهم يرعى ومن معه الحديث في ذلك امتزج فيه الجد بالمزاح ، وكم جد يصاغ في قالب المزاح . وقد هدأت الحديث لئلا يتشعب ، ، ثم صمدنا الى المدينة ، فتلقنا الاعراب في الوادى الوعر بالبارود والزغاريد والمدفوف ، فدخلنا (تارودانت) في زحام الذين تلقونا بهذا الفرح العظيم الذى مسح بعض ما نشعر به من القربة والبعد عن اموالنا واهالينا ، ثم سلمنا على الشيخ الهيبه ، فرحب بنا ترحيبا لا يكيف ، ثم اعطانا رياض القائد ناصر في (تيسنجيرين) فنزلنا فيه عزابا الى ان ورد على بعض العيال ، ومن بينهم أم ولدى التى وضعتها بعد حين في دار الفقيه سيدى محمد اعبو ، ثم ان الهيبه عين يرعى وزيرا ، وعيننى انا رئيسا للحروب . ثم اشتقلنا في الحين بمحاربة القائد حيدة ، وقد كان تاخر في مراکش هو والباشا كابنا الذى كان قبل باشا تارودانت ، وقد كان يسعى ليسبق الهيبه الى تارودانت ، فاذا به قتل في الطريق في قبيلة (اداوزال) فقطع راسه وذهب به الى الهيبه ، ونهب كل متاعه وبقاله وخيله ، وقد وجدنا راسه حين وردنا معلقا فى (أساراك) - ساحة في المدينة - . وأما حيدة فانه اتصل بعدنا في مراکش بعد انهزامه من سيدى ابي عثمان بالفرنسيين ، فاعطوه الكلمة العليا فى سوس ، فبمجرد ما رجع صار يزحف الى الهيبه واصحابه ، فنخرج لمدافعته كلما زحف ، وقد كان ياتينا مع القائد العربى الضارصورى ومن اليه والمنابهة ومن اليهم ، فتتقاتل معه أولا حوالى المدينة ما بين (لريجة) والمدينة حتى اذا رآى انه لا يجدى قتاله وحده معنا ، حين لم ينل منا مراده ، استغاث بالفرنسيين فى مراکش ، فاعثب بالقائد عمر الامناسى الحوزى ، ومعه القائد فارس الحاحى ، وهو من قواد الارحاء - ومعه جند قليل . فلما لم يجده كل ذلك أعاد الاستغاث ، وتشكى فى أن الهيبه ما دام فى تارودانت فانه لا يومن ان يعلو شأنه من جديد ، وربما يعلو علوا يحتاج فيه الى جهود أعظم مما يبذل الآن ، فرأى الفرنسيون ان يقطعوا دابر الهيبه ، فأتى الجيش الكبير الذى فيه الحاج التهامى الاكلوى ، والعيادى والكتتافى ، ومعهم عسكر فرنسى ، قال : كنت انا وباشا المدينة فى هذا العهد : محمد بن حميدان ، وبعد السلام من اولاد ابن عيسى واخوانه نتولى القتال ، ونكافح بكل ما فى طاقتنا مكافحة المستهيتين ، فنكون دائما فى مقدمة المدافعين ، قال فلما جاء هذا الجيش الكبير سار حتى نزل فى (تازمورت) يوم اربعاء ، وقد جانب المدينة ، فاستولى الفزع على الناس ، فهرب عنا ممن معنا الهواربون والهشتوكيون ، وقد كلن مولاي أحمد من آل الشريف الهشتوكى معنا أولا ، ثم كان

عندنا الخبر بأنه يتصل بالعدو ، فكنا نهتم بأن نسجنه ، الا ان الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى اخبره سرا بما عزمنا عليه ، فهرب (ثم أنه حلف بعد ذلك أنه مظلوم ، والله أعلم بحاله (1)) ، وقد كان الهستوكيون يردون ايلنا أولا بجيشهم ثم لا يجدون فى القتال شيئا ، لانهم سرعان ما يتفرقون ، فيذهبون فرادى بعد ما ياتون جماعة ، وبينما ترى الابواب والازقة تتزاحم بهم ، فاذا (تارودانت) منهم خالية ، وكذلك الهواريون هم ايضا على هذه الحالة ، وهكذا بقيت انا ومن ذكرت من المهاجرين القليلين . لا يدور القتال الا على كواهلنا ، قال فلما نزل الجيش فى (تازنخورت) وذاع الفرع فى الناس ، فتأثر حتى بعض من كانوا يكافحون بجعد ، فقل من الناس من يخرج للمقاتلة ، وقد كنت انا مصابا بجرح فى رأسى ، فقد أصابتنى رصاصة يوما فى محاربة مع حيدة ، فلما لم اجد بدا من الخروج بنفسى خرجت متجلدا مع ابن حميدان ، وأولاد ابن عيسى وأعراب صحراويين ، استنهضتهم وشجعتهم فخرجنا ، فتبعنا قليلون ، فهاجمنا من فى معسكر الذين نزلوا حوالينا ، ثم لا نكاد نحمل حملتنا عليهم حتى يجعل من يقابلونا منهم ، من غير مقاومة ، مما اظهر لنا انهم لا يردون مقاومتنا ، لاننا فى جانب الاسلام ، وهم فى جانب الكفر ، فسوق من بين ايدينا منهم حتى نصل بهم الى المدافع فى وسط معسكرهم حيث القواد الكبار ، فبقينا معهم كذلك الى ما بعد العصر فى ذلك النهار ، ثم رجعنا حتى وصلنا مشهد سيدى عماره فى (أولاد ترنة) فامرت ابن حميدان ان يقف هناك بأعلامه ليحافظ على خط الرجعة ، فذهبت انا لانظر ما يصنع الهيبة وما ينويه ، فدخلت المدينة بموتى وجرحى من اصحابنا الذين أصيبوا ، فامرت بالموتى فدفنوا ، ثم ذهبت الى دارى ، فحملت اهلى ومن معى من الجرحى فاخرجتهم فى باب الحميس ، وهناك قبة على سيد ، فامرتهم ان يبقوا فى القبة الى ان ينزل الظلام ، ثم يذهبون حتى ينزلون على أحمد بن منصور فى (ايت بآها آباها) صهر القائد الحاج أحمد الكسىمى ، فلما رجعت قال لى الوزير يرعى : لماذا لم تعلمنى وقد أخرجت اهلك ، لاخرج كذلك اهلى ، فقلت له : لا يزال الحال كما هو ، فارسل اهلك الى اهلى الذين فى تلك القبة ، ليذهب الجميع فى رفقة واحدة ، فارسلهم بدوره ، فلما استرحت من الاهل ، دخلت حينئذ الى الهيبة ، واللييلة لييلة الجمعة ، فوجدته يرتعد ؛ ويتساءل ما يصنع ، قال : ولم يكن رحمه الله الا رجل العلم والذكر والهدوء ، لا رجل الحروب والشدائد والمحن ، فاعلن انه لا يخرج الى صلاة الجمعة غدا قال : وقد كان عنده شبه جند منظم ، فجعلناه تحت يد قائد رضى قديم ، كان بقى هناك من عهد كابنا ، وهو ردانى منشأ ، فجمعنا خمسة آلاف ريال

(1) هلك فى زلزال أكادير المشهور ، وقد دامت الصلابة بينه وبين الفقيه

بعد هذا الوقت مكانية .

فوضعناها تحت يد القائد سعيد الامزالي وقد امرنا ذلك القائد ان يجمع من قدر عليهم من الجنود ، وجعلنا نهاريًا للجندى : نصف بسيطة - قرشين - وللقائد نفسه ريالاً ، فقلنا له : لا مهمة لك انت الا أن تحضر فى كل يوم جمعة ، حتى يصلى السلطان مولاي احمد الهية صلاة الجمعة بالموسيقى على العادة ، ولم يصل الجند كله ثمانين ، وانما المقصود ذر الرماد فى الاعين ، لنجعل لسلطاننا بعض ابهة ، قال : ثم لما ذكر الهية أنه لا يصل غدا الجمعة ، قلت له : اذن يدخل اليك هؤلاء الذين فى (تازنمورت) حتى ياخذوك كما يوخذ الديك ، فلم ازل اشجعه حتى اسلس القياد ليصل غدا ، وفى القدر خرج كالعادة ، وبعد الصلاة ذهب يرعى الذى يسمى وزيره الاكبر الى داره ، فبقيت انا والهيبة ، وقد كانت العادة ان لا يدخل الهية الى داره بعد صلاة الجمعة حتى يراه من يريده ، وحتى يسلم عليه تلاميذه - على ما كان يعامل به والده الشيخ ماء العينين بين اصحابه التلاميذ - واذ ذاك طلبنى انسان ، فادخل الى فقال لى انى رسول اليك . وعندى رسائل ، فقلت به الى مكان خال ، فاعطانى الرسائل ، فقلت له بعد ما اعطيته دراهم : اذهب الى المدينة لتتغدى ، ثم ارجع الى عشية ، فدخلت بالرسائل الى الهية ، فامر من معه ان يخلينا منفردين ، ففتح الرسالة الاولى ، فاذا هى رسالة اليه ، وفيها : ان الحكومة ستترك لك كل سوس لتنفرد به وحدك ، ولك الامان التام ، والثانية رسالتى انا وفيها لومى على خروجى مما كنت فيه ، ثم الامان التام ان رجعت ، وسيرجع الى مالى وجميع ما ينسب الى ، ان تبث مما انا فيه ، فقال لى الهية ، بماذا نجيب ؟ فقلت له انت المتبوع ، وما انا الا تابعك ، فالح فى أن أعطيه رأى الخاص ، فقلت له : اعلم ان المقصود تخدير أعصابك حتى يتمكن منك الاعداء كما يريدون ، وأما انا فلا أجيب لما طلب منى ، وهل مثلى من يفدر المسلمين ؟ لا عشت حيا الى ذلك اليوم . ثم امرنا بكتابة الاجوبة بكلام حسن ، مضمونه أن يطلب بارسال الكنتافى اليه وهو الذى ظهرت أمانته يوم مر به الهية ، فلم يمد فيه يدا - ياتى اولاً حتى اراه ويرانى ، وبعد ذلك يكون الحير ، هذا مضمون جوابه ، وأما انا فاجبت بأننى مع هذا السيد المطرود من مراکش ، فمتى رجع ارجع معه ، فليس يليق أن أغدره بعد ما كنت معه ، وهذا مضمون جوابى . فجاء الرسول يتطلب الاجوبة ، فمأطلته الى وقت المغرب ، فاعطيته له ، ثم أخرجته فى باب الحميس ، ثم قال الهية ، ماذا نحن صانعون ؟ فقلت له - وقد عزمنا على الخروج من المدينة قبل أن نحاصر فيها - : اول ما نصنع ان نجمع كل اصحابنا المتفرقين فيكون الجميع معنا ، ونتوصل فى الليل بمفاتيح الابواب ، ثم نجعل الحراسة على الابواب كلها ، قال : ثم صار الناس يجتمعون كما أمرنا ، ونحن نجمع ما بقى من متاعنا ، ونحضر الناس على ان يخفوا وأن يعلموا انهم فى وقت حرج ، ونحن مع ذلك نشجع الناس .

الخروج من تارودانت

قال : فلما ابلغ الجواسيس الى الجيش ان في المدينة حركة غير عادية ، عرفوا ان الهيبة سيفر من ايديهم . فاعزوا الى حيدة ان يعتقله ، فزحف حيدة ، حتى وصل (باب الزركان) - أحد ابواب المدينة - فقال حيدة لبعض من معه : ان هذا الرجل نحن السوسيين هم الذين اقاموه أمس ، ورفعوا من شأنه ، وأنا في مقدمة من ايده ونصروه ، افليس من العار أن اعتقله اليوم بنفسى ، لا قوده وهو مسلم الى النصارى اعداء الدين ، فان اراد اليوم ان يذهب لخال سبيله ، فانى لا اتعرض له ، وانما مقصودى أن يبتعد عنا ما يتبعه حيث يكون . من الهرج والمرج فقال له أحد اولاد سعيد ، يسمى الضوء ، وهو شيخ اولاد سعيد ، ايجمل بنا ان نلاقي من اصحابه عركات و صلعات ، ثم نفنى اليوم حتى يفلت هو واصحابه منا ؟ فلا بد لنا ان نحاربه ، فقال له حيدة : افعل ما بدالك بينك وبينه ، واما انا فبرى، منه ومن جريته ، قال الحاكى : ثم تحملنا كلنا بمن معنا ، وقد حمل كل واحد ما قدر عليه من متاعه ، فتوجهنا الى (باب الحميس) - باب آخر من ابواب المدينة - فاذا بفتح الباب قد اضاعه من كان فى يده ، فتزاحم الناس وراء الباب متراكمين يمشون ، ثم صار من فى دار البارود يروننا بالرصاص من سطحها ، وقد كان فيها بعض من يشمتون بنا من بعض سكان المدينة الذين ارادوا أن يتخلوا بمحاربتنا . لما اتفهم غدا عند النصارى ، ومن الى النصارى ، من اولئك القواد الكبار ، قال : فهزمت فرسى بين زحام الناس حتى وصلت الباب ، فقلت للواقفين ازائى : من عنده منكم ما تكسر به القفل ؟ ولم ارد أن اطلق الرصاص على القفل لئلا اصيب احدا مصادفة ، فاذا ببعض اصحاب القائد سعيد الكردوس اتانى بقدوم ، فكسرت بها القفل ، ففتحنا مصراعا واحدا احتياطا ، لئلا يهاجمنا اصحاب حيدة فتزاحم الاعراب فى الخروج ، فسقطت صبية بين المتزاحمين فوطئتهم الحيل بجوافرها فأتت عليهم ، وكل من أثقله شئ ، فهناك القاه ، قال فمن هناك افرقنا أنا وبرعى مع الهيبة . وقد صار الضوء المذكور يرمينا بالرصاص ، وقد تعرض لنا لما فارقنا السور ، فندافعه عن أنفسنا ، قال : ولو اراد حيدة ان لا ننجو لصعبت نجاتنا دن بين يديه ، لان معه جيشا كثيرا يسد به الطريق دوننا ، ثم توجه الهيبة الى جهة (تامنا عيت) وقد حاذى جهة الجبل منذ خروجه من المدينة ، وقد أسرى اليها فوصلها بكرة ، ثم من هناك الى (ايت عميرة) حيث أخوه الشيخ الوالى الذى كان خليفة له على هشتوكه منذ اول بيعته ، وقد كان هناك مع كثيرين من الاعراب ، وهو وان تسمى خليفة لم يعد أن يكون رمزا فقط ، فلا تصرف له فى الهشتوكيين ، قال : واما نحن : انا وبرعى فقد سلطنا طريق (النخيلة) و (الكيفيات) فقبل ان

يسفر النهار ونحن في مشينا حمحم فرسى ، فعرف حمحمته رجل هشتوكى وهو احمد بن عبد الله العيسى ، وهو من اصحابي المخلصين كان معنا في تارودانت ، وله عندنا شغوف على الرؤساء من هشتوكه ، فحين سمع الحمحمة قال لمن معه : ان هذه حمحمة فرسى الناجم ، فاندلق من المحل الذى صادفناه فيه ، فجاء الى باصحابه ، فذهبا في رفقة واحدة ، ثم اصبحنا عند القائد ولد عباد الهوارى الكفايلى ، فافطرننا عنده باستعجال ، فاقلعنا ومقصدنا (اداوئحمحمد) بهشتوكه ، فوصلنا المدرسة ، فلم نجد الفقيه سيدى محمد اعبو فيها ، فافطرننا عند احد اصحابه وجدناه هناك ، فاذا بالفقيه جاء حين وصله الخبر بورودنا ، فرحب بنا كالعادة بالضيوف، فصرنا نتداول ما نصنع، فصار يقول : كثيرا ما اقول للناس : ان هؤلاء الاعراب لا يفيدون شيئا ، وانما يجرون الينا البلاء بامارتهم ، فاطلق في ذلك لسانه ما شاء الله ، قال : كان السوسيون يظنون جهلا منهم ان النصرارى ما كانوا ليمصلوهم بسرعة لولا ما فعله الهية ، وهذا تفكير عقلية ساذجة ، ولهذا تجد كثيرين كالفقيه اعبو هذا يقول في ذلك ما يقول اما عن حسن نية، واما عن خبث طوية ، ثم قال لنا الفقيه : ماذا عسى ان اصنع لكم الآن ، الا انه ظهر لى ان ارسلكم الى محل فيه تلميذ لى هو فى الجبل فى (ازاريف) وهو سيدى محمد الاكرضى الحامدى، تبقون هناك فى امان ، حتى اتم لكم الامر مع الدولة ، فترجعون الى دياركم ، يقول ذلك لظنه اننا نريد ان نستسلم للنصارى بهذه السرعة ، فسأيرته فيما يقول ، وقد ظهر لى منه انه ليس كما كنت اظنه ، قال : ثم وصل الخبر الى الهية اننا فى (اداوئحمحمد) فارسل الينا برسالة ، وهو نازل عند اخيه الشيخ الوالى ، فلم نجد بدا من اجابته فى الحين ، فاخذنا بخاطر الفقيه مستأذنين له ، لاننا فى ضيافته ، وقلنا له لا بد ان نذهب الى مولاي احمد الهية، فان لم يكن الا ان نودعه فذلك هو الواجب على امثالنا مع امثاله - كلمة سائرته ايضا بها - ثم ذهبت الى الزوجة التى كنت ارسلتها اليه - كما تقدم - فرائتها فى دارهى ووللى الصغير وقد كان أحد الجرحى من اقاربها قد مات قريبا ، فعزبتها فيه ، ثم ذهبت بالولد : فقصدنا موضع الهية فى (ايت عميرة) فبينا هناك معه ليلة واحدة ، وفى يوم الاحد قمنا نحن جميعا معه من هناك الى ان نزلنا فى منزلنا الثانى بسوس .

فى آسارُ سيف

قال : كان يتداول على السنه الناس قبل اليوم فى سوس انه لا بد ان يكون لقرية (اسارسيف) شأن فى يوم ما ، ولما كان للشيخ الهية اذن تصيخ لشل هذا ، كان ذلك هو الحادى له حتى نزل هناك ، والمكان فيه آبار كثيرة ، ولاباس بجوه ، والقرية فى قبيلة (ايت ميلك) احدى قبائل هشتوكه نزل الهية فى دار هناك ساذجة ، كالحالة فى كل دور هذه النواحي .

رحنا عشية يوم الاحد ، فظلنا هناك يوم الاثنين ، وفى يوم الثلاثاء يتسوق السوق نى (ايت عيسى) فدخلت الى الهية ، فقلت له اننى ساتسوق السوق اليوم لتتصل بالرؤساء الهسوكيين بادى ذى بدى ، كما تقتضيه السياسة وكما توجهه عادة البلاد ، وقد كنت أنتظر أن يشاركنى فى هذه الفكرة ، فيخرج من جيبه ما نفتح به قلوب اولئك الرؤساء ولكن ذلك لم يتيسر ، فاعتمدت على ما عندى ، وقد نويت ما نويت :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى امره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا به الامر الا وهو للقصد مبصر

كنت عند الشيخ أحمد بن عبد الله فى داره ، وهى اذنا السوق حتى تغدنا - وقد كان غفرتا - فقد خالف القائد سعيدا الكيلولى ثم حاربه فاخلى داره ، ثم رجع اليها ، وذلك منذ خمسة عشر عاما - فخرجنا الى السوق معا فتلاينا مع تاجر يهودى ، كنا نبتاع معه فى (تارودانت) يسمى موشى ازولوى . وكان حاذقا نبيا يداخل الرؤساء دائما كيفما كانوا ، فلما دخل الحاج التهامى الاكلوى الى تارودانت يوم خروجنا منها لاقاه هذا التاجر . فحكى له انه كان يتصرف همى ويقضى لى اغراضى ، وانه لا يريد ان تنالنى القرية هكذا اتقلب فى البلاد شريدا مطرودا ، فكان ذلك هو السبب حتى اعطاه الاكلوى رسالة الى ، فمكننى منها يدا ليدوهوبكى بكاء الاسرائيليين المعروف ، فاذا فيها حتى على الرجوع الى مركزى ، وان لى الامان التام فطويتها ثم وضعت يدى فتناولت من جيبى لوزيات ذهبية كنت خباتها اثر ما دخلت يدى بعد خروجى من مراكز حوادث الزمان ، فاعطيتها للتاجر ، فصرفها لى فى السوق عند الصرافين ، ثم اجبت الاكلوى بكلام حسن مداره على اننى سارى كيف اصنع بحيلة ، حتى افارق هؤلاء الذين انا من بينهم الآن ، فاننى ان لم اخرج بالحيلة ، لا اخرج من بينهم سالما ، فذهب بالجواب ، ثم اشترت على يد الشيخ احمد بن عبد الله كبشا مسلوخا ، فارسلته الى الشيخ احمد بن على البلفاعى مع خمسة عشر قالب سكر ، ومثل ذلك للشيخ موحا الاقيرى ، ومثل ذلك للشيخ موحا ابو السلام الملكى ، ومثل ذلك للشيخ بيهى بن سعيد ، وهو ابن عم احمد بن عبد الله صاحبه هذا ، ومثل ذلك للشيخ هو امصنود ، رئيس (اداو.بوزيا) فعلت كل ذلك ايناسا واستجلابا للقلوب الينا ، وفى العشية صار كل واحد من هؤلاء يطلب منى أن آيت عنده ، فاعتذر له ، ثم قلت لهم جميعا : المقصود أن تجتمعوا غدا عند مولاي احمد الهية ، فبت انا عند صاحبه احمد بن عبد الله . ثم اشترت اللحم الكثير ، فارسلته الى الهية ، واعلمته أن الرؤساء الهسوكيين سيردون عليه غدا ، فاطبخوا الطواجين ، واما الحبز فسأتى به معى من هنا ، فقام الشيخ احمد بن عبد الله على ساق يهوى لى من عنده الحبز المطلوب ، فاشتغل أهله وكل جيرانه الليل

كله ، ثم اتانى بقدر سمن وبقدر عسل ، فوضعنا القدرين والخبز فى جوالق على البغال ، فذهبنا وصلنا الى الهيبة ، وقد اجتمع حوله الرؤساء ، فاكلوا وشربوا ، وقد اظهرنا لهم الفرح الكثير ، واثينا عليهم واطمعناهم فى كل ما يريدونه ، والمقصود هو ما نريده نحن ، والعرب تقول (الانسان قبل الابساس) ثم قال لى الهيبة : ماذا اقول لهؤلاء الآن ؟ فقلت تقول لهم : اننا امس كنا جميعا فى (ترزيت) ثم فى (مراکش) ثم فى (تارودانت) ثم ها نحن اولاء اليوم ها هنا . فاريد منكم ان تصرحوا لى بما فى فلوبكم فان كان لى الامان فى بلادكم بقيت ، وان لم يكن امان اذهب بسلام قبل ان لا تروا منى وان لا ارى منكم ما يسوء اى جانب ، فلما قال لهم ذلك ، نادوا بلسان واحد : انك آمن كل الامان ، فانت سيدنا وبركتنا واماننا ، ونحن جميعا لانفسى الا تحتدايتك التى هى راية الاسلام اليوم فى جميع نواحي المغرب ثم تقول : فالآن تجتمعون انتم واخوانكم عندى هنا غدا ، فدار ذلك كله على ما قرر ، فجاء الجميع فى الغد ، وكان اليوم موسم (قبيلة علال) يوم الخميس ، فقال لهم : اذهبوا مع الناجم ، واظهروا ما تقولونه الآن عندى بين الناس كلهم ، قال فذهبنا كلنا الى الموسم ، فاذا باصحاب القائد محمد بن همو الاغبالي الماسى هناك ، قد ذبحوا فى مشهد السيد الذى يقام عليه الموسم ، وبمجرد ما دخلنا ونحن فى موكب كبير ، خرجوا منسحين وقد استاموا من هوكبنا ، وهذا القائد كان مزور الجناح عن الهيبة من اول يوم . قال وقد كان الفقيه محمد اعبو سافر فى هذه الايام الى (تارودانت) لينصل بمن فيها ، ولم يذهب معه احد من الرؤساء الكبار من القبيلة ومقصوده معلوم لا يخفيه ، فصار الناس كلهم يدكرونه بسوء وصاروا يقولون : ان مقصوده ان يقود ذلك الجيش من تارودانت الى هشتوكة ليخرجنا منها ، وقد كان معه بعض رؤساء صغار هشتوكيين ، وهم همئذ من آل سعيد من (ايت يعزى) ، واحمد بن احمد الاكترانى ، وصالح بن الحسين المحمدي ، وبوهوش من (ادبواغرا) من ايت (باباها اوبابها) الرملية ، وغيرهم ممن ينسجون على ذلك المنوال ، فلما وصلوا (تارودانت) تطلب الفقيه اعبو عن لسانهم ما جاوا بسببه امام الباشا الاكلاوى ومن معه من الكتتافى والعيادى ، فاستدعى هؤلاء حيدة ، فقالوا له : اننا ما جئنا الا لتلبية لرسائلك التى تستثيت بها ، اذ تقول : لا اريد الا ان يخرج الهيبة من تارودانت ، فها نحن اولاء جئنا حتى اخرجناه عنك ، وهؤلاء الهشتوكيون اسمع ما يطلبون ، فيسك وبينهم ، لاننا سنرجع الى بلادنا ، قال ثم لى حيدة فزحف الى هشتوكة ، فتوجه اليها وقد ترك الاكلاوى ومن معه فى تارودانت قبل ان يسافروا الى مراکش . فكان معه اعبو ومن معه حتى نزل فى (الكترون) قال (رجع) ثم لما خرجنا من الموسم

نزلنا على قبيلة (ايت يعزى) فبيتونا واهدوا الى الهية ، ثم الى قبيلة (اداكران) كذلك ، وفى اليوم الثالث ، نزلنا على قبيلة (اداوتمحمد) كذلك ، فاذا بالفقيه اعبو ومن معه سمعوا اجتماع كلمة الهشتوكيين معنا ، فعرف هو ومن معه ان مركزهم منهار، فتملصوا من جيش حيدة ليفيشوا ديارهم وقد خافوا عليها منا ، لانهم سمعوا بما لم يتركوه من اجتماع الكلمة بين الهشتوكيين ، قال : ثم ان الفقيه اعبو اقدم فجاء الى معسكرنا من غير خجل ولا خوف ، فعند صلاة المغرب تقدم امامنا للصلاة ، فابى الناس ان يصلوا وراءه ، وقد وسموه بانه نصرانى ، فلم يصل معه الا انا والشيخ احمد بن عبد الله مسايرة له لما بيننا وبينه ، طمعا ان يهديه الله ، فيرجع عما يصنعه ضد اخوانه المسلمين ، فاراد من حضر ان يقتلوه فى الحين . فطلبت منهم ان يروا فيه وجهى ، فان اولادى لا يزالون بين اولاده ، وفى القدا اعطيته فرسا ذهبه الى ان اهداه للهية ، فعلت كل ذلك معه من اجل المعرفة بيننا ، ومن اجل ما احسن الى به حين آوى اولادى (وهل جزاء الاحسان الا الاحسان) لعل امره يصلح ، ثم بنتا فى (ايت باها اوتباها) فبيتونا ايضا كالعادة وذهبوا بالمؤونة الى الهية ، وبالهدية كما فعلته كل القبائل المتقدمة ، ثم لما انقضى اللور رجعت الى (اسارسيف) فاذا بالقائد عبد السلام الجرارى الوارد من داره فى (تالغينت) جاء فبات فى دار ولد احمد الاقيرى ، وفى الصباح بكر الى (اسارسيف) فاهدى للهية ، فصار من حضر يقولون ، ماذا يريد هذا الانسان ؟ ثم انه قال للهية : اننى ذاهب الى تارودانت ، وانما مررت بكم اولاً لاستئذانك ، فثار الناس ضده ، الا ان الهية اذن له فى الذهاب على ما علم منه من الملاطفة ، وعدم مجابهة احد ، ثم خرج من (اسارسيف) الى ان وصل دار مولود فى (تينتا فوكتت) فقام كل من حضر فى (اسارسيف) من الهشتوكيين والاعراب يتطلبون ان يرجع عن (تارودانت) ، وقد قالوا كيف يمر بنا ليتصل باعداء الاسلام واعداؤنا من غير حياء ، قال وقد كنت انا غائبا عن مجالسهم فى ذلك النهار وامسه ، فلم اعرف عنه شيئا ، حتى بعث الى الهية حين ردوه اليهم ، فوجدته نازلا فى فسطاط امام المحل الذى فيه الهية ، فلما اتيت ومررت امام الفسطاط نادانى احد عبيده اليه ، فدخلت فوجدته فى الفسطاط مع اصحابه ، فقال : يا فلان : احتى انت خرجت من احلك شريدا ، واتى بك هذا الانسان ؟ - يعنى الهية - فقلت له : ماذا نصنع لكم ، فانتم كلكم السبب ، فقد كنا فى ديارنا بمراش ، حتى جئتم اينا ، فاتبعناكم ، فان كان هناك لوم : فانتم اولى باللوم لا نحن ، ثم جرتنا الاقدار حتى وصلنا دياركم ، ثم حكى لى ما وقع له ذهابا وايابا . قائلا ان سبب سفرى هو طلب الشيخ النعمة فى ان اتوسط بنفسى بين هذه الجيوش لعل هؤلاء الكلاب الذين فى تارودانت ،

ان اظهرنا لهم سياسة الخضوع فنهدي لهم هناك ان يرجعوا قبل ان يصلوا
الىنا ، فنكفي مؤونتهم ، ثم جئت الان ومررت بهذا السيد لاستئذانه ، فاذن
لى أولا . فان لم يعجبه الآن ذهاسبى رجعت الى دارى ، قال : قدخلت على
الهيبة فوجدت عنده اعرابا ومعهم يرعى ، فقلت لهم ماذا تريدون منى حين
بعثتم الى ؟ فذكروا لى امر الجرارى ، فقلت لهم انه قال لى كيت وكيت ، ثم
استدعوه ، فدخل اليهم ، فذكروا له : ان الهشتوكيين لا يريدون ان تمر
ببلادهم الى الاعداء فى تارودانت ، ثقال سمعا وطاعة ، فها انذا ارجع فى
احين ادراجى ، فارسل الى اصحابه الذين تركهم فى المحل المذكور ، وفيهم
عبيد صفار هيانهم هدايا الى الاكلاوى وامثاله ، فتها مع اربعة من اصحابه
فخرج من الدار ، فاذا بى اسمع طلفات رصاص ، فخرجت بسرعة ، فاذا
باجرارى مضروبا ، وقد سقط يتسحط بدمه على الارض ، فحوقلت ، وقلت :
اللهم ان هذا ظلم عظيم : وغدر وخيانة ، ثم بادر الاعراب فتناهبوا سلبه امام
عينى ، حتى عروه من كل شىء ، فتركوه تما ولدته امه ، قال ففطينه بنوب
فوقفت عليه بنفسى حتى دفناه رحمه الله . فقد كان رجلا طيبا حسن المقصد ،
ولو كان فيه غش ، لما مر بنا وصارحنا بكل ما يريد ، قال وقد صح عندنا
ان قتله لم يشارك فى المؤامرة عليه لا نهية ولا اصحابه ، الا اعرابيان
الليذان اطلقا فيه ، والسدى امر بقله هو الشيخ سيدى احمد ، من أبناء
عمومة النهية ، وهو الذى كان خليفة للنهية على (اكادير) وقد ضربه صاحبان
لهذا الخليفة ، برصاصتين ، فكذلك ذهب دمه هدرا فهرب بعض من معه ،
وجرح بعضهم ، وقد وصل الخبر الى عياد عشية اليوم ، وعنده الشيخ الدية
وبعض اخوته ، من آل الشيخ ماء العينين ، فاخرجهم عياد فى الحين : خوف
ان يفتك بهم الجراريون الذين ربما لا يملكون انفسهم وقد قتل اخوهم ظلما ،
وقد تان لعياد هودة مشهورة مع اعراب الصحراء .

قائد هشتوكة

قال : ثم اننى نزلت عند مشهد (سيدى بيبى) ومعى جيش من بعض
الاعراب والهشتوكيين مع رؤسانهم ، وقد نزل التانيون الى (كسيمة)
فوصلنا (اينزكثان) فخرج سعيد بن عياد من اعيان هذه الاسرة الرئيسية ،
وكان اذ ذاك كبيرها . فذبح امامنا ناقة ، هذا وقد هرب محمد بن الحاج
الحسن الذى صار بعد هذا اليوم جبارا غنيذا فتاكاً ، (وهو الذى فتك بعمه
سعيد المذكور يوم تولى) وقد كان يوم اطلت البوارج الفرنسية على سوس
اثر احتلال الهيبة ل(تارودانت) ذهب الى (السويرة) أولا ، ثم جاء بعد
الاتفاق مع الفرنسيين فى بارجة وفتت به فى مقابلة (اكادير) فصارت البارجة
تضرب ذلك الساحل ، ولاسيما القرى الكبرى (كالدشيشرة) قال: ثم اقترح

النسايون ان يهدم دار ال (انزاتان) بكايه بمحمد ابن الحاج المذكور ، لما وصلهم عنه من انه يهوى حمله فرسية يغير بها على (انادير) وما اليه من القبائل التي تجاوره ، فعارضتهم في هدم الدار ، ثم غلبوني ، ولكن انصروا على بروج الدار ، ثم ذهبت من (ايزنان) الى (الديسيرة) عند سيدى محمد ابن عبد الرحمن لاراه ، فاذا بالقبائل تسقط على (انزاتان) ايضا من ابارجه ، والمقصود اصابه جيشنا المرباط هناك الذى يهدم الدار ، فانهمز كل من فى الجيس ، فبعينا نحن فى (الديسيرة) الى العشية ، فرجعت الى (سيدى بيبي) فصرت ابنتى ما يكفينى من بعض بيوت فى المدرسة ، ثم صرت فائدة على هشتونة ، بحيث استنهضهم للدفاع .

فى أبى يكر

تم نزلت فى مركز (أبى يكر) فاستترت من ابن عدى الخرطاني ما بنيت فيه تلك الدار هناك ، بتلك الابراج ، قال : فتمكنت فى الهستوكين غاية التمكن ، واحسنوا الطاعة للهيبة ولنا جميعا ، واذا ذاك صرت احارب جهة هواره ، فسمع البعمرانيون بما انا فيه من الجهاد ، فقاموا كلهم والصحراويون فزحفوا الى (اكلو) والى تل قبائل (ازغار) فاحتلوها وقد دخل معهم غيرهم من الغبائل بالاحصاس تحت راية القائد المدنى ، ومجاط، ودعوا حتى نزلوا عند عبد الله بن بلقاسم بماسة ، فصاروا يتكلمون مع القائد محمد الاعبالوبى ، فكان اصحاب القائد البشير من اصنبويا ، والقائد سعيد ، والحسن الخلفى ، والقائد المدنى يذهبون اليه سرا ، باذن فوادهم ، فكان القواد الثلاثة الاولون لا يريدون الا الاموال على عكس المدنى ، ثم اسندعى الاعبالوبى القواد اليه فذهب اليه الثلاثة الاولون ، قيل قسمهم فى ما كوتهم ، فمات البشير والحسن قريبا ، وبقي القائد سعيد فى عفايل ذلك يتداوى بالعنبر ، فلما رأى البعمرانيون ما فيه رؤساؤهم من موالة امثال الاعبالوبى ، قالوا : كل من اراد الجهاد ، فليذهب معنا الى القائد الناجم ، قال : فجاؤا الى بمائة وخمسين فارسا ، فوجدوني فى (أبى يكر) حيث بقينا ما شاء الله ، ثم بعث البعمرانيين الى (ايت بو الطيب) ، ثم غدروهم ، فهاجموا الدار التى كانوا فيها ، ثم انتقلوا الى (ايت بكنو) الذين غدروا ايضا ، فذهبت لانغيثهم ، ومعى اعراب صحراويون ، فنزلت عند الرئيس عليلي الابنكويى ، وهو قاتل الشيخ على الدرقاوى الديلمى ، ففتكت بايت بكنو اذ قطعت منهم ستة عشر رأسا ، فكان ممن انهزم ماسيون جاءوا ليفشوا هؤلاء الغدابين . فجاء الى احمد بن الحاج الاينشادنى ، وبريك من آل الطيفور البعزاولى اللص ، فطلبنا أن أفرج عن الماسيين المحاصرين فى دار بعد انهزامهم ؛ فاذا بهم انجوههم بعد ما فارقوني على أن ياتوا بخيلهم وسلاحهم ، فجاء الى الشيخ الحسين العميرى ، فأعلمنى بأن اولئك قد ذهبوا ناجين ، فرجعت وقد انجيت

البيمرانيين فذهبت بهم الى (أبي يكر) قال : ثم نصدينا لحيدة الذي كان قبل نازلا في (الكرون) من (اولاد دحنو) قليلا ، ثم رجع فارسل جندا من جنوده حتى وصل (ازرو) فذهبنا اليهم فاجلبناهم من هناك ، ثم ذهبنا نحن مع الهشتوكيين ، نهزم الهواريين في كل حرب ، حتى نزلنا في (اكافاي) قرب (تارودانت) فصرنا نحارب جيش حيدة وهو في (تارودانت) .

وممن كان معنا اذ ذاك بين رؤساء همنوكة : مولاي أحمد من آل الشريف ، فصار على عادته بتشيطن بين الهشتوكيين ، فينقلون عنا ، فقام الرؤساء بتفريم كل من تاخر عن الجيش من القبيلة ، ولكن شيطنته اثرت حتى تفرق غالب الناس عنا ، قال : ثم جاء مربيه ربه يقدم جيشا صحراويا حتى وصل اخاه الهيبة ، فاستاذنه أن يقود هؤلاء الاعراب الى الاغباليوي الماسي الذي لا يزال معرضا عن الهيبة وبيعته ، من اول يوم الى الآن، فطاوعه الهيبة ، ولكنه سرعان ما اندحروا أمام الماسيين، وقد كان لأحمد البلغاعي صحبة مع الاغباليوي، ففاظفه الحال لما فعله مربيه ربه بصاحبه الماسي ، فكان ذلك هو السبب حتى غادر معسكرنا ، فالتحق بداره ، كما فعله غالب الرؤساء الهشتوكيين ، فصار الهيبة يكتب الى يسترجعني عن مقاومة حيدة فقلت له : ما هذه السياسة ؟ فاننا الآن قد جمعنا حيدة حتى انجبر في (تارودانت) وحتى صار بسد الابواب نهارا خوفا منا ، فكيف نرجع عنه بعد ما لاحت مطالع النصر لنا عليه ، وثانيا كيف فتح باب حروب اخرى في (ماسة) فهل عندنا قوة تكفي للحرب في وجهتين : بل حتى الذين معي هنا قد ولوا الادبار بسبب ما وقع في ماسة ، ومقصودي أحمد البلغاعي ، ثم الح على الرجوع فامتنعت؛ وقد نصبت اولاد ابن عيسى في (الزيدانية) وعبد السلام ابن الشداخ الماسكيني في (الطاعة) وأنا في (اكافاي) وفي كل يوم يستدعيني الهيبة فآزاد امتناعا ، ثم كتب الهيبة الى سيدي الحاج عبد يطبمنه ان يكتب الى لارجع من هناك فورا ، فكتب الى ، فرجعت حينئذ على رغم انفي، نصاعا لامر هذا الفقيه الصالح ، فتركت أصحابي وجيشي في (اكافاي) فرجت الى (تيدسي) ثم الى (اداوْمَنُو) ثم الى (امْجُكيكلن) فطلعت الى الجبل في (ايت والنياض) عند الفقيه سيدي الحاج عبد ، فحكيت له الواقع من التضييق على حيدة ، وما نحن فيه من السياسة الخرفاء ، وما انذا جئت ، فلماذا يريدون مني بعد ان اديت ما علي من الواجب ، فصبرني وما زال يسي حتى سل غضبي ، فأسلست للامر الواقع ، ومتى كان الامر والنهي في يد غير من يحارب ، فقلما يجني ثمرة اعماله ؟

ثم ذهبت مع فرسان من ايت (تيراست) محمد كروش، ومن (اداوْمَنُو) الحسين اوباشا ، ومن (اكونكا) فنزلنا الى (اداوْمَنُو) فرحنا هناك فجاء الينا الفقيه اعبو الذي يابى ان يتوب مما هو فيه ، فصار يخاصم اولئك

الهشتوكيين الذين وردوا الى ، فيقول لهم : ماذا تريدون ؟ فقالوا : اننا نريد
 اتينا لنجاهد في سبيل الله . فقال اليس عندكم مساجد ، ففيها فجاهنوا ،
 وفي العشي عقدنا المجمع في (اغريستن) فرأيت بعض اناس تأثروا بما قال
 الفقيه وما يفسخ العزائم ، ويرد هم المجاعدين ، ثم آتست الناس ثبات كل
 جماعة على حدة ، فقال لي انسان من اصحابي : اننا معشر الهشتوكيين متسي
 رايتنا نتفرق بعد انقضاء الاجتماع الكبير ، ثبات ثبات ، فذلك هو علامة القدر ،
 وقد كان ابن عم لاعبوي يمشي معه جلس الى ، فصرت اعطيه ليفرق في الناس
 الدراهم ، فيظن انني ابله ، ومقصودي تخدير الاعصاب بالمعطاء لئلا يتم علينا
 ما عسى أن يوتر به حوالينا ، ثم ناديت من جاءوا معي فلذاكرتهم في
 الحالة كيف نصنع معها ، وقد احسست بما احسست من مؤامرة رأس خيطها
 في يد الفقيه اعبوي ، ففوضوا لي الامر ، فلما انقضى ما عندى من رسالات
 الفضة ، صرت افرق ايضا على يد ابن عم اعبوي المذكور لوزنات الذهب فسمعت
 يقول : سنحت الفرصة لصيد اخوت لو وجدت الشباك « هذه عبارته »
 وعند المغرب ، وقد تمشت حيلتي بالنباله لمن يتآمرون على ، ركبت في
 اولئك الفرسان ، فرحت الى (شهد سيدى) « يدر » في (مدرسة ايت عمرو)
 فتركت هناك من معي . فاسرعت ليلا الى (اسارسيق) ، فذكرت للهيبة ان
 ما فعله دمي غير لائق، قلت له : لو ترننتي مع حيدة لاخرجه من (تارودانت)
 التي اصبح منحجرا فيها ، وقد زارنا عليه زئير الاسود ، ولو ارسلت الى
 جيش الاعراب الذي ارسلته الى داسة لقوى به جانبى ، فاستفيد به كثيرا ،
 فصار يعتذر بيرعى ، وأنه هو السبب في كل ما وقع ، ثم قال : ها هو ذا
 ابن دحان المتمكن في (تزييت) سيتوجه بهن معه الينا . وهو يتهاى بجيشه
 ليحرف ، ثم لا يقف حتى يصل (اسارسيق) ، وقد اتى بمدفع مخزنى كان
 من قديم في (التمليم) وما عسى يجدى يرعى ولا ائمال يرعى ان دهمنا
 من نواح شتى بالاعداء الذين يتجمعون علينا ، ولذلك ارسلنا اليك انت ،
 ثم قلت له : بحسب يرعى ان يسمى وزيرك ومجالسك ، واما الحرب فلها
 رجالها وسياستها ، فقال الهيبة : ما ارسلت اليك الا من اجل ما نتوقعه من
 اشتداد وطأة ابن دحان ، وليس معنا من يستطيع موافقته ، فقلت : ومع ذلك
 اجميل بنا ان نغلى ما حوالى (تارودانت) الآن ، ونحن هنا آخذون بالناصية ،
 اقول ذلك تاذقا وان لم اجد بدا من الانصياع ، واخيرا وقع الاتفاق على ان
 ننسحب من تلك الواجهة عن حيدة مرغمين ، فارسلت الى اولاد ابن عيسى
 والى ابن السمداخ . والى من تركتهم في (اكافاي) فجاء الجميع وهم على مضض ،
 وقد كان هذا الانسحاب من الراى المافون كما ظهر اخيرا من رجوع قوة حيدة
 علينا ، وقد ملات - احتياطا - دار ادريس بمشاة كانوا معي ، ثم انقلب
 الرؤساء الهشتوكيون كلهم ضدنا: احمد بن على البلغاي، وموحا الاقيرى، ومولاي

أحمد الشريفي وقبائلهم ثم صار مدفع ابن دحان يضرب تلك الدار ، ولكن لم يجد شيئا ، قال فانهزمتنا أمام جيشهم مغلوبين ليل كفة ابن دحان بجميع الهشتوكيين ، فاتبعني رجل اسمه شمير المسفيوى ، كان مربى عندي قبل اليوم ، ثم فارقه بمراتش بعد وقعة (سیدی أبی عثمان) ثم صاحب ابن دحان إلى (تزیت) فالتقيت معه في ذلك اليوم ، فأراد أن يفتك بى ليحوز الفخر بين أصحابه ، فراوغته وهو يقصدنى عمدا ، فناديته مرارا أن يتولى عني . ثم قتل أحد رجالنا ، فرجعت إليه فاطلفت عليه رصاصة أصابته في وجهه ، ففقد أحمد بن علي البلغاي هو وأحمد الاقيرى مع ابن دحان تحت أشجار ، فصاروا يضربوننى ، وأحال أنهم لا يهدفوننى ، والألا اخطأونى ، لقربهم منى؛ ولكونى حيث يصيبوننى لو أرادوا أصابتنى ، ثم رجعتا إلى معلنا فى (سیدی پدر) ثم أرسلت من أخرج من كانوا فى دار ادريس من المشاة ، ثم رجعت مع (بيهى) نبوسعيد شيخ (ايت عمرو) ومحمد بن بوسلام: شيخ (ايت ميلك) وهمتو امنصوض، وهم لا يزالون معنا من بين الرؤساء الهشتوكيين ، فذهبت إلى الهيبة ، فحكيت له ما وقع لنا من الاندحار فى الحرب ، ثم قلت له : : أنهم سيدخلون فادع معهم . واشكرهم وودعهم ، واطلب منهم أن يصبحوا غدا مع اخوانهم ، وأنا اعلم أنهم لا يرجعون .

فى تيمكر

قال : ثم امرت الهيبة أن يقوم لنقاد (أسارسيف) فقد النقت علينا فيه حلقتا البطان ، وذهب عنا كل الهشتوكيين ، فهاهب هو ومن معه كالوزير يرعى وقائد المشور سعيد بن أحمد الكردوسى ، وأما أولاد ابن عيسى فانهم ذهبوا إلى (ايت مزال) منذ اتوا من هواره ، وأما عبد السلام بن الشداخ فقد ذهب إلى قبيلة (داسكينة) ، فخرجنا من (أسارسيف) فى سواد كثير من الصحراويين ، فتوجهنا إلى (مدرسة) سیدی عبد الله بن ابراهيم الودريمى من (ادازن) ، فاصابنا مطر كثير ذلك النهار فى الطريق ، فصررنا بدار صاحبنا المخلص ، الشيخ أحمد بن عبد الله ، فأرسلت إليه ، فخرج إلينا وقد كان هناك بعض أصحابى مع بعضهم خيل وبغل ، كنت ودعتهم صباح اليوم لذهبوا عني إلى حال سبيلهم ، لأن حالهم لا يعجبني ، فقلت (بيدى لا بيد عمرو) فإذا بهم راحوا إلى دار الشيخ أحمد ، فأخبرت بأن الاعراب ينوون أن يفتكوا بهم . ويذهبوا بما معهم ، فأرسلت إليهم حتى جاءونى ، فخاصمتهم على أن لم يذهبوا ليرجعوا إلى أهليهم ، فاعتلروا . فأمرتهم بأن يبتعدوا فى الحين قبل أن يدهمهم الاعراب ، ثم قلت للشيخ أحمد بن عبد الله : أن الهيبة قد غادر (أسارسيف) وقد رحلنا كلنا . فإن أردت أن تمكث وراءنا فلك ما تريد ، وإن أردت الذهاب معنا فما آنذا أقف حتى تخرج أولادك وما خف

من متاعك ، فقال : كيف أبقي بعدكم وقد عادت كثيرين من اجلكم ، فذهب معنا ، فنزلنا في (اِدازن) وكان الهيبة في دار أخلاها له المرابطون ، ونحن في (المدرسة) ثم جاءنا سيد يسمى سيدى محمد بن عبد الله اللبني الرجل الشهير ، المرجو لكل خير ، فأتانا بتين يابس، وهندية يابسة : ولوز وزبيب فوجدنا بركة ما أتانا به ، فصرنا نتقوت به اياما ، وليس معنا سواء، ونحن نعتقد في هذا السيد كل صلاح . وهو حقيقة رجل صالح كما أظهرته لنا الايام بعد ، وجاءنا أيضا سيدى الحاج عبد فأتانا ببقرة مسلوخة وبشعير ، وبخبز وادام ، وتل ما قدر عليه . فكان ذلك مؤونتنا فبات مع الهيبة الى أن ابهار الليل ، فأعلمه أن هذا المكان ليس له بمستقر فذكر له (نيمكتر) فذلك هو السبب حتى انتقل الهيبة اليها . وهو قرية ذات ماء كثير جار ، وهي في وسط الجبال ، ويشتهل اهل تلك الناحية بالدباغة ، قال : ثم بقيتانا في (اِدازن) بعد الهيبة ، فكاد البق يهلكنا في المدرسة ، فآكترت دارا من عند احسين من آل (بارى) وهي دار كبيرة فيها ابراج ، من الديار التي تحصن للدفاع ، وأما عيالي فانهم عند سيدى الحاج عبد أرسلتهم معه .

ثم صار الهشتوكيون يغيرون على اهل (ايكونكا) وعلى اهل (تيرست) فيذهبون بسما نمتهم ، فأتى رئيسهم : أبو بكر بن جدى الى الهيبة ، فاشتكى عليه ما يلاقونه من الهشتوكيين . فأرسل الى لازل مع هذا الرئيس لادافع عنه وعن أهله أولئك المغيرين . فقلت للرئيس : اتنى في القد لاذهب معك ، فذهبت في اصحابي معه . فنزلت في قرية (تاويريرت ويها) ثم صرت أزحف الى الهشتوتيين بالسرايا ، ففرقتهم جماعات ، فجعلت لكل فرقة من حملة القلوم رئيسا . ومنهم عبد من عبيدى العفاريت ، فصرت أبعثهم الى ديار المنصرين - أى الذين يميلون الى حكومتهم ، وهم الذين يسمون فى الاندلس (المدجنين) - فتقف هذه الجماعة والناس نيام أمام احدى النور ، فيضرب القفل بالقلوم فينكسر ، ثم ندهم الدار بالرصاص ، فيساق كل ما فيها ، فيرفع احد المداheim للدار انصواء من أعلاها ليراه المراقبون من رجال السرايا، فيقبلون وينقضون على كل من تسول له نفسه أن يغيث اهل الدار ، كل ذلك بنظام واحكام ، ثم يبكر الفرسان تحت امارة عبد السلام التاغماوى الحاحي ، فينقضون أيضا على السائنة التي تخرج الى المرعى ، وهكذا ضيقنا على الهشتوكيين ليلا ونهارا ، حتى فتحنا ارض الهشتوكيين أيضا واحتللناها مراغمة ، ونزلت في أبى يكر ، فصرت افرض الاعشار والمغارم وكل ما اريد على اخاذ القبيلة ، واسرب من ذلك الى الهيبة ومن معه ، وقد عرفت أنهم لا ينصحون الا بالضغط ، فكننت اعرتهم عمدا ، وما قصدى الا أن اجعلهم عبرة لما يصيب من يقدرون ، فقد غدرونا أمس القريب ، فيجب أن يروا مقبة الغدر ، وقد كنت الاطف من رجع اليهم من الرؤساء ، فافتح لهم الباب أيضا

في اخوانهم . هكذا حال معهم ما شاء الله . وهذا هو شغلنا معهم في هذه الفترة ، حتى لاقوا منا عرق القربة . فاستغاثوا بحيلة ايضا . فزحفوا الى ارض هشتوكة ، قال فصرنا نحارب به محاربة جديدة في المحلن المسمين : (امي مقتودن) و (امي مزين) في قبيلة (ايكوتكا) فتعددت المحاربات . وكان اعوانى واصحابى من الفرسان الاخصاء الذين على مؤتى الخاصة يصلون الى ستين ، واما المشاة الذين تكون منهم الجيش ، فمن القبائل ، من المزالين والوالياضين ، والوادريمين . ومن اليهم . فقام اذ ذاك البعمرانيون والصحراويون ، فزحفوا ايضا الى (اكلو) والى قبائل (ازغار) وذلك يوم عزل ابن دحان ، فخلفه القائد عبد الرحمن الحاحي ، المسمى : حاديهمان ، وكان مستضعفا ، وليس في سلاح ابن دحان ولا في صرامته العسكرية ، فجاء من طريق (اكادير) الى (كسيمة) عند القائد ولد الحاج اخسن ، وقد ورد على نحو مائة اعرابي على نياقهم جاءوا للجهاد ، فبضتهم الى الهيبة ، فصرت اتعاون معهم ، ثم نزلنا على هشتوكة . وقد كنت اعتقلت اخا مولاي احمد من آل الشريف قبل اليوم ، فكان ذلك هو السبب حتى خرج مولاي احمد عن الطاعة ، (هذا ، وقد سألته عن قتل العفيه محمد اعبو) فقال :

ان سبب قتله هو انه تان هو السبب في ورود حيدة - كما تقدم ذكره - الى هشتوكة لكونه اتصل به أولا ، ثم صار يكتبه في كل مناسبة ويستغذنه قال وقد كنت دافعت عن قتله ما شاء الله ، ولكن الهشتوكيين يحرقون عليه الارم دائما ، لاسيما رؤساءهم ، لكونه يجاذبهم الحبال في رياستهم ، ويتعالى عليهم قال : وكان الذي تولى قتله : هم اعوانى من غير اذنى وحينما - قال: اننى لا استحضر هل اذنت لهم او لا ، لان امر امثاله اذ ذاك قريب ، لا اتائم من قتله .

قال : كنت نزلت حينما في (مدرسة سيدي ابي اسحق) في قبيلة (اداكتران) حين فارقنا (ابى يكر) فبقيت هناك ما شاء الله ، ثم الى (تاو ديرت اياها) وهى كدية مشرفة ، عليها قرية ، بين (امى مفورن) و (امى مزين) فكم حرب هناك قاسيناها مع حيدة ، ثم ان حيدة صار يتسار مع متشيطن من اهل بلاد (تاو اعلاات) في (ايلان) يسمى ابن محمد - فتجا - فاخذ منه مالا ، فاذا به قد اطلع حيدة من (توغاش) فسار حتى جاء ورائنا ، فلما رأيت ما وقع لنا ، ارسلت امامى شيوخا مسنين معنا عنى بغالهم . لينجوا بانفسهم ثم انهزم من معى . وكان هناك فرسان بعمرانيون ما اتى بهم الى الا جهاد في سبيل الله ، فانهزموا ، وقد كان معى مشاة هم الباقون معى ، فاطلت على الرايات من جيش حيدة ، فنزلت الى واد مع اولئك المشاة ، فلما تبين لى الفرسان من العدو ، ارسلنا عليهم شوؤوبا من الرصاص ، فسقط كثيرون بينهم ثلاثة من رافعى الاعلام ، ثم حاذيت الوادى الى ان طلعت

ثنية ، فلم يملكوا الا ان يضربونا من بعيد ، وقد نجوت منهم ، فرجعنا حتى وصلنا (تيمكتر) وقد كان الوزير يرعى دخل قبل مجيئى على الهيبة فقال له : ماذا تنتظر بنا ؟ فان الناجم قد اتصل الآن بحيدة ، وقد قيل انه صالحه ، فذهبت ريجه معه ، فهل تنتظر حتى يقودك اليه بحبل من عنقك ؟ فوصلنى خبر ما قيل ، وأن الهيبة سيقوض خيامه ، فأتيت بسرعة ، فقلت له ماهذا الرحيل باستعجال ، والعدو بعيد ، لا يصلنا لا اليوم ولا الغد ؟ فالواجب ان نعلن لهذه القبائل بالطلقتين المتصلتين من بندقيتين ، (وهى عادة علامة شر مستطير قد دهم) فاذا بها تجتمع ، ولكن الهيبة ، لم يطب له الا ان ينجو برأس طهرة وجام ، فبعثت معه كل اصحابى وما عندى من المتاع ، ليزول ما وقع فى نفسه من كلام يرعى ، فاستأذنته لارى ما وقع للبعمرانيين المنهزمين ، لاقوم بالواجب نحوهم ، كاصدقاء الشدة والرخاء ، ثم أرسلت الى الشيخ احمد بن عبد الله العيسوى المتقدم ، فاعلمته بما نحن فيه من الارتحال ، ليكون على أهبة للارتحال ، وليكون على بصيرة من أمره ليديره كيف يشاء . (القول : اظن أن هذه الاخبار من الحاكى عن حروب هشتوكة فيها تشويش في الترتيب أو وقع فيها ايجاز مغل) .

فى تَمَاشْتْ° ببعقيلة

قال : ثم وجدت من أصحابى جرحى ، فتنبتعهم وهم منبطحون هنا وهناك حتى جمعتهم ، فذهبت بهم الى دار الفقيه سيدى الحاج عبد ، حيث بتنا ثلاثة أيام ، فورد علينا الرئيس الشيخ على بن ابراهيم الوالياضى بنفسه،ومعه ثلاث بغال من الشعير ، وهو كريم معروف - فليق الله سائله - وقد كان الرئيس محمد بن الحسن من قبيلة علال الهشتوكى جلا عن داره معنا ، فذهب فى رفقنا الآن ، فسافرنا فى وقت انهمرت فيه علينا الامطار ، وطفحت تحتنا السيول ، فكنا فى مشقة فادحة ، فتعرض لنا رئيس قبيلة (تيوآزى) من (ايت صواب) فطلب منا ان نبيت عنده ، فايينا لاننا كنا نسمع عنه من سوء العقيدة ما لا يسر ، فاسرنا نخوض فى الظلمة والبرد والامطار ، نقع ونقوم فى الاحوال ، حتى وصلنا الى (امديون) فنزلنا عند سى أحمد الرئيس هناك ، ووصلناه ليلا ، فادخلنا واکرمنا حتى انتعشت قوانا بالطعام والشراب السخينين،وهناك وجدنا بعض عيال الهيبة،وفهم صبيان صغيران كما ولدا، كان اودع امهاتهما قبل اليوم هناك ، فيرسل اليهم دائما المؤونة ، فارسلت الى اولئك النساء زوجتى بهدية ، تسكيناً لروعتهن ، وطمأنه ، فطلبن ان اذهب بهن معى الى الهيبة ، فاعتذرت بان لا مركوب عندى احملهن عليه ، ثم وعدتهن باننى ساحض الهيبة ان يرسل اليهن بمجرد وصولى من يردهن اليه . وهناك جاء الينا ايضا السيد محمد اللبئى المتبرك به ، وما جاء به الا

ليتفقدنا إيماناً منه وغيرة ، فصاحبنا بطلب منا ، تيمنا بطلعته الميمونة ،
 فرآنا اهل (تاكوشنت) الصوابيون ، فنزلوا إلينا وهم نحو مائة ، فطلبوا
 منا ان نبيت عندهم ، فاعتلونا ، فدعا لهم السيد المذكور ؛ فرحنا الى
 (تكارف) ثم الى (تاسيلا) من ايت حامد ، ثم الى (اكئي مشغاو) فطلب
 مني الشيخ أحمد بن عبد الله العيسوي الهشتوكي الذي يسير في رفقتنا ان
 « اذن له ليذهب بعيله الى سيدى محمد الاكرضى الازاريفى ، فاذنت له ،
 فذهبت انا قدما حتى نزلت فى (تاماشنت) حيث سبقنى اليه الهيبة ،
 فاكترت دويرة من عند من اسمه أحمد هناك ، فاكنتنى انا والعيال ، وبقيت
 الخيل خارجا . واستقر اصحابى فى بيوت السوق ، وقد كنا عرفنا ان
 السوق تقام هناك يوم الاحد فجاء العلامة الفقيه سيدى عبد العزيز الادوزى الى
 الهيبة ، فرحب به وواساه . كما جاء أيضا الشيخ أحمد الاماززى الرئيس
 المشهور ، الذى كان كراس الجمهورية الوليتية فى الحروب التى تقدمت بين
 ولتية والحاحين الذين كان يقدمهم القائد سعيد الكيكلوى اولاً ، ثم القائد
 محمد أنفلوس ثانياً ، وقد قال الفقيه للهبية ، وقد سبق الى الدخول اليه : ان
 القبيلة ومعها الشيخ أحمد سيدخلون اليك الآن ، وسيقدمون اليك هديتهم ،
 ولا مقصود عندهم الا ان يعلموك ان هذا المكان غير لائق بنزولك ، لان اصحابك
 نزلوا فى دكاكين السوق التى يكون فيها التجار يوم السوق ، فلا يمكن ان
 يقبل التجار ان تنزع منهم دكاكينهم التى منها معاشهم ، فدخلت عليه
 القبيلة فاهدت هديتها ، ثم قدمت اليه مطلوبها فلباه الهيبة ، وان كان لم
 يلبه بطيب نفسه ، لانه يعد ذلك كإنداز من البعقلين بانهم لا يرجحون به
 فى بلادهم ، ثم خرج الهيبة من المسجد الذى كان احتله بعيله هو وعيال من
 اليه ، فمر بقبة على صالح هناك ، فدخلها هنيئة ، ثم تناول حصيات فقرا
 عليها ما قرا ، ثم نثرها حواليه فى ذلك المكان كأنما قرأ عليها أسماء
 التحصين ، ثم خرج من القبة فسبقه القائد سعيد بن أحمد حتى انزله أخيراً
 فى داره بكردوس ، وقد أثاره ما فعله الشيخ أحمد بضيغه ، فاحس بكرامته
 مجروحة - وقد كان القائد سعيد هذا من القواد الحسينيين ، ثم صار منذ ان
 بويح الهيبة قائد المشور عنده منذ لاقاه فى (ترزيت) فوفى له الى ان فرق
 الموت بينهما - قال : فأمرنى الهيبة ان أبقي انا هنا فى (تاماشنت) صابراً
 على ضيق المكان ، ثم لم يلبث الهيبة ذلك النهار الا فى (إكلازن) ومن
 هناك الى (كردوس) قال فبقيت هناك ما شاء الله ، أزجى الايام ؛ والبلد فقر
 وفى اهله كرازة والاريجية مفقودة ، حتى الامان لامثالى قلما يوجد ، ثم
 سرى الى الخبر بأن رجلاً يسمى ابن أبى ميكدي، صهر الشيخ أحمد الاماززى،
 صار يتصل بمن فى (ترزيت) ليفتك بى غدرا ، ومعه فى ذلك فاتك آخر
 يسمى موسى الايفشتانى البعقل ، وآخرون يسمون : آل أبى مهدى ، صار

هؤلاء فيما يصلنى يتداولون بينهم ما يتداولون سرا ، وقد دخل فيهم اخو زوجة احمد الذى اكرى لى دار سكنى، وهكذا صارت الافاعى تتناول اعناقها من كل جانب الى ، فامعنت نظرى حتى احكمت السياسة ، قال فاردت ان اطل الحبل معهم ، فاستدعيت احد آل أبى مهدى ، فطلبت منه ان ينظر لى وسطهم دارا اشترىها للسكنى ، ومسكنهم غير بعيد من (تاماشانت) فاشترى لى دارا بينهم ، ثم امرته ، وقد اظهرت له الصجبة والاعتماد عليه بالبناء فيها ، فاستمر فيها البناء ، فصرت ازيدهم ، ولا يبنى لى الا آل أبى مهدى أنفسهم - بالاجرة العامة ، وقد عرفت غدارا منهم ، وهو الذى فى يده كبر امرهم ، فاعطيه أكثر فى الاجرة ، عملا بالحديث (انا لنبش فى اوجه قوم وقلوبنا تلغهم) .

ارض العلو بظاهر متصنع ان كنت مضطرا الى استرضائه كم من بفيض كاشح ارضيته وجوانحى تنقد من بغضائه فقالوا فيما بينهم ، لا ينبغي أن نستعجل بالفتك بهذا حتى نستنزف ماله ، ويسكن عندنا ، ثم ان قتلناه نذهب بكل ما معه من الاموال ، قال فاستدعيت الحاج مسعودا من قرية (ميرة) وكان رجلا يميل الى الخير ، ذاكرا تظهر عليه امارات اهل الخير ، متدينا محافظا على صلاته وعلى اذكاره ، مصاحبا لكل من فيه رائحة الدين والارشاد ، غيورا على الاسلام واهله ، فافضيت اليه بكل ما يحاك حولى من الدسائس ما بين آل تزيت ، وبين الفتاك من بعقيلة فتار ثائرة ، فقال : ان هؤلاء يجب أن لا يبقوا احياء ، ثم احسنت اليه بهدية واغريته بصاحبى المعهود من اهل بومهدى ، فانعم على بأن يبذل جهده ، وأن يعمل الحيلة فى ازالته من طريقى التى هى طريق المسلمين اجمعين ، فجلس الحاج مسعود قريبا من ذلك النهار مع غريمى ذاك ، فتداولوا فى اناس يسمون (ادبوالشيخ) كان بقى عندهم مغرم من مفارم القبيلة : اربعة احمال من السكر . فارسلناهما - الحاج مسعود وغريمى - اصحابهما لاختد المغرم من اولئك فانفردا معا ، فاذا بغريمى جاءه وراءه من انقضوا عليه ، ففتكوا به فتكا بالرصاص . وذلك بايعاز من الحاج مسعود المستحل لدمه ، لكونه لصا ولكونه قتل كثيرين ، ولكونه يخامر على ضيف المسلمين - يعنى الحاكم نفسه - وقد وافق ذلك اليوم موسم سيدى احمد بن موسى ، فارسلت جاريتين الى الموسم لاييهما هناك ، قال : فبعث احدهما للقائد المدنى بتمنها ، والاخرى بالرخص لآبى جمعة البوعشراوى ، زعم انه اشتراها لسيدى محمد الدرقاوى الالفى صاحبنا الذى كان مخلصا لنا - يعنى اخى انا القائم فى دارنا - قال : ذهبت انا بنفسى الى الموسم ، فنزلت عند شريف هناك ، فوصل الى رجل كان عنده لى دراهم ، ونحن فى (أبى بكر) فصار يعتذر لى عما فى يده ، فسامحته لوجه الله ، فورد على الرئيس احمد الايفشسانى ، وقد اهدى الى جلدتين

من النهر ، والقائد المدني ، والشريف سيدى على بن محمد التازاروالتى ،
فنزّلوا عندي ، فتناولنا تيسر ، ثم ودعّتهم كلهم ، الا سيدى عليا ، فانى
بعدهم ودعّته بفرس من عندي . فرجعت الى محل بـ : (تاماشاست)
فنادى اهل ر سموكة وبعض بعقيلة باقامة سوق الاحد فى
(انزى) لتخلو سوق الاحد التى فى (تاماشاست) نكاية باهل
تلك الناحية ، فتم مرادهم فى ذلك ، وذلك كله من آراء الشيخ احمد
الامازرى الخواص بين البعقلين ، ففى يوم جاء اخصاصيون بحب اركان
ليبعوه فى (انزى) فذهبهم آل ابنى مهدي للصوص المذكورون ، فقام
الرسوميون ومن اليهم ليدافعوا عن شرف سوقهم - على العادة فى المحافظة
على طرق الاسواق العامة التى يعتاد ان يسود فيها الامن كل من ياتى او
يذهب اليها - قال فكتبوا الى بان اعلموني باننى منهم ايضا مع من كنت
ساكنا معهم من اهل (تاماشاست) لاننى لا ازال هناك ساكنا ، ولم اتحول
قط الى الدار التى ما كنت بنيتها الا حاجة فى نفس يعقوب ، وقد قضى الله
الغرض فى آل ابنى مهدي ، فقضى غرضى من تلك الدار ، قال : لما ارسل
الى الرسوميون اردت ان اظهر الشبهة امامهم ، وقد عرفت ان مقصودهم
ما يخلونه ، فعزمت على ان اتلافى القضية كما كنت آلف ، ولم ادر ان
هؤلاء غير من اعهد ممن كنت اعاشرهم قبل ، فاشتريت بقرة فذهبت بنفسى ،
وسقت البقرة ، فقالوا لى : ان هؤلاء الذين فعلوا فعلتهم فى طريق سوقنا
لا بد ان يردوا ما سلبوا ، وان يؤدوا المغم المعهود فى مثل هذا ، والا فالبارود
بيننا وبينهم ، فقامت لادافع عن الغدارين آل ابنى مهدي ، فدعّمت (الوثائق)
أى الرهون عنهم ، ليؤدوا ما عليهم ، فوضعت امام مجمع الرسوميين ومن
معهم بندقيات اصحابى ، فرجعت الى الغدارين آل ابنى مهدي ، بعد ما اديت
للاخصاصيين ما ذهب عنهم من حب اركان ومن جمالهم ، فحاولت ان اتوصل
من آل ابنى مهدي بشى فامتنعوا كل الامتناع ، ومن هنا يعرف من لا يعرف
كيف حال اهل هذه البلاد ، فقد ذهبت لى اثنتا عشرة بندقية فى قضيتهم ،
وهي التى قدمتها (وثائق) وهكذا من يدافع عن امثالهم الغدارين الكذابين .
قال : ولم ار الخير هناك فى ذلك الوقت الا من اهل (ادوز) فقد استدعاني
الفقيه سيدى عبد العزيز مرارا ، وكذلك ابن عم له ، فرأيت منهم كل اكرام
ومعرفة لما كنتى كهاجر فى سبيل الله غريب عن اهله وماله ومكان جابه ،
وقد تخلى لى الفقيه عن حقلين كبيرين فانضين سنبلًا ، لاحصدهما تحيل ، اوقفنى
عليهما بنفسه ، ولما رأيته من هؤلاء السادة كنت نويت حينًا ان اتحول اليهم
من (تاماشاست) والمسافة بين (ادوز) وبين (تاماشاست) قليلة جدا ، ثم
اننى حين رايت من هؤلاء الجيران ما رايت نويت ان افارق جوارهم :

(بجيرانها تغلو الديار وترخص)

فارسلت نسائي الى دار سيدى محمد الاكادضى الازاريفى وجميع مناعى الى الفقيه سيدى على بن عبد الله الانقى (اقول حدثنى الاديب سيدى الطاهر بن على أن مناع الناجم كان كثيرا متراكما فى بيت فى دارهم ما شاء الله بين اوان مختلفة صينيات وبراريد ومقاريج وخرثى متنوع ، ثم صار يسترد ذلك شيئا فشيئا وهو فى الاختصاص حتى ذهب به كله ، ولم تضع له منه قلامة ظفر) .

فى كردوس

قال : ثم تحولت انا واصحابى الى (كردوس) ثم ذهبت يوما الى (الغ) لاصل أهله الذين لهم صيت كبير هناك ، فدخلت سوق (ايت وفقا) التى ابتدأت اذ ذاك كسوق فقط ، فاشتريت ستة اكباش مسلوخة ، فارسلت ثلاثة الى الفقيه سيدى على بن عبد الله العلامة الشهم ، فبت ثلاثة أيام عنده ، وثلاثة الى سيدى محمد ابن الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى ، فبت عنده ليلة واحدة ، ثم اشتريت أربعة أخرى فارسلتها الى الرئيس احمد الايفشاني ، فكننت عنده نحو خمسة أيام ، قال : وقد لفت نظرى منه حسن أدبه ، وملاطفة حديثه ، قال : هكذا رجعت من (الغ) بكل تجلة واکرام ، وبهدايا جزونى بها عوض ما اهديته اليهم ، قال : كنت أعرف الفقيه سيدى على بن عبد الله قبل اليوم فى (تارودانت) وفى (اسارسيف) وفى (تمكتر) كان يرد على الهبة فى كل مناسبة مع الفقيه سيدى الطاهر بن محمد ، ثم تكرر الاتصال به كثيرا ، ولذلك اخترته واخترت (الغ) لايداع مناعى ، وكذلك كنت أعرف سيدى محمدا الدرقاوى فى (مراکش) وفى هذه الامكنة بسوس ، وقد كان له مركز كبير مع مولاي احمد الهبة ، فجعله قائدا على (اداوزيكى) حينما من الدهر ، قال : ثم رجعت الى (كردوس) فاذا بالوزير يرعى طلبا أن يذهب الى (وادى نون) ليجمع الجيوش من هناك فيما قال : ثم ذهب لطيبته ، على أن مقصوده ان يتصل بالناس كما اتصل بهم ، وهو غيور غير سليم الطوية ثم بلغنا ان الجراردين طلوعوا الى (اغير ملتون) ، فتلاقوا هناك مع المجاطين ، فسلبهم هؤلاء خمسين فرسا ، فكادت تكون هناك معركة كبيرة . قال : فامرني الهبة ان اتكلم مع الشيخ احمد الامازرى ، ليتوسط عند الجراردين ان يردوا ينكفوا عن (اغير ملتون) على ان يتوسط الهبة عند المجاطين ان يردوا اليهم افراسهم ، فانا نخاف ان تقوم حرب بين الفريقين ، وكلا الفريقين مسلم وامامنا جيش النصارى الذى هو عدو الجميع . ثم كتب لى بذلك رسالة الى الامازرى ، قال فذهبت انا والقائد سعيد بن احمد ، والفقيه سيدى محمد بن عمرو الشيخ الجليل ، وسيدى خالد التاركنسينى ، وفقيه اسمر بعقيل نسيت اسمه ، فنزلنا الى (تازاروات) حيث مجمع (بعقيلة) اذ ذاك وهناك الامازرى ، وقد كان معنا الفقيه سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ،

فذهبت أنا أولا الى الشيخ احمد الامازرى ، فاستدعيته وانفردت به ، فقلت له : هذه رسالة الهيبة اليك اقراها ، فقال اننى لا أقرأ ، فاستدعينا سيدى الطاهر فقراها عليه ، فقال : اننى أقبل بشرط أن يذهب معى كل الاعيان من البعقلين على خيولهم ، ليشدوا ازرى ، ولئلا يجرى بعضهم فى احباط سعى . فرجعت الى أصحاب القائد سعيد ، وهم يضادون شيعة الامازرى ، فأبى بعضهم أن يذهب معه قائلا : هل يريد الامازرى أن نكون فى موكبه ليزدان بنا ؟ فقلت له : ان هذا أمر مولاي أحمد الهيبة امير المسلمين لا أمر الامازرى ، وانما تعود المنفعة على المسلمين كلهم ، وبعد أخذ ورد قبل الجميع أن يذهب معه ثمانون فارسا من جميع أعيان البعقلين ، وكان الشهر شهر رمضان ، والفصل شديد الحرارة ، فارسلت صاحبنا لى الى (ايلغ) ليشترى حملا من السكر ، وخمسة أرطال من الاتاى ، فيعطىها لسيدى على بن محمد يعسوب الاسرة الرئيسية للبيتوتة عنده ، ثم بت عنده فى العشيء أنا واصحابى فقط ، وعند الافطار من الصوم عند المغرب ، دخل أهل (تالوست) من (اغير ملتون) يستغيثون ويقولون : ان المجاطين دهموا علينا ، ينتهون ديارنا ، فنحن الآن معهم فى حرب ، ثم تبعهم أهل قرية (اكارضى) كذلك ، وفى كلا المحليين أصهار لسيدى على ، فأراد أن تقوم لأغاثتهم فى الحين ، وقد فرح اذ صادفنى الصريخ عنده ليعتمد على وعلى اصحابى ، فقلت له : ان العقلاء لا يهاجمون أعداءهم ليلا حتى يعرفوا عن أحوالهم كل شىء ، ونحن الآن نجعل كل شىء عن هؤلاء ، فالواجب أن نترصد حتى نذكر ما وراء الاكمة ، ثم بعثنا مع هؤلاء الشاكين من معنا من المشاة ثم اكثروا على ملعين كل الاحاح ، والليل لا يزال حتى توجهنا أنا وسيدى على الى قرية (تالوست) فتلاقينا مع الراحلين منها ببهائمهم ومناعمهم ، فأمرهم سيدى على أن يذهبوا الى (ايلغ) وقد صلينا الصبح فى ثنية بين (الروايس) و (تالوست) وقد لاقى الشيخ احمد الامازرى الذى كان عزم أن يذهب من مجمع (تازاروات) الى (تالعينت) الجرارية ، هذه الحادثة امامه فى الطريق ، فرجع ولم يتم بعد ما يراد من سفره ، قال ثم ذهبت أنا وسيدى على الى قرية (اكارضى) فاذا بالحاج ابراهيم البشيراني دخل علينا ، فقال لنا : الا تعرفون أن هذا المكان - يعنى اغير ملتون - لمجاط ، فقلنا له وأنا الذى اتكلم : نحن ما جئنا لنجاذب الحبال حول هذا المكان ، ولنتناقش لمن هو من الناس ، وانما جاء الصريخ الى سيدى على من عند أصهاره هنا فأصرخناهم لنعينهم على الرحيل بأولادهم الى مأمهم ، ان لم يكن لهم الا الرحيل ، واما نحن واصحابنا فلم نذهب أحدا ، ولا أضربنا بأى مخلوق ، فاسأل تعرف الحقيقة ، ثم سال أهل القرية عنا ، فأخبروه أننا ما هجنا أحدا ، ولا أمرنا ولا نهينا منذ جئنا فاذ ذاك كف عن ملامته ، كأنه استجيا منى . ثم سألهم

عن ضيافتهم لنا ، فعاتبهم على انهم فرطوا فينا ، حين لم يقوموا بواجب الضيافة ، ثم جاء القائد سعيد بن أحمد ، والمحفوظ الوجاني . والحاج مسعود الميرى البعقيلي - صاحبى الذى فتك بعدوى من اهل بومهدى - فوجوا علينا فى (اكراض) فاجتمع الناس فى (تينكرتيل) فكنا احد الحاضرين فى مجمع الناس ، فلما رأنا المجاطيون لم يعجبهم مجيئنا اليهم نحن البعقيلين ، وقد صرت انا رغما على انفى بعقيليا ، وبعد السلام معهم قال قائلهم : ماذا تريدون منا يا ايها البعقيليون ، فهذه بلادنا ، فان اردتم ان تفتحوا حربا مع الازغارين فان عندكم بلادكم فافتحوها فى تخومها بينكم وبينهم . فقلت لاصحابى البعقيلين : قوموا بنا فقد صلق لكم هؤلاء ، ولكن المحادثة استمرت ، فتلام الشقاق بين الفريقين حتى تلاحم الراى ، ثم اتفقوا بعد ذلك أن يتلاقوا على الجراردين لينهبوا (تالعينست) التى سبق اهلها فاغاروا على (اغير مئولن) الذى يحسب من مجاط ، ولكن ياتى البعقيليون من (وجان) والمجاطيون من جهتهم هذه ، فذهبنا - انا واصحابى فقط - وقليلين من غيرنا حتى اشرفنا على قرى الجراردين ، فوقفت أسأل عن أسماء القرى المتقاربة من الجراردين ، فسموها لى قرية قرية ، فقلت لهم اننا منذ الآن جيش حسن لا يوتى مثله امام امثال هؤلاء من قلة ، ولماذا نذهب أولا الى (وجان) ثم نأتى منه ، ثم امرت الفرسان من اصحابى ان يندلقوا الى الامام ، لتغير على الجراردين فى الحين ، فاندفع كل من معنا ، فوصلنا (دوار ابن الففيل) فوجدنا فيه نحو مائتى فارس من الجراردين ، فولوا عن القرية من غير محاربة ، فاحتلناه ولكنى امرت من معنا ان لا ينهبوا ، وان لا يمساوا الا ما يحتاج اليه من القوت وعلف الخيل ، فاذا باهل (ادغ) اتوا بذيحة الجراردين الينا لنكف عن النهب والقتل ، يقدمهم (ام اسليو) فكان ذلك سبب ان قنله عياد بعد ذهابنا (مع أنه ما فعل الا ما ينفع القبيلة) قال فقلت له انا لا يدبج على ، والذى له الحق فى ذلك هو فى (كردوس) أغنى الهية ، وبعد اربعة ايام وصلنا اربعة فرسان مجاطيين ، وما هم الا مقدمة لكل المجاطيين الذين صاروا يطلون من ثنايا تلك الجبال ، فسالونا من بعيد من نحن ؟ فنقول لهم : هؤلاء الذين طردتموهم من بينكم يوم ذلك المجمع ، ثم نزل المجاطيون كلهم الينا ، فمروا بنا حتى نزلوا فى (ايدىغ) وقد صاحبهم البعقيليون الذين كان بعضهم معى ، وقد كان معهم القائد مبارك البيرانى ، وسيدى على بن محمد التازارواى ، قال : ثم طرقتنا خبر اقبال حيدة فى مجيئه الاول الى تلك الناحية ، ثم اتصل المجاطيون والقائد مبارك البيرانى ، واصحابه بالقائد عياد ، فاعطاهم مالا ليتفرقوا عنه ، ثم لما سمعوا بان حيدة نزل فى (ايزويثكا) على وادى (ماسة) صار المجاطيون يفرون من (ازغار) كالارانب الى بلادهم ، وفى عشيه اليوم

الذى ذهب فيه المجاطيون جاء القائد مبارك ، وسيدى على بن محمد ، حنى وقفا امام الدار التى نزلت فيها وقد كنت نانما ، فاكتر القائد مبارك الثروة قائلا : ان قواد القرب لا يزالون نائمين الى الضحى ، فخرجت فاذا هما مع القائد سعيد ابن احمد الكردوسى الذى كان ذاعبا معهم الى (اِدْغ) ثم قال القائد مبارك : ان هذا هو وقت موسم سيدى احمد بن موسى ، وهو مشترى كل ما نتوقف عليه فى السنة كلها ، وهذا سيدى على بن محمد كذلك ينزل عليه اضياف الموسم . فقلت لهم : كنت احسبكم مجاهدين ، فاذا بكم تطلون ما طاب لكم الاطلاع ثم تولون ما طابت لكم التولية ، ولكننى انا غيركم ، فانى ما اتيت الى هذه البلاد الا بقصد الجهاد فى التصارى ومن يلف لفهم ، كيفما كان الحال . اقول لهم ذلك بكل انفة وهم صم كأنهم لا يسمعون ، فذهبوا عنى ، ثم جاءنى رسولان من عند القائد المدنى ، فقلت له : ان المجاطيين ذهبوا ، وان حيدة قد اقبل ويجب عليك ان تنظر لنفسك ، فتنزل حيث تقدر ان تقف امام زحف حيدة موقف الرجال ، وقد كان المدنى نازلا تحت (ميرنخت) ومعه يرعى الذى كان ذاعبا الى تلك الجهة . كما تقدم - قال : ثم جاء الى اهل (ايدْغ) مع عشرة احمال من الشعير ، واثنى عشر كبشا ، واربع احمال من السكر ، فقالوا : اعذرنا من التقصير ، فان الجراريين يشكرون لك انك ما افسست ولا نهبت أنت ولا كل من معك شيئا من الاشجار ولا من المتاع ولا من السائمة ، ولا نهبت من جهتك اية قرية ، فقلت لهم اخلف الله عليكم ، وجعل لكم البركة ، وما نحن الا مسلمون ، قال : وبينما هؤلاء يقولون ذلك ، اذا ببعقل عليه تلك السلهمة الجبلية القصيرة المخططة يشير الى اشارة خاصة ، ثم دعوته الى خلا ، فقال لى : ان محمد بن عبد السلام الباسل المقدام الخليفة الجرادى قد دخل الى (اِدْغ) فى خمسمائة فارس ، وكانى به قد دهمك الآن . وما مجى هؤلاء الا حيلة ليشغلك حتى ينقض عليك اولئك . وانت الى الآن لا تزال جالسا تنتظر الغداء ، فقممت فى الحين ، وقلت للقائد سعيد بن احمد : قم بنا لنذهب ، فقال : ان فرسى وسراويل ومتاعى لا تزال فى دار (بايدْغ) حيث كنت نازلا ، فقلت له اسرع الآن ، فاننا ذاهبون قبل ان يدهمنا من يريد الفتك بنا جميعا . فاهرت بحمل ما اتى به الايدْغيون ذرا للرماد فى الاعين - فقدم امامى ، ثم اسرجنا خيلنا ، فقمنا متوجهين الى (وجان) ، فبتنا نحن هناك فى قرية والقائد سعيد بات فى (تادارت) وقد بات تلك الليلة حيدة فى (المندر) وقد ورد على سيدى على بن محمد التازارواتى فى (وجان) فطلب منى ان اذهب معه ، لتكون معا فى (اغير ملولن) وما ذلك الا لكونه يدرى اننى لا ازال ادافع عنه ما دمت حيا ، فقلت : ألم تسمع ما قاله لى المجاطيون ذلك النهار ؟ على انك انت تركتنى بسورك فى الامر القريب فى (ايت جراد) منفردا ، وكيف يعتمد الانسان على من لا يفكر فى

مصاحبه في حالة السدة ؟ ثم الح على سيدى على بوساطة الشيخ النعمة في ان اذهب معه ، فاسلست له فيما طلبه ، وقد دلف الناس كلهم بالجيش من قبائل كل ناحية لمحاربة حيدة ، فربط انعقيليون في (وِجَنان) والمجايطون في (تيكمتى اوفلا) قرب (اغير مثلولن) وقد سبقت انا وسيدى على الى ذلك المحل باصحابي واصحابه ، وليست معنا مؤونة ، الا انا نقبض الدجاج الذى تركه الناس الراحلون عن ديارهم مجتفين امام حيدة ، وقد كان الجنوب كله هزرا بزحفه ، فارتجفت الافئدة منه ارتجافا شديدا ، فارتحل كل من يقرب من الاطراف التى يمكن ان يقتحمها حيدة . ثم اجتمعت جيوش (مجاط) و (اد ابراهيم) ذات الينا حصى رابطت معنا هناك ، وقد وصل حيدة (تزيت) فذهب اليه عياد الجرارى ، ثم خرج امامه يعجز الشوك والمدر فتزل في (ايغير نبونونمان) نطلع في تلعة (بوخاننور) وقد كان المدنى والاختصاصيون والزفاطيون ، والقائد يرعى مع جيشهم الكبير نازلين في (ايت همئان) من قبيلة (ايت برايم) فلما طلع حيدة نعطى مع هؤلاء طلقات غير كثيرة ، فانسحب القائد المدنى والقائد يرعى ومن معهما ، فمر المدنى باخوانه (ايت بوياسين) ، فقال لهم : اننى قد ذهبت ، ولا اريد ملاقة هذا الانسان ، وقد كان المدنى كما عرف عنه جبانا رعديدا - فادفعوا انتم عن اهليكم ، وهكذا تركهم قائدهم ادم العدو وجها لوجه ، مع انهم يعتمدون عليه ، وقد كان الواجب ان يدافع عنهم ، ولكن الخوف خافه ، حتى انه هم ان يفر الى الصحراء لو تقدم حيدة الى (بوزاكارن) ، ثم ذهب حيدة وبين يديه الجرارى ، حتى نزل في (افرض) (بايت عيلا البعمرانيين) ، فجاء اليه البعمرانيون ، فهادنوه وصالحوه ، وما ذلك الا بوساطة المال الذى ددعه لهم على يد الجرارى ، وقد قال البعمرانيون اذ ذاك لحيدة انا نحن في طاعة المخزن ، وانما الذى يكره المخزن هو القائد المدنى وحده في هذه البلاد. يحرشون حيدة بذلك على المدنى ، ولكن الله عصمه منه ، ثم انفصل حيدة ايضا بـ(ايت بوياسين) ، لانهم اقتنوا بالبعمرانيين فسالموه ، واعطاهم الامان ، ثم ذهب حتى نزل في (ايت بينفولن) بـ : (اد حيتوف) وهناك دار للقائد المدنى ، وقد كان في امكانه ان يهدمها ولكنه تركها . وهناك اتصل الجرارى بمبارك ابى الطعام الرخاوى ، وقد كانت بينهما مصاحبة زيادة عن الجوار ، فجاء الى حيدة فصالحه عن قبيلة (ايت رخا) ثم توسط زيادة على ذلك في امر المدنى ، فقدم نيابة عنه حيدة هدية من عنده ، وكذلك فعل عن كل المجاطيين ، فعل ابو الطعام كل ذلك اقتيانا من غير مشاورة لاحد من اهله ومقصوده ان يرجع حيدة بلا حرب عن تلك الجهة. فتم له كل ما اراد ، قال : ونحن اذ ذاك لا نزال في مقرنا : (تكتمى اوفلا) فاستدعيت الفقهاء المجاهدين اللذين لهما ما لهما في التأثير في الناس : سيدى على بن عبد الله الالفى ، وسيدى

الظاهر الافراني ، ثم استدعيت معهما يحيى بن بلا الموسوى المجاطى وعبدا
نزامي الموسوى المجاطى ، فقلت للجميع : اريد منكم ان تذهبوا الى مبارك
ابى الطعام الذى سعى من عند نفسه حتى اطاها جمرة حيدة بمسالته ، فلم
يكنوا احد بها ، تقولون له : نحب منك كذلك ان تسعى فى امر الشيخ
النعمة النازل فى (وجان) ، عند حيدة ، حتى لا تدركه يده ، فان عندنا الخبر بان
من مقاصد حيدة ان يميل الى (وجان) ليقود من هناك الشيخ النعمة الى
النصارى ، فذهب الجميع الى مبارك ، فقالوا له عنى ذلك ، فقال لهم : قولوا
لذلك العبد ، يذهب لخال سبيله ان اراد ، فان بلادنا لا تطيق الحروب التى
يجريها هو وامثاله علينا ، فانتى لا اتكلم عن الاعراب ، وهم الذين فعلوا بنا
ما فعلوا ، وبسببهم توالى علينا هذه التكنيات التى كنا قبل منها فى مناط
الثريا ، على ان الذى يمكن له ان يتكلم عن البعقلين وعن كل من نزل فى
بلدهم هو الجرارى ، فليرسل اليه بذلك ان شاء ، قال وقد كنت ارسلت
عينا مع هؤلاء ، فأتانى بكل ما در هناك ، ثم لما رجع اولئك وسألتهم لم يفضوا
لى بكل ما قيل تادبا معى ، بل حرفوا الكلم عن مواضعه . ثم قالوا لى : ونحن
الآن ماذا نصنع ؟ فقلت لهم ان القبائل كما ترون تتفرق لما سمعوا بالصالحة ،
والامر امرتم ، فقالوا : وما يظهر لك انت ؟ فقلت لهم : ان الذى يظهر لى
ان اهل هذه الجهة لا يليقون لى ولا ايتى لهم ، فسارحل عنهم الى (زيان)
لاجاهد مع محمد بن حمو الزياني الذى يعدر قدر الرجل ، فانتى اسمع عنه
وعن بسالته وعن ايمانه وعن انفسه ما يتلج الصدر فى الجهاد ، فقال لى
سيدى الظاهر حتى انا فى ارتحالك هذا ان اقوم لك برفيق امين ، لا
تمس معه الى ان تصل (اقه) عند المعلم الرسموكى ، ومن هناك الى (بونفيلات)
ومن هناك يدا ليد الى ان تصل (زيان) وبينما نحن فى ذلك اذا بالقائد
مبارك البيراني دهم علينا وهو يبكى بكاء التكى ، فقلت له ما يبكيك ؟
فقال ابكاني انقضاء القيرة من المسلمين ، فقلت له : انسييت ما فعلت انت
بنفسك بنا مرارا ؟ وآخرا ما فعلته بنا ما كان يوم تركتنا فى (ايت جرار)
فانك بنفسك لا غيرة لك ، ثم التفت الى الفقيهيين الحاضرين ، فقلت لهما
مشيرا للاية : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ، ومن يولهم يومئذ ذبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد
بء بغضب من الله » فنحن الآن ما هذا الذى وقع لنا بعد ؟ حتى نضمحل
ونلوب بهذه السرعة ، ثم قلت لهم يا هؤلاء ، قوموا وانصروا الله ينصركم ،
ويثبت اقدامكم ، فصرت استحثهم - واستنهض همهم ، فقال الفقيه سيدى
على بن عبد الله : كيف العمل ؟ فقد رجع كل الناس الى ديارهم ، حتى لم
يبق معى الا ثلاثة من بنى عمومى وخادمى . وقال سيدى الظاهر وانا ايضا
ليس معى الا اربعة عشر فارسا ، ثم قال القائد مبارك ، وكذلك انا : لم

يبق عندى الآن الا سبعة عشر فارسا ، وسبعة وعشرون من المشاة . كلهم
 بنو عمومى الاقربون ، ومعى حمل من القرطاس وحمل من البارود والرصاص ، ثم
 تجاذبت معه الكلام استثير حميته ، حتى قال : اننى اسلك معك كل مسلك
 اقبحته ، وهاك يدى على ذلك ، والقائد مبارك شجاع معروف . فهكذا
 ظهر تأثير كلامى . ثم قال الفقيهان سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر
 ان هؤلاء البنيرانيين فرسان الحروب ، وأسود الطعن والضرب ، لكننا نحن
 الطلبة كما ترى لم نعرف الحرب ولم نعرفنا ، فماذا نجدى لك فى ميدان الحرب
 فقلت لهما : صليا بنا انتما فى كل وقت صلاتنا ، واتلوا علينا ما قال الله
 وقال الرسول لنا فذلكما هو جهادكما . فانتما توجهاننا وتشجعاننا . ونثيران
 حميتنا ، ثم لكم الفضل الكبير علينا دائما قال : وقد كان للفقيه سيدى على
 فى كل مجمع خطب نارية تصحبها منه عباراته المنهلة ، فيكون لكلامه فى
 القلوب وقع عظيم ، قال : فخرجت بعد هذه الندوة وقد جاش دمي ، فصرت
 انادى فى الحاضرين بأعلى صوتى : يا من سيموت فى سبيل الله ، من يعطى
 نفسه لله ، يا من يسد عينيه فى الدنيا ويفتحهما فى الجنة . فصرت اسمع من
 عرض الناس : ها أنذا ، ها أنذا ، حتى خلص الى خمسة وسبعون من الناس ،
 فقمنا من هناك - تكمى اوفلا - انا والقائد سعيد بن أحمد الكردوسى ،
 والمحفوظ الوجانى . والقائد المهاجر الذى التحق بنا فى سوس : محمد بن
 الطاهر الرحمانى من أولاد سيدى البهلولى - كان هاجر من مراكش بعدنا
 مع خمسة وعشرين فارسا ، ثم صار هؤلاء يذهبون شيئا فشيئا منذ ورد الى
 (نارودانت) حتى لم يبق معه الا قليل ، ثم صار هذا القليل اثنين فقط ،
 ثم قتله احدهما بعد هذا الوقت فى (اتدجا) بين (الاخصاص) وبين
 (ايت عبلا) البعمرانيين ، قال : ثم ذهبنا مع الجميع ، وقد سبقت يتبعنى
 هؤلاء ، هذ رقد كان بقى على شفير الجبل المطل على بسيط أولاد جرار
 خمسمائة من المشاة المرابطين من المجاطيين ، كانوا ربيثة لنا هناك منذ ايام ،
 وليس عندهم الخبر بما وقع فى الناس من التفرق بعد مصالحة مبارك أبى
 الطغام مع حيدة . قال : فحين اطلت عليهم ، تجاروا الى ، فسألونى عن
 الواقع ، فاخبرتهم بأن الناس قد تفرقوا ، وقالوا وانت الى ابن تذهب ، فقلت
 لهم : اننى مع من يتبعنى الى (وجان) لندافع عن الشيخ النعمة ، لاننا
 سمعنا ان حيدة سيذهب اليوم الى هناك لياخذه اسيرا ليتقرب به الى النصارى
 فنشهد الناس بصوت واحد (اللهم صل عليك يا رسول الله) على العادة
 المعهودة فى المنادة بذلك كلما اجتمع الناس وعزموا على تنفيذ امر يذهبون اليه
 ثم التفتوا الى فراوا سوادا مقبلا يتبعنى ، فقالوا من هؤلاء ، فقلت لهم : هؤلاء
 الفقيه سيدى على بن عبد الله . والفقيه سيدى الطاهر بن محمد . والشريف
 سيدى على بن محمد التازاروالى ، والقائد سعيد بن أحمد الكردوسى ، والقائد

مبارك البشيراني، والقائد محمد بن الطاهر الرحمانى المهاجر ، وأما المحفوظ ،
 فقد كنت أرسلته عندما قمنا فذهب ليدافع عن داره بوجان - فثلجت صدور
 الجميع برؤية هؤلاء الأعيان ، فنادى المجابطون بلسان واحد ، يخاطبون القائد
 مبارك : انك اليوم حقيقة قائد مجاط الحق ، حين لم تفعل مثل ما فعل مبارك
 أبو الطعام الخائن ، ثم صاروا يسبون أبا الطعام ويحرفون اليه الأزم ، ثم
 ندوونا في مجمع عقدناه هناك قلنا فيه اننا لا نريد ما يكون سببا لتفريق
 القلوب الآن . فلننسى أبا الطعام ولنصمد الى ما نريده في (وجان) ففريق
 الناس للبيات في القرى على العادة ، فبات القائد مبارك في (اكرض) من
 (اغير مئولن) وسيدى على بن محمد في داره بايليغ ، وسيدى على بن
 عبد الله ، وسيدى الطاهر في قرية (عين انطلبة) والمجايطون الآخرون فرقمهم
 أهل قرى (تازاروالت) كل فرقة في قرية، قال فبت أنا في قرية (ايجنكاكن)
 وننى الليل ناد ايضا المحفوظ الوجاني ينذرنا بنزول حيدة في سيدى موسى
 من (تادايغت) ، وهو معبل الى (وجان) فعاتبته حين رجع وترك داره شاغرة .
 مع اننى كنت بعثته من الصباح الى داره ليحافظ عليها، ثم دفعته ايضا عنى مرعها
 فذهب ، ثم بكر حيدة الى (وجان) فاطلق المدافع فاهتزت بها تلك الجبال ،
 فقام الناس ، وامامهم انفيقه سيدى على بن عبد الله خطيبا يصرخ في الناس
 قوونا ايها المسلمون ، قوهوا ، فباب الجنة مفتوح، ورضى الله مسدول، فاثخنوا
 ما نفقر به الذنوب ، ويرتفع به شان الاسلام ، وتضمحل به كلمة الكفر ،
 فأي شراب يلذ ام أى طعام يطيب ان استولى عليكم ايها المسلمون النصارى ،
 فالوت خير لكم من الحياة . الى أمثال هذه الكلمات التى تستفز الجبان ،
 وتسفه الكسلان ، قال نأسرعت أنا واصحابى الفرسان ، فبمجرد ما
 اطللنا من ثنية على (وجان) صار حيدة يطلق علينا المدافع ، وقد وجدناه في
 مقدمة جيشه مع الجرارى وهو على بغلته . وقد تبجحوا ديار (وجان)
 فقات الحرب على ساق . فيقاوم بينها من كانوا يقربسون الى (وجان) من
 البعقلين ، قال ودفعنا نحن الى قرية (اكادير) فصرنا ندافع الجرارى ومن
 معه ، وقد توجه القائد الحسين الديلدى الى محل الشيخ النعمة لياسره، فصار
 يضرب هو وذن معه أبواب دار الشيخ . فتكسر مصاريها بابا بابا ، ودون
 الشيخ سبعة أبواب . فلم يبق الا واحد ليلقى عليه القبض . وهو رضى الله
 عنه جالس لا يبالى ، لان للرجل من الايمان القوى بالله والاتكال عليه ما هو
 معروف عن كل آل داء العينين ، فحين حرص القائد الحسين على اعتقاله وأبى
 أن يتراجع ، صمد اليه عثمان ابن عم للقائد موسى الوجاني . فأرسل اليه
 رصاصة صرخته في الحين ، قال اخاكي : ففى تلك اللحظة ، وصلت أنا
 واصحابى هذا المكان ، فضربنا يميننا وشمالا حتى أبعدنا المهاجمين عن دار
 الشيخ النعمة . فوجدنا القائد الحسين كما ضرب فرايناه مجندلا ، ولا يزال

عليه سلبه تسلبه اصحابنا دهرنا اولئك المهاجرين شر هزيمة ، نصرت اقطع رؤوس القتلى حتى ملأت بها ثلاثة جواق . فبعثتها الى (ترويس) فعملتكن بمقتها معهم : اطعوا الظلمين من بنادقهم : (تيماتارين) فينة بعد فينة في الطريق ، خصوصا فوق التنايا ، وامام القرى ، واعلنوا للناس ان حيدة مهزوم ، وان هذه رؤوس اصحابه ، فتناثر علينا الرسموكيون والبغقيليون بعد نصف النهار . فظهرت قوتنا . فبذلك انكف العدو عن كل قرى (ووجان) فانسحب حتى ابتعد عنها كثيرا بعد ما كان احتل غالبها ، فلما اجتمع الناس الواردين ومن كانوا هناك معنا في العشية ، خرج الشيخ النعمة اليهم . فراوه عيانا ، فدعا لكل الحاضرين وكان مرجو الدعاء الصالح رضى الله عنه فهو ياقوته اهله . قال : ثم درقنا الحرس في الليلة المقبلة على كسل اطراف (ووجان) لكل طرف فرقة ، فانزلت اصحابي في (تامالوت) حيث دخل في صباح اليوم العدو . ونزلت انا في دار المحفوظ ، ونزل الفقيهان سيدى على ابن عبد الله وسيدى الطاهر في ديار تسامت (تامالوت) والقائد مبارك في دار عمر الكرتاني ، واما المشاة فانهم كلهم نازلون وراء السور (اضراس) الذى كان مبنيا في عهد الكيلتولى لدفاعته به .

هكذا قضى ذلك النهار مع ليلته ، قال ثم بلغنى بعد ذلك الحين ان حيدة حين عرف اننى الذى توليت كبر ما وقع لجيشه في ووجان بعد ما نال ما نال في (ايت عبلا) وفي (الاخصاص) من العز ورفعة الشان . حتى سألته كل من هناك ، قال لهم : ان هذا العبد الاسود الذى لا يزال امام عيني في كل محل ذهبت اليه ، لا بد ان اعركه اليوم عركة لن ينساها ابدا ، فصار يحلف ويتألى على زعم الفرزدق ان سيقتل مريعا ابشر بطول سلامة يا مربع وفي الصباح اندفعت فيالقه على (ووجان) فاذا به قصد المحل الذى اعلمه جواسيسه باننى فيه ، - لان له جواسيس بيننا سماعين ، يعلمونه عنا بكل شئ ، فتلاقت مع المندفقين على ، فضرب فرسى فسقط دونى ، فكان رصاصنا لا يخطئ من معه لكثرتهم ، ولكون مشاتنا المدافعين راسين وراء (اضراس) فالاعدا بارزون يهاجمون بكثرة والمدافعون مستترون وراء المناريس ، فكانت فيالقههم وفرسانهم قلما يبقون لحظة في كل محل يقتحمونه باستماتتهم ، لكثرة من يموت منهم ، حتى انهم اقتحموا امكنة ثم ردوا منها ثلاث مرات ، وقد رجع جيشهم ايضا في هذا اليوم الثانى في العشى عن قرى (ووجان) بعد ما ايسوا من احتلال اية قرية منه ، وهكذا دامت الحرب اربعة ايام متوالية ، ونحن نزداد قوة واستقرارا وتمكنا في متاريسنا يوما عن يوم . وهم يزدادون هلعا وضعفا وهلاكا قال : لم يمض عندى انا من اصحابي الا خمسة ، وكذلك مات من القبائل جمعا ، اناس هنا وهناك ، نحو مائتين ونيف ، واما موتى حيدة ومن معه فاكثر من مات . بل اكثر من الف - على ما قيل - فلما

أيس حيلة من نيل مقصوده فينا بعد ما بذل من المجهود ما بذل ، الفت الى القائد عياد فقال له : ما هكذا كنت تقول لى عن هذه الناحية ، فقد زعمت أن الناس كلهم قد عراهم الدهش من هذا الجيش اللجب ، فلا تكاد تظهر أمام (وجان) حتى ينقاد لنا من فيه . ويسلمون لنا (النعمة) . والآن اننا سندهب وليس عندي الا الجيش المخزني ، وقد هلك كثير منه في يدي ، وأنا عنه مسؤول ، فاذهب انت واصنع لنفسك مع هؤلاء ما ظهر لك ، فاني مرتحل في الحين غدا ، فطلب منه القائد عياد أن يمكث من أجله ولو يوما آخر ، حتى يسبح نفسه بسياف حصين لانه يخاف أن تزحف الى داره هذه القبائل بمجرد ما يرجع حيلة ، وينزعه وحده ، وهو يوقن انه سيؤخذ باليد ، ان نزلت عليه هذه القبائل كلها . ومن أجل ذلك أراد أن يستوثق لنفسه ، فاجابه حيلة ، فأقام في اليوم الخامس ، فأرسل الجراري الى الحاج موح الاكاديري الوجاني الملقب اشباركو الوجاني ، وصالح ابن مبارك العمري الوجاني ، والمحفوظ بن سى احمد هؤلاء كلهم كانوا لصوصا معروفين بالغدر ، ثم صلحت احوالهم فكانوا من الرؤساء الملحوظين ، فاتصل بهم ليلا خارج (وجان) فصالح معهم ، وانعموا له باخراج الناجم وغيره من المخاربين ، وتوصلوا عن ذلك بأموال ، قال : كان اصحابي اخبروني بأن أحد هؤلاء ، وهو الذي نزلت أنا والقائد سعيد بن احمد في داره يدخل ويخرج ليلا لنسيء يزاوله ، فادركت ما عسى أن يزاوله من الغدر المعروف به قديما ، فأوصيت اصحابي أن يردوا اليه بالهم لئلا يفوتهم ما هو فيه ، وفي آخر الليلة الخامسة جا ، عندنا ونحن نائمون بعد رجوعه من عند الجراري ، وقد لاقاه ليلا هو واصحابه المذكورون ، فأيقظنا فأعلمنا بأن أهل وجان قد صالحوا عن بلدهم قال : فبادرته باستحسان ذلك ، ثم زدت على أن امرته أن لا يخالف الوجانيين ، فليكن معهم فيما أبرموه كلهم ، ثم في الصباح افضيت الى الفقيهين سيدي علي بن عبد الله ، وسيدي الطاهر - وهما دائما من أهل اسرارنا - بما كان ، ثم بكر ، علينا أهل وجان ففقدوا مجتمعهم . وارسلوا الينا يريدون ان يعلنوا أنهم صالحوا عن بلدهم ، وقد صادف ان جاء في تلك اللحظة لاغاتنا الشيخ الوالي ابن الشيخ ماء العينين في مائة صحراوي على نوقهم ، وفرسان بعمرانيون من أهل النية الحسنة في الجهاد ، ومعهم القائد يرعى الذي كان ذاهبا الى تلك الجهة ، فتلقيت الشيخ الوالي خارج المجمع الذي ابتدا يتعقد فاعلمته بما كان ، وأمرت ان يذهب قدما حتى يقف على مجمع الوجانيين ثم يشكرهم على الدفاع الذي قاموا به عن أخيه الشيخ النعمة ، ثم يدعو معهم على عادتهم في الدعوات ، ثم يرجع ادراجه ولا ينزل ، بل يودعهم فيمضي في طريقه ، ولا يزيد على ذلك ، ثم قلت له : انك ان نزلت فسيحاربك هؤلاء ، فنضطر نحن الى محاربتهم ايضا ، فنفسد على أخيك الساكن عندهم الشيخ النعمة ما هو فيه من

السكينة ، ففعل كل ما قلته له ، فذهب هو ومن معه راجعين من (وجان) من غير أن ينزلوا فيه ، ثم قال يرعى اذهب بنا يا فلان فلا حياة لنا نحن المهاجرين هنا بعد اليوم ، فقد رأيت أن الجميع صالح حيدة ، فبأى عين ينظر إلينا نحن المهاجرين في سبيل الاسلام بعد اليوم ، فالناس كلهم لا يحبون هنا الا الكفر وأهله ، ومن يواليه ، حتى أن البعمرانيين الذين عاشرتهم في هذه الايام لم احس منهم اى غيرة اسلامية ، فالكل طامع في مال الكفار ان وجدوه . فقلت له : اننى الآن قد اعيتت وقد سهرت منذ ليل . فلا ارب لى الا فى النعاس ، وساخرج الآن من وجان فاذهب حيث انا ، فان لم اجد الا ما فوق اكمة فاننى اميل اليها حتى اسريح ، فاذهب انت الآن الى (تردوس) عند الهية ، وهذان الفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر ، سيذهبان معك ليدلاك على الطريق ، فانهما حريصان على المرور بالهية ، وساتبعكم بعد ايام . فهكذا فارقتهم ، ثم دخلت الى الشيخ النعمة ، فقلت له : اننى سمعت عن البعمرانيين كذا وكذا ، وفي نيتى ان اذهب اليهم لارى ما يقال عنهم . اصحيح ام كذب ، فدعا لى فخرجت فبت في (عين الطلبة) ثم فى (اتارض) من (اغير ملتولن) ثم فى (ادالاربعاء) عند الفقير على من آل بوفوس ، ثم فى دارنا فى (اد جلول) عند ابناء عمى ، وقد قدمت أصحابى من الفرسان والمشاة الى مشهد (سيدى على بن سعيد) حيث التحقت بهم فى الغد ، واجتمع على جميع الاعيان ، ثم طلبت منهم بعد أن يبيتوا أصحابى ان يفتروهم بكرة . وهم سبعون فارسا ومائة وثلاثون من المشاة . فارسلت من يشتري لى ثورين فى موسم (ايسك) واليوم يوم عمارة موسمه فقلت للرسول : بمجرد ما ترانى واقفا عند مشهد الشيخ ، اينسى باحد الثورين لاذبحه عليه ، ثم لما ذبحت الثور ذهبت الى دار يقال لها (دار حميدوش) تحت شجرة خروب امامها ، فحين مرت بفرسانى فاثارت الغبار سألت عجوز عنا فقبل لها من نحن . واننى الذى حاربت حيدة بعد ما هادنه الناس ، فزغردت فرحا بنا ، ثم جاء اصحاب الجرارى وهم ثلاثون فارسا ، بهال يبتونه فى اعيان البعمرانيين لتفريق كلمتهم . قال فبمجرد ما راوئى رجعوا وقد ايسوا بسببى من نجاحهم ، فاذا بالقائد المدنى دخل ايضا فى اصحابه وقبيلته وهم خمسمائة فارس ، ثم صار الناس يقولون علنا أين البعمرانيون الذين كانوا ذهبوا الى مجاهدتهم الناجم فى هشتوكه ، فها هو ذا طرده الفرنسيون حتى وصلهم هنا . قال فصار من يعرفنى يجرى الى، فيأتى كل واحد بما فى طاقته ، فهذا قالبان من سكر ، وذاك ثلاثة ، وذلك أربعة كل واحد بما فى طاقته ، فذهب الاخصاصيون ، فاخبروا المدنى بمن ياتون الى جماعات جماعات ، فقال لهم : انه اخونا واخوكم ، فاذهبوا اليه بنا ايضا . فاشترؤا ثلاث احمال من سكر ، ففرقوها بينهم ، فى اذرعهم ،

هذا بأربعة . وهذا بخمسة ، فجاءوا يقدمهم المدنى الى . فقال : يا اخنا
 الناجم : مرحبا بك فى ايت بعمران . توجد ازانى مربيه ربه هو وصاحبنا
 معروفان يكونان معه : اسمعيل وماء العينين ، بعد محادثه فليته ، رجع
 المدنى الى محله ، ودى العشيه اتانى الرئيس للقبيلة وهو عابد من (ال :
 تكميست) من ايت بونكر حيث هذا الموسم ، فقال لى ان القبيلة نرحب بك
 فان ميينك فى دار القائد محمد ابن القائد ابراهيم بن سعيد الوجدارى وقد
 مات القائدان معا اذ ذاك . فيبينما انا جاسى اذا بشاب جلس امامى ، فصار
 يبكى ، فسألته عن سبب بكائه . فقال : ان القبيلة اعلمنى ان تبنت عندى
 اليوم ، ووعدت ان تعطينى ما ابيئك به ، ولكن لم تعطنى شيئا ، فقلت له
 هل عندك تبى ؟ فقال نعم . فارسلت من اشترى ما يكفى لبياننا من اللحم
 والادام والخضر والحبز والانى والشمع ، واما السكر فهو عندى كثير ، ثم
 بات معنا مربيه ربه ، واخوه الشيخ الوالى فى اصحابهما ، وفى الصباح اجتمع
 كل البعمرانيين تحت الشجرة التى تلى العبيد يباعون تحتها فى كل موسم
 من قديم ، فسمى (شجرة العبيد) فالتام كل الناس ، فاموات الى احد
 اصحابى ، فأتى بالثور الثانى ، فاقبلت به حتى اعويت الى ذبحه وسطهم
 قتنادى الرؤساء : لا تذبح ، لا تذبح ، فقام العامة يقولون : اننا لك بكل ما
 تريد - لان الذبيحة هكذا تكون عادة الا على من اردت ان تخمى به لينصرف
 فى مهمة ما - فقلت لهم اننى اريد ان اقول لكم كلمة واحدة ، انكم تعلمون
 اننى كنت فى مراکش ، فاجتمعت اثم ومن معكم من كل السوسيين بسيدنا
 مولاي احمد الهيبه ، فتابعناكم عليه ، فتركنا كل اموالنا واهاليئنا فى نصرته ،
 فالآن ألا تزالون على بيعته ام لا ؟ فصرخوا كلهم بلسان واحد : الله ينصر
 مولاي احمد الهيبه ، يكررون ذلك . فقلت لهم : اننى سمعت جوابكم ، فاريد
 منكم ان تعطونى الرهائن على ما تقولونه - ويسمون هذه الرهائن : بالوثائق
 فقام احد الاصبائين ، فوضع امامى بندقية اهليه قديمة لا تساوى فتىلا ،
 فبادر الزيد اخو الشيخ سعيد الحمسى اليها فرماها وراء المجتمع بكل غضب
 استهانة بها ، ثم قلت لهم : ارونى وثائقكم الصحيحة ، فصارت البندقيات
 الاوربية العالية التهيئة تلقى امامنا من كل فخذ من اقخاذ القبائل البعمرانية
 ثم قالوا ماذا تريد منا بعد الوثائق ؟ فقلت اريد ان يجتمع الاعيان منكم فى
 موسم سيدى احمد بن موسى ليذهبوا الى مولاي احمد الهيبه ، ليمثلوا امامه
 فيؤدون الواجب ، فاجابوا كلهم بلسان واحد : سمعا وطاعة ، وعلى ذلك
 تفرق الناس ، وفرح من فيهم الابيان ، وفرح من فى قلوبهم غل ، فبقيت مع
 مربيه ربه ، والشيخ الوالى مع مائة صحراوى على نوقهم البجائيات هناك .
 ثم ان القائد سى احمد نطالب ارسل الينا بعد ما ذهب لبيت كلنا فى
 قبيلته (ايت يعزى) فارانى دار غنى ابنته عنده انا ومن اريد من اخصائى ،

والباقون تفرقهم القبيلة - على العادة في تفرق الاضياف ان كثروا - قال لي الرسول ذلك سرا في اذني ، فسألني مربيه ربه عما قيل لي ، فاخبرته بالواقع فذهب مربيه ربه واخوه الشيخ الوالي - وهذا اكبر من مربيه ربه ، وهو مجاهد شجاع معروف بالشهامة - الى دار غني يَكفِيهم المؤونة كلها تلك الليلة مع اولئك الصحراويين ، واسم الذين باتوا عنده : عبد الله بن بلعيد من القضاة في عهد مولاي الحسن ، وكان السلطان يكرمه غاية الاحرام ، قال ثم انني ذهبت الى من عينه لي سي احمد نطالب وهو محمد بن عيسى البوكر فاني الفنى ، فاذا به لم يلتقي ولم يقبلني ، فنزلت قريبا من داره ، فاتي الى اناس كنت اعرفهم بكبش كبير ، فخاصموا ابن عيسى مخاصمة عنيفة على ما فعله معي حتى ندم ، فظهر التوبة حتى هم أن يذبح امامي . فقلت له ما كان لي غرض ان ابيت عند أى انسان، وانما الذى ارسلني اليك هو سي احمد نطالب ، ثم قلت له هاك كل ما تريد من الاعانة ، فانسى اعرفك ، واعرف اباك واخاك ، ثم لما اعتذر قبلت عنده ، فدخلنا الى داره . فبيتنا احسن بيت ، قال ثم رجعت في طريق الاختصاص ، فنزلت في دار اهلي باد جلول اربعة ايام ، فكننت اظل في مدرسة (سيدي على بن سعيد) فيجتمع على آل (بوياسين) فصاروا يوسوسون لي بان اتولى امرهم ، لاننى اخوهم دون القائد المدني الذى كان سلم فيهم يوم جاء حيلة ، فرددت عليهم ردا عنيفا ثم قمت معهم في هوكب كبير الى القائد المدني استدراكا لما عسى أن يصله من وسوسة هؤلاء الحمقى ، فنزلت عنده فرحب بي وبمن معي ، وقد كان وصله فعلا بعض ما يقوله لي اهل (بوياسين) فتخوف ، حتى انه صار يحتاط ، فلما دهمناه انزلني انا واصحابي في محل خاص ، فكننت انا والقائد المدني نظرا . وبيت على المحادثة والاتاى الذى يشرب منه ولا ، حتى انه لا يشبع منه ، وبعد يومين ودعنى بناقعة كوما ، فقال لي : اننى واياك اخوان فنصحنى ان لا اتحمل كل هؤلاء الفرسان والشاة ، وان ابعثهم الى داره بـ (ادحيثوف) ليمانوا هناك فشكرته ، ثم ابيت مما اقترحه تعففا ، ثم قال لي : انظر من ينقل اليك اربعين حملا من شعير من عندى ، فأريته واحدا من ادجلول لتكوز عنده امانة ، ثم فارقت (بنوزاكارن) الى (تالوست) من (ايغير ملولن) ، ثم الى موسم سيدي احمد بن موسى ، حيث اجتمع اعيان القبائل كلهم خصوصا البعمرانيين ، ومن بينهم القائد المدني ، فوفدت بالجميع الى مولاي احمد الهيبة فالتعش اهر الهيبة من جديد ، ولم تكن نجد من الوليتيين ما نجده من البعمرانيين والاختصاص ومجاط من القبرة ولا من الشجاعة ولا من الاعانات وكثير من الوليتيين لا يهتمون الا بما يجعلونه في جوبهم ، ولا يستحيون ان يتطلبوا ما تحت أيدينا مع انا غرباء مهاجرون ، وذلك على عكس الآخريز فانهم وان كانوا يطمعون من غيرنا لا يرجون منا نحن المهاجرين شيئا ولو دانا.

قال كنت وضعت اهلى - كما تقدم - عند الصالح سيدى محمد البنى الكرسى الاصل الكارضى وهو يتعاطى أفعال المجاذيب ، وربما يدعى دعاوى ، فقد أرسل شعرا على راسه ، وكثيرا ما يقول : لا احلقه الا فى فاس ، يقول ذلك لآل الهبة ، فيقصد بذلك أنهم سيحتلون فاسا معه، وقد كان وجود بكل ما يملك لنا حتى أنه كان يرهن حقوله فى اعانتنا، قال فذهبت الآن بعد ما ودعت البعمرائين من عند الهبة الى اهلى فى (أزاريف) فلبثت هناك الى ان رجع حيدة فاحتل ثانيا (تيزنيت) فى ربيع الاول : 1335 هـ فتوجه الى بعمرانة وقد صار الحبل يتصل بينه وبين حماد من آل بيهى من (المسيدة) - وكان من أكابر قومه البوبكرين - فحاول أن لا يسلك الطريق التى تمر بقبيلته، فكان ذلك هو السبب حتى سلك حيدة المسلك الذى هلك فيه ، وهو وادى (ايكالتفن) فقد أخذه الله هناك بغتة برصاصة هوائية اخذا ويلا ، قال لم احضر هذه الواقعة بنفسى ، وانما ارسلت أصحابى فحضروا فيها ، وقد غنموا بين الناس أخبية وخيلا ، ولكن الذى فاز بالفنائم الكبرى هم المجاطيون، وقد وقف فيما سمعت على حيدة ممن معه ليحامي عنه حين سقط هؤلاء.

الرؤساء : هم من آل سعيد اليعزوى الهشتوكى ، وولد الحاج الرامى الايشنادنى الهشتوكى، وبوهوش من آل افرا من آل باها السهلين، ومسعود الخربة من آل (اداو.متنو)، وسعيد بن الحسن الامزالي ، فهلكوا كلهم ، وقد كان وقف ازاءه أيضا : عباد الجراى فنجا راجلا بمعجزة وقد ترك فرسه ، ثم عرف احدهم بعد ذلك النهار حيدة فقطع راسه وهو كما حلق شعره ، قال: فجننت اثر الواقعة الى (كردوس) فاذا باعرابى يسمى القاضى آتى برأس عدوى اللود حيدة ، وقد جعله فى مخلاة قال : فقلت للحاضرين : ان الله لم يحث حيدة ، فقد كان يحلف أن يتلاقى معى وأن يطلع الى هذه الجبال ، فهاهو ذا راسه اتلاقى انا وهو هنا ، وما هو ذا فى وسط هذه الجبال ، ثم خرج الى المجلس الهبة ، فطرح الراس بين يديه ، فصار ينكت على راسه بقضيب ، وهو يخاطبه بقوله : أرايت عاقبة غدرك يا حيدة ، ألم يقل لك والدى الشيخ ما قال :وقد ذكر أن الشيخ ماء العينين أوصاه على اولاده. ألم تر كيف عاقبة من اساء الى من احسنوا اليه ، ألم تجعلك كبير جيشنا الى مراکش ، ألم نستأمنك على اسرارنا . فصار الهبة يعيد كل ما كان مضى له معه ، قال الناجم : فقلت اليه فقلت : من تخاطبه الآن ، فقال : ان كل ما اقله له يدركه - اقول لعل الهبة استحضر ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب به قتلى المشركين فى قلب بدر ، حين قال : انهم يسمعون كل ما اقول لهم - ثم أمر بالراس فعلق امام باب دار القائد سعيد بن احمد ، ثم

سرق الراس ليلا بعد قليل ، فأتى به الى الحاج حماد ولد حيدة ، فدفن الى جنته في (ترزيت) ، قيل : ان القائد يرعى هو الذي انزله من معلقه فدفعه الى يهودى من يهود (نازاروات) وذلك - قيل - بوساطة مولاى احمد من آل الشريف الهشتوكى ، وقد دفع الحاج حماد ابن حيدة فى استرجاع رأس ابيه مالا كثيرا .

قال : كان فقيه شريف من البنوشواريين يسمى الحاج محمدا نازلا فى بيت ازاء مشهد سيدى محمد بن سليمان ، يقصده الناس على طبقاتهم ، وكان يتبرك به ، ومن اهل الكشف ، قال فارسل الفقيه الى سيدى الحاج عبد ابن عمه قبل قدوم حيدة فى مرته الاولى : ان جيشين سيايانكم قريبا من راس الوادى ، فلا تدهشوا منهما ، فاصبروا للاول منهما ، فانه لا بأس منه ، واما الثانى فكل ما فيه فهو لكم ، فبلغنى ذلك ، فاولته بما وقع لحيدة فى هاتين المرتين ، ثم اشار الى قضية أخرى ، فتبين ذلك فى جيش السنيغاليين والنصارى ، نزل عند (صهرج البقر) بمراكش ، ليقصد أيضا الى سوس ، فاصابته صاعقة ، فاهلكت كثيرا منه ، فكان ما وقع له مصداق ما اشار اليه ايضا ، قال : وبعد ايام من (كردوس) رجعت الى اهل فى (ازريف) ثم لم يطل الزمان فاذا بجيش عظيم جاء زاحفا الى سوس ، قد لحق به اخيرا الحاج التهامى الاكلاوى ، وابو السلام خليفة المتوكى ، والكتنافى وجميع قواد سوس وحاحه ، ثم لما نزل الجيش فى (ترزيت) بكر الى (وجان) حيث أسرع المجاطيون من اغير ملولن فاثاثوا البعقلين الذين وجنوههم يدافعون عن (وجان) فلما اطل المجاطيون من ثنية صارت المدافع توجه اليهم قنابرها ، قال من حضر : وهو اخى سيدى محمد : اطللنا فرايت قرية تحت الثنية وجهت اليها القنابر حتى دكتها دكا ، فجلست انا ومن معى وراء صخرات نضرب ونوجه طلقاتنا الى اصحاب المدافع فاثارنا فيهم ، على ما يظهر - لاننا احسنا بعد حين أن القنابر من المدافع توجه اليها عن قصد ، فبقينا كذلك طوال النهار ، فسقط كثيرون من مجاط ، قال قائل انهم نحو ثمانين ، قال ولا ريب ان الموتى كثيرون فى غيرنا من البعقلين ، ثم لما وصل الليل خرج الشيخ النعمة من منزله هناك ، وقد امن وقت خروجه ، لان العدو كان اقلع عند الاصيل فانسحب بكل ما له وما عليه ، فابتعد خطره ، فاذا ذاك رجل كل الوجانيين فغادروا ديارهم ومن بينهم الشيخ النعمة ، ثم ان الكنتافى والجرارى - وقد كان عندهما الخبر بان الوجانيين قد رحلوا - بادرا فاحتلوا وجان ، ثم اعلما رئيس الجيش بذلك ، فكانت مزية لهما خاصة ، ثم وصلا الاسلاك بالشيخ احمد الامازرى ، فهادن الجيش بمال قبضه من عند الجرارى ، فاقلع الجيش عن (وجان) ، وقد اعلن فيه أن المجلبين قد اسلسوا القياد ، فصالحوا الدولة الا أن الامازرى لم ينشب أن أهلكه البعقليون بقلته هذه ،

وكان الذين تولوا قتله ال ابي هدى اللصوص البعقيليون المشهورون ، وقد
 كان الجيش ومن فيه توجهوا الى ايت بمران وطلعوا من تلك الشايا فزحفوا
 الى ان وصلوا الى (ايسك) وقد جلا كل من في طريقه ، فبقى هناك اياما
 فلم يصله احد . فهناك قتل عبد الله بن بلقاسم الماسي ، قال فصرت انا
 اجمع قبائل الجبال من (ايلائن) و (اينت صواب) و (املن) و (وبعيلة) و
 (رسموكة) في جمع عظيم كلهم مشاة ، فنزلنا في ايت ودريم ، قال فكنت
 اتوسط مجمعهم فاشجعهم فاندبهم الى قطع الطريق في هشتوكة عن ذلك
 الجيش ، وقد كان ابو السلام المتوكى رئيسا على القوافل التي تاتي وتذهب
 في ايصال المؤن والعدد الى الجيش ، وامر بجمع الخيل لذلك ممن عندهم
 الخيل ، فكنت اذيع ما اذيع ، وانا اعلم ان المشاة هم الذين معنا ولا خيل في
 تلك الجبال ، والمشاة لا يمكن ان ينزلوا الى البسيط بهشتوكة ، وانما قصدي
 ان يذهب الجواسيس بما اقول الى رؤساء الجيش النازلين وراء (ترزيت)
 ليدشوا خوف ان يقطع عنهم خط الرجعة ، فيؤثر فيهم ذلك . فكان ذلك احد
 الاسباب حتى تراجع الجيش بعد ما مكث اياما في (ايسك) حيث لم يجد
 من يتصل به من اهل البلد ، وقد تنادى الناس باهلاك كل من اتصل
 بالجيش ، والقبايل الجنوبية اجتمعت كلها من الصحراء ووادى نون وادابراهيم
 ومجاط وما الى كل تلك النواحي ، فسامت رجالها معسكر الجيش ، وفي صباح
 مبكر ، اقلع الجيش فصار يستدير لينزل الى (بونعمان) ولكنه لم يقصده
 توا ، بل ذهب صامدا امامه حينا . ثم مال الى اليسار ، قال من حضر
 - وهو اخي سيدى محمد - بتنا تلك الليلة في دار، فبات من معنا يتواصون
 بالملافة في الجنة غدا ان رزقوا الشهادة ، والناس في اقلال ، ولا زاد مع غالب
 الناس ، وانما يعملون الى السنايل من المزروعات ، وقد افركت فيشموونها
 فياكلونها ، وقد بات القائد سعيد بن احمد الكردي في جانب من الدار التي
 نحن فيها ، فلم يتعش الا بتلك السنايل ، فطبخنا نحن عشاءنا فارسلنا اليه
 منه ، ثم بكرت علينا موالاة (تيمتارين) : الطلقتين بالاشارة الى نهوض
 العدو ، فقمنا عن عجل ، فاطلنا من ثنية فلا نرى الا صفوف الجند كخطوط
 الدبا ، صفا صفا ، والرصاص من الجو علينا وعلى الاشجار كالطر ، فكل من
 لم يتدوق بشئ ، اصيب ، فما اكثر القتل وما اكثر الجرحى ، قال واذ ذاك
 اصيب الفقير ابو جمعة البوعشراوى الكسيمي بجروح ذهبت باحداها عينه ،
 وقد كان من المهاجرين الى الزاوية الالفية ، وقد حكى انه سقط اذ ذاك ، فوصله
 الجند ، فتماوت بين الموتى ، فادخل جندي خنجره تحت جبل من مسد ، كاذ
 تمنطق به ، فقطعه ولم يمس لحمه . لكونه يظنه ميتا ، وبتماوته نجا ، فقام
 بعد ما ولى الجند ، قال الاخ ، وعند طلوع النهار دفعنا بالفرسان الى نحر
 الجيش ، فاذا بالقوة تردنا حتى انهزمنا ، ثم تراجعنا بعد قليل ، ثم زحفنا

ثانيا من ثنية نحو بسيط قليل ، فاذا بالدفاع قد اُرسِت فيه ، فوفقت أنا بفرسى أطلق على من حول المدافع من بندقيتى . وأنا انتظر أن أسقط ، فاذا بفرسى ركم على صدره ، وقد أصيب فتحولت عنه فأسرع اليه مجاطى فذهب بالسرج بعد ما قطع بطانه وصداره بخنجره ، فسرت أنا على رجلى ، وقد انقطع الكيس الذى فيه اللخيرة البارودية وهو ثقيل . فجمعت الجبة على الكيس فصرت أمشى وأنا استدبر الجيش والرصاص من الرشاشات ينهمر على ما حوالى ، حتى أننى لا تعجب كيف لا يصيبنى ، فانه يسقط أمامى فيما يسامت شخصى ، ولكنه لم يمر بجسدى مع أن ما يتراءى لى محال عادة ، هكذا اسير وحدى حتى استندت من الثنية . حيث اختفيت عن الجيش ، فادركت اذن اننى قد نجوت ، وأنا اذ ذاك وحدى فلم يتيسر لى الا بعض معاريفى بعد حين . فركبت على بغلة له ، ثم رايت الفقيه سيدى على بن عبد الله مع كبكبة من الخيل وراء الناس ، تفرقت عليهم قبرة ففرقوا .

هذه لمحة عما وقع يومذاك ، ثم نزل الجيش الى (بونعمان) وقد انسحب قال الحاكى : الناجم : وقد حضر يومذاك الشيخ مولاى احمد الدرقاوى فاعلن بالهيللة ، فدفع بفرسه ، فتبعه كثيرون ، فاثرت حملته فى العدو كثيرا ، حتى أن الحاج النهامى حارب كثيرا ذلك النهار حتى سقط تحته فرس أو فرسان فقام عليه القائد ادریس بن فائدة ، حتى أتى اليه بفرس آخر، وكذلك رأى الطائرون على الجيش الاعراب الكثيرين الذين يقدمون من الصحراء ، قد اقبلوا بكثرة عليهم . فلم يصلوا الا آخر اليوم ، وبذلك كله تراجع الجيش ، وقد قتل فيه كثيرون ، لان كل رصاصة اطلقت اليهم قل أن تخطى، لتزاحم الجنود ، ولكثرة الخسد ، قال الاخ سيدى محمد : كان الناس يومذاك فوضى لا تنظيم لهم، فينتطلق من شاء ويبقى من شاء، ويتأخر من شاء ويتقدم من شاء، فليس هناك الا الضمائر وحدها، وكذلك ليس عند الناس من الرصاص الا القليل، فكان من لطف الله بالناس أن العدو قد انسحب ، وأبقى فى الناس القوة المعنوية ، حين سموا انسحابه انهزاما ، قال الناجم : ثم أن الاكلوى صار يستغل كلمة الإيمان ، فكان الخليفة أبو السلام المتوكى يتصل بيرعى ثم بالمدنى بالرسائل، يتطلب المقابلة ليفك القضية بالمهادنة (فتم ذلك على ما بيناه فى غير هذا المحل بالتفصيل) .

فى أوخريب

قال : بعد ما كنت ما شاء الله فى (اكارض) من (ازاريف) انتقلت الى (أوخريب) من (ايت باها او باها) فحرثت هناك ، وقت الحرث ، وقد اتيت باهلى واستقرت بى الدار ، وقد كان التاجر محمد - فتحا - بن احمد ابن بلا الامزلى متسوفا موسم سيدى محمد بن عبلا ، من قبيلة الساحل ،

فالتقى مع التجار الشياطين المشهورين اذ ذاك فى (ترنيت) ، فاتوا به الى الكنتافى الذى استقر فى (ترنيت) بعد رجوع ذلك الجيش ، فتمكن فيها وعلا شأنه ، فداول ذلك التاجر محمد بن احمد الامزالي القائد الكنتافى ، فكان مما قاله : ان عندنا عبدا صدىع رؤوسنا ، فيالينك كفتينا مؤونته ، فاخرجه عنا ، فواعده الكنتافى على ذلك متى تيسر له الامر ، قال : وبينما انا جالس فى محل صليت فيه ، فاذا بالمدكور مر بى وامامه عجل وراه بقرة ، فنزل فسلم على ، ثم قال : اننى تسوقت موسم سيدى محمد بن عبلا لاشترى ما احتاج اليه ، قال ثم كان عندى الخبر بما كان داوله مع القائد الكنتافى ، فارسلت الى الفقيه سيدى الحاج عبد . فاخبرته بكل ما كان من ذلك الامزالي حولى ، فقال الفقيه وهو غضبان : البسه الله لباس الجدام ، ثم صار الامزالي يبيت الدعاية ضدى ، فجاء سيدى الحاج عبد فخاصمهم على ذلك ، وقال لهم : ام اضر بكم ما تمونون به اصحابه - وكانت قبيلة ايت باها والماجتيكيكيلىون يصنعون فى كل وقت وجبة رقيقات من الخبز لمن معى من اصحابى ، كمؤونة لهم تبرعوا بها - ثم بعد ذلك بلغنا ان الكنتافى الذى تمكن منذ نزل فى ترنيت فى كل قبائل (ازغار) الى (هشتوكه) صار يجمع الجيش ليزحف اليها ، وقد كان احمد بن على البلغافى خرج عن طاعة الكنتافى ، فهرب منه الى (انموليل) من (ايت ودريم) فسكن هو واصحابه نحو عشرين فارسا ، قال وقد كنت حصلت من محروثى ما حصلت فصرت ابيع منه - شميرا او ذرة - وارسل منه الى ايت (والياض) احتياطا لآخف متى اردت ان ار حل من جديد .

فى ايت والياض

قال ذلك هو السبب حتى فارقت سكنى (الوخرب) فانتقلت باولادى الى محلى الجديد ، ففطنت فى دار لعل بن ابراهيم كانت لآخيه الحسن بن ابراهيم، وهما من اهل (تونودى) وهم من آل سيدى ابراهيم التونودى (الشهير المتوفى سنة 1248هـ) فطنت هناك انا واصحابى ، فلما جاء الكنتافى زاحفا لم يقف حتى وصل الدار التى كنت فيها ، وقد كان اراد ان ينزل فيها الا انها لم تعجبه ، فنزل فى دار سى بلا من آل انومغار، فورد عليه احمد بن بلا فقال له : اربحك الله منا ، فان هذا العبد كاد بافعاله يحول بيننا وبين مجالات تجارتنا فى ازغار الى السوير، فلما انتلنا الآن زحزحته عنا، فاعطاه الكنتافى مالا ولباسا ولم يتكلم الا بكلام كثيرين هناك، قال فكنت انا فى (دكتا تبارك) من ايت والياض انا واصحابى ، ثم ورد على اصحاب احمد بن على البلغافى، والحسين بن عمر - المشهور بعد فى ثورة الواغزنى - فصار البارود يقع بيننا وبين الكنتافى ، فهبت ريحنا عليه حتى انهزم من معه ، فامر اصحابه ان يردوا المنهزمين ولو بالرصاص ، فوقف محمد بن عبد السلام الجرادى ، ومحمد

ابن بو السلام الميليكي، والفائد الحسن الاكلويى وقوف الرجال ازاء الكتتافى، فلم ينهزوا، قال وقد كنت انا راجلا، فابعدت فرسى، فجلست متترسا وراء (اشبار) - وهو المحل يتدق فيه الرامى المبنى بأحجار - ومعى مشاة جبليون فارسينا هناك تضرب منه فذهب ابراهيم بن محمد بن بلا الامزالي الى الكتتافى، فطلب منه ان يعطيه رجلا ليحذف الى المحل الذى نحن فيه ليخرجنا منه. فاعطاه فيلقا من الجند الذى معه، فاستداروا وراءنا، فلم نشعر حتى دوت الموسيقى العسكرية من خلفنا، فاجل الجبليون الذين معى، فتركونى وحيدا حتى الذى تركت الفرس فى يده قد اطلق لجامه، واعلمنى بذهابه ايضا بدوره، فقممت فركبت على فرسى فهربت بدورى، فصاروا ينادوننى: يا صاحب القرون - يعنون النواضر اى الشعر المجتمع على عوارضى - يا ايها الاسود، والله ليرين ابوك الحرطاني اليوم مهلكه، ثم والسوا على رشاشات رصاصهم كالفيث النهار فنجاني الله فذهبت حتى لحقت منجلدا فسرت معه، فوجدت اهل (ادنتبارك) كما نزع منهم عبد لى ثورا كانوا اخرجوه ليدبعوه امام الكتتافى، ثم بتنا ذلك النهار، فناديت رب مئوى على بن ابراهيم، فقلت له: ألم يكن محمد بن احمد بن بلا الامزالي صاحبك، فلماذا لا يتوسط بينك وبين الكتتافى اليوم، ويقف معك كما وقفت معه امس حين اقممت السوق امام داره، وقد انفتت عليه مائة غرارة من الدقيق أريد بذلك ان يبقى فى داره، فاتبعنى فى ذلك، فارسل الى الامزالي فقال له ذلك، ثم قال له: ان العبد سنجليه عن بلدنا، ليذهب الى حال سبيله، فتم الامر على ذلك، فاهبت القبيلة للكتتافى فى اليوم الثانى، ثم اصبح الكتتافى سائرا بجيشه، فنزل (تاكدانى)، فهناك نصب مدافعه، فخرجت انا ومن معى واصحاب احمد بن على، فتوجهنا الى (تونودى) حيث اولادى فباتوا عندى، ثم اوصلتهم الى ايت (وكريم) فى (تاركا والياض) وفى اليوم الآخر خرجت انا وعلى بن ابراهيم الذى لا يزال معى وقد ابى ان ينفارنى الى (تاركا والياض) فبقينا هناك ما شاء الله، وهو قرية منيعة، فتقدم الكتتافى حتى نزل على (اكادير نتريمت) فهدمه، ثم رجع الى تزنيث فرحا بما ناله من الانتصار، فكانت هذه هى فاتحة وفائعه فى جبال تلك النواحي قال: واذا كُتب الكتتافى الى (باركينو) يخبره بأنه فتح اربع عشرة قبيلة وقد كاد يسمى له القرى على انها قبائل، فلما علم (باركينو) الحقيقة عرف انه يكذب سياسة، فكان ذلك لبنة مما بنى بعد ذلك الوقت حوالبه من بناء سميك من اكاذيبه عند الحكومة. فكان ذلك سبب اغفائه من تزنيث.

الرجوع الى تونودى

قال ثم اننا بعد رجوع الكتتافى عادت (هيف الى اديانها (1)) فرجع كل (2) هيف بفتح الهاء الريح الحارة. وذلك مثل من يرجع الى ما هو عادته من القبيح

ما كان الى ما كان فيه ، فرجعت انا مع صاحبي علي بن ابراهيم الى محل
 عنده ، ثم وصل موسم (سيدى مسعود افلوس) من قبيلة (اداكنيضيف)
 فذهبت انا وعلى بن ابراهيم ، زابن الحسن ، ودتهمنو، وعلى من آل حميدة الى
 الموسم في (تيكيساس) فاشترت هناك حملا من السكر وثورا ، فاعطيتهما
 لاهل (تيكيساس) ومثلها لايت سميون جيرانهم ، فبعت عند الاولين . فكننت
 في دار القاضي السيد عدى الفيلاي ، وفي الليلة الاخرى عند جيرانهم ، ثم
 اشترت ثورا آخر ، فذهبت به الى (اساكين) وقد كان الايساكينيون تفاقموا
 مع رئيسهم الشيخ سعيد الانامري ، فصاغت بينهم بعد ما قدمت الثور ،
 فضيغوني اربعة ايام ، فذهبت الى (ايرغ) حث بقيت ثلاثة ايام انا ومن معي ،
 ثم الى (تازكنا) من قبيلة (اداكنيضيف) ، وهو بلد حسن فيه المياه وانا
 اسوق دائما حيثما ذهبت الشيران واحمال السكر ، ثم الى (اغير افران) ثم الى
 (امجيلن) ثم (كمزت) ثم (اداوكثير) ثم الى (تازكنا) ثم الى (تيدلي) فكننت
 اقول لكل فريق : اني مهاجر اليكم فاريد منكم ان تدافعوا عني يوم احتاج
 اليكم فاعطوني كلهم اليهود على ذلك ، ومن هناك رجعنا الى محلنا من
 (ايت والياض) قال ثم سلط الله الجذام والبثور والقروح على جسد محمد بن
 احمد بن بلا الامزالي الذي كان دعا عليه الفقيه سيدى الحاج عبد ، فينتفخ حتى
 هلك وشيكا ، قال ولم نرجع حتى هلك ، ثم تتابعت الايام على هناك ثم مات
 احمد الهيبه سنة : 1337 هـ . فجنث انا والولياضيون حتى عزينا فيه وبابنا
 مربيه ربه ، فرجعت الى مستقرى ، قال : ثم صارت السياسة الكتافية تعوم
 حولى كثيرا . فبيث الدراهم لمن سيفتك بي غيلة . وانا متكل على الله ، والناس
 يامروني ان اتجنب ، فتسربت الينا اخبار من نواح شتى ان نرد بالنار الى
 ما سيقع يوم العيد . فصليت المغرب ليلة العيد خارج مسكني ، فصاع لي
 شاهد السبحة في مصلاي ، فبحثت عنه فلم أجده ، ثم بكرت بعد صلاة
 الصبح عند الاسفار لافتش عنه ، فاذا بفلان وقف ازامي فسلم على ،
 فسال عن الرئيس اين داره ، فماشيته الى داره . فطلب منا ان ندخل معا
 اليه ، فاعتلرت له باننى ساذهب الى المجتمعين من الناس لافطر معهم ، وقد
 حثوني على ذلك ، فادخل الرئيس الضيف الى داره ، فذهبت انا الى الناس .
 فجمع الناس اطعمتهم على العادة في صباح كل عيد ، اذ ياتى كل انسان
 بطعامه كيفما كان الى المسجد ، فياكل الجميع ، ثم يتسامحون ويتفارقون بعد ان
 يهنئ بعضهم بعضا بالعيد ، فقال لي المجتمعون : اين على بن ابراهيم ؟
 فقلت لهم : قد دخل عنده ضيفه وهو فلان ، فقال أحد الحاضرين : ماذا يريد
 على من فلان ، فوالله لا يقتله الا هو . ثم خرج على من الدار مع ضيفه من
 الصباح ، ثم ولى النهار ولم يرجع ، ثم تبين أنه ذهب به الضيف الى غابة
 فيها مترصدون له ، فقتلوه هناك بالخناجر . فرائهم راعية وهم مجتمعون ،

فحكمت لامها حين رجعت ، فى العشية ما رات ، ففسرب الخبر الى الناس ،
قال : فذهبنا بالفئارات ليلا الى القابة ، فوجدنا جنته كلها نقوب بالخناجر .
فبينما فى فبة سيدى ابراهيم ، وانطلقت طلقنا (نيماتارين) فاجتمعت القبيلة
ثم دفناه ، فانتمروا فيما هو العمول . فقالوا لى ماذا نصنع ؟ فقلت لهم
ماذا تصنعون ، انكارا عليهم ، قوموا واعطوا عربون غضبكم فى ديار هؤلاء
الفاتكين بأخيكم ، فاعلنوا (اشهاد) الذى هو (اللهم صل عليك يا رسول
الله) وذلك على العادة . يقال باعلان الاصوات عند زحف ، او عند عمل
عظيم يقام به ، فذهبوا واحرقوا ديار بعضهم ، ومعهم بعض اصحابى ، ثم
ذهبت فى العشية الى الفقيه سيدى الحاج عبد ، فاوصلت اليه الخبر ، فجا
معى فبتنا فى (امكيون) عند ابراهيم بن عبد ، فلما وصلنا جبلا صعبا
نزلنا فمشينا على اقدامنا فى نرهة فى الجبل ، فارسلنا بقله وفرسى يستديران
فى طريق البهائم ، فاذا ذاك قال لى : يا ناجم . ارايت لو عم النصارى جميع
هذه البلاد ، اننى اذ ذاك سأنحاش الى حجر فى قمة جبل أعبد فيه ربى حتى
اموت ، ثم تصاحبنا حتى تركته فى (تانالت) وقد شارط فيه ، فذهبت أنا
الى الاخصاص ، فنزلت فى دار اهلى ، ولم يكن بقى معى من اصحابى الكثيرين
أحد هناك الا عبيد صفار تركتهم عند الاهل ، وصاحبنى اثنتان هما منهب
القادران على الاسفار ، وأما خيولى واصحابى فهم فى بعمرانة ، ثم بلغنى ان
الرئيس ابا بكر بن عدى ذهب بوسوسته الى جميع العبيد الذين تركتهم ورائى ،
يقول لهم : اذهبوا معى الى الكتنافى حيث تجدون ما تأكلون ، ثم تسوقت
ايت بوبكر فى (بعمرانة) فلاقيت محمد بن مبارك (بوصاليم) بابا البصل-
وقد وجدته مع الشيخ سعيد فقلت لهما بعد المسألة العادية : ان عيسى
وصلوا الى الكتنافى ، ولكما اتما دعه دراسة فاكثبا اليه ليرد الى عبيدى ؛
فكتبنا اليه ، ولكنه رد اقبج رد ، اذ قال : اننى لم ار عبيده ، فان اراد
القائد الناجم عبيده فليتبعمهم الى ، قال : وكان الشيخ سعيد يتوصل بهال
كثير من الكذائى بوساطة (بوصاليم) المذكور ، قال : ثم لما تم الامر لمريه
ربه ، وقد اجتمعت اليه القبائل : انعموا له بريال لكل دار فى كل سنة ،
ف قيل له : ان الاولى لك ان لا تحشر دائما فى (كردوس) فاخرج ودر على
ايالتك ، لتجمع هذا المال الذى جعل لك ، ولتصل بالناس ، يقول له المدنى
ذلك وامثاله ، ولا غرض لهم الا أن يمهلوا به القبائل لانفسهم ، قال : فاذا
ذاك وصلته الى (كردوس) باستدعاء منه ، فخرجت معه فى موكب فيه الفقيهان
سيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر بن محمد ، والوزير يرعى ، والقائد
سعيد بن احمد قائد المشور ، ومحمد بن عبد العزيز الكاتب الخاص ، وكاتب
آخر يسمى العربى الوزرؤيسى الصوابى (1) ، قال الناجم كان عندى السيد العربى

(1) توفى هذا الكاتب 1358 هـ .

هذا كتابا في اول امره ، منذ كنت في (اكافاي) من هواره ، فلازمني ما شاء الله ثم لما رايت من أخلاقه ما لا يعجبني نفضت منه يدي ، فالتحق بكتابة الهيبة ثم مربيه ربه ، ثم لم يزل معهم حتى الساعة الأخيرة ففارهم الى اهله ، قال ابتدأنا في (مجاط) ونحن مع مربيه ربه ، وقد بتنا بمعسكرنا في (ايبندر) ثم الى (ايت موسى) عند عييا أحد الرؤساء ، ثم الى (اقلتمان) في (ايت رخا) ثم في (اديحيتوف) عند القائد المدني ، وقد صادفنا قلة الماء وانقطاع المطر . ووجدنا ولده محمدا يبني دويرة في الدار فأصر العطش بالدواب ، فجلس المدني ومربيه ربه يتحادثان ، فدخلت عليهما فقلت للمدني : ان البهائم التي لمربيه ربه قد أضر بها العطش ضررا عظيما ، فأذن أن تورد من نظفية لك هنا فناديت انا لما خرجت من عندهما في الناس أن يذهبوا كلهم لايراد بهائمهم من النظفية . فلم يعجب ذلك المدني . لان ماء النظفية سينقضي ان ورد منه الجميع ، والماء عزيز كالتبر في تلك البلاد في بعض الفصول ، لانهم انما يجمعون مياه الامطار في النظفيات المحفورة ، ولكل واحد نظفيته الخاصة ، قال : ولم نستتم ورود البهائم من تلك النظفية حتى أنهلت الامطار ، فتوالت علينا ملثة ليل نهار ثلاثة أيام متوالية ، ثم الى (سوق الثلاثاء) فصلى فيه الناس الظهر ، وكان المعتاد ان يؤم في الصلاة دائما مربيه ربه كلما كان حاضرا ، فبات مربيه ربه في (سيدي على بن سعيد) والمدني في (اداارباء) والناس محلهم في (ايت على) بالاختصاص ، قال وانا في داري بـ : (ادجلول) وفي اليوم التالي جاء المدني فقال نذهب الى بعمرانة ، فقام الشيخ سعيد دون ذلك ، فقال : لا والله لا يدخلن المدني الى قبيلتنا ، فانما مقصوده في اخراج مولاي المصطفى - وهو الاسم الرسمي الخاص الذي أطلق من جديد على مربيه ربه منذ بويع وربما يسمى مولاي محمد ان يمهده به لنفسه القبائل ، فلما سمعنا نحن ، أنا والفقهاء سيدي على بن عبد الله وسيدي الطاهر بن محمد الاثرائي ذهبنا الى المجتمع وفيه الشيخ سعيد نفسه ، فراوده الناس وأبلغوه ان السفر هذا ليس للمدني بل لهذا الشريف الذي تدور حوله كلمة المسلمين اليوم ، وهو الذي خرج الآن يجمع ما جعلته له القبائل وطابت به نفسا ، فلم يزالوا بالشيخ سعيد حتى لان ، فسحب اعتراضه ، وقد كان المتولى للكلام مع الشيخ سعيد حتى لان : هو الفقيه سيدي على بن عبد الله ، وآخرون أمثاله ، قال ثم من هناك الى (ايت عبالا) فاهدى قائدها سي أحمد نطالب - لان كل قبيلة وصلها مولاي المصطفى تهدي أولا . ثم تضيف ثانيا ، ثم تؤدي ثالثا حساب ريال لكل دار ، وعدد الديار معلوم تعرفه كل قبيلة عن أخرى - فبت في دار هذا القائد ، ثم الى (آيت بوبكر) فنزلنا في (افررض) فبتنا في دار ابراهيم بن سعيد ، وهناك وفد شرفاء ايت (بنوكارفة) يقدمهم سيدي التهامي وسيدي محمد بن بكرم ،

ثم الى قبيلة (الساحل) فبتنا في (افردا) ثم الى (السهب) ثم رجعنا الى (ايت احلف) فبتنا في (تيمكرت تشيخ همو) ثم الى (ايت الخمس) فتلفونا بالنسرييس - الوقوف بالسماطين - فكثر الطلقات ، فيتعالي البارود من هؤلاء وهؤلاء ، فرحا وبانزعاج ، قال : فجاء الى الفقيه سيدي علي بن عبد الله متجهما يقطع بالجد والرخانة ، فقال ما هذه الحالة عندمولاي المصطفى وعند زوجته - لان النساء اقبلن اليها ايضا بالمالات ترحيبا بها فاكثرن من الزغاريد . فقال : ايزغردن عليها او عليه او عليهما معا ؟ وما هذا البارود ؟ انحن في عرس ؟ فابلغت ذلك لمربيه ربه ، وزدت عليه : ان الاولى ان لا يسمح بالبارود اصلا ، لان بين الفريقين من لا يتقون الله ، فقد يتمدد البعض ضرب البعض ، ثم يزعم ان ذلك غلط ، قد يجيبه المناصرون للمقتول ، فتقوم المقاتلة على ساق ، فنبدا امرنا على حالة ، ثم نختمه على حالة اخرى ، قال وانا اعرف نفسية هؤلاء الناس - ثم استدعى قائد المشور الفائد سعيدا ، فامر ان ينادى في الناس ان لا يخرج احد عند ملاقة الناس ولو رصاصة واحدة ، فتشمى الحال على ذلك بعد اليوم ، فبت انا عند الفقيه سيدي الحسن بن محمد في (اوخریب) (1) ومربيه ربه عند مشهد (سيدي سليمان بوتوميت) فانزلود في دار الفقيه سيدي زكريا التانزارتي ، والمدني عند محمد بن عدي مع البیدري ، فبات عندهما ، وعما من اصحابه ، فدام المطر الليل كله ، وبات المدني تحت سقف واكف الى الصباح ، ثم الى (اداونساكنم) وهم اولاد سيدي سليمان بوتوميت فنزل مربيه ربه في دار اهل سليمان ، قال وانا ويرعى بتنا في دار محمد بن الحسن ، ثم لما وصلنا (السماهرة) بتنا عند دار الحاج عيلا ، ثم الى (امستيتن) فجاء الشيخ سعيد فاکرمي انا ويرعى بشمانين رايالا ، فبتنا عند اولاد سيدي سعيد (2) التمل المتقل من بلده الساكن هناك ، وكان رجلا صالحا ، فترك اولاده هنا ، ثم الى (اصنبوينا) فنزلنا فسي (اوتلوك) وكانت هناك دار لمربيه ربه ، بناها في عهد اخيه الهيبة ، فكان يقطنها ، فبات فيها الآن ، ثم الى (تالوين) ثم الى (الكصابي) فسي ايت الحسن ، فبات كل واحد حيث اداه اليه بخته ، لان الاضياف يفرقون عادة ، فذهبت الى المختار بن عمر ووجدته قد سد بابيه عن اعراب من اصحاب مربيه ربه قصدوه ، فقرعت انا عليه الباب ، فقال بغضب : من هذا ؟ فقلت له ممازحا من سيقطع راسك باء السلطان ، فعرف كلامي فخرج بفرح ، وقد كان غلرنا لا يعبا باحد فنزلت عليه . فوجدت عنده اعيان الركايبين : اسمعيل ابن البردي ، واحمد حماد ، والسعدى ، ومحمد سالم التهالي ، والدءة ولد

(1) وهو غير ما تقدم . وهناك قري سوسبه يطلق عليها اوخریب .

(2) هو من (دويملائين) من اصحاب الشيخ التاموديزتي ، وهو فقيه

حسن . كان يكتب مؤلفات شيخه .

محمد بن عبد الله ، وقد أفاض عليهم من حليب النياق ما جعل ضيافته لهم من أفضل الضيافات . ومن هناك الى (الكلميم) ثم الى (إيرفاضن) في (اسرير) قال هكذا صرنا نذود في احفلات والضيافات ، وقد نسينا بذلك كل شيء ، والقبائل متفاداة . والهدايا تتوالى على كل درد منا ، ففي كل يوم أفراح جديدة ، فاذا برسالة من الفقيه سيدى الحاج عبد البوشوارى وردت علينا يعلن فيها الشربب لنا على ما نحن فيه من الاعراض عن حراسة الحدود ، وتخو ، ما بين اiale هذه الناحية ، واiale الحكومة ، قال وذلك أن الكنتافى قيل له : ان الفرصة قد سنحت الآن لتضرب الضربة القاضية ، فان خصومك هؤلاء قد اشتغلوا الآن بما هم فيه من الحفلات ، وقد استامنوا الى الامن السائد بين الفريقين ، فلو زحفت اليهم بغتة ، لتبججت الجبال بسرعة ، فتها فى جيشه ، فزحف الى جهة (ايت ودريم) لينتصر ثانيا فيما يحسب كما انتصر أمس فى المرة الاولى ، قال فلما قرأنا الرسالة ، نادى مربيه ربه الوزير يرعى فاعلمه بورود الرسالة على يدى ، فذهب يرعى الى المدنى فقال له ان الناجم لا يترك هذا السيد حتى يستتم ما يجمعه ، ولا ريب أنه هو الذى أوعز الى الفقيه سيدى الحاج عبد ليكتب هذه الرسالة ، فأرسل الى المدنى ، فسألنى عما ورد ، فأرته الرسالة التى جاءت باسمى ، وأعلمته بالآخرى التى اوصلتها الى مربيه ربه ، ثم قلت له : تعلم أن اولادى لا يزالون فى (ايت ولياض) وقد توجه اليهم الكنتافى ، فلا بد أن اذهب لادافع عن حماهم ، فقال لى انقل اولادك الينا ، فهذه بغالنا واصحابنا ينقلونهم ، فقلت له كيف أصنع ؟ وقد علمت أن خليفة الكنتافى عبد السلام من اولاد عيسى - الذى كان هرب منا اليه - قد نزل هناك فى دار تقابل (تونودى) حيث اولادى ، ثم أننى ان نقلت اولادى من وسط الناس فان ذلك سيجر اليهم الهزيمة ، افاحيا عمرى كله فى جبر الهزائم ، فأبقى حتى أنسب فى الهزائم فى مشيبي ، ثم لما الح على نقل الاولاد قلت له : وانا أقصد غير ما يقصد : لابس ، اعطنى بغالك ، فأرسلت عبدا لى معها ، فقلت له اذهب حتى تدخل ليلا ، واترك البغال خارج المحل ، فمن لافاك فقل له : ان المسلمين آتون للدفاع وبشرهم ، ثم تحايل حتى ترجع من غير أن تاتى بأهلى ، ثم رجعنا فبتنا فى (ادحمان) ثم فى (بوزاكلون) ثم الى افران فبتنا فى (تانكرت) فهناك وقعت مكالة غنية بين الفقيه سيدى على بن عبد الله وبين على آكرتوم الموسوى المجاطى من أجل املاك الفقيه التى تعدى عليها اهل (ايشتم) فكان هذا المجاطى يهب بريحهم ، قال : ثم لما رجعنا من (تانكرت) تلاقينا مع رسالة أخرى من الفقيه سيدى الحاج عبد يؤيد فيها ما قاله فى الاولى ، فبتنا فى (كردوس) فخرجت فصرت أطلق الطلقين (تيماتارين) فلم ياتنى الا قليلون فى مقدمتهم الفقيهان سيدى على بن عبد الله وسيدى الطاهر بن محمد، وقد كان القائد أحمد الاصبنونى

وأبو شامة وأحمد بن مبارك وبلعيد بن الطيب ، - وهم كبار (اصنبونيثا) -
 جاءوا مع مربييه ربه الى (كردوس) فعاهدوني على أن يقوموا ، فان لم يصلوني
 في أيت (والياض) فانهم سيزحفون الى (تزنيث) من جهتهم ، قال ثم ان
 الكتنافي طلع الى (أيت ودريم) فوصل دار الحسين بن عمر ، فهرب هذا ،
 ودخل الكتنافي الى داره قال فذهبت أنا والفقهاء سيدي على بن عبد الله
 وسيدي الطاهر . ومحمد الامام ابن الشيخ ماء العينين ، والقائد سعيد
 الكردوسي ، وأصحابهم من (كردوس) فبينا في (أكادير اينودران) بين
 بعقيلة ورسومكة ، ثم في الغد أصبح سوق الاحد في (أنزري) ، فذهبوا
 فبرحوا هناك بالجهاد - نادوا به - فبت أنا عند (سوق الاثنين) في (أدای)
 رسومكة عند الحاج يعزى ، ثم أحسنت اليه ، وأمرته أن يشتري لحما وأن
 يستدعي من فيهم الرجولة من القبيلة ليتفدوا عنده ، واليوم يوم السوق ،
 فلما طعموا قلت لهم : ان السلطان يسلم عليكم ، ويدعو لكم ، ويأمركم ان
 تقودوا في سبيل الله لتدافعوا أعداء الله ، فان الكتنافي قد زحف الى أيت
 والياض ، فأعلن (البراج) - المنادى - في السوق عن اذني بالقيام الى الجهاد
 يا مسلمون : فالأغاة ، فالأغاة ايها المؤمنون . هذا وبينما المسلمون أصحاب الغيرة
 يقومون بهمة اذا بمن في قلوبهم مرض ، وفي جيوبهم غرض ، وما دينهم الا
 عرض ، صاروا يحوكون نسجا آخر ، وهم على ندهم الرسمى ومحمد
 - فتحا - من آل (اندحر) وموح بن الحوس ، والشيخ موح من (تيلين)
 فلاقوني فقالوا : تنادى انت في بلاد الناس بما تنادى به بغير اذنهم ، فقلت
 لهم : لم يرح الا السلطان والمسلمون ، وما أنا الا رسول رئيس
 المسلمين ليقوموا كلهم كي يدافعوا عن بلاد المسلمين ، ثم رجعت الى (أنزري)
 حيث اصحابي نازلون . فاذا بالحسين بن عمر الهارب امام الكتنافي دخل علينا ،
 وقد ورمت سفتاه ، لان فرسه قد ألقاه في الطريق على وجهه ، جاءنا مستصرخا ،
 ثم من هناك الى (تاسيلا اوزاريف) فبتنا ، ثم الى (تيلكات) بآيت حامد
 حيث بتنا ، فنوينا ان نربط هناك للدفاع ، لان رجالا بعثهم الكتنافي نزلوا
 أمامنا في دار . كما نزل ايضا هناك بأهله الحسين بن عمر ، وقد خرج الرجل
 من داره ، قال كان بين الحسين بن عمر والقائد مبارك البشيراني المجاطي
 صعبة ، فأرسل لنصرتة القائد مبارك أخاه الحاج ابراهيم في خمسين فارسا
 من مجاط ، وهم السابقون الى هنا . وان كانوا اتوا من بعدنا من مجاط ، ثم
 جاء على ايفيور ، والقبه أحمد بن أبي الطعام في نحو مائة فارس ايضا ،
 وقد جاء على ايشلنحين ، وعلى آونخيس ، وهنمر ، ومحمد بن موح
 الذى صار بعد ذلك اليوم قائدا مخزيسا على جميع مجاط ، وهكذا تبادر
 المجاطيون للدفاع ، ثم تناثرت القبائل من كل جهة من امكن الى بعقيلة ،
 ورسومكة وسملالة وايفشتان يقدمهم الهاشم ، قال : ثم ان الذين ملاوا تلك

الدار من أصحاب الكناسي صاروا يصرخون بسبنا ، وربما قالوا اعطونا
عبدكم هذا لنهديه للقائد . لعله يعمو عنكم - يعنونني - ثم تعاطينا معهم
طلقات . فسقط مجاطي في براح مكتشف بيننا وبينهم ، فتنادى الناس
يشجعون من عسى ان يقدم كاتبي به . فلم يقدر احد ان يجازف بروحه .
فقام الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالفي . فرد الى كتفيه ذيل سلهامه الذي
بلبسه ، فبرز والعبون اليه سواخص . حتى انتشل المجاطي بيديه ، والرصاص
حواليه ولا يبالى ، فحفظه الله حتى رجع ، فكان آية للجبناء . ومثلا شرودا من
شجعان العلما ، ثم ان الكناسي الذي كان نازلا كما ذكرنا في دار الحسين
ابن عمر زحف الى (التموليل) وهو قرية كبيرة . فصار يلقي عليها
القنابر ، وقد كان مع الحسين تمانون راميا وأربعون فارسا نرحوا معه ،
فصاروا مع الفقيه سيدي علي بن عبد الله ، يتموجون حواليه ، وهو يقودهم
بامر وينهى ، واراد ان يسمير دقة الحرب . فحينما الى هذا وحينما الى هناك وقد
يقول لهم : استتروا بي فاني امامكم . قال : فتركهم وسكت انا ما شاء الله
فالتفت الى الفقيه بغضب ، فقال لي : لماذا تسكت انت ولا تتحرك ؟ مع اننا
انما لك في هذا الميدان تبع ، فقلت له : ان كان في يدك الكتاب يا سيدي
فهل كنت اتكلم بين يديك ؟ فقال لا ، فقلت له : وكذلك انا أقرك على ما
تقول . من ان هذا الميدان بيداني . فقال الفقيه : هذا هو الحق . ومن ذا الذي
يقدر ان ينازعك فيه ، فها نحن اولاء بين يديك . فقل يصح لك ، ومرتفع
وقدنا نفقد لك . فثرت من محلي فتناديت في الناس ايها المسلمون ، ايها
المجاهدون . يا رجال سوس . يا أحرار جزولة ، ليخرج معي منكم من يريد ان
يموت في سبيل الله . وأن يروح اليوم الى جنة عرضها السموات والارض .
فان أبواب الجنة الثمانية قد فتحت كلها ، فاین اهل الغيرة ؟ واین من يريدون
ان يدخلوا في الحياة التي لا موت بعدها ؟ واین من يترك نساء الدنيا الذفرات
الى حور الجنة اللاتي كأنهن لؤلؤ مكنون ؟ فلم اكدم استنهض الناس بذلك حتى
ينادى الى المجاطون الشجعان وبنه درهم من احلاس الوعى ، والمطاعين في النهجاء .
ينبادرون مندلفين الى ، فارسا فارسا . فكان من بينهم البطل الشجاع ابن
الشجعان احمد بن القائد مبارك البيراني ، فتقدمت بهم ، فانهدرنا في
الوادى نضمد (اربعا) ايت حامد ، فاذا بنا لقينا عبدا مستشير الوجه ، فقال
الى أين تريدون ؟ فقلنا له : الى ساحة الجهاد امامنا ، فقال كذلك انا ، فأمرته
ان يسبقنا ، فلم نكد نطلع على ثنية حتى رأينا طلائع الجيش الكناسي متفرقة
على رؤوس الجبال . وقد أوصاهم ان راونا ان يعلنوا الطلقتين (تيماتارين)
فاعلمنا في الحين . ثم تبادت ، وتسلسلت من قمة كدية ، الى قمة كدية أخرى ؛
حتى وصلناه حيث هم نازل . فاقبلع بهدافه . فتوجه الى جهتنا . كما اننا
متوجهون الى جهته . فهاجمناه في الجانب الذي لا يظن أنه يوتى منه . فاطلقنا

فرساننا اطلاقه واحدة ، فلم نفخ حتى خالطنا معسكره . ونحن مستميون لا نبالي بالحياة ، فمات منا من مات كاحمد بن القائد مبارك الذي سقط في وسط معسكرهم ، ومات منهم كذلك من مات ، وقد سقط من تحت الكتفاني ثلاثة افراس ذلك النهار بالرصاص المعارض لا محاربهه ، قال وقد مررت بكنابه الفقيه الحاج الهاشمي الناصري على بقلته ، فتركته لوجه الله ، ثم جلنا جوله عظيمه في الكتفانيين ، فانهزوا هزيمة منكرة ، فغنمنا قليلا ، ومن بين ما اخذ فرس واحد ، اعطيناه لعل الاشليسيحي المجاطي الطماع ، ولو كانت المدافع موجودة في معسكرهم لاستولينا عليها ، ولكن الكتفاني كان قدمها امامه قبل نشوب المعركة فهربها احتياطا . ثم تساقط علينا اهل املتن بدخوخهم سمانه . بعد وسط النهار ، وقد رايانهم يصلون صفوفا لما قاربونا بنامم واحد (1) ، وكثيرون من القبائل الاخرى ، قال : وفي الليل جمعت مشاة نحو ستمائة . فشجعتهم على ان نسرى حتى نطلق الرصاص على مبیت الكتفاني في دارالحسين ابن عمر حيث نزل فبات . فصرنا نطلق عليه من الرصاص تخويفا له وازعاجا ، ثم امر المعسكر ان يضرب الموسيقى ، ولجهل الجبلين ما هي الموسيقى اجفلوا حين سمعوها ، فلم يبق الا اصحابي الذين عرفوا ان لا شيء وراءها ، ثم جمع متاعه فخرج من الدار ، ففر فقبضه الناس حتى وصلوا (ايت ايلوكان) فانتبهوهم ، ففر الكتفاني فرار الارانب لا يلوى على شيء ، قال : وفي الصباح ذهبنا فنزلنا في دار الحسين بن عمر ، ثم لم نبت الا في (تيميشا) من ايت (فلاس) فاتوا بكيش ، فقلت لهم : هل الكبش ذبيحة الاستسلام يا بني كذا وكذا ؟ فاين الثور ؟ فاعتدروا بان لا سائمة في البلد ، لانهم هربوا كل شيء من الحيوانات ، ثم بلغنا عن عبد السلام من آل ابن عيسى ما بلغنا من هروبه منا ، فاردنا ان نعتقله ، ولكن لم نصل محل نزوله حتى وجدناه هاربا منذ الصباح ، وقد ازعجه طلائعنا من المشاة ، ثم تابعت هدايا الاستسلام من القبائل الجبلية التي تانت تحت الكتفاني قبل ، حتى بلغت (التكرييات) سبعة ثيران ، ثم ذهبنا حتى وصلنا الدار التي كنت فيها في (اخريب) ، فكانت هذه الحرب للكتفاني هي التي قضت عليه قضاء مبرما ، حتى عزلته الحكومة لا عن تزني فحسب ، بل حتى عن قبائله في وادي نفيس وما اليه من كدحيوة ، فعادت عليها هذه المعركة بالنحس والشؤم وسوء الطالع ، قال ثم لما تمهدت الامور ، رجعت مع الفقيهن المذكورين : سيدي علي بن عبد الله وسيدي الطاهر . واصحابنا الى مشهد (تاواغات) وهي السيدة فاطمة الفتيهة الصالحة المتوفاة : 1207 هـ . فوصلنا هناك الفقيه سيدي الحاج عبد بيقرتين ، فذبجتنا هناك ، فاكلنها المجاهدون اخذسون . ثم

(I) اقول : حكى لي مثل هذا الحاج محمد من ابناء من ايت سمانيون .

وكان حاضرا اذ ذاك . وقد ذكر هذا العدد . مع الصلاة حماعة

الى دار همو بن اليزيد ، فى قبيلة (ايدوسكا) ولم يكن بظاهر الدليل .
 يظن فيه ميل الى النصارى ، فبات مع الفقيهين فى المسامرة . قال : وقبل هذه
 الليلة ، وقد اهويتا الى دار همو سمعت بأذن الفقيه سيدى الطاهر بن محمد
 يقول للفقيه سيدى على - تانه اعيا من مثل هذه الاسفار - يا سيدى الى منى
 نبيع هذا العبد فى كل معترك ووفوق كل ثنية ، ووسط كل شعبة ، وفى
 عمق كل واد . حتى تقطع رؤوسنا معه فى بعض التساعاب ؟ فقال له سيدى
 على : انحن القارنون أم هذا العبد ، فلم يرده على ذلك ، فقطعت جبهة قول
 كل خطيب ، قال : فعرفت حينئذ ما بين الفقيهين الافرانى والالغى :

الناس مشتبهون فى ايرادهم وتفاوت الاقوام فى الاصدار
 قال : ثم من هناك ودعنى الفقيهان الى (كردوس) ثم الى دارهما فذهبت
 الى (توبكال) عند ازرقى من قبيلة ايلان ، ثم رجعت من هناك الى دارى ،
 واما (محمد الامام) فقد تصدر للخلافة عن اخيه هناك ، وقد كان يتوصل
 بكل تلك (التعرّكيات) التى تقدمها القبائل . ولكن أهل البلد لم يتركوه
 هناك فارسلوا اليه ان يقلع عنهم ، فاقلع فى الحين .

القائد يرعى يخيس العهد

قال : كنت أنا والوزير يرعى وردنا معا (كما رأى القارىء فيما ذكر) ثم
 صار فينة بعد فينة يشنكى فى كل مناسبة من الاعراب وحالتهم . وكثيرا ما
 يقول ماذا تفعل عند هؤلاء الذين لا يرجى انتصارهم . فاقول له: اننى عاهدت
 فلا أغدر ، حتى اذا لم يبق فيه من صبر . ذهب الى حال سبيله ؛
 وقد كان عنده عون يسمى عبد السلام بن الزيات ، فكان يتصل
 بالمسمى (بركينو) الفرنسى الذى اشتهر فى (ابى يكر)
 وقد علا شأنه بعد ذهاب الكنتافى عن سوس ، فكان عبد السلام يرسل الى
 عون آخر عند يرعى يسمى (بيهى) فيقول له : لو رجع القائد يرعى لاسترجع
 مكانته عند الدولة ، فلم يزل يكتبه بذلك . ويرعى لا يابى الرجوع ، بسرعة
 ولكن يريد ضمانات . قال : ثم لما عزم - وقد وردت عليه فى كردوس - صار
 يداولنى ويحتنى على ان نرجع معا . وقد نجلس منفردين كثيرا للمفاوضة .
 وانا اركبى له العنان ، قال الناجم ، وكثيرا ما تقلى لنا (الدرة) لقله ما
 بأيدينا فادخل انا وهو الى بويت فى (كردوس) فتحدث حول هذا الموضوع ،
 وانا احيانا اسيره لاعلم كل ما ينطوى عليه . وحيانا اقول له ما اعتقد
 من ان استسلامنا للكفرة معناه احباط كل أعمالنا وسمعتنا وجهادنا وكل
 ما تقدم من حياتنا . ثم صار يذكر الفاقة التى نحن فيها . فقلت له : لازمنى
 فانا أتكف لك وانت تاكل ، فلا يصيخ لما اقول . بغينا كذلك نحو اربعين
 يوما ، وهو على ذلك الحال . فرسله تتردد سرا ليؤكد لنفسه ويأخذ الضمانات ،

وفى عشية الاثنين قبل موسم من مواسم سيدى احمد بن موسى ، جاءت رسالة من تزيت على يد سيدى على بن محمد التازاروالتي فجاء الرسول بها فدفعها للقائد سعيد بن احمد ، فقرا فى عنوانها (مولاي محمد) فظن القائد سعيد انها لمرييه ربه ، لانه كثيرا ما يخاطب فى عناوين رسائله من غير اياته بذلك او بمثله ، فدفعها له ففتحها فاذا هى ليرعى ، وانه مخاطب من (بركينو) بانه سيلقى يوم الاثنين المقبل ست عشرة بغلة فى (بوعركة) بين (ايت جرار) و (ميرنغت) يحمل عليها أثقاله ، فارسلها الى يرعى فلما قراها تغير لونه ، قال الناجم ، فقلت له مالك ؟ فقال : ان حية اليهودى هذا القائد سعيد ، ذهب برسالتى هذه الى مرييه ربه ، فقلت له وما فيها؟ فقرأها على ، فقلت له : لا بأس ، فقال اذهب معى الى مرييه ربه ، فقلت له : كيف يخرج الينا ؟ وهل تبقى منه شعرة تأمن منا بعد ؟ لا لا اننى لا اتلقاه الآن ، فبعث اليه اصحابه واحدا بعد واحد ، يطلب ملاقاته ، فلم يخرج اليه ، فقلت له ليفرخ روعك ، فبت هادئا الى الغد ، وفى الصباح ذهب اليه ، فقابله مقابلة حسنة ، ومن جملة ما قال له : ان اردت ان تذهب الى دارك فمن ذا الذى يحول بينك وبين ما تريد ؟ ثم قال له : ان ما فى الرؤوس لا تزيله الطروس ، فكن مطمئنا ، قال الناجم : وقد كان قبل ورود الرسالة يقترح على ان نذهب الى الموسم من يوم الاثنين فكنت أقول له : ماذا نصنع فيه منذ هذا اليوم ؟ حتى التجار لا يأتون اليه الا يوم الاربعا ، ولم اكن احسب أنه يهمل امره على سعة ، ثم سافرنا يوم الثلاثاء الى الموسم ، وعنده ثلاث بغال ، فتركنا حيث كنا ننزل متى آتينا الى الموسم ، فجاء أناس من السباعيين الحوزيين اليه ، فصار يحادثهم الليل كله ، ثم دخل الى بيت فسقطت منه (خنشة) صغيرة (كيس صغير) فتناولتها فاذا فيها لويز من ذهب ثم رجع يفتش عن (الخنشة) فاريثها له ، فتناولها ، ثم دخل الى السوق فصار يشتري بعض الثياب السودانية، ثم اتصل بالمسمى محمد بن بوهوش صاحب القائد المدنى وجاسوسه الخاص ، ثم سافرا معا من غير توديعى الى (بوزاكاردن) ثم صار يودع القائد المدنى ، ويعجزه كل خير على كل ما فعله معه من الاحسان . ويقول له : اننى عازم على أن أرجع الى أهلى والى دارى ، فلم يزل المدنى يمينه بكل خير ليبقى ، فلم يرجع عن نيته فودعه ، وقد كان (بيهى) صاحبه بقى وراءه فى (كردوس) حتى باع ما أمكن بيعه من متاعه ، فاركب جارية له وبنيا ، فذهب بهما والتحق به على طريق مجاط والفران ، فلما وصلت الجارية أمام (أمسرا) قالت له : لماذا يا عباد الله لم تتركونا حتى نموت بين المسلمين ؟ فلماذا تذهبون بنا الى ديار الكافرين ، فغضب عليها ، فضربها ضربة مبرحة ، فاذا بروحها زهقت معها ، فلقى جثتها فى البراز ازاء مقبرة تحت (أمسرا) فسلبها مما لبسته ، فذهب ببنتها ، فراح الى

(بوزاتارن) فباع بتدفيه رباعية له للمدنى . فالتحق بصاحبه فى (ترزيت) هكذا ذهب انوزير ويرعى عن اثيرد مربيه ربه . وكل صحبة لا تكون لله قال انفصال منتهاها ، وقد كان ولده عبد الرحمن صغيرا اذ ذاك فسافر مع (بيهى) هذا ، فوصل أباه وهو الذى صار بعد حين قائد هشتوكة . فاستمر الى أن قام بأمر ابن عرفة كما هو معلوم . قال : وقد تبعه القائد مبارك من اصحابى ، فاتصل بالقائد عياد الجرادى ، ثم وصل بينه وبين رجال الدولة ، فصار مبارك ويرعى لا يفارقان موائد من هناك من الكبار فى ترزيت ، ثم ردت اليه داره فى القصبه بمراكش . ثم عين عونا فى دار زبير فى الصحراء ، ثم التحق بهم بعد حين ولد صاحبنا هذا القائد الناجم المسمى ابا يونس ، قال أبوه هذا : كنت تركته حين ذهبت الى الصحراء ، وقد ذهبت اليها تفسحا بعد هذا الوقت ، وذلك فى العهد الذى قام فيه محمد بن عبد الكريم الريفى ، فبشت الجواسيس من الفرنسيين فى كل ناحية حولى أنا ايضا ، مخافة أن اثير الصحراء ايضا على عادتى فى اثارة كل من اتصل بهم ، وقد كنت نزلت هناك على سيدى محمد البصير ، فظفت معه عند أبناء عمه الركائب الذين يكرهوننا اينما بننا بالجمال ، حتى اجتمع عندنا نحو مائتى جمل ، ذهب بالنصف وذهبت أنا بالنصف ، وقد كنت تركت ولدى ابا يونس ورائى ، فكنت اسرب اليه كل ما يدخل يدى . وقد تركته قيما على أهلى ، فلما رجعت ووصلت موسم (الكصابى) ونزلت فى دار المختار بن عمر ، بعث كثيرا مما عندى من الجمل . ولم يبق معى منها الا البعض ، فارسلته مع عبدى ، فجاء من قال لى ما اتخوف منه من غدر يحاوله بعضهم بى اثناء الطريق ، فتسربت من ذلك المحل احتياطا وحزما حتى نزلت فى (اكيسل) ، وقد كان الاخصاء - ووقفوا معى كثيرا ، فحرقوا لى هناك ، ووقفوا مع أهلى الشهور التى غبت فيها بالصحراء ، وقد كنت دخلتها بثلاثة أفراس تركتها فى السمادة ، عند سيدى الشافعى ولد سيدى محمد البصير حتى رجعت ، والآن لما رجعت الى (اكيسل) وجدت ولدى المذكور لا يمشى فى سيرته مشية حسنة ، فخاصته ففضب ، فلما لقي به الحاج أحمد اضارضور التاغججججج ، فصاريوسوس له بأنه سيصالح بينه وبين الدولة ، فسرعان ما تبعه الولد ، فذهب به الى ترزيت . فنزل عند الحاكم هناك منزلة حسنة ، ومقصودهم أن يؤثروا على بسببه ، لكننى أنا لا يئسب لى فى الحمر ، ولا يئسشى لى الفئرا ، (1) ثم أنزلوه فى قنطرة (ايت ملول) حارسا ما شاء الله ، ثم لما تزوج ولم تظهر فيه فائدة لهم ، كما ظهر لهم أننى مصمم لا انقاد بالاطماع ، بردت فيه عزيمة من فى ترزيت . ثم تداخل القائد المدنى فى الوسوسة له فرجع اليه ، ثم الى دارنا ، فبقى عندى ما شاء الله ، وفى صبيحة يوم ركب على فرسى

(1) الحمر محركا . ما وراءك من الشجر . والفسراء بالفتح . الاسخفاء .

وعما مثلال المعصود منتهاها لا ينسب على الخيل

ففر ايضا الى نزنيت ، ثم نزع منه الحكم هناك حين عرفوا انه فرسى . فردوه الى وقد قالوا : ان الناجم ارسلنا الى يده مالا نطلب منه ان ياتي الينا . فرده مع عزوف ، فلا ينبغي لنا نحن كذلك الا ان نرد اليه فرسه بكل عزوف . قال : سمعت ان بنتا له ولدها مع امرأة ثم طلقها فكشف في اذنه نزنيت . فارسلت من سرفها من هناك فاتوبها ، ثم كانت فيها العائنة العظوى الى الان ، فهي التي تقوم بي كل القيام في سيخوختي وضعف قوتي ، قال : هكذا رجعت من الصحراء بجمال كثيرة ، ولكنني فقدت بسببها ولدى ، لانه لم يفسد الا بعد ان فارقتة ، والامر لله ما شاء فعله .

ثم سأله عن الذين هموا به كما تقدم ، فقال : انهم بكار ولد محمد الامين من ايت الحسن ، وسليمان ولد الشيعة ، والامين كلهم من قبيلة ايت الحسن احدى قبائل (تكنة) كانوا توصلوا بالدرهم ممن في نزنيت لقتلي ، ولكن الله اسبل حفظه على بفضلته .

في ادجلول بالاخصاص

قال : كنت لما انتقلت من (ايت والياض) بعد ما مضى زمن عن الحرب الكتنافية الثانية ، اويت باهل الى مكان آبائي ، ومسقط رأسي ، ورؤوس جدودي ، وقد نفرت نفسي من سكني دار علي بن ابراهيم التئونودي ، منذ فتك به رحمه الله ، وقد اردت الاستقرار فلم اجده الا في دار اهل ، وبين ابناء عهومتى ، وفي وسط عشيرتى :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يالفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل

قال : الا ان القائد المدني لا يعجبه ان اسكن هناك وسط قبيلته ، خوف ان تسول لي نفسي ان اثور امامه ، وقد عرف انسى من الشوار . فيتبعنى الاخصاصيون ، ولذلك كثيرا ما يقول لي : مثلك لا يسكن في مثل هذا المحل الخالي من الماء . فلا ينبغي لك الا ما فيه المياه الجارية ، والبساتين الملتفة ، والاشجار المثمرة ، فاقول له هذا ما قدر الله الآن ، ومتى اراد الله غير هذا هيا اسبابه .

ثم بات عندي ليلة ، احمد المعطى ، وحمادى بن سوساف الزفاطيان . فوجداني في قلة ماء ، فالحنا على ان اتحول الى بلدهم (اسرير) حيث الماء موجود والمعيشة سهلة ، فقلت لهما ان المدني كثيرا ما يعرض على ان انتقل اما الى (تاكانت) او الى (بوزاكارن) او (تيمولاى العليا) او (تيمولاى السفلى) فقالا لي : اما (تاكانت) فلا تصلح لك . فانك لا تزال في الطريق لكل غاد ورائح ، وكذلك (بوزاكارن) ، فسيقصدك كل من يقصد القائد ، فان كان ولا بد فانزل (تيمولاى) السفلى او العليا .

فى تيمولاى العليا

وهناك عذمت على أن أجيب القائد الى ما كان يتطلبه منى، وإن أسكن فى (تيمولاى) العليا ، فى افران ، فتحولت اليها ، وقد فرح القائد ، وزال عن صدره كابوس الخوف الذى كان يتوجسه ، فكانه لا يعلم انسى وإن كنت أثور لا أخيس العهود ، وقد كانت السنة شديدة ، وهى : 1345 هـ . سنة الجوع والقحط فى سوس ، فلما نزلت هناك اطلق لى القائد من أملاكه الواسعة هناك (23) بستانا ، و (175) طاسة ماء . لتسقى بها البساتين - والمقصود بالطاسة : نصيب خاص من الماء ، والعادة عند غالب أصحاب العيون الجارية فى سوس أن يقسموا مياهها ستين قسمة متواطئا عليها، بين الليل والنهار، وتوازى ستين طاسة بحيث لا تزيد ولا تنقص على أربع وعشرين ساعة وهى التى فى الليل النهار - ، والطاسة هى التى يكون بها ميزان الماء ، وهى انا، صغير مصنوع صنعا خاصا من النحاس ، فيثقب قعرها ثقباً صغيراً فتجعل فى سطل ماء ، فيتسرب الماء من الثقب من اسفلها شيئاً فشيئاً حتى تمتلئ ، فتفطس فى ماء السطل ، فهى الطاسة الواحدة ، وعلى مثلها قسمت الساعات الستون المتواضع عليها التى يقسم عليها الماء بين الليل والنهار فيجتمع الناس دائماً بالمناوبة فى مكان خاص معلوم عندهم ليلاً ونهاراً ، وهو مجتمع أهل القرية الدائم ، فكلما امتلات الطاسة يصرخ الصارخ بذلك ، فيسمعه من يسقى بالما. فى الحقول ، فيعلم ان الطاسة قد انقضت ، فان انقضى ماؤه ، يبادر من تليه نوبته ، فيميل الماء من أعلى المجرى الى حقوله أيضاً ، وهكذا دواليك ، ثم تباع الطاسات وحدها وتشتري، فلكل انسان طاساته أو طاسة واحدة أو نصف الطاسة أو ربعها، وقد وسم فى وسط الطاسة داخلا : النصف والربع بخطوط مستديرة مجبوكة الصنع ، فلكل نصيبه الذى فى ملكه ، قد عم هذا العمل غالب سوس ، وهذه الساعة المائتة رومانية الاصل ، وهى من بقايا الآثار الرومانية عند السوسيين ، وفى راس كل سنة يجتمع الناس ليجربوا الثقب فى أسفل الطاسة ، أبقي على حاله ام اتسع ، فان ظهر منه اتساع اصلحوه حتى يرجع كما كان . وهذه الطاسة تسمى (تاتاسنت) أى النحاسية ، لانها لا تصنع الا من النحاس والكلمة كما ترى عربية شلحت - .

اقول : ان هذه الاملاك التى أنزل المدنى فيها القائد الناجم ، هى لآل سى مبارك من أهل حمو بن مسعود ، وهم ستة ، قتلوا فى دارهم ليلة باذن القائد المدنى : الاب وأربعة من أبنائه ، وحفيد له، والذى تولى قتلهم أصحاب المدنى مع ولد على بن مبارك، وقد كان الكبير من الابناء الاربعة قتل باذن المدنى على بن مبارك من الفقيرين سرا ، ثم اظهر المدنى الامتعاض لقتله . فامر الآخرين بقتلهم اخذاً بالثار ، فحاز دارهم واملاكهم ، فانزل فيها الناجم .

قال الراوى : وهناك سكنت نحو ثماني سنوات، فلم استقر قط منذ كنت في سوس الا هناك استقرارا بالسكنى ، الى ان وقعت الواقعة كما سيأتى في : 1352 هـ .

قال : كان حاسد قال للمدنى حين اطلق لى ما اطلق فى (تيمولاي) من البساتين والمياه : ان هذا لكثير لا يستحقه كله الناجم ، فسكت المدنى ولم يجبه ، ثم جرى ذكر ماء العينين كاتب القائد المدنى وهو سبط الشيخ ماء العينين ، فقال عنه : انه أولا كان كاتباً عند خاله الهيبة ، ثم اعرض عنه فترامى على يوما لانظر الى حاله ، وأنا اذ ذاك على هشتوكة ، ينفذ فيها امرى كما أريد ، والهبية اذ ذاك فى (تيمنكر) فطلبت من خاله ان يرضى عنه ، فوصفه بما لا يمكن ان يرجع اليه معه بعد ، وذلك بعد ما قدمت الى الهيبة من اجله ثلاثمائة كبش ، وستمائة قالب من السكر ، وستمائة ريال ، ثم قلت له : ان لم يمكن ان يخدم معك فارسله معى لاجعله على الاعشار التى كنت جمعتها تلك السنة فى هشتوكة ، وقد أودعتها فى كل ناحية ليقوم عليها حتى تحمل اليك من هناك ، فارسله معى فبقى معى ما شاء الله ، ثم تكلمت مع القائد المدنى من اجله ، فبسببى انحاش اليه ، ثم اتخذ موضع سره ، وكاتبه الخاص ، كما اتخذ محمدا البوهوشى رسوله الخاص ، وبين الكاتب والرسول صحبة فيكتب الكاتب له الرسائل الى قواد مراكز فيأتى الرسول بالاجوبة اليه ، ومعها ما يبعث اليه من هدايا ، فاستبدان بها ، ولو لم يعجل الموت بالقائد المدنى سنة : 1352 هـ . لبطش بهما ، لانه كان يعزم على ذلك .

ثم اننى سألته عن اسفار مرييه ربه الى جهة (املن) والى (ايت عبلا) والى (اداوزكرى) فقال انه ذهب الى تلك الناحية اكثر من مرة قال : خرجنا فى المرة الاولى من (كردوس) فمرنا فى ايت على بـ : (كرامة) بمجاط ، ففرق الناس على القرى ، ولم يحسنوا الضيافة ، ومن هناك نزلنا فى (ايت وقفا) فبات مرييه ربه والقائد الناجم عند أحمد الايفشاني ، والقائد المدنى والفقير سيدى الطاهر ، عند الفقير سيدى على بن عبد الله الالغى ، والبعمرانيون ومن بينهم الشيخ سعيد عند سيدى محمد الدرقاوى الالغى ، قال : كان مرييه ربه أمرنى ان آتى بأربعة فرسان من كل قبيل لصاحبوه الى دار الايفشاني ، فلما اجتمعوا تقدمت بهم الى مرييه ربه ، فلقيت عليا الايشلنحيني المجاطى الطماع المشهور ، فصار يندد على حين جمعت هؤلاء فقال لى كلاما مس كرامتى ، فلم أجبه اذ ذاك أولا ، ثم لم أصبر فقلت له : اين رجولتك فى ارضك حين بات السلطان واصحابه أمس عنكم ؟ فقد عرفتك وعرفت أفعالك ، وما كنت تتصل به من الخونة الذين فى تزيت وفى تارودانت، فاتى مجاطيون ليعينوه ، وكثيرون الى ليعينونى ، فكادت الحرب تقوم بيننا ، وقد قلت له : ان الايفشاني الذى تزلف اليه باقلال من سيبيتون عنده من فيه همته غيرك ،

فأرحك من البصبصة له ، فلما كثرت المخاصمة بادر مربيه ربه ، فنزل عن مركوبه ، فاستدعى أحمد بن الحاج إبراهيم اليفشثاني فقال له : أين أبيت أنا ؟ فقال له : عندى ، وليجى معك الانس والجن ، فخرجوا بكل من أسرى اليك ، فسقط فى يد الإيشلجيين الذى كانت مخاصمته تدور حول منع ذهاب كثيرين اليه ، يظن أنه يدافع عنه بذلك ، قال : ثم بكر الفقيهان سيدى على وسيدى الطاهر ، والقائد المدنى ، والبعمرانيون ومنهم الشيخ سعيد البعمراني إلى دار اليفشثاني ، قال ف بمجرد ما لاقاني المدنى رأيت عينيه مغرورتين فقال ما هذا الذى صنعتة ؟ لماذا لم تقتل عليا الإيشلجيينى ، فان قبيلة الاخصاص يؤدؤن ديتة بسهولة ، فقلت له : حاشا أن اكون السبب حتى يتفرق هؤلاء المجتمعون فى منفعة الاسلام . فيقال : ان قتل الناجم لعل الإيشلجيينى هو السبب وأنا فى حياتى أسعى للجمع لا أسعى للفرق ، قال : فكان ذلك أحد الاسباب حتى تفرقت الكلمة بين المجاطين والمدنى ، وقد كان على فرس المدنى سرج براق جميل ، فصار اندال مجاط يتناعتونه فيقولون : انه يتكبر علينا بحلس مزوق وضعه على جحشه - يعنون فرسه - قال ثم من هناك الى (تامكرت اومانوز ، فهناك أهدى القائد البشير التامانارتسى عن الامانوزيين وهديته فرس - كما أظن - ثم الى اكادير (نتيسكنت) عند مشهد (لئلا مامئاس) ثم الى (ايت عبلا) ثم الى (ازنكر) حيث محمد أخو عبد الله الشيخ الساكن فى (زخنغين) ثم الى دار أخيه عبد الله ، ثم الى (ازغار نيهاميلين) ثم الى (تغفلت) عند عابد المرى رئيس (اداونزكرى) ثم وقعت هناك خصومة بعد ما جلسوا هناك أياما ، ورب الثوى يفيض عليهم بالخيرات ، والخصومة سببها ان المجاطين بسبب ما وقع بين القائد الناجم وعلى الإيشلجيين - وقد علموا ان المدنى يناصر الناجم - قالوا : ان الزكريين من اهل خفارتنا ، فهم تحت حمايتنا ، فلا ياخذ منهم المدنى وسلطانه مربيه ربه دانقا ، لان خروج مربيه ربه انما كان لاتمام دورته لياخذ ما ضمنته له كل القبائل من ريال لكل دار ، والمجاطيون لا يرضخ غالبهم للمدنى ، وقد مال البعمرانيون الى المجاطين ضد المدنى ، ومعهم سيدى أحمد الدرقاوى الذى كان يتقدم بكبة من المجاطين ضد المدنى ، فتسرب ثورتهم على المدنى أحيانا الى الثورة حتى على مربيه ربه ، وان لم يكن مقصودهم الا المدنى ، وقد حاول المدنى حينما ان يستولى على كل قبائل افران ، فنادى ان لا تفصل دعاويهم الا فى (بوزاكادن) ، ولكن المجاطين استشاروا عليه الافرانيين ، فبطل ما اراد ، هذا وقد أفاض الزكرى كل خير على الناس ، وأعطى وما قصر ثم ذهبنا الى (توفلنغزرت) عند بنى الامين . ثم الى ايت على فى (ايلالان) حيث المسمى امغفون والفقيه - لقب لا وصف - وبوقال ، فعند هؤلاء نزل الرؤساء الذين مع مربيه ربه ، والفقيهان سيدى على وسيدى الطاهر نزلا عند غنى هناك ،

قال : ومن هناك رجعنا ادراجنا ، فبتنا في مدشر عبد بن حمو من ايت على ،
ثم (بيزى نساواقين) . ثم مررنا بقبيلة (املتن) ونزلنا في (تاهالة)
ثم بتنا عند عابد الخانوش في (سملالة) قال وعند سوق الجمعة تفرق الناس
للبيات كل في قرية ، فبات مربيه ربه في (تاكانست او كضيض) حيث
الشرفاء المشهورون ، وقد بقي هناك ثلاثة ايام ، ويقول مربيه ربه : ان احد
اجداده الاولين كان اصله من تلك القرية ، ثم انتقل الى الصحراء - وبات
القائد المدني عند بومازنوغ ، ثم بتنا في موضع آخر هناك ، ثم الى (كردوس)
فانقضت السفرة وتفرق الناس ، فذهبت انا الى محل بالاختصاص ، وكنت
اذ ذاك لا ازال في (اد جلول) قبل ان انتقل الى (تيمولاي) وهذه السفرة
كانت كما يظن نحو : 1341 هـ .

قال : كانت الخصومة التي وقعت في تلك السفرة سبب ان مال عابد
الزكري الى التيسيو-تي ، فانقطع الى تلك الجهة ، ثم جاء حمو بن بلقاسم هاربا
من التيسيو-تي الذي استولى على تلك الناحية حديثا ، فوسوس الحاج حماد له
حتى هرب الى الجنوب ، فالتجأ الى أحمد الابغشاني ، والقائد المدني ومربيه ربه
فذهبت حملة تحت رياسة مربيه ربه ليردوه الى داره ، فلم يغنوا شيئا ، الا
انهم التقوا هناك مع الحاج حماد والتيسيو-تي فاعلنوا المهادة .

وتفصيل هذه السفرة على ما يستحضره الحاكى : انهم خرجوا في جيش فيه
مع المذكورين : القائد احمد بن البشير الاصمبوتاي والقائد محمد يحيى
المشهور في وادي نون ، والفقهاء سيدي علي بن عبد الله ، وسيدي الطاهر -
والفقيهان لا يفرقان - والشيخ سعيد البوبكري، والفقهاء احمد بن أبي الطعام،
وسيدي احمد الدرقاوي الذي كان له ظهور قوى مع المجاطين ، وهو من شيعة
الزكري المظلوم ، قال : فلما وصلنا ونحن في خيل كثير - ايت عبلا ،
ونزلنا في دار الرئيس عبدالله بن سعيد ، بقي مربيه ربه هناك ، والمجايطون
والرخاويون وسيدي الطاهر، قال فذهبناقدا نحن والقائد المدني والبعمرانيون
والفقيه سيدي علي الى ان نزلنا في (تركنين) ونزل جيش الآخرين في
(تقايت) وفيه الحاج حماد بن حيدو والتيسيو-تي والزكري الذي فرطنا فيه
بسوء معاملتنا له ، حتى ولى عنا الى الناحية الاخرى ، قال : فجا، الينا
الاكنيضيقيون والتمليون ، وقد حملوا سلاحا جيدا وقرطاسا كثيرا ، وهم في
حياة حسنة تلفت الابصار ، قال فلم نزل نمشى ولما ننزل ، فاذا بالعدو
يرمينا لما اشرفنا من مكان ، فصرنا نجيبهم رصاصا برصاص ، فبادر ابن
المحفوظ الكنكى الاختصاصى ، واناس من اصمبوتاي وانا معهم ، نقف منهم
موقف المدافعين ، قال فامرني القائد المدني ان اذهب بستين من المشاة الى اكمة
تقابل (تاقيت) ثم اعطاني في العشى خيزا وكوزا اوصلهما لهم كالزاد ،
ثم نزل حواليتهم الاكنيضيقيون والتمليون، ثم انتشبت الحرب، واشتبك الفريقان

فهرب الاخصاصيون ، وبقي الآخرون من اهل القبائل المرابطين على اهل (تاقيت) وفي الصباح سقط هؤلاء المرابطون في موقف العدو ، فصار يضربهم ، ثم وقعت الهزيمة في هؤلاء المرابطين، فصار المدني يخاصم علينا لماذا نشير الحرب؟ فقلت له : ألم تعلم اننا انا وانت ما وقفنا هنا الا بهؤلاء ؟ فلنسن ولوا عنا فسيأخذنا العدو باليد ، ثم قلت له ولكاتبه ماء العينين ومن معهم: انزلوا انتم هنا ، فذهبت انا واصحابي ، فمررت بكراديس القبائل من الفرسان ، فاتبعني ثلثة منهم ، ثم مرت بعلي ابن القائد المدني واقفا في خمسمائة فارس ، فثار في وجهي الى ابن تقصد ايضا ؟ كانه يريد ان يتامر على ، كما ألفه من كل الاخصاصيين ، فقلت له بغضب : اريد الميدان الذي فيه نشأت ، وهو شغلي منذ عقلت ، ثم قلت له كلاما نابيا ، ثم اسرعت لاغيث المنهزمين ، ونحن في عشرة فرسان ، فاستدرونا وراء العسكر الذي خرج للحرب - عسكر الحاج حماد بن حيدة - وهم في حرب مع من بين أيديهم ، فلم يشعروا حتى جنبناهم من وراء ، فانهمزوا بين أيدينا انهزاما شنيعا ، ثم وقع فيهم البعمانيون ، فقتلوا وسلبوا كثيرا من السلاح، حتى قل فيهم من لم يرجع ببندقيتين او ثلاث قال هكذا علونا عليهم ببركة عشرة من الفرسان ، وبركة المشاة من التملين والاكثيضيقيين ثم رجعنا الى محلنا ، فاخبرت أن واشيا من الاخصاص قال للقائد المدني : لو سمعت ما قاله الناجم لولدك على لساءك ، فقال له : يا ليت الناجم فتك بولدي ، انه ليس ولدي حقا ، والا فلماذا لم يقتد بالناجم فيذهب بالاخصاصيين حتى يشاركوا المتصرين في شرف الانتصار ، قال ثم وقعت المراسلة بين الحاج حماد والمدني في اليوم وفي الليلة التي تلتها ، وقد وقع ان الناس تكاثفوا في ثنايا مشرفة على معسكر العدو الذي تراجع بعد الانهزام ، فصرت امشي في الناس فابتدأت من اولهم وهم في صف مستطيل الى أن وصلت الى المدني في آخريات الناس ، فثار في قائلا - وقد ظن أن في نيتي استشارة الحرب ثانيا - هل تريد أن تعيد الحرب اليوم ايضا جذعة؟ فكنت أجيبه بمثل ما أجبت به ولده أمس ، ولكنني ملكت ارادتي فسكت ، وفي ذلك الوقت ورد رسول من الحاج حماد الى المدني يقول : اظهروا قوتكم لمعسكرنا ليطيّبوا للصلح ، فقال الفقيه سيدي على بن عبد الله للمدني - وقد كان سمع ما قاله لي آنفا - ارايت الآن أن ما قلته للناجم غلط ، فانه لا ناقة له ولا جمل في هذه البلاد الا نصرة الدين ، والا فما الذي أخرجه من داره بمرأكش حتى هاجر الى هذه القفار ، قال ثم وقع الاتفاق بالمراسلة على أن يقع الاجتماع لاعلان الصلح غدا ، فاجتمع الرؤساء فاستداروا ، فاذا با حاج حماد ابن حيدة مقبل، فقال المدني لما رآه من بعيد : اهذا الاسود القبيح هو الحاج حماد الذي نسمع به ؟ وقد كان حليق الوجه ، أسمر السحنة ولم يعط وجهة ثم لما جلس بادرت فقلت للحاج حماد - وقد خفت ان يقع في تداولهما وسط

الناس ما لا ينبغي أن يسمع - ان كان بينك وبين القائد المدني ما تتداولان فيه ، فانفردا وحدكما . فابعاني . فقاما وابتعدا عنا . ثم جاء اليهما التسييوتى وقد اخبرت أن المدني ثراب على التسييوتى ، فقال له : انك تضرب بالمسلمين ، وتقطع الطريق على قوافلهم . فجابته الآخر ، حاشا أن اضر بمسلم ، بل أنا لهم نفع عام ، فاسأل عنى جيرانى ، وكيف اضر بالمسلمين وأنا مسلم مثلهم قال وبينما هم كذلك اذا بعابد الزكرى وعمر البيهمندى اقبلا الى هولا ليشاركوهم فيما يقولون ، فثار فيهما المدني ، ارجعا عنا ، فلا تقربانا ، قال ويعلم الله أن افعال المدني وأمثال المدني هى التى ضيقت عليهما حتى وليا وجهتهما الى الناحية الاخرى قبل اليوم ، فاستدبر امرى به ومن فى اياته . فان مكانده بهما هى التى دفعت بهما حتى انحاسا مضطرين الى التسييوتى ، فانسلخا عن ايلة مرييه به .

قال : هكذا وقع الاجتماع بين اقطاب الجيشين ، ثم قبل الافتراق نادانى الحاج حماد ، فقال لى : قل للمدنى اننى مسلم حقيقى ، وأما أبى - غفر الله له - فقد غلط فوقع له ما وقع ، وقل له يشب فى العهد الذى بينى وبينه ، فلا يتكلن على من حواليه ، فان كل من يستديرون به يكتبون الى ولا غرض لهم الا المال ، فلا يغتر بهم ، قال ثم نادانى العربى بهنبار اخو ازا بنت بيورك زوجة حيدة المشهورة براياها وكلمتها ايام زوجها . فسلم على ، وقال لى - وقد راي على اللباس الاسود : لباس اهل الصحراء - ما هذا اللباس يا فلان بعد تلك الخلل الحضرية ؟ فقلت له : لا بأس ، فان هذا هو لباس غالب من انابن ظهرانهم ، قال : كانت المعرفة بينى وبينه من قديم فى عهد الباشا حمو ، فقد كان صاحب الصينية عند حيدة يوم كان شيخا . ثم صار يرد الى مراکش ، من الذين يرسلهم حيدة ليهذوا فى الاعياد ، قال ثم رجعت فبتنا فى (اكادير نتوكر ماض) وقد كان هناك جرحى لنا اتينا اليهم ، فوصلنا دار الرئيس العبالوى فى (زغنتين) فبتنا عنده ، ثم بتنا فى (ايبانارن) بآمانوز ، ومرييه به فى (تيسكينت) وقد تبعنا الى ايبانارن (الشيخ سعيد ، وابن عمه الحسين الخمسيان البعمرانيان ، فانزلهما عند انسان ، وبت أنا مع القائد امام دار هناك كنا نألف النزول فيها ، وفى الصباح لما افطرنا قال المدني : نذهب ليوعدنا مرييه به ، لنذهب الى زيارة (تيمكنششت) فودعناه ومعنا سيدى الطاهر ، وحمو بن القاسم ، وأما سيدى على بن عبد الله فمع مرييه به ، فوصلنا (ايخلف اومتجوض) فصلينا هناك الظهر ، ثم صلينا العصر فى (اكرض- ايملائن) ازاء الزاوية ، فذبح القائد بقرتين فى الزاوية على ضريح الشيخ سيدى أحمد بن محمد ، فترلنا عند سيدى محمد بن الهاشم فلم نكد ننزل عنده حتى أرسل الينا والده شيخ الزاوية سيدى الهاشم ، فأتانا بصينية صغيرة أنا والقائد وماء العينين وسيدى الطاهر وحمو بن

القاسم . ثم عسانا بطاجنة صغيره ، تصار يخرج رجله وقد تقطعت اصابعها فقال انما تقطعت بسم وضعه اعدائى دى نعلى ، ولم يلبس الا قميصا منقلصا ، وشفاهه غليظة ، وهو ادلج الشفة ، فجالسنا وحادثنا ، واطهر الفرح الكثير بنا وقد اجلت بصرى فى جدران المحل فرايت الطبل والدف والمزامير معلقة ، ثم لم نكد نخرج منه الى المحل الذى نزلنا فيه حتى ضرب الدف من عنده على عادته المألوفة ، وقد تولى ولده سيدى محمد كل اكرام لنا ، قال فصار سيدى محمد يقول لى لماذا لم ترجع الى مراکش ، فجنى متى تبقى عند هؤلاء الاجلاف ، فقم معى لاردك الى مكانك ، فلا ازيد على التيسم ، فبقينا هناك خمسة ايام اقام لنا فيها احد رجالات الزاوية سيدى العربى حفلة فاخرة ، وقد انزلوا اصحابنا على حمة خير انزال ، ثم من الزاوية الى (ثلاث) عند مولاي اسمعيل ثم الى (الخ) عند الايفشاني ، ثم الى (ايت رخا) ففارقنا الفقيه سيدى الطاهر فى (افانتيقي) فبتنا نحن عند الرئيس الفقيه احمد الرخاوى ثم ذهبت الى محلى فى (ادجلنسل) وانا لا ازال اذ ذاك هناك ، والقائد الى (بنوزاكارن) . قال وبعد ايم ورد على احمد بن مبارك ، وبلعيد بن الطيب وقواد بن قبيلة اصبوينا ، فقالوا يا فلان : اين حظنا مما جاء من المال من عند الحاج حماد ؟ فقلت لهم : لا علم عندي انا . ولا اتدخل فى امره ، فما انا الا مهاجر مجاهد ، فلا اتبع امر الاموال ولا اطلبها ، فلو كان لى فيها غرض لا فارقت بلاد الاموال ، الى بلاد الفقر وضنك العيش ، فقالوا ان المدنى غدونا ، فقلت لهم : عليكم به . فانه فى (بنوزاكارن) فذهبوا اليه فنفتحهم بما نفتحهم به ، ثم لم يكفهم ذلك ، فسافروا الى تاردانت عند الحاج حماد ، فبينما هم عنده اذا بهجد بن بوهوش صاحب المدنى قد دخل فامتقع لونه حين رآهم ، فبادر الى الحاج حماد يناجيه ، ولا ريب انه حشه على ان لا يسمعو منه ان هناك اتصالا ما بينه وبين القائد المدنى . ثم رجع هؤلاء الخطافون من هناك ايضا بما خطفوه من الحاج حماد ، قال وغالب هؤلاء الرؤساء على هذه الحال الا قليلين جدا ، كالفقيهين سيدى على وسيدى الطاهر ، والقائد سعيد ابن احمد الكرديسى ، والايفشاني ، واما القواد منهم فقد اكتفوا بما ياكلونه من قبائلهم انتهابا . (وهذه السفرة فى صفر 1342 هـ .)

قال : ومما وقع وانا فى (تيمولاي) ان توجه القائد المدنى بجيشه وانا معه الى ان وصلنا الى (اقا) ومدن معنا الفقيه سيدى الطاهر وسيدى البشير بن المدنى ، وسبب ذلك ان فى (بنوزاكارن) اناسا هربوا من القائد محمد ابنو النعيلات قائد طاعة ، فالتجأوا الى القائد المدنى ، كما ان اتباعا للقائد الطاطائى نهبوا قافلة فيها جمال للاخصاصيين ازا (اموكدير) فلهاذين القضيتين خرج المدنى فى نحو ستمائة فارس ومعه بعض المجاطين كملى الاشلمحينى ، وقليل من الخطافين اذتاله ، قال فباتوا اولا عندنا فى (تيمولاي)

ثم في (اخف ايفير) بافران ، ثم في (اداي) ثم في (القصبه) وقد تقدم معنا الحاج احمد الابراهيمى الضرورى ، ثم في (تامانار) عند القائد البشير ثم في (ايمى الكادير) ثم في (ايشنت) ليلتين عند ابنا الخليل ، ثم في (تيصكى يثير يفتن) ثم في (اكضى) ثم في (توزونين) حيث القائد ابراهيم الذى ذك بآبيه القائد بلعيد وشيكا ، فاستولى على مخازنه وعلى ايلته آيت مريض. وهناك قال القائد ابراهيم للقائد الناجم الذى يحكى لنا ها انذا ترى القائد يرعى خاس عهوده، فولى على عقبه، افلا يخاف ايضا ان تفعل انت فعلته ، فقلت الله يحفظ ، ويعطينا الصبر ، فقال : اننى على لك كرا وكذا من التمر كل سنة ، فقلت جزاك الله كل خير ، ان القائد المدنى قد كفانى كل المؤن ، فقد سلم لى 23 بسانا فيها ما فيها من انواع الاشجار والنخيل والمحارث ، دع ما يكفيها من المياه ، فلا احتاج مع ذلك الى سواء ، قال : وهناك قال محمد المقدم الرسموكى الاقوى للقائد المدنى الى أين أنت الآن تقصد ؟ فقال اقصد ان آخذ حقوق الاخصاص من القائد الطاطاني ، فقال زهل يمكن ان يقف انا من يفاوضك في ذلك ؟ فقال له : يمكن ، فوضع بين يديه خدسين بندقية اوربية كوثائق على كل ما على الطاطاني ، فردت الوثائق الى القائد ابراهيم ، قال وقد كان القائد ابراهيم هذا أنزل عندهم اخيرا محبذ بن بلقاسم النكادى لما ورد نحو : 1349 هـ . من سجلماسة ، فبقى عنده هو ومن معه ما شاء الله . ثم ذهبوا الى (تاغجيغت) حيث بقوا الى آخر يوم ثم فتكوا سنة : 1351 هـ . باهل (ايشنت) فاحتلوا واخرجوا منها اهلها ، ثم لم يبقوا هناك الا نحو سنة ، فدهمهم الاحتلال ففروا ، ثم ان القائد ابراهيم كان نزاع شديد بينه وبين القائد الطاطاني الذى دخل في ايلة الحكومة ، فاستولى رسميا على (طاعة) بعد منازعة عليها وعلى (تيسيننت) بينه وبين الاكلاوئين فوقف معه القائد محمد بن ابراهيم النيسينوتى حتى وصل الجبل بينه وبين الحكومة . فاستراح من الاكلاوئين ، فعلا شأنه هناك وقد كان (اداو بلال) متنازع السيادة عليهم بينه وبين القائد ابراهيم ، وكان ابو الرحيم = احد رؤساء اقا = يعاكس القائد ابراهيم ويمالى الطاطاني ، فاتصل الجبل بين القائد ابراهيم - وقد يئس من الانتفاع بجانب القائد المدنى وايلة مريه ربه - وبين رئيس ساقن الذى انضوى تحت مركز (ايفرتم) فواصله الى الحكومة ، فرجع من عند الايساقنى فوقع بأبى الرحيم وامثاله من اعدائه رؤساء (اقا) فاستولى على كل هذه الناحية ، ولم يلق بعد الا الرئيس الايساقنى من رؤساء الحكومة ، ثم لم يطل الزمان فاذا بغزاة من المشردين عن (تايفاللت) وما اليها بعد احتلالها يتنقلون في نحر الصحراء ، فيقعون على القوافل وعلى الطرق ، وكانوا مائة وخمسين داهموه في مسكنه بقرية (توزونين) فحاصروه فدافع دفاع الابطال ، فقتل وحده خاصة

ببندقية سبعة عشر ، ثم اغاثه اياه ، ففكوا بجميع الغزاة ، فلم ينج منهم الا خمسة ، ولكنه قتل انا . الحصار ، لانه اطل من نافذة فرماه رام منهم ثم نوى القائد الحسن وراءه وهو الذى سائر الاحتلال الى الامام .

رجع . قال : ثم لما كنا فى (توزونين) كما تقدم ، كانت الخيل تلعب فى النمانية ايام التى قضيناها هناك ، قال : وفى يوم بعد الافطار ربت انا وسيدى الطهر وسيدى البشير بن المدنى وسيدى محمد بن عبد الله القصبى من آل سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ ، وسيدى عبد الرحمن من آل ، فذهبنا جميعا حتى راينا اطلال مدينة (تامدولت) ثم رجعنا عند القداء ، قال ثم من هناك الى داخل وادى (اقا) فتقدمنا الحاج احمد الضارورى وسيدى الهاشم القصبى ، فنصلوا (اقبتابن) - قرية هناك - فاذا بأهل القرية صاروا يطفون الرصاص على الحاج احمد والابراهيمين أصحابه ، فكان أهل القرية خافوا من اجتياحهم ، لما عسى ان يتوجسوه من دسيسه القائد ابراهيم ، قال ، فللقانا نحن أهل (اقا) بالفرح التام وبالبازود الكثير كل يطلق ببندقية ، قال : حتى انا صرت اطلق فرحا . فتضاحك على سيدى الطاهر وسيدى البشير ، فعلا احسنى انت ؟ فقال قائل : او لا ترون الى القائد المدنى نفسه يطلق ببندقية ؟ فذلك امضيينا ساعة ابتهاج ، وما كانت لتمضى لنا لو كان معنا الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى صاحب الجد ، فربما خاصمنا ايضا كما خاصمنا فى ايت بعمران فى مثلها ، واما سيدى الطاهر فانه حين لين يواتى كل واحد . ثم نزلنا عند المقدم الرسموكى انا والقائد المدنى وكاتبه ماء العينين ، والرؤساء جميعا . وفرق الاقايون جميع الفرسان ، فرأينا الحضارة والانافة فى الطهو والفراس والوانى والزاوله ، ثم اضافنا اوهانول فبقينا عنده ثلاثة ايام مثل ما مكثنا عند الرسموكى ، ثم ذهبنا على مشهد سيدى عبتلا بن مبارك . فعدانا رئيس المشهد سيدى الصغير ، ثم كنا عند ابن شعيب فى (تاو ريرت) ليلة ، ثم عند سيدى الامين فى اكادير ادوزرو فلاقينا هناك فقيها اشيب - لعله سيدى المكى - ثم رجعنا الى (توزونين) ثم ضيفنا سيدى العدلانى (1) ، ومن هناك رجعنا ادراجنا على منازلنا غالبا فبقينا ايضا عند القائد البشير التامانارتى ، فصارت الخيل تلعب هناك وحين كنا فى (القصبة) عند أبناء الشيخ ، قال : هكذا هذه السفرة ، وقد رجع القائد المدنى بهدايا كثيرة كما اهدى هو ايضا ، وقد استرد مما ذهب للاخصاصين بعضه ، فاستقررت ثانيا فى مستقرى فى (تيمولوى) .

طلّاع الاحتلال النهائى

قال : كانت ناصية القائد المدنى مباركة على تلك الجهة ، فليقل القائلون

(1) ويقال ايضا العدنانى . وهو ابن على بن مولاي الحاج المولى يفتى .

ما شاعوا في طمع المدني في الاستيلاء على القبايل وفي استبداده ، بالامور ،
 وني حب السيطرة ليظهر وحده من غير منازع ، وفي كونه يقتل ويغرم كل
 من استذلهم الاموال ، وكل ذلك فيه حق كثير وصدق لا ينكر ، ولكنه على
 كل حال لا يجب ان ينضوى تحت الكفر ، ولا ان يكون له اسم القيادة موسوما
 بطابعه . فكاد يكون هو الوحيد المخلص لآل الشيخ ماء العينين ، فيرسل اليهم
 من عنده ما يتوقفون عليه ، ويحارب ذودا عن اياهم ، فلا يتخلف عن كل
 مكان فيه حرب ، وقد فتك باحمد نطالب لكونه يناوئه في التملك على قبيلته
 ايت عبلا البعمرانيين . كما فتك باخرين امثاله ، وقد كان يوده ان يفتك
 بالقائد مبارك البشيراني وبالشيخ سعيد الحمسي وبكل رؤساء مجاط ،
 ورؤساء آل بعمران ، لكنه لا يقدر . فبقى منفصا بمناراتهم واهو في كل ذلك
 شديد الحجاب ، مهذود البساط ، مفتوح الابواب للاضياف ، لا يسأل احدهم
 من اين ولا الى اين ، وان كان لا يلقاه الا الاخصاء منهم احيانا ، ثم انه مع
 ذلك لا تزال الرسائل بينه وبين كل قواد مراکش ورأس الوادي وأزغار الا
 ما كان من الجراي والتيسيونتي والكتنافي الذين يريدون ان يقودوه الى الحكومة .
 فانه يجابهم ولا يتصل بينه وبينهم ادنى جبل ، وكان في كل المجالس يدعو
 ان لا يلقى وجهه وجه النصاري ، فاستجاب الله دعاءه ، فادركه اجله قبل
 الاحتلال بشهرين ، فذهب الى ما قدم ، قال ثم اننا ذهبنا مع اهله معزين
 لمريه ربه ، فارسلت الى زوجه فاطمة بنت الحسن اخت القائد مبارك البشيراني ،
 فطلبت مني ان اقف حتى يكون ولدها الحسين قائدا في مقام ابيه المتوفى ،
 قال فصاحبناه هو والحفي وماء العينين والقائد محمد يحيى ولد الهيبه الزافاضي
 ومبارك بن علي البوفوسي - شيخ اد الاربعاء من الاخصاص - الى (كردوس)
 عند مريه ربه ، فندوول الامر فيمن يتولى بعد القائد ، فسلم الحسين لعمه
 بوساطتنا عن حسن نية منا . ولم نعرف مقصوده السوء الا بعد ذلك الحين ،
 فقد كنا لاقينا رجلا في طريقنا الى (كردوس) فقال معه هو ماء العينين
 الكاتب ، فرأيت الرجل تناول تممة من عضده كأنه يتبرك بها ، ثم حلها ثم
 عرفنا بعد ان تلك رسالة من (تزيت) كجواب عن اخرى من الحفي ، وقد
 اراد بذلك ان يتبوا مقعد اخيه ولكن تحت ظل الحكومة ، وايا كان فنحن لما
 رشحناه ككبير الاسرة ، لا خبر مثل هذا عندنا ، وقد ظنناه كاخيه مخلصا
 لا يضم سوا ، فكل ذلك تولى الحفي مكان اخيه ، فرجعنا على طريق مجاط ،
 فتلناه شرفاء من أبناء الشيخ سيدي أحمد بن موسى ، فطلبوا منه صلة ،
 كما كان يصلهم القائد المدني ، فاجابهم الحفي : اتبعوا المدني ، واطلعوا اليه
 في السبيل ، قال : فالتفت الى القائد محمد يحيى الزافاضي ، فقال : اسمعت
 ما قاله هذا البخيل المدني ؟ فليعلن الله كل آل عبلا الحاج - عبد الله بن

الحاج - ومن يتبعهم منذ اليوم وذلك هو اسم عائلة القائد المدني. فاستفزني
انا ايضا ما قال ، فرقعنا عنه هممنا . فلم ير منا بعد ادبا ولا حرمة كما
كنا مع اخيه ، وقد كان بعض خلصائه هو محور تلك الحياة ، قال فذهبت
من (بوزاكادن) الى (تيمولاي) ثم صار يطرق الاذان ان الحكومة تنهيا لاحتلال
تلك الرقعة التي كانت آخر ما احتل من المغرب . ثم سمعنا بان الجيوش
تهب من كل ناحية ، ثم ذهبت الى (وادي نون) لاتي من هناك بمن فيه
للمقاومة ، فوجئت في (الكلميم) محمد بن بلقاسم النكادي سلطان نافيلالت
امس فاجتمع الناس عند محل كان نزل فيه سيدي حسين الشرجيلي لما زار
تلك النواحي 1142 هـ وكان اتخذ مركعا تبركا به - ففقدنا هناك الاجتماع ،
فقال النكادي - ولم اكن رايته قبل اليوم - ألم أرسل اليك يوما فيما مضى
حين كنت في (نافيلالت) على يد الفقيه سيدي الطاهر الافرائي فقلت بلى ،
قد وصلتني رسالتك ، فقال لماذا لم تاتي في محل صوتي ومظهر امري ،
ولو جئتني لنفعتني ونفعت نفسك ونفعت المسلمين ، ثم قال لاي شيء جئت ،
فقلت جئت لانادي في المسلمين ليقودوا الى الجهاد ، لان جيوش النصارى
قادمة ، فقال : اما ان يقوم مربيه ربه بكل شيء فيتزعّم المقاومة ، واما ان
يسلم لي فاتزعّم واقاوم ، فاجبته بانني لم آت لهذا ، وانما جئت استنهاضا
للناس ، فان النهوض واجب على كل احد ، حتى على نساءنا ، ثم عرضت
عنه فذهبت فبت عند حمو اككا في (تيرت) وهو بربري من الواديز
مع النكادي ، وفي الصباح قدت البربر اصحاب النكادي ، وهم نحو ثلاثمائة
اتقدمهم ، فذهبت بكبرائهم الى الفقيه سيدي احمد بن ابراهيم في (تاكانت)
وفرقت اصحابهم على الناس هناك حتى اكلوا ، ثم اتيت بهم الى (بوزاكادن)
فاذا بالحنفي البخيل لم ينزلهم منزلتهم . فاهملهم ولم يقم بحق بيّاتهم ، كما
كان يفعل اخوه الكريم . ثم خرجنا من هناك مع هؤلاء البربر ، ومع كل
الاخصاصيين ، ومع القائد الحنفي . فنزلنا في (بوزيجاريين) حيث دار عبد الله
ابن عبد السلام ، والقرية معدودة من ايت همتان بات برايم ، فعسكرنا هناك
مع من معنا ، ثم اقبلت جيوش النصارى من كل جانب ، وضاق نطاقها من
(اقة) ومن (اغرثم) ومن (ازغار) والكل متوجه الى هذه النقطة التي
نحن فيها ، فاستدعاني القائد الحنفي ، فكتب لي رسائل الى الرؤساء البعمرانيين ،
وقد ظهر بعد ان ارسالي يقصد به ابعادي حتى يتم له امر يزاوله سرا ،
فذهبت بها انا والمختار بن عمر رئيس ايت الحسن عن حسن نية ، فاسرينا
ليلا ، وما معي الا عبد لي هو الباقي من جميع اصحابي : وقد كان المختار
على فرس هزيل ، فصار يسقط فينة بعد فينة في الاحجار ، فيناديني : يا
ناجم ما هذا ؟ وقد غدر السلحي يعني القائد الحنفي - كلام تجريه القدرة على
لسانه ، من غير ان يعرف شيئا - فاقوم معه حتى ينهض فرسه . ثم اخذت

حقيبة ثقيلة كانت على فرسه ، فالتفتها على فرسى ، فوصلت مجمع الرؤسا
البعمرانيين ، فوجدت بين أيديهم رسالة طويلة كانها منشور عام ، فقال لى
صاحبى لا ريب ان هذه من النصارى ، ثم لما افطرونا سالتى الشيخ سعيد عن
مقدمى ، فدفعتم اليه الرسائل . وقد كان حاضرا القائد أحمد بن البشير ،
وبلعيد بن الطيب ، وفوال وأبو شامة ، وكلهم من اصبوني ، وسى بلعيد
من ايت بوبكر ، وببها العلوى ، ففيل لى ما فى الرسائل التى أرسلها اليها
الباشا - يطلقون ذلك على الحنفى استهزاء - فقلت : فيها ان يأتى كل واحد
منكم لياخذ ما نفذ له من الشعير ، فمنكم من نفذ له أربعون غرارة ، ومن
نفذ له خمسون ، وهناك من نفذ له حتى مائة . فقال الشيخ سعيد ، الآن
لما ادركه الفرق يستخرج من مخازنه ، فهلا اخرج ما فيها قبل اليوم ، ثم قام
معى الشيخ سعيد والقائد أحمد ، فقال لى الشيخ سعيد افهمت من اين الرسالة؟
يعنى انها من الحكومة رثم وصلنا (نيجاريفين) ، فلم نجد القائد الحنفى ، ثم
قلت للكاتب ماء العينين : الى اين ذهب القائد ، فصار يعمى على ، فقلت له :
اننى الناجم الذى حنكنه حوادث الدهر ، نلا تمشى على الحيل ، وأنا الذى اعمى
على الناس ، نقل لى الحقيقة . فقال : انه ذهب ليلاقى بعض رجالات الحكومة
فى (ووعلكنة) ازاء (ميرغنت) ولكن ذلك لا يزال بعد سرا ، فحكيت
ذلك للشيخ سعيد ، فقال أرايت انه يرسل اليها ثم لا نجده حيث تركناه
ثم قال الكاتب ماء العينين : ان القائد أوصى ان تذهبوا الى رئيس ايت على
فى دار الحسن ، فذهبنا فقمعدنا هناك ننتظر ، وقد سقط فى أيدينا ، الى ان
جاء الحنفى بعد مرور العتمة ، فجلسنا حواليه ، وهو يشغل بالتأبقة ولم يكن
القائد المدنى يتعاطاها ، ولكن الحنفى لا يفر عنها ، ثم قال له الشيخ سعيد
- وقد كتم عنه انه عرف الواقع - لماذا أرسلت اليها ؟ فها نحن أولاء جننا ،
فسكت عن اجابته الى ان اصبح الصباح ، فاجتمع الاخصاصيون والبربر .
وقد اتى اليهم ايضا الزافاضيون والبعمرانيون ، وقد توافر الجميع هناك فى
الليل ، فقال لى (الزافاضيون) : ماذا صنع بنا هذا الرجل ؟ فقد غدرنا ،
فألوا ان يقتلوه فى الحين . فقلت لهم لا على ولا لى فيه ، فلم أزد على ذلك ،
ثم ذهبت الى الشيخ سعيد فاعلمته بما ينوى الزافاضيون فى القائد وفى
كاتبه ماء العينين ، ثم قلت له : ان الواقع لا يرتفع ، فان الجنود متوجهة
وستحتل كل هذه البقعة بلا ريب ، فلا معنى لسفك الدماء بيننا ، فان شاورك
هؤلا ، فلا تقبل لهم ذلك ، فقال حاشا ان أنسبب فى سفك محجمة دم . فان
كان الحنفى قد هادن عن قبيلته ، فلنا كلنا قبائلنا ، ثم لم ينشب الناس ان
تفرقوا عن خزى ، فذهب البربر القربا . ينظرون ما يصنعون بانفسهم ، فرجعت
انا مع الحنفى الى (اد التاجتر) فبتنا هناك ، فأمرنى ان اذهب معه للالاقاة
النصارى فى (ووعلكنة) فقلت له لو كان مرادك على الحقيقة نفمى لاعلمتنى

امس ، ولما أرسلتني مراوغة منك الى ايت بعمران ، أم تظن اننى مجهول عند
النصارى وعند غيرهم ، بلو ذهبت معك لعرخت ما أنا قاتل عنك وعن نفسى
وعن جميع اهل هذه البلاد . ولكن حين خادعنى امس فأننى لا اصاحبك اليوم .
فقال : ان ابيت ان تذهب معى فاذهب انت وماء العينين ، فاجمعا الناس فى
متسوق الثلاثاء ، واتيا بجمال لنذبجها (نكريبات) أمام الجيش الزاحف ،
فدما انقتل عنا، قلت فى نفسى : اننى كنت تركت عيالى مع نساء القائد
المدنى يجلس فى القباب ، وقد تانت نساء كل الامكنة الخائفة قد اجفلسن من
الديارالى (القباب) خوف قنابر الطيارات التى صارت تحلق فوق (بوزاكارتن)
وامثالها منذ أيام، فذهبت الى اهل ، فمررت بالحسن بن المدنى فى (ادجيتوف)
فحكيت له ما وقع ، ثم عين لى المحل الذى فيه زوجاتى مع زوجة ابيه ، فلما
وصلت محل النساء ، قلت لزوجة القائد التى مع زوجاتى : ارجعى انت الى
دارك ، فنارت فيها الفيرة الاسلامية . فصارت نلعن الحنفى وتقول : أرايتم
اخى القائد مباركا ، هل يفدر ان يفعل مثل قائد نم الحنفى؟ فجتت الى نسائى ،

وهن فى اجراف من جبل بين (تسور) وبين (ورزت) فاركبتهن على بغلنيز
وعلى درس . فرجعت الى (نيمولاي) ليلا فاصبح الى شيوخ البلد ، فسلموا
على ، فقلت لهم معتذرا عن مجالستهم : اننى قد اعيتت فصررت اجمع متاعى
بعجلة لارتحل ، وقد دخل الجيش الى (بوزاكارتن) عشية امس ، فصار
رئيسه يسأل عنى ، فارسل الى لآتيه فى الحين ، فتسرب الى الخبر فى
الليل من اهل الفيرة ، فخرجت مسرعا وسط الليل من الدار بمتاعى وباهل ،
على اربع بغال وثلاثة اثراس ، تسرت فى طريق (استتار) وقد نكبت المرور
حول (بوزاكارتن) ، لان الجيش ، الذى احتله قد اطلق الاضواء حوله ، فمررنا
على سلك ملقى على الارض ينبع ممر الجيش ، فاراد من معى ان يقطعوه فنهيتهم
عنه، فامرت الذى يهديننا ان لا يمر بنا على (ادجلول) حتى وصلنا (تيونيرين).
(اوميلان) - كديات اليمام - ثم رددت صاحبنا لى فامرته ان ينام على هذه
الكدى الى الليل ، ثم يرجع الى دارى فى (ادجلول) فمن سآله عنى يقل له :
لا علم لى به ، قال وقد كان عندى اذ ذاك من القنم خمسماية .

فى أيت بعمران

قال : ثم زدنا امامنا وقد طلع علينا النهار ، فمررنا حول (الوس) ووصلنا
(تيفيسيت) فوقفنا امام دار ابن الحاج سليمان من (ايت عبلا) فلما اطلت
زوجه علينا فراتنا سودا ، صارت تصرخ : يا رباه ، قد وصلنا السانفاليون
جيش الفرنسيس ، فتعول اعوالا صارخا ، فقلت لعبد لى اذهب اليها ، وقل
لها من نحن ، حتى تهدا عن صراخها، فاذاك فرشت ثوى الاضياف وبخرته،
ثم اومات الى العبد من الباب الموارب ، فامرته ان يدخل البقال والحيل ، ثم

أمرته أن يدخلني أنا ومن معي ، فوجدنا كل شيء مهيا من الخبز واوانى
الاتى ، ولم تدخلنا حتى اوجدت كل شيء . قامت الزوجة الرشيدة بكل
هذا كما تقوم به عادة امثالها من ربات الديار السوسية اذ ذاك متى غاب
ازواجهن ، ان الم بهن معارف أزواجهن ، ثم جاء زوجها بعد ما دخلنا ، فصار
يثرثر على بالتشكى مما فيه الناس ، ثم ركبنا فتنسوقنا (سوق الاثنين) من
ايت يسيمنور ، فلم نجد فيه أحدا مبكرا ، لان الخوف عم الناس ، فاذا
بالشريف سيدى محمد بن يوسف - وهو من اهل وزان - وهوتا جر فارسلت
عبدى فاعانه حتى انزل الجوالق عن بغلته ثم جاء به الى ، فهانئى بالسلامة ،
فحكيت له ان الجيش دخل (بوزاكارن) وقال لى : اما هنا فليس عندنا الا
مجرهون قليلون اصيبوا فى ثنية (تيزى) فدفعت له مالا كان عندى اريد
ان اودعه اياه لامانته ، فقلت له ان الامارة بينى وبينك لمن ارسله اليك : ان
ياخذ خنصر يدك اليمنى ، ثم توارد بعض الناس الى السوق ، فسالت عن
الشيخ سعيد ، فقل لى : انه ذهب الى (ايكيسل) أمس ، فاشتريت لهما
فارسلته الى داره ، فجاء الحسين ابن عم الشيخ سعيد وابن عمهما يحيى بن
يحيى ، فاعطيت لهما ايضا احسانا ، فبث عند الحسين أنا ومن معي ، فارسلت
الى سراج ليصلح لى بعض سروج ولحم ، وفى الصباح ذهبت مع الحسين ،
فلما وصلنا مكانا لاقينا اعرابيا جاء من (أباينو) فاخبرنا ان مريه ربه
جاء عن (كردوس) هاربا ، فنزل فى (أباينسو) هو ومحمد بن بلقاسم
النكادى ، فذهبنا الى (أباينو) فلم نجد هناك أحدا الا الفقيه سيدى بلقاسم
الرخاوى ، فذهبنا الى (ايكيسل) فمررنا هناك بانسان نظر الينا نظرا
شزرا ، فقصدنا (اد الاربعاء) فلم نجد هناك أحدا ، فاذا بثلاثة جيوش جاءت
من (بوزاكارن) متوجهة الى(وادى نون) ، وهناك جيش آخر يسبقه الحاج
احمد أضاوضور ، جاء من جهة (اقة) فقلت للحسين: هل تريد أن نستشهد
الآن ؟ فقال لا ينبغي لنا ان نلقى بأيدينا الى التهلكة ، ثم قرأ الآية الدالة على
ذلك من القرآن ، وكان حافظا للقرآن ، ثم دخلنا دارا هناك خالية ، وقد فر
الناس امام الجيوش الزاحفة ، فذهبنا دجاجا به تعشينا ثم افطرننا ، ثم رجعنا
الى (أباينو) فاستدعانا هناك ثلاثة الى ديارهم ، فكرمونا بطعامهم واحدا بعد
واحد ، ثم غادروا المكان ، فسرنا فى (امى نفاس) فبتنا فى قرية (اقران)
عند ابراهيم بن مامناس ، وهناك اخبرنا ان البربر اصحاب النكادى طاردتهم
الدبابات والطائرات ، حتى ادركتهم فى مصب وادى درعة ، فرجعوا مع
النكادى الذى كان ذهب معهم حين وقع ما وقع ، ففروا اجمعون ، وقد كانوا
طعموا ان ينجوا الى الصحراء ، لكنهم ادركوا قبل ان يصحروا ، ثم اخبرنا
وارد ان مريه ربه كان نازلا فى (اصبونجا) فلم يقلوا نزوله بين ظهرانيهم
خوفا على انفسهم من جريرته ، قال فبقينا هناك اربعة ايام ، ونحن نختلئ فى

الجبال ، حتى هدأت الحالة هدوءاً ، فرجعنا فوجدنا اصحابنا يفتشون عنا ، ثم بقيت في دار الحسين ، فبلغني ان كل ما في الدار من (تيمولاي) قد انتهبه القائد الحنفى وقد اخرج منها عيالى ، فذهبوا الى دارنا فى (اد جلول) وقد كنت بعثت الى الغنم التى كانت هناك ان تنتقل الى ايت عبلا ، فلم يصادفها اصحاب الحنفى فنجت ، فكانت لى نعم المرجع فى حياتى هناك ، ثم التحق بى عيالى بعد ما اخرجوا ايضا من دارنا هناك ، فانزلنى الحسين فى دار من (اد اوساكم) حيث بقيت منذ : 1353 هـ الى ان اخرجنا منها اخيرا بعد وقعة البعمرانيين سنة : 1377 هـ . قال وفى هذه الدار استقرنا هادئين نرجى الحياة ، وقد استولى الاسبانيون على بعمرانة ، فمرت على الفترة الهادئة فى حياتى حين لا معارك ولا مجاذبات ، فرجعت الى الحياة القديمة التى كنت أعرفها فى صغرى قبل ان التحق بالقائد ابن الطاهر ، والله الحمد والشكر على ما اسبل من ستره ، فكننت أعيش كهؤلاء ، فأحرث واكسب مستسلما للقضا ، والقدر .

مع اسبانية

قال : اسم اول من نزل هناك من الاسبانيين (كباص) فقد ذهبت انا والحسين الى (افنى) اثر نزوله ، فوجدت الخمسين متفرقين فرقتين : فرقة مع الشيخ سعيد ، والاخرى مع الحسين صاحبى هذا ، يمشى بينهما بالنميمة من لا يرعون القرابة ، ففزلتهما عن الناس ، فقلت لهما اسمعا ما اريد ان اقول لكما : انك يا حسين رجل عظيم ، وليس عندى ما اقول فى كل احوالك ، الا انك ستضعف ان وقفت امام النصارى ، فلا تطيق ان تماشيهم ولو خطوة ، فالعامل مع الاوربيين غير المعاملة مع المغاربة ، ثم قلت للشيخ سعيد : اليوم يومك ، فقم واملا مقامك بين اقرانك الرؤساء البعمرانيين ، وكن احسن سياج لك وللحسين ولى ايضا - لاننى منكم اليوم - ولجميع المسلمين ، فاقترح على ان اذهب معه ، فقلت له : لا اذهب - فالح على الحاحا ، فذهبت فدخلت معه الى مجمع البعمرانيين ، فاذا بالرئيس (كباص) سلم على وقد عرف من انا ، فتوجهت اليه ورددت سلاحه بالتى هى احسن ، ثم اخبرته باننى كنت التجأت الى ايلته ، وان البعمرانيين فرحوا به حين نزل بين ظهرانيهم ، ثم اخبرته بما تقدم لى من الاتصال بالحكومة الاسبانية قبل ، وما اسدته الى من معروف ، فلما ختمت الحديث معه ، اشتغل مع البعمرانيين يعقدون معه الشروط التى يملونها عليه املا ، وغالبها يدور حول ان يستولى الرؤساء على الاعشار والزكوات ، وان يكون لهم الكلام فى قبائلهم ، كل رئيس من هؤلاء بقبيلته قال وام بهم هؤلاء الرؤساء الا الرئاسة ، والسيطرة على الناس ، قال وقد نسوا مريه ربه ، واما لو كانوا اشتروا ان يبقى اميرهم لبقى ، قال : ثم ان مريه ربه اوى الى الصحراء فى (طرفاية) فرجع الى حالته الاولى سكنى

الحيام فى الصحراء . قال فهكذا فارقتهم اليوم ، وسبحان من جمعنا امس
ثم فرقنا اليوم ، وقد كان اول معرفتى به اننى كنت زرت والده مسافرا اليه
من وادى نون الى منزله فى (الصمارة) يوم كنت اتعاطى التجارة فى فجر حياتى .
فاستحضر اننى ومن معى كنا صدنا غزالة صغيرة قبل اليوم الذى رحنا فيه
الى الشيخ ، فابقيتها عندى لافرح بها اول صبرى من ابنا الشيخ يلاقينى هناك ،
فكان مربيه ربه اول من جرى للملاقاة من اولاد الشيخ ، وعلى رأسه ثلاث
ذوائب ، قال وقد بتنا اذ ذاك اياما عند الشيخ ، فسأل عما يكرمنا به ، فذكر
له اننا نجب الدجاج ، فذبحوه لنا وهو عندهم موجود كثير ، لانهم لا ياكلونه ،
وحين صرنا نحن ناكله فى خباء صار الشبان منهم يرفعون اطراف الخباء
يطلون علينا ليروا كيف ناكله ، ثم سمعناهم يذكرون بتعجب كيف ناكله .
قال : ثم ان الاسبانين طلبوا أن ينزع السلاح من الناس ، فكان اول من
سلمت السلاح من القبائل، قبيلة (الصنبونا) وقد اعطت اسبانيا ثمن السلاح
للرؤساء فقط ، مع مال آخر لهم ليغضوا عن نزع السلاح من العامة ، قال :
فاعطيت انا بدورى البندقيتين اللتين بقيتا عندى ، فودعت السلاح من ذلك
اليوم ، ولا يلوم الا الله ، فاعتضت عن البندقية بالعصا والسبحة . ثم بعد
نزع السلاح حدث الحدود بين المنطقتين ، ثم صار الشيخ سعيد يزداد ارتفاعا
فى عين (كباص) فيرسل اليه الهدايا كالاولانى المفضضة ، وقد سمى قائدا
بين الرؤساء ، قال واول ما فعلته اسبانية من الاعمال أن مهدت لبناء مدينة
(افنى) ولعل المطار لنزول الطائرات .

يتفصح فى اسبانية

قال : ثم أنه بعد ما قام فرانكو وتغلب على اسبانيا ، طلبت أن ازور ارض
اسبانية التى كنت أعرفها قبل ، ومقصودى الوحيد: أن اتفصح هناك ، لانى
سئمت من الركود فاجبت الى ذلك ، فنفس على بعض الرؤساء هذه السفارة ،
فقد خافوا أن أعقد هناك ما أعقد . فاتراس عليهم ، كان الرئاسة عليهم فيها
مجد ، فتطلب كثير منهم أن يذهبوا كما اذهب ، وهم القائد احمد بن البشير ،
والشيخ سعيد ، وعبد الكريم الخلفى ، ومربيه ربه ، وسيدانى بن الهبة ؛
والسالك ، ولد عبد الله ، فسعدوا جميعا ، حتى مربيه ربه ؛ فساغرنا كلنا
فى باخرة من (افنى) الى (طرفاية) حيث بقينا (12) يوما ، فوجدنا هناك
التاجر عليا بوعيدة - هذا الذى صار الآن بعد الاستقلال عامل طرفاية -
ثم على باخرة أخرى الى جزيرة (كنارية) حيث بقينا ثمانية أيام ، ثم الى (تانايف)
فتلقاهنا هناك بكل ترحيب ، ثم رجعنا الى (كنارية) ثم رجعنا الى (قادس) بأرض اسبانية
فركبنا السيارات الى (الجزيرة الخضراء) ومن هناك الى (تيطاون) فانزلنا فى
دار الاضياف ، ثم اتصلنا هناك بمن كنت أعرفهم قبل ، فضيفونى ، وقد

كان معنا يهودى متنصر يسمى منصيا ، كان ترجمانا ، قال وعند سفرنا من (تيطاون) قال منصيا هذا لصاحبى : أن الناجم لا يسافر معنا الى اسبانية . فلاتات بحقيقته ، فلما بلغنى ذلك قلت : اننى لم آت الا الى اسبانية ، فثرت فى وجهه مخاصما فجاء صاحب اخليفة مصطفى بن يعيش حين سمع المخاصمة ، فرجع بالحقيقة ، فأخبر الخليفة ، فاتصل هذا بعميد الحكومة فى (تيطاون) فأرسل الى أوراقي لاذهب وحدى حتى اتصل بفرنكو نفسه ، قال : ثم لما فارقتى الشيخ سعيد بكى من فراقى، فحكيت له الواقع ففرح . وأعطانى مالا ، ثم سافرت بعد سفرهم ، فلحققت بهم الى (اشبيلية) ثم زرنا (قرطبة) و (غرناطة) و (قصرى) فهناك اتينا بالقناديل والقصاع والمناويل ، وكل الادوات المعروفة عندنا ، فقبل لنا : ان هذا كله مما يدل على اننا وياكم شئ واحد . فقد كان اجدادنا مسلمين ، ثم زرنا مدنا أخرى ، ثم كنا فى (مدريد) فاحتفل فرانكو بلفاننا ، فالتقى أولا بمريه ربه ، وساداتى بن الهيبة ، ثم خرج الينا ونحن مجتمعون فى بهو على الكراسى ، فسلمنا عليه ، فقدم اليه البعمرانيون بندقيتين أهليتين مفضضتين ، وخنجرين كذلك ، وقالوا له : ان هذه عربون اخلاص البعمرانيين لشخصك ، ثم بعد ان تكلم معهم وخرجوا ابقانى انا وراهم استجابة للسدى كتب اليه فى شانى من (تيطاون) ، ثم رجع مريه ربه فأرسل الى الترجمان فقال له ما قال ، ولا ادرى الى الآن ما قال له ، الا اننى أظن أن ذلك كان حولى ، ثم رجعنا من هناك ، ثم أبحرنا حتى التقينا العصا فى ديارنا بين اولادنا .

قال : وقد قاسيت من جل هؤلاء الرؤساء ما قاسيت فى هذه السفارة . لانهم ظنوا اننى اتعالى الى السيطرة عليهم ، وان سفرى انما كان لذلك ، فلذلك سافروا معى ، ولذلك وقع أيضا ما وقع فى (تيطاون) مما اسروه الى الترجمان الذى معنا ، وقد لاقى هنا الترجمان جزاءه ، فسجن لذلك ، وربما لذلك ايضا رجع مريه ربه حين تخلفت عنهم ، فجالست فرانكو ، هكذا يظنون ، ولا يدرون اننى وصلت من ضعف الصحة والاستهانة بالدنيا ما زهدنى فى الرياسة ، وأهلى كله ، بل الواجب على أن أمضى باقى عمرى فى مناجاة ربى ، ومن تجاوز طوور المجاذبات فليعرف ذلك حق المعرفة ، وأنا أعرف ذلك ولست بأبله ، وحين رجعت رفعت همسى عن كل أحد ، فلا اتصل باى أحد من هؤلاء سنين كثيرة ، الى أن انقلبت الصحيفة ، فكان ماكان تحت الحراسة

قال : كان الاسبانيون اول عهدهم يماذنون البعمرانيين الحبال ، فيتركون لهم حريتهم فى كل شئ، وقدرائت مما تقدم كيف استهوتهم محبتهم لاحسانهم اليهم ، وقد مضت سنوات أكثر من عشر ، كان البعمرانيون يغبطون من كل

قبائل سوس المضغوط عليها من الفرنسيين ، ثم بدا للفرانكو بعد تمكنه ان يدمج البعمرانيين في الاسبانيين ، فنار البعمرانيون في وجهه وقالوا نحن مغاربة ، وملكننا هو محمد بن يوسف ، فادى ذلك الى ان اعتقل كثيرون من بينهم الشيخ سعيد ، واحمد الذيب ، والاستاذ احمد بن زكريا ، والحاج المستى ، فنفى هؤلاء الى (الداخله) بعد ما افرج عن الآخرين ، وفى هذا الوقت جعلت أنا تحت الحراسة الدائمة فى دارى ، ولم يعتقلونى كما اعتقلوهم لكراحتى لفرنسة ، ولا ريب ان فرانكو ومن اليه اعداء فرنسة ، ثم لم تزل عنى الحراسة الا بعد تسع سنين ، وخمس واربعين يوما ، وهو القدر الذى قضاه الشيخ سعيد هناك ، وهو آخر من أفرج عنه بعد ان افرج عن اصحابه بكثير (وهكذا ذاق القائد الناجم حظه من الاستعمار الاسبانى ، ليكون ممن اوتى اجره مرتين) .

فى عهد الاستقلال

قال : امتد بى العمر ، وطالت أيامى ، حتى رايت والحمد لله راية الكفر قد انزلت ، وراية الاسلام قد رفعت ، فان فرح كل الناس برجوع الملك سيدى محمد بن يوسف الى عرشه ، فان فرحى أنا اعظم لما قاسيته فى سبيل الاسلام ، وفى اعلاء شأنه ، وقد نويت أن اطيب بالموت - ان طرقتى فى عهد الاسلام - نفسا ، فاقول (الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) فان كل الذين نشلوا فى عهد الاستعمار وتشبعوا بما تروج به بيئة التفرنج لا يمكن أن يدركوا من الرجوع بنا الى الاستقلال ما يدركه مثل الذى كان عاش من اول عهد مولاي الحسن : 1291 هـ . الى آخر يوم من عزة العهد الحفيظى قبل أن يكشف نوره : 1329 هـ . ثم لم يزل مثل يجتر كل ما كان يعرفه اذ ذاك ، ويكون محور احلامه وآماله ان يعيش ولو لحظة فى يوم من امثال تلك الايام ، ثم دار الفلك ، وطلع السعد ، واشرقت شمس الحرية ؛ واشتعت انوار الاستقلال ، فانهزم ديجور الاستعمار ، فتفتحت ثانيا عيون الاسلام ، وعلا الابتسام لغور الايمان . فجاءت الايام بما هو فوق الاحلام والامانى ، فكيف يكون مثل فى هذا الجو المتموج بكل المنى المعسولة ؟ بعد تلك الدياجير التى كانت كلها ظلمات مسدولة ، افليس ان مثل اكثر تقديرا للاستقلال ، وجو الحرية بعد انقشاع الاحتلال ؟ فاللهم شكرا ، فاللهم شكرا ، اقول :

(هكذا) يعلن القائد الناجم عما يخامره حين اعلن استقلال المغرب الحر . فعاد وهو شيخ هيم كانه ابن عشرين زهوا ومباهاة وابتهاجا ، ولا يقدر قدر السلسبيل العذب الا من كاد يتقطع عنقه عطشا فى القفر لاياب تحت الهواجر فى شهر ناجر ، ولا يبنك مثل خبير .

بمثل أمام الملك المحبوب

قال : طارت القلوب بالافراح يوم أعلن الاستقلال ، فعم هذا الفرح كل نواحي المغرب ، قال وأما نحن هناك . فقد طفحنا حبورا، فكان لنا ولاصحابنا من البعمرانيين الحظ الاوفر ، فوفدنا بوفد عظيم فيه كل الرؤساء البعمرانيين تقلنا ثمانية من المراكب الكبرى ، فنزلنا في الرباط على مكتب الحزب ، فقام بنا خير قيام ، ثم لاقى بعض الرؤساء جلالة الملك ، ولم يتيسر ان يكون منهم الشيخ سعيد ، فذهب بها نكتة في قلبه سوداء ، لم تزل عنه حتى مات بسببها ، وقد كان القائد الناجم من بين الذين تشرفوا بالمشول بين يدي جلالته ، والمتكلم عنهم الاستاذ سيدى احمد بن زكريا الذى نال بمصابرتة الخطوة التامة والمكانة العظيمة بين البعمرانيين لفكرته الوطنية ولكفاحه العظيم.

فى مراکش

قال رجع الوفد فبقيت انا بعدهم فى الحمراء ، وانا اترجى ان استرد املاكى ، فاتصلت بالقائد العيادى صاحبى القديم ، وبأدريس مننو ؛ وبكثيرين وقد اثبت برسائل من سيدنا نصره الله فى شأن اطلاق املاكى ، ولكن لم تجد الا فى عبد الصادق الاكلوى ، فانه اسكننى فى دار اكترها لى ، ورأشنى بهال . ثم وقع بعد ان سكنت فى مراکش سنة : 1377 هـ . ان وقعت الواقعة فى ايت بعمران ، يوم ثاروا على اسبانية التى ائت أن تنصفهم بالكلام فحاولوا ان ينتصفوا منها بالحسام ، فهلكت ارواح ، ونهبت اموال ، وهدمت ديار ؛ فكانت دارى من جملة ما أصيب، وقد كانت زوجتى وأولادها الصغار لا يزالون فى الدار ، ثم زحفت اسبانية الى القرية التى اسكنها ، وتسمى (البطحاء) من (تيزنلتى) ازاء دار محمد بن على الرئيس ، فلم يكن اهلى على اهبة الارتحال ، حتى فوجئوا بالعدو ، فلم يكن ما يركبونه الا جملا حملت عليه النساء فى الجوالق فى وسط ليل باستعجال ، فبتن فى مكان ، ثم الى قرية (ادجلول) فى الاخصاص ، فماتت احدى الزوجين هناك من اجل ما لاقته فى الطريق ، وكانت مراكشية وهى شريفة . قال: وكانت صالحة انتفعت هى وكل النساء التى معها بالفقيه سيدى الحاج عبد حين كن عنده فى داره، فقد علمهن دينهن ، ولقنهن الاذكار . فحسنت حالتهم ، فيحافظن على صلاتهن وعلى الصدقات، قال: وليس عندى الآن من الاولاد الا محمد أبو يونس وهو الذى تقدم أنه هرب منى ، وقد عفى وانا أتبرأ منه ، لانه ليس منى ، ولا دينه دينى ، وهن ليس على فكرتى ولا على دينى ولا على مبدأى ، فانه ليس بولدى، وان خرج من صلبى .

اقول : طلب منى ان لا اذكره كولد له ، لهذه الامور التى ذكرها ، وان كان ذلك لا ينفى كونه ولده الشرعى .

حول أملاكه

رايت أيها القارى، أن القائد الناجم كان له بين اهله فى (ادجلول) بالاخصاص نصيبه بين اخوانه . ارتا كان توصل به ، وقد صار يستقله يوم اوى الى ذلك المحل ، قبل ان يستقر فى (تيمولاي) ثم لما اوى الى (بعمرانة) بعد الاحتلال وضعت عليه الحكومة يدها ، فصارت تكريه فى كل سنة بالسمرسة فى الاسواق ، وكذلك كانت له دار فى فاس ، كان تركها فى يد السيد ادريس بوشتا من اهل (فاس الجديد) امانة لا غير ، ثم عدا عليها لما التهم الجنوب ربها ولم تبحث فيها الحكومة ، فادخلها باسمه الى المحافظة ثم باعها ، فاتصل بثمنها ثم مات ، وكذلك له ديار متعددة فى حومة (باب دكالة) بمراكش ، منها ما اشتراه بدراهمه وهو الغالب ، ومنها ما اقطعه له مولاي عبد الحفيظ ، كالرياض المنسوب للقائد الحافظي ، ثم لما ذهب مع الهبة وضع الاكلاوى واصحابه يده عليها ، فبيع غالبها ، وربما صار بعضها لا يزال بين املاك الاكلاوى الباقية الى الآن. وكذلك عنده ارض اقطعها له السلطان المذكور قدس الله روحه ، ثم باعها الحكومة بظهير يوسفى حيزت به كل املاكه يوم ذهب مع الهبة كما اخبر نى به القائد العيادى .

هذه هى املاكه من الديار والعقار ، واما ما فيها من الاثاث والمتاع والحثرى فشىء كثير جدا ، التهم الاكلاوى واصحابه او الحكومة به صادرتها كل ذلك يوم خرج مع الهبة، زيادة عن نحو ثمانين من البقال وكثير من الغنم والبقر فى عزبته .

وبعد : فقد جاء الاستقلال، وهو ساكن فى المحل المذكور قبل فى بعمرانة وهو يحتر ويملك بقرا وغنما كالسكان هنالك ، وقد امضى حياته كذلك فى الخمس والعشرين سنة التى ابتدأت منذ 1353 هـ . الى : 1376 هـ . فكان يزجى ايامه بالقناعة ، وهو يتعاطى من اسباب المعاش ما يتعاطاه من يقطن بين ظهرانهم ، فلما أعلن الاستقلال ، وأطل فجر الامانى ، ورجعت الامال الى النفوس ، كان من بين المؤمنين ان يسترجع مكانته ، وأن يسترد املاكه ، فوفد مع البعمرائيين - كما تقدم - على الملك المحبوب ، ثم توسطت له انا وسيدى الحاج احمد بنانى عند مولانا الملك نصره الله لاسترجاع املاكه ، فقبل لى : ان استرجاع املاكه لا بد ان يكون على طريقة القضاء ، فليدل بحججه امام المحاكم ، فما صح منها فان حقه يثبت به ، فذهبت رسالة من التشريفات الى عامل مراكش السيد البشير بن العباس، لينظر فى الطريق الذى ينبغى ان يسلك فى استرداد حقوقه كلها ، وكذلك كنت انا اوصيت اصحابنا فى (حومة باب دكالة) من مراكش ، لينظروا من يشهدون له بدياره ؛ لان الحجج التى تمكن له انما هى فى الشهود لا غير ، لان رسوم جميع املاكه كان غادرها ليما غادره يوم خرج من مراكش فصاعت فيما ضاع .

هذا ما كان منذ ازيد من سنة ، ثم توقفت القضية ، واما داره التي فى قاس ، فان ورثة السيد ادريس بن بوشنا . قد اقروا بأن موروثة الميراث هو الذى فعل ما فعل ، وقد افروا بأنه تعدى على بيع الدار، وأنه مات وليسوا بمواخدين بما فعله الموتى ، فتوقفت القضية هنا ، وقد كانت (التشريفات) عن الاذن المولوى ، كتبت أيضا رسالة الى عبد الصاد قباين الاكلوى للنظر فى قضية الاملاك التى استحوذ عليها والده ، هما للقائد الناجم، فلم يزد على ان اسكنه فى دار لانسان آخر ، ثم اعطاه ما اعطاه من قليل المال .

واما ما يتعلق بملكه فى (ادجلول) فانه لا يزال يكترى الى الآن على يد الحكومة ، وقد مضى عن الاستقلال ثلاث سنوات فجاء الى الآن متشكيا باكيا على هذه المظالم المتوالية عليه وحده ، مع ان كل الناس رفعت عنهم المظالم فى عهد الاستقلال ، فكنت احس بوخز الضمير ازاء هذا الرجل الذى ضحى بحياته فى مقاومة فرنسة ، حتى اذا شاخ وبلغ : 92 سنة ، وقد عمى وعجز عن المشى ولم يجد ذوقا ، صارت الدياجى تتراكم عليه ، فقلت فى نفسى : اطلب الله أن يعيننى على اداء حق هذا الشيخ الضعيف ، فمكث معى فى (الرباط) نحو شهر ونصف ، وكنت ارسل اليه غالبا الى محلى ، يوم كنت اقيد عنه حياته هذه ، حتى اتممتها ، ثم سافرت معه بنفسى فى سيارتى الى (مراكش) ففقدنا من اجله ندوة استشارية ، تضم العامل السيد عمر بن الشمسى ، والفقير المحتسب السيد العربى بنيس ، وقاضى الصلح الاديب محمد بن ابراهيم الدفالى . ومعنا مفتش الحزب فى سوس العلامة سيدى عبد العزيز بن ادريس - ورد مصادفة الى مراكش - والاخ الاديب سيدى مصطفى العربى الرباطى ، والحازم النشيط محمد بن ادريس من الافذاذ الساعين فى المصالح العامة ، والكريم الاريحى مولاي على الرحمانى ، فبعد ما تناولوا القضية ، وعجموا عودها اتفقوا على ان اول ما يجب أن يصنع هو تعيين وكيل نصوح للقائد الناجم ، لانه مسن لا يقدر أن يتابع قضيته ، ولكونه يجهل الاوضاع، فقال العامل : على انا ان اؤدى مصاريف الوكيل ، وقال ابن ادريس على ان أقف أنا مع الوكيل حتى تهىء الحجج من الشهادات الممكنة فى حومة باب دكالة سواء منها العمومية ككونه خرج وترك كل أمواله ، وكونه املاكه وضع عليها الاكلوى يده ، وكونه كان يملك دورا فى حومة باب دكالة ، واخصوصية ، كالشهادة على كل دار بعينها ان تيسر الشاهدون لذلك .

وقد كانت هذه الجلسة فى دار العامل يوم الاحد السابع من دجنبر سنة 1958 م . الموافق للسادس والعشرين من جمادى الثانية 1378 هـ .

وقد كان الحاج احمد بنانى ، كتب رسالة اخرى فى الموضوع الى هذا العامل وللحاج احمد يد طول فى اكرام القائد الناجم ، فقد توسط له عند جلالة الملك حتى نفذ له عشرين ألف فرنك مشاهرة فى (الاجباس) مع صلة جلالته

له ، سمعت أنها بلغت مائة ألف فرنك ، زيادة على ما منحه له الحاج أحمد التريم في كل ميدان ، وللحاج أحمد مقامات في الاحسان لا تنسى .
هذا وقد حنتت العامل على ان يكتب (عمالة اكادير) في شأن املاكه التي في الاختصاص ، لتدفع له ، فوعد بكل خير ، بل لم نتفرق من هناك حتى أبرم مع فضيلة المحتسب الذي تحت يده املاك الاكلاوى المصادرة . ان ينظر دارا حسنة ينتقل اليها القائد الناجم للسكنى ، ليخلى الدار التي فيها الآن لنترجع الى صاحبها الذي استراها منه عبد الصادق ، ولم يبق الا المحاولة لاسترداد ثمن دار فاس ، فربما يتيسر ذلك بعد ان يكون له وكيل .
اكتب هذا في يوم الثلاثاء تاسع دجنبر 1958 م . ثم ابلغني العامل انه لا يمكن ان يتم شئ الا بظهير جديد ينسخ الظهير التقدم ، فتقدم القائد بهذا الملتمس الى مولانا الملك .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

جلالة أمير المؤمنين الذي منه واليه جميع مصالح الشعب سيدى محمد بن يوسف ، السلام على حضرة سيدى ورحمة الله ، والنصر والتمكين لكم ولولوى عهدكم المحبوب ، فانه يحفظ جميع أفراد أسرتم الكريمة .

سيدى : اننى عبد داركم وخديم دولتكم ، والمفنى شيببتي وكهولتى وشيخوختى تحت أوامر دولتكم العلوية المنيفة ، المسمى الناجم الذى كان قائدا من قواد اجنادكم فى عهد مولاي عبد العزيز ، ثم فى عهد مولاي عبد الحفيظ ثم اننى ما أزال فى مقدمة المدافعين دائما عن عرشكم الحالك امام الثوار ، كابى حمارة واهناله . ويبد عبدكم هذا قيد التأثر ابو حمارة حتى سلمته يدي الى اسلطان مولاي عبد الحفيظ رحمه الله سنة : 1327 هـ . ثم لما دهم الاستعمار هربت من اعدائي واعداى دولتكم والاكلاوى ونظرانه من مراكش ، فقد خرجت منها صبيحة احتلالها فى اواخر رمضان 1330 هـ . فذهبت فارا بنفسى مع اخوانى السوسيين من سنة 1330 هـ الى ان تم احتلال تلك الجهة سنة 1352 هـ . فاذا ذلك انكمشت فى آيت بعمران الى ان رجعت يا مولاي الى المغرب بالحرية والاستقلال ، فوفدت على سيدى مع البعمرانيين سنة : 1376 هـ . وانا فى غاية الفرح بعهدكم هذا المزدهى بكم ، ثم تسرفت يا سيدى أولا بالثول بين يديكم ، ثم بما اسدينموه لى على يد (الاحباس) مما اسد به الرمق ، وقد اهتمت بجلالتكم بعدتم هذا ، فكتب لى على يد التشرىفات رسائل بالوقوف معى حتى استرد املاكى ، فبقيت فى مراكش منذ سنتين ، وانا اتطلبها حتى وجدت ان جميع املاكى كان صدر الامر من قبل بتحويلها الى الاملاك المخزنية ، ولذلك اكتب اليوم الى سيدتكم العلية اتطلب ظهيرا من مكارمكم ينص على استرجاع املاكى فى مراكش وفى فاس ، وفى مسقط رأسى من قبيلة الاختصاص ، لان الجميع دخل فى الاملاك المخزنية ، وادفع الى مولاي من أعماق قلبى ما يرفع العبيدالى

السادات ، والمؤمنون الى ملوكهم المخلصين . 28 جمادى الاولى 1378 هـ .
ثم وقع للعائد اثر ارساله لهذا الملتمس ان بعثت اليه المحكمة ان يستعد
للخروج من الدار التي اتراها له عبد الصادق الاكلوى ، والا فسيطرح مناعه
لى الزقاق غدا ، فقام وقعد ، واتخذت الوسائط لتوقيف هذا الى ان توجد له
دار تليق لسكنائه ، لان المحتسب كان قدم اليه دارا خربة ، وهنا وصلت
القضية الآن ، وهكذا يطلع القائد البطل فى الدوامة ويهبط (1)

خاتمة

تتبع القارئ مفتتح حياة هذا البطل الى مختتمها ، فشاهد ما شاهد من
البطولة النادرة التى يشايعها رأى اصيل فى الحروب ، وفى كيفية ادارتها ،
كما قرأ صفحات خالدة من تاريخ المغرب الذى لم يعثر به الا قليلا ، وقد
اجتهدت ان اضم شمل احاديثه عن المعارك التى خاضها ، فاسهب احيانا واوجز
احيانا ، بحسب ما يسمح به حديث هذا الشيخ النحيل الذى انسج حديثه
نسجا ، فمتى رايت نشيطا يثر كالينبوع المتدفق اسهب اسهابا ، ومتى اراد
تفصيل الحديث عاجزا عن متابعتها باسترسال اقنع منه بما التقطه بايجاز ، ولهذا
يرى القارئ الاستطراد قد يوجد نى امكنة ، ثم لا يوجد فى أخرى ، على أننى
حرصت ان لا أكون الا مترجما لما يقول ، فمتى اعتراه شك فى شئ - كما
يقع له كثيرا فى ترتيب معارك ابي حمارة - اتوقف معه عن الكتابة حتى
يستبين الحق ، او اخص ما يقول تلخيصا، وانا حارص ان آخذ عنه كما تيسر.
على أن العجيب من الرجل أنه يستحضر غاية الاستحضار أسماء الرجال
والبقاع التى مر فيها ولو مرورا ، فان كنت أجهل جبال الريف ، ونواحي
وجدة وجبال غباشة ، وبنى يزناسن ، فأننى أعرف الجنوب وسوس ، فأعلم
ان كل ما قاله فى هذه الجهات صحيح ، ولا عيب فى حديث الرجل الا أنه لا
يستحضر التواريخ ، ولذلك يفقد حديثه كثيرا من دعائمه ، وقد وضعت انا
بعض التواريخ لما ذكره عن سوس ولكن لم أتبع ذلك تبعا ، لكونى أريد ان
يبقى حديثه كما هو ، والا فمن اسهل ما يكون عندى ان اجمل حتى لبعض
حوادث ابي حمارة بله حوادث سوس تواريخ كنت أعرفها ، وقد ذكرتها فى
غير هذا المكان ، اما فى مقدمة كتاب (طاقة ريحان) واما فى (من أفواه الرجال)
او (المعسول)

هذا ثم أعلن اننى لا أزعم أن الغلط لا يحصل للقائد الناجم فى بعض ماحكاه،
وان وصفته بغاية الاستحضار . فقد رايت منه بعض اغلاط فيما عرفته من

(I) لا يزال فى عهده الدار الى الآن 12 ربيع الثانى 1380 هـ . والقضية لم
تتقدم شيئا . والرجل طريق فراشه لا تنعش الا من اعانة الاحياس .

حوادث سوس ، فنبهه اليها فرجع ، وقد ذكرنى هذا الاستحضار الغريب ما
نقراء عن المحدثين فى كتب التاريخ .

وبعد : فهالك ترجمة رجل كان عاشر أهل الخ زمتا كثيرا فى ميادين الجهاد
يوم يكافح الجزوليون دؤن جزولة ، وكانت دار علامتهم على بن عبد الله مخزن
متاعه ما شاء الله ، فاستحق بذلك ان يكون فى هذا القسم ، فقد رأيت ما
بينه وبين علامة (الخ) المجاهد الكبير سيدى على بن عبد الله الالفى ، وما
بينه وبين الاخوين سيدى أحمد وسيدى محمد ، وكل من بينه وبين الالفين
مصاحبة كهذه ، فالأجدر ان لا ينساه الالفون ، وان لا ينساه مؤرخ الالفين
الذى يقول بملء فيه :

انا الدائد الحامى للدار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلى

القائد المدني الاخصاصى

نحو 1290 هـ 7000 - 9 - 1352 هـ

نسبه

المدنى بن احمد بن عبد الله ابن الحاج محمد .
من فخذ تسمى (اِدَّ بيفولن) من قبيلة (الاخصاص) الشهيرة . وفيها
افخاذ شتى . وكان للحاج محمد ذكر فسموا اولاده به ، ويقال لهم (اِدَّ غنبلان
الحاج) أى اهل عبد الله بن الحاج . وقد خلف الحاج محمد من الاولاد عدة .
منهم بلقاسم ، ومنهم احمد ، ومنهم الحسن . ثم خلف عبد الله ابن الحاج احمد .
والفقيه الحسن ، وعمر وسعيدا وأبا بكر .

الفقيه الحسن بن عبد الله

عالم له شهرة كبرى فى تلك الجهة . تخرج بأبى العباس التيمكيدشتى ،
كما أخذ أيضا عن أبى حامد سيدى العربى الادوزى . وقد أجازاه معا . وهذه
هى الاجازة منهما (كما وجدناها باسم يوافق اسمه . فقل لنا انه هو المقصود)
(الحمد لله الذى يجيز أهل السنة على الصراط كالبرق الخاطف ، ووقاهم ببركة
الشريعة من الوقوع فى المهلكات فى كل المواقف ، والصلاة والسلام على سيد
الاولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه وكل التابعين . وبعد حمد الله على أن
لم يزل ذور الهمم فى التحصيل أقول ان الاخ فى الله سيدى الحسن الفقيه
ابن عبد الله الاخصاصى ، قد طلب من العبيد الضعيف الاجازة فيما أخذناه ثم
أخذه ، وحصل عليه مما قدر له . فاجزته طالبا من الله أن يكون ممن ينتفع
به المسلمون ، اجازة مطلقة شاملة عامة بشروطها المعروفة المقررة المحررة عند
العلماء ، على شرط أن يقول لا ادرى فيما لا يدرى . وأشياخنا رضى الله عنهم
كثيرون فى الفقه والنحو والحديث والتفسير والتصوف . وملاك الامر تقوى
الله تعالى . وأطلب منه أن لا ينسانا من صالح دعائه والسلام فى 15 من سنة :
1268 هـ . احمد بن محمد الميمونى حفظه الله ووفقه) .

وتحتها ما نصه :

(وبمثل ذلك أجازته الضعيف العربى بن ابراهيم وقاه الله من المساوى .
جعلنا الله وياه ممن حفظوا من السقوط فى الهاوى) .

كان أولا يزاول التعليم في مدارس بلده ما شاء الله الى أن طلب منه سيدي الحسين بن هاتم مرة الافتاء في مسألة او الحكم فيها . ورأى في ذلك الخروج عن الحق . فطلق مخالطة الناس في المشاركة في المدارس فلازم داره . يحكم لمن قصده بالحق . أو يستغنيه في نازلة . وقد كن دينا مراقبا لربه . صوفيا كبير المقام . وقد صاحب الشيخ سيدي سعيدا المعنري ، وكان هذا الشيخ ينزل عليه ، ثم دام مع اصحابه بعد وفاة الشيخ . وقد أخبرني العم ابراهيم انه كان سنة 1308 هـ . مع الشيخ الوالد الالغي ومعه طائفة كبيرة من اصحابه . فزاروه في داره بقرية (بنوزاكارن) أو في (افران) ققام وقعد فرحا . يقول مخاطبا للشيخ البيت المشهور :

ان للناس كل عام لعيد
من وكل وقت لنا بك عيد
ثم قال له : يا شيخنا فباي شيء تجازيك حين جمعت لنا هؤلاء الاحباب في مكان واحد تنبرك بهم وبرؤيتهم ، وبهذا الحال والشوق عرفه الفقراء ويذكرونه الى الآن . ثم لم يزل حيا الى أن جلا عن (بنوزاكارن) نحو 1318 هـ . حين جلا القائد المدني راهله الى (فاصك) . فنزل هو في (افران) ثم لم ينشب ان توفي اما في سنة 1319 هـ . واما في السنة التي بعدها عن نحو مائة سنة . وذتره في النوازل شهير . وكعبه في الفقه عال ، لا تنقض محرمات احكامه لانتقائها . وكن كلما حكم لانسان في نازلة يقول له : هذا هو الحق ، ولكن يحتاج الى أن تنفذه بعضك . ومحرماته في النوازل تزخر بها تلك النواحي . وقد خلف لما توفي ولدين ليسا في مثل اوصافه . فباعا كتبه عددا .

أحمد بن عبد الله

أخو الفقيه المتقدم وهو الرئيس الكبير في الاختصاص في النصف الاخير من القرن الماضي ، واحد اوتاد نحلة (تاكوزوئت) في ذلك العهد . كان أحد العمدة التي تدعم نفوذ الرئيس سيدي الحسين بن هاشم الايليقي واحد الافراد الذين يتندون في ندوة (ايليسغ) فيرمون وينقصون . ويعقدون ويحلون . وكان ينوب عن كل (الاخصاص) في خارج ارضها . وان كان لا يستبد الا برأى شخصه (ادبوفلن) فقط بين اخفاذ القبيلة في داخلها . فكان في ندوة (ايليسغ) من تلك الجهة كالفقيه الحسين العبالوى الذى ينوب عن (ايت عبالا) البعمرانيين ، ومحمد بن عمر (افولوس) الرخاوى نائب (ايت رخا) ومحمد العلوى والد القائد سعيد المجاطى نائب غالب مجاط الشرقية .

كان أحمد موصوفا بالاوصاف التي يحمدها اهل ذلك العصر . كريما صبورا شجاعا نافذ العزيمة متدينا تاليا لكتاب الله الذى يحفظه ، ولدلائل الخيرات التى

لم يكن يفارقه . وثلاث يده غير متسعة . ولكن ابن هاشم كان يسرب اليه كل ما يحتاج اليه . لانه عنده في مكانة مكينة ، لعقله وورصاته وتثبته في الذي يقول قبل أن يقول . فكان ابن هاشم يجرنه دائما ان لا يسكت في مجامع القبائل . وان يعلن دائما ما يراه بكل صراحة . وقد كان حزب (تاتوزولت) اذ ذاك حزبا قويا له نفوذ وصرامة . له مكانة رئيسه ابن هاشم اسد سوس الجنوبية اذ ذاك . ويعسوب (ايليغ) الذي ان صرح فلا أحد يقدر أن يرد عليه . وقد كان ابن هاشم وفد نحو 1280 هـ . وفادة لا يزال دويها في الاحاديث الى الآن على القائد الحاج عبد الله الحاحي الشهير . فاختر لموكبه ورفقته من خيار القبائل . فكان في مقدمة من اختارهم معه الرئيس أحمد بن عبد الله وأمر ان لا يتصدي للتكلم الا ثلاثة من كل من معه . كان أحمد بن عبد الله أحدهم . ومن هنا تعرف مكانة الرجل عند ابن هاشم وانه منه في عين الرضا دائما .

أخبرني بعض المسنين من أهل (تيمولاي) السفلى بـ (افران) انه كان يعرفه معرفة تامة في ذلك العهد . وذكر انه كان يتسوق دائما سوق الجمعة هناك . فينزل في مشهد (سيدى ابي الرجاء) فيقبل على (دليل الخيرات) حتى يناديه من يحتاجه لمهنته ، ولم يزل في عنفوانه حتى توفي نحو 1301 هـ . اثر ما رآه من ابن هاشم اذ جلا عن (ايليغ) الى (سملالة) 1299 هـ . أمام السلطان المولى الحسن ، ولا ريب ان ذلك يتأثر به في صدره . ولكن الله استأثر به قبل أن يرى ما سيقع سنة 1302 هـ . حين حوصر ابن هاشم حتى غلب على أمره امام القبائل فسلم ، لها بخضوع وخنوع .

سعيد بن عبد الله

كان من البارزين بين الاخوة بعد وفاة أبيهم . فظهر بالرياسة بعد أخيه أحمد عريفا لفخذه تحت القائد بوهيا الشهير . وقد كانت لبوهيا رياسة وعلو بعد ما توصل من السلطان مولاي الحسن بالقيادة . ولم تكن قيادته قبل 1314 هـ . الا رياسة قبيلة يتهدى كرئيس من رؤساء القبيلة . وانما يمتاز عنهم باسم القيادة امتيازاً شرفياً فقط .

كان سعيد في سلاح أهله مقبلاً مدبراً . ولم يزل على ذلك من وقت وفاة أخيه الى نحو 1312 هـ . فدى اليه اخوه عمر رجلين فتكا به ، وهو راجع من سوق الثلاثاء في محل يسمى هناك ازاء (تافراوت تدا التابع) . ولا تزال مشهورة الى الآن البقعة التي سقط فيها بيد الحسن بن محمد الاعسر الملقب (اكشطار) ويد معارنه على بن عبد الله من (انغزال) .

برز الى الميدان بعد ما فتك باخيه . وكان القائد بوهيا هو الذى جالت
دسيسته بين هؤلاء الاخوة . لمكان اسرتهم من (الاخصاص) . ليجد له متسربا
عند اختلاف رأيهم . وقد رأينا عمر قد أخلص له بعد ما مات أخوه سعيد . فكان
أحد الشيوخ تحت يده . ثم لما تمكن القواد من قبائلهم اثر استيلاء الكلوكيين
واجالوا أيديهم كما يشتهون فى المغارم . كان عمر أحد شيوخ بوهيا المخلصين
له اخلاصا تاما . وكان أحد عمده . يوم كان يستبد براهيه أمام القائد سعيد
الكلولى . وقد تجلى اخلاصه للقائد بوهيا يوم ظهر المدنى ابن أخيه فى الميدان .
فكان بولييه ظهره . ويساند القائد بوهيا حتى اجليا المدنى نحو 1318 هـ .
فتمكنا فى (الاخصاص) حتى هلك عمر سنة 1319 هـ . فصفا الجو لابن أخيه
المدنى بعده .

القائد المدنى

كان الزمان تقلب به تقلبا عجيبا منذ نشأته . فنشأ فقيرا مقلدا مدقعا . الا
ان له همة وطموحا واخلاقا ومصابرة للحوادث . فقد كان فى عهد عمه سعيد
لم يظهر بعد ولا يذكر بأى شىء . ثم لما فتك به بدسيسه عمه عمر صار ينظر
الى عمر شزرا . وهو يستنكر كل الاستنكار ما فعله عمر بسعيد ، مع أن بنت
عمر كانت قرينة المدنى . فلم يزل بعد هلاك سعيد نافرا من عمر . الا أن
الاقبال بنته من كل ما عسى أن يقوم به . فقد أخبرني ثقة من أهل (تيمولاي) .
السفلى أنه كان يوما فى هذا العهد فى سوق الثلاثاء على رمكة . ومعه رفقة .
فوصلوا المدنى وهو يسوق حمارة هزيلة حمل عليها أصعا من شعير ففحه
بها القائد بوهيا . قال : فعين وصلناه استنكف رفقائى من الوقوف عليه .
والمحادثة معه ، فأشفقت عليه أنا ، فسلمت عليه ، وحادثته وقد مرت رفقتى .
فرايت الرجل فى مشقة من حمارته الهزيلة . وقد أعيت بتلك الأصعب من
الله غير . فمددت اليه مختللة رمكتى فملأه فعلته فى قربوس سرجى تخفيفا عن
الحمارة . ثم نازلته نعل ليتمتعها . لاننى رأيت مقدم احدى رجليه تدمى . وقد
كان حذاءه منقطعا متمزقا . فاصيبت اصابع احدى رجليه فتسيل دما . وقد
كان فى لباس خلق أسود . وعلى راسه قطعة ملفقة من خرق شتى . وحين رأى
منى الشفقة عليه ، قال : بالله عليك لا تتجاوزنى حتى نصل قرية (بوزاكارن) .
فرفقت به وبجمارته . فصار يشكو الى بالزمان وبما لاقاه من الاقلاق . فصرت
أعزيه ، واكشف عنه مرارة ما فيه ، حتى حادينا قريته . فأفرغت له شعيره
فودعته وهو يشكرنى شكرا جما . قال : اننى ما رفقت عليه الا من اجل
عرفانى لاسرته ولابيه .

ثم ان هذا الفقير المملق السائق لهذه الحمارة الهزيلة ، الذى كان يفرح
بلا ريب بتلك الاصع من الشعر . هو الذى اصبح بعد زمان القائد المدنى
الشهير الذى ترتعد الفرائض من ذكره . وتزخر المخازن بامواله ، وتحنى له
الرؤوس اجلالا وهيبه . وسبحان مقلب الاحوال . فقد وقف فى وجه الاستعمار
جبلا راسخا نحو ربع قرن .

ثم انه ينبغي لنا قبل ان نتمشى فى حياته ان نذكر أولا علوه الاله
القائد بوهيا الاختصاصى ، ثم نتفرغ لذكره هو .

قيادة الاختصاص قبل المدنى

كان القائد على قبيلة (الاختصاص) أولا هو القائد على بن الشيخ مسعود
الاسحاقى العلوى الاختصاصى . فقد كان لايه الشيخ مسعود ذكر مع آل عبد
الله الحاج ، فبرز ولده على ، وسما ذكره فى آخر القرن الماضى ، ولذلك اختاره
رؤساء القبيلة 1299 هـ . ليتولى القيادة عليهم يوم بولى السلطان القواد على كل
القبائل السوسية على اختيارهم ، ولكنه كان كبير السن اذ ذاك، ولم يكن بدى
همة ولا طموح ولا قوة ، ولعل هذه الاوصاف هى التى دفعت رؤساء (الاختصاص)
الى اختياره ، ليكون امامهم مستضعفا . فيصنعون به ما يريدون ، فتكون له
القيادة ، ويكون لهم ريعها . وكثيرا ما راينا امثالهم يفعلون مثل ذلك بامثاله
اذ ذاك . وقد كان للقائد على بنات تزوج بوهيا احدهن . وقد كان هذا رجلا
شهما مقداما شجاعا طموحا سياسيا صليبا صوالا ، فكان يداخل صهره
ويسانده ، ويعطف عليه ، حتى ملك ليه ، واستولى عليه . فصار يقول له :
انك كبير مسن وضعيف البنية . فلم يزل به حتى قدمه الى السلطان مولاي
الحسن 1303 . فطلب منه التخل عن القيادة ، وان يتولى مكانه صهره هذا . وأعلن
اليه انهما ذات واحدة . فبهذا توصل بوهيا حتى صار قائدا . وقد كان
يوسوس الى صهره . انه وان تولى هو القيادة لا يتخل عنه . ولا يزال امرهما
جميعا فى المنزل وفى المال وفى كل شىء . ولبله القائد على وضعف عقله ،
وللوثته حمل كل ذلك على الصلح التام . وعلى النصيحة والاخلاص ، ثم لما
تمكن القائد بوهيا نبذه نبد النواة . فلم ير منه بعد شفقة ولا آنس منه
رحمة . فألقى عليه الدهر كلاكه ، ووالى عليه عواركه حتى لا يجد متبلفا ،
ولا يقع على شملة . وقد قال فيه المؤرخ الاكرارى :

(ومنهم القائد على ابن الشيخ مسعود العلوى الاختصاصى . كان رجلا طماعا
هلاعا . الا انه كريم حتى يعد من البدرين ، وقد ساعده الزمان أولا ثم كسر
عليه بخيله ورجله . وداسه بقره ورجله . فصار يبتزه ، وفى كل آن يهزه
حتى لم يترك له الناطق ولا الصامت ، ولا رثى له لهز العنق والشامت ،
فبقى يتململ كالولهان . ويتهافت تهافت الفراش على الثيران . يصد من حيث

يجب وبمقارض الالسن يجب

أبو العتاهية :

ما اذل المقل فى أعين النا س لا قلاله وما اقماء
انما تنظر العيون من النا س الى من ترجوه أو تخشاه
وقال ابن الرومى :

من تصدى لآخيه بالفنى فهو أخوه
فإن احتاج اليه راء منه ما يسوه
يكرم المثرى فإن املسق أقصاه أخوه
فمن احتجت اليه ساعة مجك فوه

... كان يوسع له فى المجلس إذا قدم ، بل يتلاقى من الترحاب من الفهم
والقدم . فلما مال به الحال . وفنى ما حازه من المال . بكر فى بعض الاعياد
على صاحب له من القواد، فمنعه البوابون من الدخول، ومقته المحجوب المامول.
فرجع ودمه ينحدر ، وقلبه للصد ينكدر . وحاله ينشد :

يسر بالعيد أقوام لهم سعة من الثراء وأما المقترون فلا
هل سرني وثياب فيه قوم سبا أو راقني وعلى رأسى به ابن جلا
من فاته العلم وأخطاه الفنى فذاك والكلب على حد سوا

... وأظنه قد توفى بعد العشرين من القرن الرابع عشر - نعم توفى صاحب
الترجمة وما فى بيته سيد ولا ليد - بعد أن كان فى محله فى رغد.

وأما القائد بوهيا فانه صار رئيسا على كل (الاخصاص) من سنة 1303 هـ
فصار يترقى شيئا فشيئا ، ويجمع الاموال بعد فقره حتى كان له شأن كبير
فى تلك الجهة . وقد جرى ذكره فى حياة القائد الناجم - كما تقدم - مرارا فى
أوائل امره بعد ما تولى القيادة . وحين سافر الى (مراكش) راجلا لفقره أولا،
ثم ارتشاش فحسنت حالته ، ثم لما جاءت جيوش الحكومة الى سوس 1314هـ.
وساق القواد القبائل كما شاعوا ، صار القائد بوهيا من أكابر القواد ، وقد
بدأ له أن لا يسلس للقائد سعيد الكلولى كل الاسلاس . فكان يتمشى معه
بمقدار ، فلا يعصى له الامر كل العصيان ولا ينقاد له كل الانقياد . وقد
اتصل ما بينه وبين القائد دحمان عميد الحكومة الكبير فى (وادى نون) وقد
كان هذا ذا شأن عظيم . تراعيه الحكومة ، وترى له مكانة مكيئة وقد رابه ما
تتخوفه من افلات الصحراء واهلها الذين لا يرامون للاوامر . ولذلك لا يحنى
هامته للقائد سعيد الكلولى . ولا يماده فى حباله ، بل كان ضده ويسرب الى
الحكومة كل ما يصنعه بالناس سرا وجهرا . فقوى جناب القائد بوهيا به ، فكان
يقف أمام الكلولى ذلك الموقف ، ثم ان الكلولى الذى غص به ، ولم يجد له
مساغا ، وجد من القائد المدنى معاونا كبيرا فولاه على بعض الاخصاص اثر
خصومة وقعت بين الذين كانوا مع جيش الكلولى من الاخصاص فى الحرب مع

بعقيلة ، فقد ظهر هناك المدني شابا قويا يملأ العين ، فذبح أمام فسطاط قائد الحملة . وطلب منه أن يفرده هو ويخذه (ايت بيغوثن) عن القائد بوهيا . فوقع ذلك من الكلوى ، وقعا حسنا ، ثم وقف له حتى توصل بالظهير السلطاني على ذلك ، فصار لقبيلة الاخصاص قائدان رسميان ثم لم يزل يضيق الكلوى على القائد بوهيا حتى جلا على داره الى (وادى نون) فنزل فى جوار القائد دحمان . ثم رجع بأمر الحكومة الى داره ، وقد ألقع الكلوى ، فأجلى الناس قوادهم فحوصر القائد بوهيا فى قريته التى يسكنها ، وتسمى (تاعششو) ثم لما جاء انفلوس ، وقد كان يسير ضد مسير الكلوى . ويختار غير سياسته ، ويقرب أعداءه ، ويقضى أولياءه . أعان القائد بوهيا ، فكان على كل (الاخصاص) بعد ما طرد المدني وشيعته ، ثم لم يزل يصل الى أن ألقع انفلوسيون 1321 هـ . فرجعت الفوضى جذعة . فأجلى الناس القواد أيضا ، فحوصر القائد بوهيا فى داره نحو سنتين . ومعه كثيرون من اخوانه (ايت بو ياسين) ، حتى نفدت المئونة ، فجلا الى ابالة القائد عبد السلام الجرارى ، فنزل عليه فى (تالعيث) ، وذلك فى سنة 1323 هـ . ثم خاض حروبا ليرجع الى داره ، فهدم ديار بعض أعدائه ، ولم يزل على ذلك الى أن قتل 25 صفر سنة 1329 هـ . ولم يحصل على مرأته ، فانطوت صحيفته . وهاك ما قاله فيه صاحبه المؤرخ الاكرادى ، فعند جهينة الخبر اليقين ، فانه كان من جلأسه ، ثم طرده المدني بعده من (الاخصاص) ، فأفاض على صاحبه سجلا من الثناء - واللهم تفتح اللهم - كما الهب القائد المدني باسجاع نارية - « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، قال :

(ومنهم الفطن الحفى اللوذعى الذكى ، الذى مجالسته تحف ، ومحاسنه طرف : القائد ابراهيم بن عدى بوفوس البوباسينى الاخصاصى . فكان رحمه الله رجلا ظريفا . حليفا أليفا ، جوادا صحيحا - وبهروته شحيحا ، جاوزنا معه اياما عدت من الدهر غرة . ومن الزمان غرة . لا يناوشنا زيد ولا عمرو ، ولا يناوئنا حين ولا دهر ، طواجين مهتلئات بالفراريج ، وقصعات يلمعن ويتبعن بالمقاريج ، كست (1) ذكرى ، وعنبر شهى ؛ مع أنواع المرائش . وزراب فوق الفراش ، وموانسة تنسى العقيلة ، وان كانت مع خصرها اسيلة . فوجب على أن أمده ، وأذكر فضله وأشرحه . فتبا لهذا الدهر المشت ، والزمان المهتا (2) . لا يصطنع جواد ، ولا يراف تحراد . جرد له سيف العدوان ، وجر عليه ذيل النسيان ، بعد ما كان للمجلس فانوسه ، وللحال به مانوسه ، حديثه أحلى من الضرب (3) يشوق العجم والعرب . وقد حكى لنا مرة ، أن امرأة عندهم أضلها أبو مرة ، قال : ان الناس رأوا ما بأيدينا ، فظنوا ان الله هو الذى أعطانا - يعنى أعطانا بلا سبب - فانما هى تباستكار بن- اى الحيل - لنا ولأولادنا . فحين تناقض مع القائد سعيد الكلوى ، تخلف عن حضرته مؤذنا

(1) العبود الذى يتبخر به . (2) الميـهـت مبالغة فى الهت والتمزيق .

(3) الضرب محركا : نوع من العسل .

بمنازلته ، فأرسل إليه ليؤمنه ، من عدة حباثل مكره لا مأمنة ، وقلبه للغدر
مكمنه ، على ما أخبر به من أئمنه ، القائد محمد بن حسون الترنيتي ؛ والقائد
عبد السلام الجراري ، والقائد عدى البعقيل . فنزلوا عليه في داره . فقالوا
له جئنا مؤمنين من الكلوى ، وقد اعطانا عهد الله أن لا يضرك - فقال لهم :
وماذا تفعلون أن ضرني . فقال ظننا أنه لا يضرك فقال : وأما أن ضرني ،
فقالوا : لا حول ولا قوة الا بالله . فقال لهم أن أسدا كان في أجمة ، فتعاهد
مع ثعلب أن لا يضره ، وتكفل له الثعلب بما ياكله ، فكل يوم يحنال الثعلب
لوحشى حتى يوصله اليه فياكله ، فأتى الى القنفذ . فقال له أن في هذه الأجمة
وكيه من أولياء الله ذا بركة . تزوره الوحوش ، وأنت لم تزره قط ، خامش
هوى أركه . فقال : أين الطريق اليه ؟ فأراه الطريق فتأمل الأثر فوجده أن ما
فيه إنما هو أثر الذاهب لا أثر الراجع ، فقال : إنما رأيت هنا أثر الذاهب
لا أثر الراجع ، فادع لنا من ها هنا ، فوالله لا آتية ، ولا أتبرك به الا من
هنا ، قال : كذلك أنا فقد زرت فيه من هنا ، فبلغوا له السلام ، واطلبوا
لى منه الدعاء بسلامة منه .

أن السلامة من سلمى وجارتهما أن لا تحل على حال بواديها
فرجعوا خائبين ، وللدعاء له من المرسل طالبيين . فدعا له بالويل ، ولداره
بالهيل . فبعه الى (وادى نون) فدافعه القائد دحمان بولد جنون ؟ فخيـ
هو بـ (ايكيسل) فشرع يبنى الدار ، ويوهم أنه فى المحل ذو استقرار .
فوصلت الشكوى للسلطان ، فكتب اليه بالرجوع للحرمان ، - يعنى الكلوى -
فرجع بخفى حنين غير قرين العين . فسقط فى يده ، وتداعى ايوان مجده .
فلم يلبث أن قام وحيا البلد بسلام ، فرجع القائد بوها لمقره ، فوجده مهوم
فقره . فاسترجع وحوقل ، وتهيا واحتفل . فبنى بناء لا يليق الا بالمدن ،
وموضع التحصن . فحين كمله رجع للحال ، فافضى به القدر الى الترحال ، فهدمهدما
وكان والله ردم . فبقى الى الآن ، لا تطمع فى اصلاحه الولدان ، وربك يخلق
ما يشاء ويختار ، والتسليم اليه فى الامور هو المختار .

يا دهر ما أفساك من متلون فى حالتك وما أقلك منصف
أتروح للنكس الجهول ممهدا وعلى اللبيب الحرسيف مرهفا
لا أرتضيك وإن كرمت لانسى أدرى بأنك لا تدوم على الصفا
ثم أنه لما تحزبت القبائل على القواد ، وخرّبوا دار القائد السيمورى ،
وذار الخزار ، عمر القائد بوها بداره بأعوانه وأعيان قبيلته (ايت بوياسين)
ورماة (اولاد جرار) فاستعصى لهم عاين ، وفى داره من الرماة مائة وخمسون .
ومن النساء خمسون . مان الجميع حتى نفذ الزرع ، وغاب عنه الضرع ، وغارت
النطافى . وتم الراسب والطافى ، وكمل القرطاس والبارود ، وأعياء المحصور
القيام والقيود ، فرأى أن سلامته فى الانتقال ، ولعين بنى جرار الارتحال .

وان صحيح العزم والرأى لامرٍ اذا بلغته الشمس أن يتحولوا
 فجمع أولاده واغتنم مراده . فوصل بسلامة ، فلم يتركوا لداره علامة ،
 عام 1323 هـ . فأقام في (العين) واستراح ، ثم عاود لبلده الرواح ،
 فاجتمعت عليه بعمرانة لم يبق زيدا ولا عمر انه ، فتلاقى معهم بحركة (أولاد
 جرار) وفيهم الخيل الكرار ، فهزموهم على (افترض نكاداحماد) فلم ينج
 منهم الا من حمده ، فقتل في الهزيمة زعيمهم الشيخ الحسين بن يحيى ، وقد
 حسده الصوابي أن يكون معديدا ممن يحيى . فترع بيده بدل عزرائيل روحه .
 وتولى بنفسه تسليمه وفضوحه ، ففرم للقواد منهم ما أكل ، وغدر فيه
 اذ عاهد وتكل ، فافضى الحال لدار سى أحمد ابن الطالب ، وهدهما القاند
 بوهيا الذى هو بدينه طالب ، فحرق الابواب ، واتبعها بالاخشاب . فتركها
 كجمل أجرب ، وشفى مضى قلبه الذى شرق فيه وغرب ، فلم تزل الفتنة
 تلوم ، والخوف يذيب الشحوم . ويسهر من الرجال النوم ، الى 25 صفر 1329
 فكان البارود على دار (بنى الشين) فاتاه القدر والحين ، فجرح جرحا كان
 فيه أجله ، وانقطع أمله ، فحمل الى (تانكرقا) (ايت ايسيمور) ، فقاب
 فيه بدر السرور . وانحسبت الشرور ، واستحكمت المدنى على الثفور ،
 فاستعلى وعدم المنازع ، واستولى ولم يظهر له مقارع ، فقلت :

يا لك من قبرة بمهمر خلا لك الجو فيبضى واصفري
 ونقرى ما شيت أن تسقرى

فنفخت اوداجه ، وامتلات أدراجة ، وأجلسه فى منصبة الاحكام الهيبة ؛
 وكانت له من ذلك اليوم الهيبة ، ففرض المال ووعى ، وجمع فاوعى ، فكره
 جميع من الى بوهيا انتسب ، ولو أن له أصيل النسب او علما ينتخب فطرده
 واغتصب، وتكره واحترب، فاتبع هواه ، الى أن يرديه فى مهواه وينشد حاله:
 نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف
 فقلت :

انفوا المؤذن من بلادكم ان كان ينفى كل من صدقا
 والله در ابن الخياط حيث يقول :

أتظننى لا أستطيع أحيل عنك الدهر ودى
 من ظن أن لا بد منه فان منه ألف بد

وقال ايضا :

لا تنكرن رحيل عن دياركم ليس الكريم على ضيم بصبار
 وعهده شيخ شريف سكن عنده تشيخ ، يتكلم فى الغيب وطيره عنده
 تفرخ ، مرا فى الاعمال ، يعد عند نفسه من الرجال :

نعوذ بالله من أناس تشيخوا قيل أن يتشيخوا
 تقوسوا وانحوا ربا فاحذرهم انهم فخوخ

الى أن قال : منشد :

صلى وصام لامر كان يطلبه فمد حواه فما صلى ولا صاما
وقال آخر :

تصوئف كى يقال له امين وما معنى التصوف والامانة

ولم يرد الاله به ولكن اراد به الطريق الى الخيانة

والشريف الحاج محمد جاء مرة الى (رخاوة) وأنا بمدرستها ، فقال :

لفقرائه ان فقيهم لا تسالوه الا في مسائل الفقه ، فهو أعرف بها ، وأما

اخبار الطريقة ، والاسرار الدقيقة ، فليس من أهلها ، ولا حام من حولها .

فأخبرني واحد بما قال ، فقلت : صدق والله فى المقال ، انما أنا من أهل

الظاهر والله يتولى السرائر ، والصواب فى الجواب ، وهو الحق ان شاء الله

بلا ارتياب . ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم فى ابن صياد ، خلط عليك

الامر ، وغرضك الاصطياد ، فعند المات تظهر التركات ؛ ولذلك قلت : وفى

النصيحة جلت :

أى فضل لناسك يطلب الفضل الخ ...

- وأنشد هذه الايات المشهورة التى لا نطيل الكلام بذكرها صيانة لعرض

ذلك الشريف الصالح - . ثم قال : هذا ما انجرت اليه القلام ، من فضول

الكلام ، فالكتاب كالمائدة يجمع الفت والسمين ، والسخيف والتمين ، فكل

واحد ينظر بعين هواه . ويرنو لما يهواه ، وينبو عما لا يوافق فعواه ، فآله

يقيل العثرات ويعفو عن السيئات ، وهو المستعان ، وعليه فى الجمع التكلان .

إذا اعتذر الصديق اليك يوما فسامح عن مساويه الكثيرة

فإن الشافعى روى حديثا باسناد الصحيح عن المغيرة

عن المختار ان الله يمحو بessler واحد ألفى كبيرة)

ذلك ما قاله المؤرخ فى صاحبه ، والشريف المذكور هو الشيخ سيدى

الحاج محمد الدرقاوى البوزاكرنى المذكور مع ولده استاذنا الاديب مولاى عبد

الرحمن فى (القسم الرابع) فى هذا الكتاب .

كيف تولى القائد المدني

رايت كيف كان عماء سعيد وعمر ، وكيف سقط سعيد بدسياسة عمر .

وكيف كان عمر صاغية القائد بوها ، وكيف كان المدني يمتعض لما أصاب

عمه سعيدا . فلا ريب أنه يتطلب الفرص ليعرز الى الميدان ، وليتقلد الرئاسة

التى ما خلق الا لها ، وفى سنة 1316 هـ . اشتدت الحرب فى وجان بين

الكلولى والوليتيين . وقد كان يزحف مع الكلولى كل القبائل المنضوية تحته ،

ومن بينها قبيلة الاخصاص ، فقد كان خيلهم ورجلهم مرابطين هناك ، وعلى

رياستهم خليفة القائد بوها واخو قرينته ، عبلا بن حمو بن عمر ، اخبرنى

من حضر معهم اذ ذاك أن عهده بالمدني اذ ذاك انه كانت له ولبعض ءاله خيمة من الله مَر يَازون اليها . فكان الخليفة عبلا بن حمويكثر خصومتهم ويستغفهم ، فكان المدني يراجعهم الكلام حتى بلغ بهما الحال يوما الى مخاصمة عنيفة ، فصمد اليه المدني يقول : لا والله لا تكون معكم بعد اليوم ، فأنتم (ايت اسحاق) ونحن (ايت بوفولتن) والمخزن لا ينظر الا لعدد الكوانين ، ولا يريد الا الخدمة . وهناك صال المدني عليه ، وقد كان الآخر رعديدا جبانا ، ثم عمد المدني الى صاحب أبيه القائد محمد بن هيبه الزفاضي ، وقد كان معهم في اخوانه ، فشد عضده ، وقوى امره . ولعل ذكر هذه التفرقة الاختصاصية كان هذا الزفاضي يتطلع اليها ، نكاية للقائد بوهيا الذي صار كل جيرانه يرمونه بالنقص منذ أن انتقض ما بينه وبين القائد الاعلى الكلوي ، فيكون هو الذي دفع بالمدني الى هذه الخصومة ، ثم أنه أوصله الى الكلوي . وقد كان للزفاضي دالة عليه . فذبعا كبشا امام الدار التي ينزل فيها بـ (وچان) فصادف ذلك ما في قواده على القائد بوهيا ، فقد وجد من المدني رئيسا جديدا يناوئه ، وله شرف واسرة وفخذ تخالف فخذ بوهيا ، فهذه الاسباب أخذه الكلوي بضبعه فقدمه على فخذه في الحين ، والمدني اذ ذاك شاب قوى متين العضلات أجرد لا نبات بعاضيه بعد ، وكانت تلك الخصومة قبل أن يقتل الحاج أحمد الكلوي بثلاثة ايام . ثم جاء الظهير العزيزي بالقيادة . وهذا هو الظهير :

(خدامنا الارضين ايت بوفولتن وايت اد غزال واد شععود وايت اغرمان وايت اعلاتن من قبيلة الاختصاص أرشدكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد ولينا عليكم أخاكم خديما الارضي القائد المدني بن أحمد . واستندنا اليه النظر في أمركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما وليناه من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام في 22 جمادى الثانية عام 1317 هـ .)

وفوقه الطابع العزيزي الكبير

ونص رسالة من الكلوي الى الاختصاصيين المضافين اليه بعد ما جلا عن داره نحو 1318 هـ .

(اخواننا قبيلة الاختصاص كافة قبيلة بني ياسين وآل تيمولاي وأيت على وايت العربا خصوصا طلبتهم وكبراءهم وفقراءهم ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله . وبعد فإن أخاكم خديم سيدنا ، القائد المدني ممن اخترنا لكم اسناد أمركم اليه . وتعويل صلاحكم عليه ، لما نعلم فيه من القابلية والاهلية لمباشرة أموركم . وانه أحق بالواسطة بيننا وبينكم ، بعد ما أخذنا فيه أن يسمير بكم بسير الرفق ، ومراعاة جانبكم بما يليق بمقامكم ، ، فكونوا ان شاء الله عند اشارته ومشورته ، واجتهدوا في جمع رأيكم لا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . وارجعوا الى مواطنكم ومساكنكم .

ولا يمنعكم منها الخوف ، فقد امانكم بامان الله ما دتمتم قسى طاعة السلطان نصره الله . وصدقتم فى خدمته ، ولا خوف الا على من خان أو بدل ، والله تعالى حسيبه . وهو حسبنا ونعم الوكيل . والسلام ، فى متم شوال عام 1317 هـ)
وتحت طابع القائد الذى رايناه قبل يختم به رسائله .

هكذا ظهر المدنى بالقيادة ، فتمكن امره و صار له مقام كبير بين القواد اذ ذاك . وهو يخالق ويأخذ ويعطى ويعرف كيف يتملص من الانشوطات والربق وقد عجم اعداء الزمان بما مر له من فقره ، وبما يسرى فى شرايينه مماورته عن اهله . وهكذا السعد اذا لاحظ انسانا فانه سرعان ما يفوق أقرانه .

يرأس أيضا على ايت رخا

هكذا طلع السعد للمدنى فجأة ، فقد قرت به عين الكلوى . فصار يرفع من شأنه . فقد وقفنا بين ظهائرهم على مكتوب فيه رضى قبيلة ايت رخا به وفيه أسماء رؤسائهم . ونصه :

(وبعد فبحول الله وقوته وبمنه وايمانه اتفقت قبيلة الرخاويين عموما وخصوصا أهل الراى والخل منهم كالحاج أحمد بن على بن محمد ، ومبارك بن أحمد بن حمو فى فخذ (أوتاتن) . وبلقاسم بن مبارك أزكن به عرف من فخذ بنى على بن أحمد ، ومبارك بن كوتوس بن مسعود أبو الطعام ، به عرف . من فخذ بنى أحمد بن ابراهيم . والشيوخ محمد بن محمد من بنى بولا وبوجمة بن أحمد بن هو من بنى ورحمان وبلال بن مؤمنا ، من بنى عبد الله بن الحسن ، وسيدى على بن الطالب أحمد بن بركا مع جامع بن عمر بن محبوب من فخذ آل (تانكنسا) وغيرهم من القبيلة كبيرا وصغيرا بحضورهم كلهم على الاحاطة والشمول . اتفق هؤلاء كلهم على أن يولوا امورهم للقائد المدنى ابن الطالب أحمد بن عبد الله الحاج الاخصاصى . ويسندوا اليه امورهم فى كل شىء . ويمكنوا له اعتناقهم ، ويكون واسطة بينهم وبين المخزن فى جميع التكاليف المخزنية . والوظائف السلطانية . مئونات وغيرها مما يتعلق بهم من جانب المخزن . وبه كتب من اشهدوه بتاريخ 28 يوما من رمضان المعظم فى عام 1317 هـ . عبد ربه بلقاسم بن الحسن بن العردا الرخاوى لطف الله به وعبد ربه عبد القادر بن أحمد بن ابراهيم الوفوغلاوى الرداوى لطف الله به وعبد ربه أحمد بن ابراهيم بن حميدات الاخصاصى البوفولتى لطف الله به . وهذه رسالة الكلوى فى توليتهم للقائد المدنى :

(وبعد فبحول الله وقوته ثم من سعادة سيدنا ايده الله ونصره اسندنا الى ماسكه خديم سيدنا دام عزه ، القائد المدنى ابن الطالب أحمد الاخصاصى أمر ربع اد على بن أحمد ، واد أحمد بن ابراهيم من ايت رخا . وكذلك ربع اداورحمان . وايت واقاتن ونصف ربع اداعلى ، كلهم من قبيلة الرخاويين ليباشر امورهم بوجه المشيخة ، وجعلناه واسطة بيننا وبينهم فى اللوازم

المغزنية ، والتكاليف السلطانية . والزمناهم الخدمة معه ، ومتابعة ما يقتضيه نظره في المصالح . وأن لا يقدموا على أمر من الامور حتى يكونوا فيه على بصيرة ، وموافقا لهم فيه حتى هو عليه فيهم بمراعاة المصالح ، والوقوف عند حدود الله فالله يسعدهم بهم ويسعدهم به . ويكمل بخيره ، ويسهل جميع الامور . والسلام في 20 من رمضان عام 1317 هـ . وتحت طابع القائد الكلوي المكتوب فيه : خديم المقام العالي سعيد بن أحمد الكلوي وفقه الله .

ويظهر من النظر في تاريخ هذه الرسالة وفي تاريخ ما كتبه الرخاويون ، أن هذه الرسالة كتبت أولا للقائد المدني ، ثم طلب بعدها موافقة الرخاويين لأن الرخاويين كانوا في ضمن قيادة آل (ايليخ) رسميا عليهم القائد أحمد بن محمد بن الحسين ، ولذلك لم يكن للكلوي أن يجعل عليهم القائد المدني الا على وجه المشيخة .

اتسعت ايالة المدني كما ترى ، وارتضاه حتى جيرانه على أن يكون بينهم وبين القائد الكلوي . وما ذلك الا لما كانت أسرته معروفة به أولا ، ثم لما ظهر منه جديدا من حسن ادارة الامور بلباقة وتأن .

جلاؤه الى فاصك

كان القائد المدني أحد عمد القائد الكلوي ، وقد رأيت كيف انبسطت يده في اواخر سنة 1317 هـ . ثم لم يَمْضِ الا قليل حتى انقلبت السفينة بمخدومه القائد الكلوي . فغادر تزيت في نحو أول ربيع الاول 1318 هـ . فآثر ذلك في كل الذين يخلصون اليه . كالقائد المدني ، كما فرح بذلك من يناوئونه كالقائد بوهيا . والقائد دحمان الوادنونى ، فهاج الناس . فأوى القائد المدني الى (فاصك) ، وقد جمع اليه لصوصا فتاكا يدافع بهم عن نفسه ، بل وجدهم هناك مجتعبين فنزل بينهم ، وقد كان هؤلاء اللصوص يجولون فيما قرب منهم وفيما بعد ، حتى أنهم وصلوا مرة مراعى مرابطينا في ايسافز ازاء الغ في رمضان 1317 . فذهبوا بفنم زاوية الشيخ الالفى . فتبعهم العلامة سيدى على بن عبد الله الالفى يستردها منهم ، واذا ذلك هجا أهل (فاصك) بقطعة شعرية معروفة تقدم ذكرها . ثم أن القائد لم يزل يساير القائد انفلوس الى أن انكشف هو وجيشه الحاحى عن تزيت سنة 1321 هـ .

مع المولى عبد الحفيظ

كان القائد المدني معروفا عند الحكومة فى العواصم . وهو فى نظرها من القواد المخزنيين ، ولذلك كتب اليه المولى عبد الحفيظ كما كتب الى كل قواد سوس يوم ثار على أخيه المولى عبد العزيز . ونص ما كتب به اليه :
(خديمنا الارضى القائد المدني الاخصاصى وكافة اخوانه الدين الى نظره .

أخص أعيانهم وكبراءهم وفقهاءهم وشرفاءهم ومرايطيهم وأهل الحل والعقد منهم ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد علمتم أن الله تبارك وتعالى أمر بأمور وحضنا على اتباعها . ونهانا عن أشياء وأمرنا أن لا نبحث عنها ، أمرنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأمرنا بالجهاد عند مفاجأة العدو وأخذ أرض المسلمين ، وطالما رأينا وسمعنا ، ولا زاجر ولا واعظ ولا من يتعظ ، أخذت (وجدة) فأتخذنا أمرها هزءاً ولعباً وتهكماً وسخرية ، ولم يجد أهلها لا ناصراً ولا معيناً . فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى حفر بنا العدو من أمام ووراء ، وحيث علم العدو عجز من يقوم بأمر المسلمين وضعفه ، وركبته إلى الدعة ، وترك ما طوق به من الدفاع عن المسلمين وثغورهم عمد إلى (الدار البيضاء) التي هي من أعظم الثغور بأرض المغرب ، ومركز البلاد ووسطها . فأخرج أهلها منها . واستولى عليها . ووجهه عدداً من الفراكيط إلى جميع المراسي ، بقصد الهجوم عليها كذلك . وشاع وذاع أنه بمسدد الحلول بد (فاس) و (مراكش) ، وحيث كان هذا الأمر الهائل الذي تبكى منه العيون دماً وازدادت به النفوس مرضاً وألماً ، وعلم جميع المسلمين أن بمجرد فجأة العدو على ثغر واحد من ثغور المسلمين تعين الجهاد على كل مكلف وغير مكلف . اتفق المسلمون على بيعتنا ونصرتنا والدخول تحت طاعتنا للنظر في مصالح المسلمين ، والدفاع عنهم ، وأخراج العدو من ثغور المسلمين فلم نجد بداً من مساعدتهم على ذلك ، لما ورد في ذلك من الآيات والاحاديث الشريفة . فأجينا داعيهم لذلك ، ودخلوا تحت طاعتنا ، ونصروا رأيتنا ، وأعلنوا بالنصر الموزر لجانبنا الشريف ، سائلين من الله سبحانه أن يعيننا على ما كلفنا به ، ويوفقنا فيما به طوقنا . فإنه ولي ذلك . وهو حسبنا ونعم الوكيل . وها نسختة من البيعة السعيدة تصلكم بطنية لتأخذوا حظكم من الفرح والسرور ، ونوجهوا لشريف حضرنا ببيعتمكم صحبة أعيانكم وكبرائكم . والله يوفقكم لما فيه رضاه ؛ آمين ، والسلام في 10 رجب الفرد الحرام عام 1325 هـ) ، وفوقه الطابع الحفيظ الكبير .

هكذا كان القائد المدني ، من الذين تعتمد عليهم الحكومة . ولكنه هو عرف كيف يمكن له أن يتخلص مما يصيب القواد أمثاله إذ ذاك ، كلما جرز مد الجيش الحكومي عن الجنوب . فدخل القبائل ، واسترد ما كانت أسرته معروفة به من الاستناد إلى نحلة (تاكوزولت) ، فنفعته ، فاستطاع أن يمتد بها ظله من سنة 1321 هـ . إلى سنة 1330 هـ . وقد كان يقنع من القيادة بالخيال . فلا يطمع إلا أن يكون أحد الرؤساء من أهله . فيخالقهم ويسايرهم ويهطع أمامهم في كل ميدان يقصدونه . ولذلك لم يكن يعدو هو وأمثاله كالقائد مبارك البشيراني هذه الدائرة الضيقة ، طوال هذا العقد الثالث . ولم

يكن يعتمد الا على ذات يده وحدها . فصار يمعن في تميمها بكل ما يمكن له مما تنمو به عادة بين اهله وجيرانه ، من حرث ونسب الى مثل ذلك .

مع الهية

كان القائد المدني من الذين خبوا ووضعوا في مبادئ امر الهية . وحصل له شغوف وظهور نبير معه . وذلك الوقت في الحقيقة هو مطلع فجره الصادق . ومبرزه بروزا نبيرا . ولذلك لم يكد امر الهية يزرغ نوره حتى جعله على كل الاخصاصيين . وكتب له هذا الظهير .

(كافة ابنانا قبيلة ايت اعلا تئن وايت على وايت ميرتغت وأهل الاربعاء وايت بويسين وايت بوتانن وايت اغرمان وآل تيمولاي . وفقكم الله وأصلحكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فاننا بحول الله وقوته قد ولينا عليكم احكام القائد المدني ابن الطالب احمد الاخصاصي . وأسندنا اليه النظر في اموركهم . فنامركم ان تسمعوا لامره ونهيه فيما يحبه الله ويرضاه ، كما امرناه ان يرعى ذمة الله ورسوله فيكم . اصلحكم الله به . وأصلحه بكم ، والسلام . صدر به امرنا في الثالث عشر من رجب الفرد عام 1330 هـ .) وفوقه طابع للهية ، كبير جميل الوضع والخط . مكتوب في وسطه احمد الهية ابن شيخه الشيخ ماء العينين كان الله لهما 1330 هكذا بالتاريخ الهندي . ولفظه الله مكتوبة فوق ما تقدم . وهذا هو المكتوب في وسط الدائرة . وفي المستدير بها البيتان :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامها تجم
من يعنصم بك ياخير النوري شرنا فانه حافظه من كل منتقم
والطابع بالاربع مصنوع على شكل الطابع الحسنى الكبير وقدره . الا انه
دونه في الرونق - لقد حكيت ولكن فاتك الشنب .

تولى القائد المدني هكذا تحت راية هذا الملك الجديد الذى يقول انما فام
غيرة على الوطن . وذودا للاجنبى الذى اغار على البلاد . فتهيات كل القبائل
لمصاحبتة . وفي مقدمتها ابالة القائد المدني قبيلة الاخصاص . وعددهم كثير .
وقد ذكرنا في اخبار الهية في (القسم الثالث) ان القبائل الكبرى عينت
خمسین فارسا لمصاحبة الامير الجديد . فنقلت القبائل السوسية ذلك تنفيذا .

فى مراکش

سافر القائد المدني مع الهية من (تزنيث) فى ابتهته . ويخالطه فى الطريق
كثير من أصحاب أسرتهم كالعلماء الكبار ، كسيدى الطاهر بن محمد ، وسيدى
ابشير بن المدنى الناصرى . وقد كان معروفا بأن حضرته يأوى اليها دائما
أمثال هؤلاء العلماء والفضلاء وأهل الخير . ولا يجهلن القارئ ان اسمه المدنى

كان مما سماه به الشيخ سيدى المدنى الناصرى.والد سيدى البشير المذكور.
وقد كان الشيخ بات عند والده ليلة ولد فسماه باسمه تبركا . ولذلك لازم
اولاد سيدى المدنى الناصرى داتها .

نزل القائد فى اراكش وهو يظن انه سينال مقاما عظيما كما يظن كل
السوسيين . ولكن سرعان ما خاب ظنه كما خابت ظنون كل السوسيين حين
راوا الهيبة يعرض عنهم اعراضا كما اجمع المتحدثون بذلك عن ذلك الوقت ،
ولذلك حنوا الى سوسهم ، فصاروا يتسللون فرادى ، ومن صبر الى يوم
الهزيمة القائد المدنى . فغادر اراكش صبيحة الهزيمة، فنجاه هو وأهله بجريفة
الدفن . وكان منزله بمراكش الدار الكبرى فى (جامع الغناء) التى هدمت ثم
صيرت سوق الحضر . وكانت فى ملك والد ادريس منو ، ثم نزعته منه ،
واتخذت ما شاء الله من منازل الحكومة للاشغال العامة ، ثم هدمت .

فى محاصرة تزنيث

اخرج اهل (تزنيث) الخليفة النعمة فى اواسط ذى الحجة ، فلم تكد القبائل
الجبلىة تسمع ذلك ، وان ابن دحان قائد المستعمرين قد احتلها ، حتى نزلوا
فاستنداروا بها ما شاء الله ، وفى مقدمتهم القائد المدنى ، مع كل القبائل
البعمرانية والاختصاصية زيادة عن قبائل (ولتيثة) مع ما انضم اليهم من
قبائل (ازغار) لانها اذ ذاك لا تزال مغلقة من قبضة (تزنيث) وذلك فى
سنة 1331 هـ .

فى مقاومة حيدة أولا

كان القائد حيدة بن مائيس بطل الحكومة فى سوس ، فقد قاوم الهيبة ،
حتى اخرجه من (تارودانت) ثم تبعه الى ان انتزع من قائده الناجم قبيلة
(هشتوك) ثم زعزعه ايضا من . اسارنسييف) ثم من (تيمكر) ، فاوى
الهيبة الى (كردوس) وكان ذلك فى زحوف متعددة . وقد امتدت يد حيدة
مرة حتى وصلت (ازغار) فتجاوز (تزنيث) فطلع الى الاختصاص ، فوصل
دار القائد المدنى التى فى الظهر فانتهبها، ثم صاح له الرئيس مبارك ابو الطعام الرخاوى
فرجع بلا حرب . وقد كان المدنى منحسرا فى داره من (بنواكارن) بنوى ان
يلتحق بالصحراء ان زحف اليه حيدة . لانه يوفى انه لا يطيق ملاقاته اذ ذاك .

كاتب القائد يتحدث عنه

قلت لى العيينين ملازم القائد المدنى وكتابه ، فى أى سنة ولادتك . قال :
فى سنة 1310 . فى (الصمارة) . ووالده محمد فاضل بن نوى بن محمد بن
احمد بن خليل . من فخذ اهل الطالب عثمان . من قبيلة اهل الطالب المختار ،

قبيلة الشيخ ماء العينين . واهم موانا بنت الشيخ ماء العينين . سميت باسم
 ام الشيخ نفسه . اخذ القران عن الاستاذ محمد بن النوبالزة . والعلوم عن
 الشيخ نفسه في (الصمارة) ثم انتقل من الشيخ الى (تزنييت) حيث بقي مع
 الشيخ الى أن توفي . وقد كان سافر مع الشيخ اثر البيعة الحفيظية الى
 (مراكش) وقد كان نوى فاسا . فاذا ببيعة مولاي عبد الحفيظ . فمال اليه
 فبايعه ثم رجع . وفي 1327 هـ . سافر ايضا مع احمد الهيبة الى (فاس) وقد
 مروا من (مراكش) على (فطواكة) (فدمنات) (فتادلة) (فزيان) وقد حاول
 الزيانى أن يرد الهيبة عن فاس بدعوى أن عبد الحفيظ نقض العهد ، ومال الى
 النصارى ، ولكن الهيبة أبى من الرجوع . ثم مكثوا في (فاس) ثلاثة اشهر
 وعشرة ايام . واذا ذلك اطلق على يد الهيبة الشيخ عبد الحى وسيدى المهدي
 الكتانيان من السجن ، بعد موت الشيخ الاكبر الكتاني ، ثم رجعوا على طريقهم
 الى (مراكش) الى (سوس) الى (الصمارة) . واذا ذلك تهيأ الشيخ ماء العينين
 الى الجلاء الى (تزنييت) ثم سافر على نية (فاس) ولكنه رجع من الطريق . ومما
 قاله الشيخ اذ ذلك بعد مروره في جبل دون يوم رجع .

رأيت ما رأيته من جبل وغابة والامر لله العلي
 والآن ها انا اليه راجع وعالم الحال مقالى سامع

ثم بعد وفاة الشيخ في آخر 1328 هـ . بقي المحدث في (تزنييت) حتى وقعت
 بيعة الهيبة لمسافر معه الى (مراكش) وقد كان مع عمه محمد الامين حاجب
 الهيبة كمينه . ثم لم يفارق الهيبة الى ان حل في (كردوس) وقد كان مع
 القائد الناجم في (هشتوكة) فجرح في احدى الحروب مع حيدة . فكان عند
 بعض الناس في (ايت والياض) يمرض الى أن برى .

في مصاحبة القائد المدني

قال : سبب اتصالي بالقائد أنه اعجبني حاله حين كان يفد مع البعمرانيين
 وغيرهم الى (كردوس) فقد رأيت ثباته وعقله ووراثته ثم صار الاتصال بيني
 وبينه الى محرم 1335 هـ . فانقطعت اليه ، فوجدت الفقيه أحمد بن ابراهيم
 كاتبه الخاص . وبعد سنة عيني كاتبه الذي يلزمه ، مع ملازمة الفقيه وتصديه
 للقضاء . واول ما حضرته معه حرب حيدة يوم قتل 13 من ربيع الاول 1335 هـ .
 وقد خرجنا من (بنوزاكارين) واجتمع الناس . فترلنا مع القائد في دار
 بقرية ازا (اسنك) وهناك عيدنا . وقد كان القائد ارسل جاسوسا ، فانصل
 بالقائد العربي الضرورى من جيش حيدة . يطلب منه أن يعين له الطريق
 الذى سيسلكه حيدة . فاجاب بان حيدة لا يشاور احدا ، وانما يأمر فياتمر
 من معه ، ولكنكم انتم في جبال ، وستطلون منها ، فترون اية طريق سلك .
 فكدلك فعلنا . فقد بعثنا حراسا الى قمم الجبال ، لينظروا أى طريق يسلك

حيدة . فمن شاهد انه يسلك جهته فليرفع الدخان ، فنعلم كيف نقاوم . فلما
 تبين متوجهه ، وقد ركب انفرسان ، واجتمع الناس ، فتقدم القائد وهو على
 فرسه . فتأدى في الناس ان حيدة قد أتى على طريق (ايت برايم) فاذا أردتم
 ان تقاوموه ، فتنظموا انفسكم كراديس ، يتبع بعضكم بعضا ، وان أردتم
 انفرار فدونكم وما تريدون ، فتأدى الناس كلهم بالعزم على المقاومة . فتقدم
 الاصبونيانيون خيلا ورجلا . وتبعهم ايت بوبكر كذلك ، ثم الاخصاصيون
 ثم ايت الخمس ، ثم ايت جهل الوادونيون ، ثم ايت بلا قبائل تكنا ، ثم
 ايت عبلا وايت يعزى البعمرابيون . والكل كراديس كراديس متتابعة ، فكان
 الاولون الاصبونيانيون اول من تلقى الصدمة . فكان فيهم قتلى وجرحى ، فانهزموا
 فاذا ذاك نادى القائد المدنى في الناس ان يدفعوا جميعا دفعة واحدة . فوصلت
 الحملة مواقع المدافع . فقتل الطبعيون . وقد كان المكان متسعا . ثم لما ماج
 من مع حيدة ولوا هاريين . واذا ذاك وقع الزحام في مضيق ، حين قتل حيدة
 جاءت رصاصة من حيث لا يعرف راميهما . وهو على بغلته . وقد غنمته هذه
 البغلة فيما غنم . وقد حازها القائد المدنى ممن غنموها من اهل الخمس ،
 بخمسمائة ريال . ثم لا تسلم عما غنمه الناس من الخيل والاثاث والبغال والابل ،
 وقد كان القائد المدنى يشتري من الغنائم الفساطيط والسلاح والخيل . هذا
 وقد اشتغل الناس بعد هزيمة الجيش بالغنائم . ولم يعلموا بموت حيدة ، وقد
 كان وقت القتال المذكور نحو الحادية عشرة الى الثانية عشرة ، ثم تفرق
 الناس بعد جمع الغنائم الى ميبتاتهم على عادتهم اذ ذاك على ان يجتمعوا غدا .
 فلما اجتمع الناس في الغد . ووصل وقت الظهور اذا باناس اتوا برأس حيدة
 قال : فلما طرح الرأس بيننا في المجمع ، لم يستبين ملامح وجهه الا انا
 ومبارك أبو الطعام . وقد كان عرفه ولاقاه في الزحف قبل هذا . فاذا ذاك
 ارسل الرأس الى (كردوس) عند الهيبة ، وقد كان الاستاذ سيدى على بن عبد
 الله الالفى حاضرا ، وكذلك سيدى الطاهر . وقد طار اهل الجمع الحافل بالفرح
 حين فوجئوا برأس حيدة ، ولم يكونوا ينتظرون مثل هذا النصر العظيم .
 ثم بعد ذلك بقليل كانت وقعة الجنرال (لاموط) التى حشر فيها انقواد
 الكبار من الحوز وحاجة ورأس الوادى وآزاغار حشرا . فبقوا في (وجان) حين
 اخرج منه الشيخ النعمة وقد احتله الكنتافى ، قال ثم جاء رسول خاص من
 عند الحاج التهامى الى القائد المدنى يقول له ان الحاج التهامى يقول لكم اننا
 جئنا رغم انوفنا . واريد ان نتلاقى قبل الحرب ، فسان اتفقنا فذاك . والا
 فالحرب . فاجابه القائد بالمساعدة ، فجمع الفقهاء والرؤساء للمشاورة . فوقع
 الاتفاق على ذلك . وعين المكان والزمان ، فحضر القائد المدنى مع كاتبه
 الحاكمى مع كثيرين من كل من نه رياسة . في نحو 500 - ثم لما قاربوا المحل
 انتخب نحو ثلاثين للملافة ، قال : فكنت انا احد هؤلاء ، مع القائد . فتكلم

الكلأوى وقال : ان المقصود حقن الدماء . ولا سبيل لذلك الا رد تلك المدافع المخزنية التي بقيت عندهم يوم موت حيدة فقال له المدني : ان جميع آلات المدافع متوزعة ، وتشتتت في الايدي ، ولم يبق الاسلحة المدافع - على حسب تعبيره - فقال الكلأوى : اعطونا هذه السلال ، فاننا نكتفي بها فأبى الناس من رد المدافع بلسان واحد . فقال الكلأوى : ان الاولى ان نفرق عليه هو ان يرجع كل فريق على المشاورة . بهدنة ثلاثة ايام . ثم بعد الاقتراق أجاب القائد المدني بأن الناس يأبون رد المدافع . كما أجاب الكلأوى كذلك ان الجنرال (لاهوط) أبى كذلك أن يرجع الا بالمدافع (1) . ثم زحف الجنرال ومن معه . فطلقوا في (تيزى) ففر من هناك من الحرس ، وذلك في الليل . وما طلعت الشمس حتى وصلوا (اسنك) فنزلوا على البير التي ألقيت فيها المدافع ، فاستخرجت منها . فربضوا هناك اياما . لا يتصل بهم أحد من الاعالي . والناس مستديرون بهم من بعيد . وفي عشية يوم جاء جاسوس فاخبر بأن الجيش يجمع متاعه . وسيرحل مبكرا . فتراسل الناس على أن يبيتوا متهيئين . قال وعند الفجر سمعنا طلقتين فركبنا فوجدنا الجيش متوجها من (تاكراكترا) الى (ايت يعزنى) والكلأوى هو واصحابه في الطليعة ، فدفع الناس في نحر العدو ، وقبل الشروق صارت الموتى والجرحى ترد علينا. قال: ونحن مع القائد في قرية (أدنار) من (ايت يعزى) ، فاستمرت الحرب من الصباح الى الثانية بعد الزوال ، فصار الجيش يتياسر شيئا فشيئا لينزل على (سيدى بوغبدلتي) وقد هيئت من يحارب وراه ، وفي العشى نزلنا ازايمهم ونحن جياع عطاش ، قال : والفقير سيدى علي بن عبد الله على فرسه في نحر العدو ، يقبل أحيانا ، ويدبر أحيانا . والقائد المدني على فرسه واقف ، ينظم الناس على قدر وسعه ، ثم نزل جيش العدو في (تالعينت) فنزلنا نحن ايضا في (ايت الاربعاء) فوق (ميرغنت) وبقي الامر كذلك خمسة ايام، واذ ذاك أرسل ابو السلام الخليفة المتوكل النازل تحت (ميرغنت) ثورا ليذبح على ضريح في (ميرغنت) ووصى أن يتصل مع من تيسروا هناك ، ثم قال لمن اتصلوا به : أريد أن يرسل الى القائد المدني رجلين من أصحابه لاتكلم معهما. فوصل الخبر الى المدني، فأرسل الى سيدى علي بن عبد الله وسيدى الطاهر ، فتأمرأ على انه يجب الاتصال بأبي السلام . لان الناس أعياهم ما هم فيه حتى صاروا يتفرقون الى ديارهم ، فأرسل القائد صاحبيه ، فرجعا بأن أبا السلام يقول: ان الاولى الحيلة ليتفرق الناس انتم ونحن معا ، فقد أعيا الجميع . فان ارسال جمل وثور الى الجنرال (لاموط) يفتح هذا الباب. فاستشار المدني الفقيهين فقبلا ذلك . لارتكاب أخف الضررين، فأرسلوا رسالة الى الهبة

(1) قابل بين رواية هذا المتحدث وبين ما تقدم في رواية الاساذ المانوزى الذي ذكر أنه حضر يظهر لك ما يظهر .

فى ذلك ، فاجاب بان عندهم الاذن المطلق فيما استوجبه نظرهم، قال : فارسل
المدنى عشرة من وجهاء الاختصاص بجمل وبقرة . فقدم ذلك للجنرال فى يوم
مشهود ، على أنه هدية جميع القبائل المحاربة من بعمرانة وغيرها . وقد قيد
اسماء العشرة على أن كل واحد منهم من قبيلة من القبائل . فعل ذلك تعمية
لان هذه القبائل لو طلب منها أن يمثلوا هذا الدور لايوا كل الالباء ، ثم طلب
ابو السلام من القائد المدنى بوساطة فارسين من اصحابه أن يكتب وقوع
الصلح بين الفريقين ، قال الحاكى : فامرنى بذلك فنزلت ونحن على ظهر
طريق الى ظل شجرة . فكتبت ما يدل على ذلك ، وقد املى على ما كتبه لى
ذلك :

(يعلم من كلامنا هذا أننا جعلنا الهدنة مع الجيش الذى يقوده الجنرال
لاموط . من حد قبيلة ايت عبلا وادواؤى كرى من ايلالين الى حدود الساحل
ببعمرانة . وان حدث امر ما من أحد الجانبين من زيادة أو نقصان على المعتاد
الآن فيعلم به صاحبه على يد أبى السلام المتوكى ، والسلام) .
قال : وبذلك صار الاتصال بين المدنى وأبى السلام دائما الى أن مات أبو
السلام (1) .

قال : كان ايت الخمس من البعمرانيين وايت جمل من الوادونيين دائما
ضد القائد المدنى . واصبنونا وايت بلاثة معه ، وكان ايت يعزى وايت عبلا
أولا معه ، ثم قلبا له ظهر المجن اتباعا لراى سنى أحمد نطالب ، فكان مع
أعدائه . فذلك هو السبب حتى اوقع المدنى بسنى أحمد نطالب . وقد كان
سنى أحمد نطالب تعين قائدا على قبيلتى ايت يعزى وايت عبلا من أول عهد
الهيبة . فكان له شأن كبير ، وقد كان أمر هؤلاء فيما بينهم غير مجتمع .
فلن فيهم من هو ضد هذا القائد الجديد . وفى عهد مربيه ربه الذى خلف
الهيبة بعد وفاته 1337 . كان من العادة أن يخرج مربيه ربه فيلور على القبائل
ومعه الرؤساء ، وفيهم دائما المدنى . وحين نزلوا فى الاختصاص وأرادوا
أن ينزلوا فى ايت عبلا أرسل هؤلاء مع ايت الخمس يرحبون بمربيه ربه ، على
أنهم لا يقبلون أن يأتى معه المدنى . فذهب اليهم سيدى على بن عبد الله اللفى
فراودهم على أن يرجعوا عما يقولون فابوا ، فركب المدنى راسه ، وقال لا بد
أن اذهب . والا صرت ذليلا . فراح مع مربيه ربه . فتقدم ايت عبلا مع قائدهم
الى مربيه ربه . فرحبوا به وتقدم ايت عيسى فخذ من (ايت عبلا) تضاد أحمد
نطالب . فرحبت بالقائد المدنى ومن معه ، ثم لما تم اللور من (بعمرانة) الى
(وادى نون) صار المدنى يحبك الشبكة حول سنى أحمد نطالب . فاتصل
بأعدائه من اخوانه ايت عيسى وايت حمو ، فقام هؤلاء فى سحر فهاجموه فى

(I) قابل كل هذا بما قاله الاستاذ المانوزى رحمه الله فى الموضوع تعرف
الحقيقة كما هي .

داره ، فخرج ليهرب ، فضرب برصاصة ، فهلك أمام داره فى مزبلة . وقد كان الاخصاصيون منهيين فى جوارهم : فحين سمعوا البارود هجموا بدورهم . فكان ذلك هو السبب حتى انضاف ايت يعزى وايت عبلا الى ايلة المدنى . وكانت هذه الواقعة 1339 هـ . فى رمضان ، وقد كان ايت يعزى يعدون من ذلك الحين من عداد الاخصاص ، يدفعون أعشارهم ، ويغرمون كالاخصاص بخلاف ايت عبلا . فان المدنى يكتفى منهم بالمواالة ، وبها تيسر . ولا يعطونه اناوة كما يعطيها الاخصاص ومن اليهم .

ومما وقع فى عهد المدنى محاربته مع الكنتافى فى (ميرنخت) فانهزم الى (نزنيت) وفى تاسع رمضان 1341 وقعت حرب بين القائد عياد الجرارى . والقائد المدنى ، مات فيها محمد بن عبد السلام الخليفة لعياد ، ثم لم تعلن الهدنة حتى اعطى القائد عياد ستة آلاف ريال للمدنى . فرقها القبائل التى تعلن المدنى .

ثم ان المدنى تقدم خطوة اخرى الى توسعة ايلاته باستيلائه على (ايت همئان) وما حواليتها من قبيلة (ايت برايم) . وهذان ظهيران لمريه ربه يصدران له فى ذلك .

الاول :

(يعلم من كتابنا هذا اسمى الله قدره وجعل فى الصالحات طيه ونشره ، اننا بحول الله وقوته وشامل يمينه وممته . ولينا عاملنا الارضى القائد المدنى ابن الطالب أحمد الاخصاصى على قبيلة ايت همئان كافة من ايت برايم ، ونوصيه كآنفسنا بتقوى الله العظيم والرفق بهم . والعدل فيهم كما اوصيناهم على طاعته . والوقوف عند أمره ونهيه ، أسعده الله بهم ، وأسعدهم به وجعل الكل عملا منا مبرورا ، وسعيا مشكورا . ووفقه لما يحبه ويرضاه . فتامر الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه وأن لا يجيد عنه ولا يتعداه ، صدر به أمرنا القائم بالله أواخر ذى الحجة عام 1342 هـ .) وفوقه طابع من طوابع مريه ربه فى وسطه : محمد المصطفى مريه ربه . الله وليه 1337 ، ولقطة الله فوق . وفى دوائره : (ان ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والله يعصمك من الناس) وهو طابع مستدير لا رونق عليه لا شكلا ولا خطا . وهو وسط ليس بكبير ولا صغير .

الثانى :

(يعلم من مسطورنا هذا أسمى الله قدره، وجعل فى الصالحات طيه ونشره ، اننا ولينا خديمنا الارضى القائد المدنى ابن الطالب أحمد على بنى ايت نتر . وايت اليسر وتياك وايت يعيش وبني بمنصور وايت محماد من قبيلة ايت برايم . وأمرناهم أن يتلقوا ولايته عليهم بالقبول والسمع والطاعة واتفاق الجماعة . صدر به أمرنا القائم بالله فى 8 من شهر رمضان عام 1343 هـ .

وفوقه ذلك الطابع نفسه .

(تفاصيل أخرى عن حروب المدنى مع مجاط وغيرها)

حكى لى سيدى مبارك بن عمر المجاطى قال :

وصل حيدة الى (ادخيننوف) فأهدى له مبارك الرخاوى وقد ذهبت
مجات الى (تمكترت اخسان) ولم يهد أبو الطعام حيدة الا برأيه الخاص .
وكان له شأن اذ ذاك . وكلمته نافذة فى (تيز كى) قبل ، ومن تلك الساعة
حين أهدى بغير اذن مجاط تناقص نفوذه بين المجاطيين ، وقد كان الشيخ
أحمد الامازيرى له كلام مع حيدة ليخرج الهيبة من (كردوس) فأرسل الى
حيدة ليأتى الى (كردوس) فجاء حيدة الى (وجان) بسبب ذلك . ليدخل من
بعقيلة حين تأتت مجاط . فقال أبو الطعام وعلى الشلحينى ويعيا بن بلا
من ايت موسى : اننا قد أعلننا السلم مع حيدة فى بلادنا فليتفرق الناس

فقام القائد سعيد البعقيل ضدهؤلاء . وقد كان جاء مع شيعته البعقيلين الى
(تمكترت اخسان) فقال للمجاطيين ان أنتم أوجدتم السلم فى بلادكم
فان حيدة يقصدنا فى بلادنا ، فانا اطلب منكم المعونة . فاختلف المجاطيون
بينهم ، فمن أطاعوا أبو الطعام وشيعته رجعوا الى ديارهم ، والذين أبوا برز
اليهم القائد مبارك البينثيرانى ، فقال لهم : من أرادوا أن يجاهدوا فليذهبوا
معنا . فانا نروح الى (ايفير ملولن) ومن ذلك الوقت ظهر القائد مبارك
وعلا شأنه من جديد . فراحوا الى (ايفير ملولن) (توماتار) وفى الصباح
سمعوا البارود فى (وجان) وقد بكر اليه حيدة ، فبادر فقراء من مجاط
كانوا سمعوا ما فى الجهاد يوما فى الزاوية الالقية من سيدى سعيد التتاني ولم
يقف فى (وجان) سوى الوجانيين ، ولكنه احتل (وجان) الى (اكادير أوفان)
فاذا بالمجاطيين أطلوا من الجبل . ولم يكونوا كثيرين فظن حيدة أنهم كثيرون
فاجفل منهم من فى القرى بـ (وجان) فغادروها . وقد كاد سيدى النعمة يوخذ
باليد . فقد دخل المهاجمون الى وسط الدار الذى كان فيها . ولم يبق الا
أن يدخلوا الى البيت الذى كان فيه . فاذا بهم انسحبوا . وقد كان فى قرية
(اد على بلا) ثم نزل المجاطيون حتى احاطوا بكل أسوار قرى (وجان) وقد
ترك حيدة 40 موتى حين انسحب ، وفى اليوم التالى رجع حيدة ، ولم يقلد على شىء .
وفيه ، شيعه القائد سعيد البعقيلين ، وقد حضر القائد الناجم وبهيه خليفة
اربعاً كما عرف به . وقد دامت الحرب فى اليوم الثانى الى العصر من الصباح
- فماتت خيل كثيرة لحيدة . وقد عاب بموته - وقد تولى الحرب المجاطيون ،
فلم يقع الا جرح واحد منهم . وقد كان الهيبة كتب اليهم حين كان يستنهضهم
أن قفوا ، فأننى أرجوا الله أن لا تقع منكم نقطة على الارض . وعدت من
كراماته . وقد تواتر أخيرا الوليتيون كالمحشر فهاذتهم حيدة فرجع .
هذا وقد رحل كل الاخصاص امام حيدة . ونوى القائد المدنى أن يصتحر

ان اتاه حيدة الى (بنواكاندن) وبعد موت حيدة وقبل ان ياتى الجيش
الجنراى كانت الحرب بين ابى الطعام والمدنى . وسببها ان ابا الطعام كان مع
الجرارى . فادعى المدنى انه يريد ان يدخل الاعداء ، فاستشار اليه بعمرانة
ومجاط كلهم ، فقامت الحرب يوما بينه وبين تلك الجهة التى فيها بعمرانة .
فبادر ابو الطعام فذبح على مجاط . فدخل المجاطيون . فاستولوا على (ايت
رخا) وقالوا للبعمرانيين لا تدخلوا بلدنا وهذا اخونا . فخرجوا من بعد ما
دخلوا قرى قليلة . وقد كتب المجاطيون رسالة الى المدنى ومن معه يقولون
قلوا حيث انتم . فان صاحبنا قد ذبح ، فسنصلكم هناك . وذلك بعدما باتوا فى
(ايت رخا) وفى اليوم الثانى ذبح المجاطيون بديحة (ايت رخا) وطلبوا منهم
ان لا تمتد ايديهم الى (ايت رخا) فأسعفوا ، الا أنهم طلبوا أداء ثمن الخيل
الميتة فى الحرب . فقومت بخمسة آلاف ريال حسنى . فضمنها المجاطيون .
وقبل الاداء جاء الجيش الجنراى . وبعد رجوع هذا الجيش جاء الرخاويون واقدن
الى القائد مبارك لطلبوا منه ان لا يؤدوا ذلك المال . فأبى لهم وقال : اننى
قد ضمنت المال ، ثم اتوا بدنايح الى المجاطين الآخرين مع بعض رأسا الى
الرؤساء منهم . فاختلف المجاطيون فتفصى الرخاويون من المال . فكان ذلك
هو السبب حتى فسد ما بين الرخاوى وبين المدنى ، وذلك ان المدنى كان
يقول معه اننا لا بد ان نزيل الرخاوى تماما من طريقنا ، وحين أبى المجاطيون ان
يؤدى الرخاويون ذلك المال أرسل اليه القائد مبارك يقول له اننى قد عجزت
وقد أبى اخوانى ان يسلموا فى الرخاوى ، فعد المدنى ذلك منه غدرا . وحين
لم تغد هذه السياسة المدنى رجع الى مواخاة الرخاوى ليمهدا (تيزلهمى)
فكان ذلك هو السبب لما ياتى :

ثم لما طلع الكتنافى الى (ايت ودريم) جلا الحسين بن عمر والتجأ الى
هذه الجهة ، فوصل مريبه ربه . فخرج معه حتى دار دورته السنوية ، فاتفقت
القبائل على أن يعيى البعمرانيون من جهتهم الى الكتنافى ، والاختصاص من
جهتهم ، ومجاط وبمقيلة الى (ايت حامد) وقد كان الحسين بن عمر يسكن
فى (ايت حامد) بعد جلالة . فكانت حرب شديدة هناك بينهم وبين الكتنافى
فى (ايت حامد) فانهمز الكتنافى . فوصلت هذه القبائل الى (ايت موسى
أبكنو) و (ايت التوكان) ثم صارت الهدنة مع الكتنافى . واما البعمرانيون
فانهم نزلوا فى (يونعمان) فاصلتهم الطيارات بقنابرها ، فقتلت كثيرا من
خيولهم . وقد نزل القائد المدنى الاختصاصى اذ ذاك على الجرارى ، ولكن لم
يتجاربا . ثم تبعتهما الحركات الى (اداونزكرى) فذهبوا مرتين وفيهم مريبه
وبه والمدنى والقائد مبارك الى (اداونزكرى) فى جيش كبير ، وسببها ان
الزكريين بعد ما كانوا مع التسيى وتى نافروه فاستجاشوا اهل الجنوب . فكانت
الحرب فى (تافراوت) (اداونزكرى) وفى المرة الثانية كان السبب ان

الزكري تصالح مع التَّيَّيُّوتِي ولم يعد الزكري يامن من اهل الجنوب وقد قيل ان المدني ومن معه نوا ان يحتلوا داره ويقبضوا أمواله التي ملأت أعينهم ثم ثار حمون بلقاسم على التَّيَّيُّوتِي. فتعاون عليه مع الزكري ، فاجلسوه فذهب يستجيش بقبايل الجنوب . فوصل (كردوس) وعند المدني . فجاشوا وذهبوا على نية نهب (اداوزكري) فانقسم المجاطيون وغالبهم كان ضد المدني . فاذا ذاك تفرق ما بينها . وقد كان ابن حيدة والمدني يتكاتبان . ومقصود ابن حيدة هو اهلاك التَّيَّيُّوتِي . الا أنه بليد لا سر له . فكل ما أبرمه بالرَّسائل مع المدني يعرفه التَّيَّيُّوتِي فيوصله الى الحكومة . فلما توجه مربيه ربه والمدني والجيش الجنوبي . وقعت النفرة من بعض المجاطيين. فدروا الى (اداوزكري) وقد كانوا يردون عليه . وقد كان (ايت الخمسي) ايضا ضد المدني . فلم ياتوا في هذا الجيش الا بعد تحققهم أن المجاطيين كانوا ضده . وقد كان الشيخ سعيد الخمسي يراده في الجامع . وقد قال المدني اذ ذاك في مجمع (ايت عبد الله) يا (قبائل الجبل) يعني قبائل تلك الناحية ادوا وثائق عن الخيل المبته للقبائل التي جاءتكم ، فرد عليه المذكور لماذا ؟ فكل قبيلة ماتت خيلها تؤدي لبنيتها . ثم التقى المدني مع ابن حيدة ، فقبل رجوع حمون بلقاسم فقاموا على الصلح. ومنذ رجوع القائد المدني من هذه الوجهة صار يتهاى للحرب بينه وبين مجاط ، لمهدا حتى يتمكن منها . فقد قال للرخاوي صاحبه . اجتهد ان تثير خلفا في (تيزلومي) حتى يتحاربوا . وقد كان القائد مبارك البيراني يساير الجراي ضد المدني فضمن له الجراي أن يؤدي كل ما صرف ضد المدني في الحرب ثم كان أن نهب سيدى على بن محمد التازاروا التي دار مولاي البشير ابن عمه . فكان القائد مبارك من شيعة مولاي البشير . فأمره مبارك أن يدور بدبائحه على المجاطيين. فائتمرت شيعته أن يلقوا حتى يسكن مولاي البشير في (تازاروا) قهرا . فنزل القائد مبارك معهم الى (الزاوية) فجاء الرخاويون الى (تاجاجت) بجيشهم . فرجع البيرانيون من (تازاروا) الى بلدهم كيدفعوا عنه ، فطلع سيدى على التازاروا التي مع كثيرين من مجاط معه الى الرخاويين . وكان (ايت موسى) و (ايت تاجاجت) مع الرخاويين و (ايت على) و (ايت همان) مع البيرانيين وايت وفقا . فقام الجراي فدفع المال للبيرانيين ، فقاموا ضد المدني في تلك الجهة الاخرى. وقد كان الاخصاصيون جاؤا الى (تاجاجت) فتلاقى القائد مبارك مع محمد ابن القائد المدني فجعل يسأله عما يريد . فقال له انما أنا مع الناس والرأي العالي في (بوزاكارن) فأرسل القائد مبارك ولده الى (بوزاكارن) يجس النبض من القائد المدني فقبل له : لا بد من أن تدبجوا وتقبلوا الانقياد انتم المجاطيين . وقال له القائد المدني : ما أريد أنا مجاط الا للقائد مبارك ليعلموه ، واما الآن فانهم

دواع يلعبون بالجميع . وكانت كل هذه المخابرات من القائد مبارك انما هي
 تطويل حتى يجتمع اليه مجاط. وحين نزل البعمرانيون في تلك الجهة انسحب
 الاخصاصيون مع محمد ابن القائد المدني . ف وقعت الحرب هناك في حدود (ايت
 يعزى) فذهب علماء وصلحاء فاصلحوا بين الفريقين . وكذلك عند الفريق
 الآخر . فقد رجع اهل (تاجاجت) واهل (ايبغر مئولتن) الى شيعة البنيрани
 وكانت حرب يوما واحدا . ولم يطل الزمان . فقدر القائد المدني (تاجاجت)
 بجيش سر به ليلا . فاجفل الناس . وكان العام عام مجاعة ، وذلك عام 1345 هـ .
 فنفر الناس . فوجدوا الرخاويين والاختصاص دخلوا (تاجاجت) فكانت الحرب
 في (اكادير نيت الطالب يعزى) فاخرجهم منه المجاطيون . وكذلك دخلوا
 (ادبشيران) فاندحروا منه . ثم تلتها حرب (افران) فقد اتفق القائد
 المدني مع فريق من رؤساء (افران) فاتوا به . فتمكن القائد المدني الى
 اعلى (تانكرت) فاستجاش الفريق الآخر بالمجاطين ، ونعنى بالمجاطين شيعة
 القائد مبارك البنيрани (ايت على) و (ايت همآن) وأما (ايت موسى)
 فمع الرخاويين . فلما استغاثوا بهم اجتمع الجيش الذي يضاد القائد المدني
 من مجاط في بلدهم ، فذهبوا الى (تانكرت) فاخرجوا القائد المدني الى حدود
 (السوق) فبقى في (اداوشقرا) وقد كان المجاطيون غرهموا كل فريق القائد
 المدني خمسة آلاف ريال حسنى . ثم جاء مربيه ربه . فنادى بالسلم . وقد كان
 العادة من القائد المدني انه كلما أعيا يستغيث بمربيه ربه . فقال لهم مربيه
 ربه لا بد أن تذهبوا معي كلكم يعنى مجاط . فذهبوا معه الى (تيمولاي)
 فخطب هناك سيدى الطاهر بن محمد خطبة عظيمة ، معناها : أيها المسلمون
 « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فان الجوع والاشرار انما هي
 أسواط يضرب الله بها من عصاه . وهناك سوط عظيم باق ستضربون به ان
 لم تطيعوا - يعنى الاستعمار - ومن هناك رجعوا ، فبقى (اداوشقرا)
 و (أمسرا) في يد القائد المدني ، ثم تفرق (اداوشقرا) فأراد فريق منهم
 مجاط . فاتوا بالقائد مبارك البنيрани ، فتمكنوا من (اداوشقرا) الى (ادسالم)
 فرحل اصحاب القائد المدني . فكانت حرب شديدة . فجاء ايضا مربيه ربه .
 فنادى بالسلم . فغرم البنيрани (اداوشقرا) وقد أدوا ثمن الخيل وقد
 قومت بـ 6000 ريال . ولم يعط البنيрани للمجاطين مما اخذه من الغرامة
 شيئا . فكان ذلك هو السبب حتى تباعد المجاطيون عن القائد مبارك . وقد مال
 الفقيه مبارك بن عمر من مجاط الى القائد المدني ، فكان السبب ، وذلك لان
 القائد البنيрани تراسى على (تومانا) فنزعها من سيدى على التازاروالتى
 ياذن من الجراى . فارتمض قلب الفقيه من ذلك لان سيدى على بن محمد
 التازاروالتى اخوه فى الطريقة الالوية فهما معا من اصحاب الشيخ الالفى ،
 فانهز الفقه مع اصحابه . فكتبوا الى القائد المدني ، اننا خالفنا القائد مبارك

فكتب اليهم أن اقدموا الى . فذهبوا اليه بـ 22 فارسا . ووجدوا عنده محمد ابن القائد مبارك مع خيل يريدون اصلاح ذات البين . ويغلبون بنته للظاهر ابن القائد مبارك . ثم خرجوا حين دخل المجاطيون . فقال لهم هل تقدرون أن تاتوا بجيشكم وآتي بجيشي حتى نلتقي في وسط (ادبنشيران) فقالوا له لا . فقال لهم لماذا : فقالوا لان الناس مرنوا أن يتبعوا القائد مبارك ، الا أننا نضمن لك اذا جئت بجيشك أن لا ياتي (ايت على) الى البشيراني . فلم يعجبه ذلك، فرجعوا من عنده ، وقد واعدتهم مجي مريه ربه الى (افران) ولكنه أخلف الموعد . ثم صار القائد المدني يكتب اليهم بعد فلم يصلوه، ولم يزل على أوبخيس الموسوي رسوله اليهم حتى ذهب بهم، وهم 12 فلما رجعوا من عنده ، صار القائد مبارك ينادي في موسم الشيخ (سيدى المدني) فى (تانكرت) أن من ذهب الى القائد المدني دمه هدر . فجازوه بأن نادوا بمثل ذلك فى (سوق الاثنين) فى (انكرتن) فكتبوا الى القائد المدني بذلك . فجاء بجيشه حتى نزل فى (ادسالم) أسفل (اداوشتقسرا) فصار القائد البشيراني يطلب من يكون معه من ايت على المجاطيين فلم يجده . فجاء احمد ابن ابر الطوام بجيشه الى (ايت موسى) فتواعدوا مع القائد المدني أن ياتي من أسفل (افران) وهم من أعلاه ففعلوا فالتقوا ، وقد حارب الافرانيون فهلك قليلون . واذا ذاك قال القائد المدني للمجاطيين يطلع الجسر الى (تيزنلي) فأبى (ايت على) فتملصوا ، وذهبوا الى ديارهم . فرجعوا الى القائد مبارك البشيراني لما فهموا ما يريد القائد المدني . من الاستيلاء على مجاط . وفى ليلة قريبة نزل المجاطيون فاستولوا على (تانكرت) فى ليلة واحدة . ثم اتفق (ايت موسى) والقائد المدني ، فجاء القائد من أسفل (تانكرت) و (ايت موسى) من فوق ، فخرج ايت على هارين ، ثم طلع القائد المدني الى (ايت موسى) . فاستجاش المجاطيون ايت همان وايت على وايت بشيران ، فكانت حرب شديدة . وقد جاء الرخاويون وايت (تاجاجت) تحت يد الخليفة الحنفى اخى القائد المدني . وكانت الواقعة فى (زكون) وفى (ايمى) تتفراوت تينت كرمون) وكانت الحرب فى الواجهة الرخاوية فقط . فعصر المجاطيون ، وأما واجهة (ايت موسى) فلم تكن فيها حرب . فلما رأى القائد المدني ذلك دعا الى السلم . فرجع وغرم الافرانيين ثلاثين الفسا . وقال ان فصل دعاويكم فى (بوزاكارن) وردوا سلاح الاخصاصيين الموتى . ولم يطل الحال أن استجاش الافرانيون كلهم بالمجاطيين ، فاتوا فأخرجوا القائد المدني من (افران) حتى (امسترا) وهناك مرض المدني فهلك .

وهكذا دامت الحروب طوال عهد القائد المدني . وكان يضرب البعض بالبعض ويجمع ويفرق . وقد جاش مرات الى نواح أخرى الى (اقة) مرة

الى القائد ابراهيم فى شان قافلة نهبت هناك كما بعث ايضا فى قضية الشيخ محمد ازنكض اخاه الخفى ، ومرات الى (اداوزكرى) والى (ايت عبلا) اخيرا فى الحرب مع التشيستويتى . كما بينا ذلك فى مواضع اخرى فى هذا الكتاب وآخر حروبه تلك التى ذكرناها فى (افران) .

آخرىات أيامه

ابتدا فيه مرضه الذى هلك به فى جوفه . ويحجو انه مسموم . فيقل اكمله . وتذجل صحته . وكان يدعو الله دائما ان لا يلتقى وجهه مع النصارى ، وهو الطلب الذى يطلبه دائما من الطلبة كلما اكرمهم . فقد جاءه اجله يوم الاثنين بعد العصر 7 رمضان 1352 هـ . ودفن فى اليوم الثانى فى قريته (بوزاكاردن) بل عاصمته التى أحاط بها سورا بأبراجه وأبوابه . فكانت تزخر أزمانا بالذين يقصصونه من جميع النواحي .

من أخلاقه

كان يتلو دائما خمسة احزاب من (المصحف) ولم يكن حافظا للقرآن . ولكن لكثرة تلاوته صارت تسهل عليه القراءة . وكثيرا ما يسأل عن تفسير آية . وكذلك كان يقرأ (دلائل الحيرات) ولم يكن يتركهما ، ويجب اهل الخير محبة امثاله لامثالهم . ويفتح بابه لكل وارد . الا انه غليظ الحجاب وقلما يلقاه انسان الا بصعوبة ، وكان محببا اليه ان تعمر بابه بالواردين وكان سياسيا يعرف كيف يخالط كل احد بما يوافقه ، فيلبس لكل حالة لبوسها . وقد صير عاصمته (بوزاكاردن) متابة لكل تلك النواحي . فيها يكون الابرام والنقض . لا (كردوس) وقد صارت قبلة الجنوب فى عهده يقصدها الفقهاء والرؤساء والطلبة والصخراويون والغرباء وطوائف الفقراء وله حسن ظن بأهل الخير . وقد قام بكل مواد الحياة للشيخ سيدى الحاج محمد الشريف البوزاكاردنى فوجد بركة ذلك ، ومع كل هذا الكرم والاخلاق لم ينبج من السنة الناس رحمه الله فقد قال فيه صخراوى :

قد كنت احسب ان القائد المدنى قبل استضافتنا اياه غير دنى
حتى استضافناه يوما فاستبان لنا ان لا دنى سوى المدعو بالمدنى

أولاده

1 محمد الخليفة الكبير . كان توفى بالجدرى فى حياة ابيه . وترك اولادا ادركوا الان نزلهم جدهم المدنى منزلة ابيهم .

2 على هذا الذى لا يزال حيا . وقد ذهب الآن الى الحج 1379 هـ . وهما من بنت عهه عمر بن عبلا .

3 القائد الحسين الذي سندكره ، وقد توفي

4 الحسن لا يزال حيا

5 القائد الطاهر الآتى

6 عبد الله لا يزال حيا

7 ابراهيم لا يزال حيا

8 أحمد هو أصغرهم لا يزال حيا . وهؤلاء الخمسة من زوجته البهيرية

أخت القائد مبارك .

القائد الحنفى

هو شقيق القائد المدنى ، وهو الذى تولى مكان أخيه يوم مات . كان خليفة لأخيه . ويوم مات المدنى جاء أولاده وقبلوا رأسه وقالوا له مات أبونا ، وانت أبونا اليوم . فسلموا له الأمر . وقد وقف معهم حتى قسم بينهم مالهم ، فأسدى لهم بذلك كل خير . قال الحاكم ما، العينين : - المتقدم - لما أجمع المخزن على احتلال تلك الناحية اثر وفاة القائد المدنى بقليل ، نزل جيش فى (بونعمان) ونزل جيش الاخصاص مع الحنفى فى (تيمنجاض) من (ايت برايم) وكانت من اياتهم ، قال : فدهم قبل من خيلنا هذا الجيش فى (بونعمان) فاذا بخيلنا منهزمة تركت قتلى . وفى الصباح أصبحت حادثة وعشرون طائرة على (بوزاكاردن) ترميها بالقنابر . فهربت النساء والعيال الى الجبال . قال : فارسلنا رسالة الى القائد قبور الكرائمى فى (ترزيت) نفتح به باب الاتصال فأجاب بأن على القائد الحنفى أن ياتى غدا الى (ميرغت) حيث يلتقى مع من يبعث للآقائه . فذهب الحنفى ووصانى أن اكتب الرسائل الى رؤساء القبائل لياتوا الى للمشاورة . فاتى من اتى منهم ، ومن بينهم أبو شامة الاصبونثائى فقال لى هذا سرا اهد البعهرانيين اتصلوا بالقائد الحسن فى (أكلو) وقد أرادوا أن يتقربوا بكم انتم . ولذلك بادروا فى النظر لانفسكم ، ثم فى العشية اجتمعنا فى دار مع الحنفى . فقال لنا الحنفى ان من لاقيتهم واعدوني ثانيا بملاقاة اخرى غدا . وفى الليل طرقتنا على ابن القائد المدنى . فافضى الينا بما وقع فى (بوزاكاردن) من التخريب بالطائرات فبعثناه لحفاظ على المال والمتاع والنساء . قال : وفى الصباح وقفت فى الناس المجتمعين اعلن لهم ما نحن فيه الآن ، واننا محاطون من كل ناحية . والجيوش توجهت الينا من كل جانب وهى احد عشر جيشا . فارونا ما هو المصنوع ، فقال القائد سعيد الخمسى: يا فلان ادع للناس ليذهب كل واحد الى داره ، يصنع ما تيسر له . فدعونا دعاء اختتمت به مجتمعاتنا فى سنى الكفاح،والناس فى بكاء ونحيب عمّا وقعنا فيه . ثم أن الحنفى ذهب أيضا الى (ميرغت) فرجع فى طليعة الجيش يقدمه بنفسه الى قبيلته . فنزل بهم فى (سوق الثلاثاء) فاتى بالهدايا

تقدم علامة على الاستسلام . هذا والجند الزاحف واقف عند حده لا يمس شيئا ، فجاء الاعيان البعيرانيون كلهم الى (سوق الثلاثاء) فاذاً ذلك أعلن للناس أن البعيرانيين يكونون تحت نظر (اسبانية) وهذه القبائل الاخرى تحت نظر (فرنسة) وفي اليوم الثاني تقدم الجيش فاحتل (بوزاكارن) وهناك التقى هذا الجيش مع الانى من (اقضا) . فظويت بذلك صحيفة لتنشر صحيفة أخرى (والله الامر من قبل ومن بعد) .

هكذا تم الاحتلال لهذه الجهة بهدوء . ولم يواخذ أى انسان بجزيرة ، الا أن السلاح كله حتى الخناجر التى ألف الناس التقلد بها دائما قدم والقى أمام رئيس الجيش مع رياتين حسنتين على كل دار . واذاً ذلك نودى بأن الحنفى هو القائد على ايبالته كما كان ، ثم ذهب الى (الرباط) فتوصل بالظهير على ذلك . فبقى الحنفى قائدا الى أن توفي ليلة الجمعة عاشر شعبان 1364 هـ . ويظن أن عمره - 65 - وله ولد واحد صغير ، بلغ الآن 1379 هـ . مع بنت أخرى . وللحنفى أخلاق كادت تكون معاكسة لكل ما ذكرناه لسلفه رحم الله الجميع .

القائد الحسين

ثم تولى الحسين ابن القائد المدنى فى مقام عمه ولاية خاصة . من غير ظهور ملكى . وقد كان رجلا مذكورا بكل خير بشوشا هشوشا ، يحاول مجازاة عصره بكل ما فى امكانه . فيراعى ويخالق ويظهر بمحاسن الاخلاق . اقول قد عرفته قبل القيادة . وكان اهلا للرياسة . ثم انه وقع له انقلاب فى سياسته يوما ازاء (بوزاكارن) وكان فيها وحده . فهلك من غير أن يحضره أحد . وذلك فى زوال الاثنين مختتم صفر 1367 هـ . عن خمسة اولاد .

القائد الطاهر

تولى بعد أخيه . وقد عرفته ايضا ، وهو دون أخيه الحسين فى أخلاقه حتى فى السعد . فقد نالته اهانات من المراقبة متوالية . لم تزل تتوالى عليه الى أن جاء الاستقلال . فكان نحسه مستهرا ، فجالت فيه اليد التى جالت فى أمثاله من قواد سوس . فاعتقلوا الى أن أعدموا اثر واقعة الطائرة التى حملت الجزائريين الذين اعتقلهم الفرنسيون غدا فى طريقهم الى تونس فى رفقة الملك سيدى محمد الخامس الذى خفرت ذمته فيهم . وبه انقضت الرياسة فى هذا البيت . فلم يبق لهم من الاملاك الا قليل ، وقد حكم على هذا الاخير من (لجنة البحث) بمصادرة بعض أملاكه . فرحم الله الجميع ورحمنا وياهم وحفظنا بما حفظ به الكتاب المبين .

القائد الحسن بن أحمد

البنيرانى المجاطى

قبل 1255 هـ ... 1304 هـ

نسبه

الحسن بن أحمد ويرتفع النسب الى من يسمى مبارك بن الحسن الجد الأعلى هذه الأسرة يقول أبناؤها ان لها اتصالا بايت (يعزى وهلى) وجندود هؤلاء الذين يسمون اليوم (إدنتبرك الحسن) انتقلوا الى (أكشتيم) من قرية (إد على الحاج) من قبيلة (إد أو شقرا) وهناك ضريح مشهود قديم يذكرون أنه جدهم الأعلى . ويبدعهم الآن مشجر نسب يؤيدون به هذا ، ولم اتوصل به . ثم أن الرياسة قديمة فيهم من عهد مولا اسماعيل ، لان عندهم من الآثار الاسماعيلية ما يشهد بذلك ، كما سمعت ممن له اتصال بهم . وأول من سمعت عنه من هؤلاء المتأخرين . أمغار أحمد الذى كان رئيس قبيلة (إد بشيران) فى اواسط القرن الماضى ، ويذكر المتحدثون أنه كان شجاعا بطلا . اشتهر بالاقدام ، وخوض المعامع ، ككل أفراد أسرته الى الآن . ولا يمكن أن يرى واحد منهم الحرب مشبوبة ، فيعرد عنها مع المردين (1) . بل يخوضها يمينا وشمالا ، ولسان حاله ينشد :

أنا الرجل الذى حدثت عنه اذا الخفرت لم تستر براها
اكسر على الكتيبة لا أبالى افيها كان موتى أم سواها
وكانت لامغار أحمد حروب لا تنقطع بينه وبين قبيلة (إد أو شقرا)
و (ايت ترومته) وهم آل (السوق) وايت (أوساكا) فلما رأى هؤلاء من
أمغار أحمد ما راوا ، انحاش كل فريق منهم الى مجاط ، فايت (أوساكا)
ذبحوا على (ايت على) و (إد أو شقرا) على (ايت موسى) وايت (السوق) على
(ايت همّان) ، هكذا ينحاش هؤلاء الى مجاط ، واما (تاكرت) و (امسترا)

(1) التعريد : الاديار فى وسط الحرب .

فأهلها أقوياء أباة . لا يسامون بسوء ، ولا يطرق حماهم ، لاجتماع كلمتهم
ولكونهم جعلوا لأنفسهم هبة أمام جيرانهم . فلم تختنع قط (تأنكرت)
و (امسترا) لجأطي الى الآن . ولم يقع في ذلك الا (ادوشقرا) ومن اليهم .
ثم ان أمغار أحمد جرت أيضا حرب جديدة بينه وبين هؤلاء ، فكانت
(آيت موسى) عندهم فأنجدل فيها رئيس من رؤساء (آيت موسى) يسمى
أحمد بن أحمد من قرية (أنامر) ثم انهزم البشيراينيون ذلك النهار هزيمة
منكرة ، فأصيب أمغار أحمد . فقطره جواده (1) ، فلم يقدر أخوانه أن يحملوه
للهزيمة التي لم ينتظر القادى فيها الرائج ، فتمكن منه أعداؤه فاما أدركوه
جثة هامدة ، واما أدركوه بدمائه (2) ، ثم دفعوا (3) عليه لا يستحضر من
حكى لى ايها كان . وكان ذلك قبل 1286 هـ . ثم تولى ولده الحسن مقامه فى
رياسة (اد بنيران) ، فكان خطيرا لما فيه فى الترامى على الامور . وقد وصفه
لى من عرفه بأنه يميل الى الطول . أبيض ، جميل الوجه ، ناضر البشرة ،
لحيته مجمعة على ذقنه . ثم انقطعت على حد الذقن ، ثم كثر أيضا شعر
عارضيه . وكانه وهو يجول فى قربوسه البرق اللامع مع خفة ونشاط ، وكان
البشيراينيون ينقسمون فى أيام الحسن قسمين (ادنبارك اولحسن) فخذ
صاحب الترجمة (اد واولزال) و (اد على) هؤلاء فريق ، و (اد بلاتاولحاج)
فريق آخر وهو كثير . ورئيسهم الذى يدير أمورهم بوسنة ، وسبب هذا
الانشقاق بينهم أن عبيدا لبوسنة هذا سرقوا ، ولم يظهر لهم أثر ، فاتهم
بهم بوسنة وأخوانه الحسن وأهله . فاداهم ذلك حتى امتشقوا الحسام بينهم .
ثم لم يلتئموا بعد حتى جاء الكيلولى ، فمال عليهم القائد مبارك ، فشنت
شملهم . وقد دارت حروب متعددة بينهم فى أول تلك المنازعات ، فكان
(آيت موسى) و (آيت رخا) يعينان بوسنة وذويه دائما . (وكان آيت على)
يكونون من شيعة الحسن بن أحمد وفريقه . فهكذا انشقت عصا مجاط شق
الابنلثة ، والباقي من (آيت كرمون) و (آيت همتان) و (آيت تاجاجث)
يوما عند هؤلاء ، ويوما عند هؤلاء . فكانت الحرب والاغارات وتخريب الديار
من الغالب للمقلوب لا تقتر . وخصوصا بين (آيت على) و (آيت موسى) ، فكل
من علت رايته فانه يغرم الآخر الغرامة الحربية . ثم أن للآخر عليه أن يعيد
تلك الشدة بعينها يوم ينتصر ، ثم لما جاء الى سوس السلطان مولاي الحسن
سنة 1299 هـ . نزلت مجاط الى (ازاغار) مع الجزولين ، فقدمت له الطاعة
والهدايا . كما جاءت كل القبائل السوسية مهطعة ، وكان لرافته وحسن
سياسته وزهده فيما فى أيدي الناس . قد تلقاه كل السوسيين بالتوقير
والاحترام والاحلال . فعين لجميع القبائل عمالا ، فتعين بوهيا على (الاخصاص)

(1) قطّره فرسه بالتشديد رماء .

(2) الذماء بالفتح : بقية الروح . (3) التدفيف على الجريح : الاجهاز عليه

ونعين على (إدبشيران) و (ايت ناجاجت) و (ايت همتان) القائد الحسن صاحب الترجمة ، وعلى (ايت كرمون) و (ايت على) القائد سعيد المجاطى ، وهكذا عين لجميع القبائل عمالها ، ثم فى ربيع الاول سنة 1303 هـ . طلع قبل نزول السلطان المرة الثانية الى سوس صاحب الترجمة ومعه الفقيه الحسن التياسينتى الالقى كاتبا معا . كما طلع القائد سعيد المجاطى مع الفقيه سيدى محمد بن عبد الله مؤسس مدرسة (السخ) . فجددا ملاقة السلطان بمراكش ، فأكرمهما بغرس لكل قائد ، وبكسوة لكل فقيه . ثم رجع أيضا صاحب الترجمة مرة أخرى الى مراكش لهذا القصد . هذا وليس له فى القيادة الا الظهير الذى هو حيدر على ورق . واما أن ينفذ كلمة مخزنية ، او يفتح للحكومة باب منفعة ، او يعول بسطوة ، فذلك كله لم يكن . فبقى احد كبار مجاط ، غير أن له شغوبا بينهم بالفضائل التى ارتداها واتزر بها ، ولا يخلوا مجمع من مجامعهم ، ولا معترك من معتركاتهم ، فقد خاض معهم معمة (تازاواالت) المسماة بحرب (تمندا ارعتمان) وكانت نحو سنة 1304 وكانت له اليد الطولى فيها ، حتى انهزم البعقيليون . كما تبجح أيضا معركة (أكادير نطالاب يعزى) و (تاجاجت) حيث استنصر التاجاجتيون بالبعقلين ، فأجازوهم من (ايغير ملتون) ليرفعوا كابوس (ايت على) عن (ايت موسى) بعد ما غلبوهم أيضا ، فالتقوا عليهم بكلاكلهم . فانتدب للتاجاجتيين ومن معهم من البعقلين القائد الحسن مع شيعته ، فحاصروهم فى ذلك الحصن المتقدم ، بعد أن هزمهم ، ثم استخرجهم منه ، وجردهم من سلاحهم بعد أن قدموا اليه يد الاستسلام ، وقد حكى احد البعقلين الذين حضروا ذلك النهار أنه يشاهد صاحب الترجمة اذ اراد أن يدير بندقيته، يبرق تحت ابطه قميص أزرق ، ثم لا تخطئ رصاصته الهدف الذى يصوبها اليه . وكان مشهورا بالرماية شهرة متواترة . ثم لما تم أجله انتشبت حرب من ذيول تلك الحروب المتقدمة بين (ايت على) و (ايت موسى) على حين أن خيلا كثيرة من الاولين كانت عند من كانوا شيعتهم فى قبيلة الاخصاص . وقد قامت حرب أخرى هناك . قال الحاكى وهو من بين اولئك الفرسان الذين فى الاخصاص ، فوصلنا الخبر بموته . فقمنا ونزلنا على (ميرغت) فايت جرار ، فبتنا فى (ايلغ) عند الشريف سيدى محمد بن الحسين . فأخبرنا أن الحرب اشتدت اليوم، وأن منازل (ايت على) بين البعقلين الذين نزلوا ب(اكضاض اوساكسا) وبين (ايت موسى) فحين تعشينا أخرج إلينا الشريف رصا صا وبارودا ، فتناولنا منهما ما شئنا . فطلعنا ليلا من جبل (تاكجكالت) فأصبحنا فى منازلنا ، فاذا بايت موسى قد غمروها ، وانتهبوا ما فيها . فديل للموسويين علينا من جديد . ففى أول هذه الحرب مات القائد الحسن . وذلك أنه خرج ثالث فرسان معه ، ومعه نحو عشرين من الرجال . فوصلوا قرية جمعة (تغيرنت)

فقال له بعض من معه اننا قليلون . فلنرجع ، فقال لهم لا بد ان نسير قدما . ولا يمكن ان نتخلف عن خلفائنا (ايت على) فلافاه ومن معه رجال كثيرين من الموسويين ، فهزموه ومن معه لقلتهم فاطلعوهم فوق دار (اكسموس) فانتدب اليه الحسن بن بلخير اخو احمد بن بلخير اوبخيس فصابه برصاصة فى رقبته ، ففطرته عن جواده ، فمات حينه . فهكذا اختتمت حياة ذلك البطل الحنديد ، ولسان حال ينشد لكل رعديد :

وانا لقوم ما نرى القتل سبة اذا ما رآته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنسا وتكرهه آجالهم فنطول

فما مات منا سيد حنق انفه ولا ظل منا حيث كان قبيل

تسيل على حد الظباسة نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

ثم خلفه فى مقامه ولده القائد مبارك بن الحسن . فقد تولى بظهير شريف . ولكن لم يظهر مقامه كقائد الا فى عهد الحاحيين . وانما كان احد فرسان قبيلته ، واحد شجعانها . يحضر دائما فى المعارك التى يخوضونها . فلمسا جاء الحاحيون 1315 هـ الى (مجاط) ظهرت رياسته . فبقى الى ان جلوا فقبلت منه التوبة امام القبيلة . وقد دافع عنه اخوانه . وقد كان يصانع ولم يكن جبارا كالقائد سعيد بن امغار محمد ، فوجد بركة ذلك ، وفى وقت الهيبة كان من اكابر (مجاط) ومن المسموعة كلمتهم . وقد كانت ذات يده مسبعة .

وقد اخلصت له قبيلة (بنثيران) ، وله مقامات محمودة فى معارك الكفاح ايام مقاومة تلك الجبال فى نحر الاحتلال . وقد كان يضاد غالبا صهره القائد المدني الاخصاصى ، وبينهما حروب ذكرناها فى ترجمة المدني . وان كان سرا لا يخلو من مكاتبة القواد المنضوين تحت ضين الحكومة . كالجراى القائد عباد . وحين تم احتلال تلك الناحية 1352 هـ . وظهر برنامج الاحتلال فى عرك (مجاط) خاصة بين تلك القبائل : تصدى له المراقبون فى مركز (افران) يتطلبون ان يتسربوا اليه . وقد حدثنى الفقيه سيدى بريك بن عمر ان مرافبا هناك يسمى (كرواس) يتطلب منه ان يشهد زورا ضده باشياء ، ليتوصل بها الى مواخذته . ثم سمحت له فيه فرصة . فاعتقل أولا ، ثم نفى الى (دوعة) حيث بقى سنين الى ان قرب اجله . فاتى به فتوفى فى داره بعد 1360 هـ . بسنوات ، ولم يكن بمرضى عنه فى نواح شتى على ما يحكى . وكان على عكس اخيه الحاج ابراهيم ، فانه ينحاش الى الخير . ويعتقد الشيخ الشريف سيدى ابراهيم بن صالح . فقد قال يوما ما كنا نظن سيدى الحاج على الالفى الا مرابطا فقيها فقط . فلم نعرف مقامه العظيم الا بما يحكى لنا عنه سيدى ابراهيم بن صالح . فاذا به مثل سيدى احمد بن موسى ونظرانه ، وعند ما توفى الحاج ابراهيم خلت دارهم من مثله . وللقائد مبارك اولاد

متعددون موجودون الآن . ولم اكن توسعت قبل اليوم في خبر رجالهم ،
ولذلك اختصرت الآن فيهم اختصارا . وقد قال الرفاعي في الحاج ابراهيم
المذكور :

(ومنهم الشيخ الحاج ابراهيم ابن القائد الحسن البنيراني المجاطي ، توفي
في 12 رجب 1348 هـ .)

مبارك الرخاوى المجاطى

1263هـ - 3-28-1366هـ

نسبه

مبارك بن كوثوس بن مسعود (أبو الطعام) من فخذ بنى أحمد ابن إبراهيم من اخذ قبيلة (أيت رخا) من رجال مجاط المشهورين . طال عمره فخاض دغاضات كثيرة ، وهو أسمى تغالب المجاطيين الا أنه مستقيم معروف بالثؤدة ، وحسن المعاملة ، والسعف عن أموال الناس . وبالكرم الفياض حتى لا يوصد له باب . فبذلك احبه اخوانه الرخاويون حبا جما . كان له ظهور قبل ان ينصرم القرن الماضى بين الرؤساء . فكان أحد الذين شاركوا فى مفتتح هذا القرن فى حروب (تازاروالت) وكان قبل ذلك ممن ينحاسون الى سيلى الحسين بن هاشم الايليغى . ثم كان ضده يوم حاصره المجاطيون 1302 هـ . وفى عهد الكلثول نالته على يده محنة عظيمة بالاعتقال ثم نجا من ربقتها . وأخوه على هو الذى فتك به القائد سعيد المجاطى ألقاه من الجرف فى (ناكجىكالت) ، ثم كان ابن أخى المقتول الفقيه أحمد بن مبارك هو الذى أخذ منه الثار بنفسه يوم أقبضه له أحمد الهيبة فى (اسرنسيف) .

وحين تهوجت سوس بحركة الهيبة كان المترجم الفقير مبارك ممن ذهب فى خيل اهله مع الهيبة الى (مراكش) ، ثم فر معه يوم الهزيمة الى (تارودانت) ثم فى نحو 1335 هـ . يوم زحف القائد حيدة الزحف الاول الى تلك الناحية . ووصل الاخصاص . وفر منه الناس ، وقف المترجم حتى هادته عن تلك الجهة فرجع . وقد ليم مبارك على ذلك كثيرا ، ووقع به ما مر فى

ترجمة القائد المدني مينا . ثم ظهر اسم مبارك ظهورا بينا يوم بدأ للقائد المدني أن يسطر يده على مجاط . فكان مبارك ممن فازم حيناً . فرجعت اليه اطراف مجاط للاعانة بعد ما انحاش بعضهم الى القائد المدني . ثم طلبت منه غرامة فضمنه القائد مبارك البنيرائى الا ان أمرها لم يتم كما بين في ترجمة القائد المدني . وقد كان الشيخ النعمة نزل عليه فرحب به مع حاشيته ، منذ خرج من (ورجان) وقد ظهر ولد مبارك الفقيه سيدى أحمد . فصار يقوم مقام أبيه الذى شاخ ، فلزم داره . وقد جاء الاحتلال وهو على ذلك . فطال به ، لعمر الى أن مات عن 117 سنة فيما قيل .

كان عاقلاً متّزناً الرأى . وبهذه انيزة كان يحل تشيرا من الامور ، منها هدنة بين السملالين والايقشانين الانفيين . فقد كان الحاج ابراهيم يساند صهره الباشا بن عابد بن صانع من (اسيف مقثون) - الوادى الكبير - تزوج بنت الحاج ابراهيم . وكان هذا يرفع من شأنه . ويفضف اليه اهل (امانوا اذار) وقرية (ايمولا) وقرية (اونزات) وقرية (تاكاشوين) فلم يعجب ذلك الرئيس أحمد ابن الحاج ابراهيم . وقد صار يأخذ بيده زمام امور القبيلة . ثم لم ينشب الحاج ابراهيم أن توفي 1333 هـ . فتفاقم ما بين أحمد بن الحاج ابراهيم وبين الباشا . حتى أدى ذلك الى حرب بينهما . وقد تفرق عليهما السملاليون . وحين كان أحمد صاحب حيل لطيفة أوغر الى اصحابه المجاطيين . فأتوا بمبارك الرخاوى الى السملالين ، ليصالح بينهم ، كانه أتى بنفسه لا بايعاز من أحمد . فدخل من مخرم سوق الجمعة . ثم وصل الى (ايغشان) عند المدرسة . فحين رأى كثرة اللوز ، قال : ان هذا اللوز هو سبب هذه الحرب . ثم جمع الشمل بين الفريقين . بعد ما عجز عن ذلك غيره . واما ولده الفقيه أحمد فانه تخرج بالاستاذ المحفوظ الادوزى ، ثم صار رئيس (ايت رخا) ثم بعد الاحتلال صار قائدهم . وهو كريم متدين ملازم للمرأة فياض بالكرم . وقد بارك الله له فى ذات يده . وبعد الاستقلال كادت السيول الجارئة لامتانه تجرفه الا أن الله سلمه . ولا يزال الى الآن : 1380 هـ فى حسن سمعة .

وابن عمه الفقيه الحسين بن على من الذين أخذوا عن شيخنا سيدى الطاهر وعن ابنه سيدى محمد . ثم شارط حيناً فى مدرسة . ثم توفى قبل الشيخوخة ، وقد قال فيها المؤرخ ابن الحبيب :

« ومنهم العلمان المشهوران والاخوان النيران الفقيه سيدى أحمد بن مبارك أبى الطعام الرخاوى وابن عمه المتوج بتاج التكريم والمتحلى بحلل التبجيل والتعظيم العلامة البدر الفهامة : سيدى الحسين بن على أبى الطعام الرخاوى . وكان كل من هذين السيدين الجليلين خلد فى صحائف تلك الديار مآثره . ونشر فيها مفاخره . الا أن الاول منهما انتظم فى سلك السوالة والاعيان ،

فصار واليا على من بتلك الديار من السكان . وما ضاعت فيها وظائفه ولا مناصبه ، ولا ضعفت فيها جوانبه ولا مراتبه ، مع سخاء وافر وأدب باهر . وإخلاص وسعت الناس ، وأزالت بجوانبه الباس ، أدام الله في الخيرات مهجته وأبقى في الناس حلتة ، وأما الثاني فقاطن حتى ليس له في حل العويصات ثاني ، فاضل جرى في بساين فضله ، فوقف دون مداه حسدته ، لحذقه ونبله ، فطما بحره ، وارتفع قدره ، وزهر عمره . فتأز في العربية فصاحة نجد ، واقتنص أو ابد المعارف فأنجل به لسحره فرند . فمعمل أمورها عليه ، ومنصرف وجوها اليه ، حتى أصبح حاله حاليا ، وحظه مرتفعا عاليا ، وقد حضرت مجلس إفرائه يوما للنحو ، فأعجبني ذكاؤه ، فلم يترك شاذة ولا فاذة في الاعراب الا استحضرها مع تلامذته . حازما مجدا وفاح عنبرا ونلا . والله جميل يحب الجمال ، والدهر يسعده وان كان علوا لاهل الكمال .

عطاء ولا من . وحكم ولا هوى وحلم ولا عجز ، وعز ولا كبر ومجده عصامي ، وأخيرا دخل باب العدالة . فصار يحضر مجالس الحكومات عند فصل الخصوم ، ويتولى القسم للإملاك ، حتى توفاه الله .

اقول توفي آخر سنة 1370 هـ .

أمغار محمد المجاطي

نحو 1225 هـ - 1322 هـ

نسبه

محمد بن محمد - فتحا فيهما - بن مسعود بن علي أوباهما . تركه أبوه في بطن أمه . ولذلك سمي باسمه أمغار محمد هذا . كان من حسنة (أيت علي) في أيامه . وممن تأسست رياستهم على أسس متينة راسية . من كرم ودين وخلق وحسن عهد . وحفظ ميثاق . مع حسن صمت يتحلى به بين أقرانه يوم ينتدون . كان كثير الصمت في المحافل . فلا يكاد يتكلم حتى يرى أنه يصيب الهدف . فيلقى كلمة واحدة - فتقطع جهيزة قول كل خطيب - حتى عرف في قومه باصالة الرأي . وقرطسة الغرض . والابتعاد عن السفساف والدنايا في المقاصة . فاولته قبيلته الرياسة العليا عن جدارة . فكان أمغارا لا يتجاوز بالاراء . ولا يبرم امر بدون أن يكون له فيه نصيب نظر . وهذه الرياسة التي تكون في هذه القبائل في ذلك الوقت رياسة طبيعية . لا يتزوج بها الا هن كانت له في القلوب مكانة مكيئة . وسبقت له سوابق وإياد على قومه . يعرفها له أقرانه ، ويشكرونه عليها . فيجعلون هذه الرتبة علامة شكر ينبعث من أعماق القلوب . فلا استبداد . بالرأي ، ولا تفوق على الأقران ، ولا عنجهية بالآوامر والنواهي . بل لا بد لمن كان في هذا المقام أن يضع نفسه في منزلة خادم قومه . يصدر عن أغراضهم . وأن كان يظهر لمن كان لا يدرك الحقائق أنهم هم الذين يصدرون عن غرضه . ويكون تابعا في صفة متبوع .

كان أمغار محمد كريمة مفضالا . لا يعرف من ماله الا ما يهيئه للنازلين والمعتفين . فتراه اذا كانت القبيلة تفرق أضيافا المتوا بساحتها . أو جيشا استجاشت به لتنفيذ المنابر التي تريد أن تحتجى بها النصر من متن الحديد الاخضر . يقف وأهاليه يذهب كل واحد بما قدر عليه من الأضياف ، حتى يبقى خمسون أو ستون فارسا ، فيقودهم هو الى رحله مستبشرا بساما . فيعلف الخيل بالشعير . ويدور على الفرسان بالجفان المكللة بأطيب اللحوم . لا يمل من ذلك ، ولا يزداد في ذلك الا كرمه على كرم . وقد كان له ازاء ذلك أولاد مغاوير أشداء ، صحاح الاجسام . يجرون يميننا وشمالا ، فيقومون

بالحرق والكسب ورعى المواشى أحسن قيام . فبنسبتهم إلى دار والدهم
 سيولا متدفقة من الخيرات من وراء جريهم المتواصل ، وكدهم الذى لا يسام .
 ومن لا كسب له فلا كرم له . ثم أنه قبل أن يدركه ولده القائد سعيد
 كان قرّة عين لفخذ (ايت على) خاصة ، ولقبيلة (مجاط) عموما . حيث
 يدير بيده الحكمة دفعة للسياسة برفق وهوادة وحكمة . ومخالفة للناس .
 ومداواة الاقران . ثم لما أدركه ولده القائد سعيد على رأس هذا القرن ، وقد
 توصل بظهور القيادة من السلطان مولاي الحسن ، صار الولد يمشى مشية
 الناقة العشواء . فلا يبال ولا يدارى ولا يخالف ، مع أن يده صفر الا ما كان
 من الظهير الذى هو حبر على ورق لا غير فى تلك البيئة - فكان والامانى
 تحفزه والقرارة . يتخطى الحدود . فثارت بسبب ذلك بين (ايت على)
 و (ايت موسى) فتن ومشاجبات وحروب . كان الشيخ الالفى يراب منها
 ما استطاع ، ويجعل العقد باناته وحكمته ، ووعظه المؤثر . حكى لى ان حربا
 قامت مرة بين هاتين الفخذين بسبب أمور أعظمها ما أثرته يد القائد سعيد
 الائمة الظالة ، فبقى الشيخ اثنين وعشرين يوما ، وهو يجرى بينهم
 بالصاح ، ويسعى غاية السعى ، لشعب الانصداع ، حتى تقارب ما بينهما .
 فتواعد مع رؤساء (ايت موسى) أن يجتمعوا مع رؤساء (ايت على) ليتناولوا
 هم بأنفسهم ما بينهم . وليتعاونوا على حل العقدة ان أزالوا بينهم سوء التفاهم .
 فجاء الشيخ يقدم الرؤساء العلويين ، وبينهم أمغار محمد ، ، وهو على رمكته
 يسير وحده ، ويده سبخته . والوسن يرتق على أخطائه . ورأسه فينة بعد
 فينة يهوم تهويمات خفيفة الى الامام . فصار من معه يتناغونهم ، ويقمز
 بعضهم بعضا عليه ، فكانهم يتكلمون فى ذلك ، فسمعهم الشيخ وهو يقدمهم
 على بقلته امام . فالتفت فقال ما ذاك ؟ فقال له قائل منهم : ارايت أمغار
 محمدا وما هو فيه من عدم الاهتمام ، حتى صار ينام فى هذه الساعة التى
 تطير فيها القلوب فرقا . وترفرق فيها النفوس فرعا . كان الامر لا يهمه .
 او كانه ابله مغفل لا يدري الى أين يسير الآن . فقال الشيخ : دعوا أمغار
 محمدا . فانما وقع فيما وقع فيه بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يوم أحد حين ألقى عليهم النعاس . فأنى الله عليهم : وندد بالآخرين
 الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . كما ذكر ذلك فى القرآن . ثم
 وصل الشيخ بهم الى خصومهم ، فانتدب كل فريق يلقى ما فى ضميره .
 فكان كل ما اشتكى منه الموسويون قضايا ظلمهم فيها (ايت على) وغالبها من
 تأثير يد القائد سعيد . ثم ما انقضى المؤتمر حتى ردت المياه الى مجاريها .
 وتعانق الفريقان فى قصة طويلة تتعلق بالشيخ الالفى مبسوطه فى كتاب
 « من أفواه الرجال » وهو أولى بها من هذا الكتاب .

وكان أمغار محمد هو مستند اسرتنا نحن بـ(الخ) حيث اتخذها جدنا أحمد

ابن محمد هو الحفير الذى بنود عن الاسرة . فكانت دارنا بـ (الخ) منزل
أمغار محمد . كلما اعمل رحلته الى تلك الجهة ، فحافظ ايضا مع الشيخ على
عهود السلف ، حتى أن ولده القائد سعيدا بعد ذلك لا يزال يراعى وينافح
فيما يزعم ، وكذلك كان مع الرئيس الشريف سيدى الحسين بن هاشم ، فلا
يكاد أن يختلفان الا ريثما يقضى أحدهما غرضاً شخصياً فى بعض الاوقات من
بعض اجانب . ثم لا يلبثان أن يرجعا الى ما كانا عليه . ثم أن أمغار محمد
بعد أن أسلس لولده القائد سعيد . وألقى اليه عنان سياسته ، وارخى له
كل ما يريد . اداه ذلك الى أن خالف ايضا اخوانه (ايت على) أنفسهم
فقاموا الى داره فحاصروها ثلاثة أيام ، وقد انحاش اليها بعض من لم يسلم
منهم فى الاخوة ، وعظفته الرحيم . ثم أفلت ليلا مع ولده القائد سعيد فغربت داره ، حتى
لم يبق منها حجر على حجر . وذلك فى أواسط 1315 هـ . ثم لم ينشب
الكلوى أن مد ظله على ما فى اخبار القائد سعيد الكلوى ، ومنذ هذا الحين انزوى
صاحبنا المترجم فى رحله . وأقبل على شأنه . والناس يتناجون بأن كل ما
يصنعه ولده كان عن رضا منه . وايا كان فانه نفى يده من السياسة ظاهرا .
وليس له فى كل وقائع ولده من أيام الكلوى الى أن مات أية جولة فى المجامع
بين رؤساء القبيلة ، وان كانت تؤثر عنه كلمات ينصح بها ولده . ويريه
به كيف يسود . وقد قال له فى اواخر أيام انفلوس : ما دمتا لم تهدم قرية
(بيعلائش) فلا تطع أن تستقيم لك (مجاط) توفى المترجم 1322 هـ .
ودفن فى مقبرة (اد الحافر) عند قبور أسلافه . هو وزوجه ، وكانت
هذه وهى أم القائد سعيد ايضا ممن يتدينن ، حتى انها كانت لا تتناول
من مخزن دارها ما يطحن من زرعها الا بعد أن تتوضا . كان ذلك قبل أيام
ولدها . ثم أتى الوادى فطم على القرى . وقد ماتت هى وزوجها فى عام
واحد ، ولم يكن بينهما الا أيام قليلة . كنت حررت ما تقدم عن اناس . ثم
اتصلت بولد المترجم الفقير ابراهيم بن محمد فاستفدته منه ايضا ما يأتى :

سبب تولى أمغار محمد رياسة (ايت على) أن المجاطين كانوا حاربوا
البغليين محاربة عنيفة دامت سبع سنين . ثم حاربوا ايضا حربا اخرى
مثلها فى (أدای) فرجعوا وايتروا فيما بينهم أن يجعلوا رئيسا منهم
يشولون الى رايه ، ويصدرون عن حكمه ، ويكون بمنزلة قطب يدورون حوله
كما فعل (اد بتيران) حين أقاموا الشيخ احمد رئيسا عليهم . فبينما هم
يأتمرون اذا بسيدى الحاج محمد بن ابراهيم أعرجلى : قد نزل بالسنه مع
تلاميذه فقصده يستشيرونه تبركا برأيه . وتبنا بأشارته . فزارهم محمد
ابن محمد هذا . وقد كان له أخ عفيف صالح يسمى سعيدا ، فعاتب اخاه
على قبول هذه الرياسة ، وقال له لقد استأصلت جلورك وجلور أولادك ،
منذ الآن ، ولكن أمغار محمد قال له ان هذا السيد المبارك عينتى ، وما كنت

لاخالف رايه ، واتجاوز اشارته . وكان هذا نحو 1260 هـ . فهذا أول امره . وقد ذكر أن سيدى الحسين بن هاشم كان فى حين معتديا على (مجاط) ومن اليهم بواسطة موسم (تازاروالت) حتى ادى ذلك الى أن ألقى القبض على القائد سعيد بن محمد نحو 1302 هـ . فشار أمغار محمد دفعا عن كرامته فميد يله الى (اداوبقيل) أعداء ابن هاشم ، فكادوا يقوضون (ايلغ) لو لم يرسل ابن هاشم من سفر بينهم ، حتى رجعت المياه الى مجاريها . فثابت (مجاط) الى ابن هاشم فى صف واحد . فكانت الحرب المشهور بحسب (تائمدا ايرغتمان) سنة 1304 . بتازاروالت مع سيدى محمد بن الحسين ابن هاشم حين زحف البعقيلون ليهدموا (ايلغ) فتأفج نحو ستين فارسا من الصحراويين ، كانوا فى (ايلغ) دائما اذ ذاك ، حتى جابت (مجاط) فانهمز البعقيلون هزيمة منكرة . القوا فيها كل ما معهم من السلاح فى تلك الغابة . حتى ان النساء الحاطبات ليقعن على البندقيات فى ذلك المهمه طوال سنتين فيما تقول الاحاديث .

وقد ذكر لى أيضا كيف خرج صاحب الترجمة مع أهله جالين عن قريتهم (ادعلى اوبها) قال لما اقبل الكلولى ونزل بـ(ترزيت) ارسل ثلاثة جيوش: واحد يطلع من (اداو-بعقيل) وقد فتحوا له الطريق اذ ذاك حين تكفل لهم قوادهم كالقائد على الكردوسى وغيره أن لا يعطوا درهما . والثانى طلع من (ايفير-مكلوان) والثالث من (الاحصاص) بينما تنهيا هذه الجيوش طلع قبلهم احمد بورنغا مع ستين فارسا . فنهبت قبيلة (ايت واقفا) فى خبر بين فى ترجمة الحاج ابراهيم الايفشانى فى (القسم الثانى) ، ثم ايتمر الموسويون اذ ذاك - وامغار محمد غائب عنهم فى ايت واقفا ، والقائد سعيد فى الزغار - أن ينهبوا دارهم فى (ادعلى اوبها) فجتمع الموسويون قريبا من الدار . فانسل بعض من يسير سبر امغار محمد فانلر أهله . فاذا بالدار ليس فيها الا النساء فقط . فاطلقت الطلقتان اللتان هما علامة الخوف . فابتدر بعض اصحابهم فعمر الدار . ثم أن غنهم فى (امتقسي) مع ابراهيم اخيهما هذا الذى يحكى لى هذا الذى اكتبه عنه. ثم انقض عليها أيضا الموسويون فذهبوا بها . ثم جرى هذا الى الدار . ثم جاء ابوه واخوه ، فحاربوا فى الدار . وعندهم رؤساء من (ايت على) فاجتمع مجمع المجاطيين فى (فاتنقى) فقرروا ان يهدموا فى الغد ديار الذين ييقون مع أمغار محمد وولده القائد سعيد . فسرى الخبر الى هؤلاء. فقرروا هم بلورهم أن يخرجوا ليلا، وبتروا الدار . فقالوا لان تهدم دار واحدة أولى من أن تهدم ديار كثيرة ، فخرجوا بين العشامين ، قال الحامى فخرجت الى (الغ) لالتجى الى شيخنا سيدى الحاج على ، ليقف على الدار حتى لا تهدم ، فمر بالفقيه سيدى على بن عبد الله . فركبا بغالهما . فلقيا فى الطريق من قال لهما ان الدار لم يبق منها حجر على

حجر . وكان هذا كاذبا اذ ذاك . ولكن المخبر يريد بذلك ان لا يذهب من هذين من يمنع من هدم الدار . فرجع الشيخ والفقير ، فمال المجاطيون على الدار . فغادروها قاعا صلفا . ثم جاءوا الى (الخ) ليتحككوا بالحاج ابراهيم الذى هو من اوتاد امغار محمد . فقالوا لا نجد ما نرزاؤه به الا الاستيلاء على (تانكالترا) فاطلقوا خيولهم الى حصنها . فحارب أهله دونه ، حتى اغاثهم احمد بن الحاج ابراهيم فى مائة . فدخلوا الحصن من جهة (السخ) فارتد هؤلاء على أعقابهم . فاجتمعوا فى (والتكوت) فى مجمع ضخم . وفى ذلك الحين اتصلوا بخبر الحاج احمد بن محمد الكلولى انه نزل بـ (الاخصاص) وانه يقصدهم ، فنادوا بالنفير العام ، فاجفل الناس جميعا الى (تانكالترا) يخسنان حيث انهزموا ، فركبتهم الحكومة بجيوشها ، واستولى القائد سعيد ، فصار يبنى (تانككالت) فكان الامر للولد . وانسحب الوالد امغار محمد ظاهرا . هذا ما حكاه لى الفقير ابراهيم ، ذكرته مختصرا ، رحم الله الجميع . وابراهيم هذا فقير وقيصر اليوم 1356 هـ . مسن يرحمه كل من يعرفه .

هذا هو امغار محمد معاصر على نبوهوش واقرانه . العمر نحو مائة سنة . وكان من امائل اهل زمانه تعففا وتكرما وتدينا ، رحمه الله . وبموته انقضت الرئاسة فى دارهم . فان ولده القائد سعيد الجبار العنيد الذى ابدى واعاد فى اهلاك العباد ، وتخريب البلاد ، قد جلا عن (تانككالت) فى تلك السنة نفسها . ثم لم يزل فى غربة ودوران وترام على الحكومة ، الى ان اختتم عمره بترام على الفرنسيين يوم احتلوا (مراكش) فرجع ليشوش على المجاهدين من السوسيين . فاعتقل فى (هواة) ثم اخذ منه الثار اهل ابنى الطعام الرخاويون الذين كان قتل عليا اخا مبارك ابنى الطعام فى ايام جبروته القاه فى ذلك الجرف الذى ازاء (تانككالت) على عادته فى الذين يعدنهم وقد مكنه منهم الهيبة ، بعد ما جمع المجاطيون لذلك ما قدموه للهيبة ، وقد استوفينا اخباره فى محلات من كتابنا « من افواه الرجال » فلنكتف منه بذلك وقد قتل فى حدود 1331 هـ .

واما الفقير ابراهيم فانه تاخر عمره الى ما بعد 1360 هـ « فتوفى بعد ما تملى من الاذكار ومن الفقر معا ، فسبحان مقلب الاحوال .

علي نبوهوش المجاطى

نحو 1225 هـ - نحو 1313 هـ

كان من اولاد فخذ من (اد بوبكر) من (ايت علي) من (مجاطم) اواخر
القرن الماضي وافتتح هذا القرن من اقران امغار محمد - فتحا - والرئيس
الحسين بن الحاج الايتكورتانى ، والحاج الحسن ازكوك . وابراهيم بن
الحسين الوهاوى . والفقيه على المشهور ببولنهات . هؤلاء هم رؤساء
(ايت علي) فى عصر واحد . فهم الذين يرمون وينقضون . ويصدرون
ويوردون . وكان اذ ذاك الشريف سيدى الحسين بن هاشم التازاروالى فى
عنقوان قوته . وفى علو كلمة انبسطت بها يده على هذه القبائل المتاخمة
لـ (تازاروالى) من جميع الجهات . فكان لمجاط وهم معتمد الشرفاء الهاشميين
من قديم اليد الطولى فى كل ما يزاوئ فى (ايلغ) عاصمة الشرفاء . حتى
انهم ليمهدون لهم بعض القبائل التى هى مستضعفة ، فيجوز لهم منها
المغارم . ويوظفون لهم عليها الاتاءات ، فقد كان مرابطو (تاغلولو)
اولاد سيدى محمد بن يدىر من هؤلاء المستضعفين الذين لا يقدر ان يلودوا
عن نفوسهم ولو ذبابة ، متى حامت منهم حول الاماقى . فحبا منهم سيدى
الحسين بن هاشم خمس ريات لكل كانون . ثم مدت تلك الحباله نفسها لقبيلة
الوافقوين الذين كانوا ايضا بمجاورتهم للمجاطيين العفاريت . لا يقدر
ان يقاوموا اى يد تمد اليهم . متى كانت لها صولة وجبروت . فكادوا
يؤدون ما ادى السابقون . وكان على نبوهوش هذا وبعض الرؤساء المذكورين
ممن قاموا فى ذلك . وزاروا وسلوا سيف ابن هاشم العضب فوق هامات
الوقفوين المساكين . وارادوا ان يزحفوا مع جيش لفقته الشريف من
البحرانيين والبعقيليين . والبعقيليون اذ ذاك لا يزالون والشريف يسرون
سيرا واحدا . ولما يتفاهم ما بينهم . ولما يدقوا بينهم عطر منشم . ثم دب
الخلاف بين رؤساء (ايت علي) هؤلاء فانبعثت منهم طائفة لمناصرة الوقفوين ،
يراسها الحسين ابن الحاج المذكور . فلما عزم امغار محمد ان ينزل الى
(تازاروالى) ليقود الجيش المجتمع فى (ايلغ) تمارض على نبوهوش ، حين
راى انصداع صفاة (ايت علي) فقال لامغار محمد : لا تطلع بالجيش من جبل
(تانجكالت) لئلا ينقض عليكم هؤلاء المناوئون ، وانتم تسلقون من
الثنية . فطلع امغار محمد بالجيش من الثنية التى فوق (تاوونرينت ايفغلال)

فنزّلوا في (ايت بنودنريم) وسط فخذ (ايت علي) هؤلاء المنشقين وعلى الرئاسة العليا في الجيش الشريف سيدي محمد بن الحسين بن هاشم . وفي الجيش سوى من ذكرنا السملاليون الذين ينضوون دائماً الى الشريف الحسين بن هاشم وقلما يفترقون أسرته منذ القديم . لما بينهم من الرحم . ثم تجمعت شيعة الحسين بن الحاج الايدكوراني لصدها الجيش والحسين اذ ذاك غائب في تطلب من يعينه وشيعته في مقاومة هذا الضيم الذي اراد هؤلاء ان يلقوه على الوافقواوين الساكنين . ثم تداولت شيعته الامر . فقالوا : ماذا تنظر بهؤلاء منذ الآن . فانقضوا على الجيش . فقامت المعركة ففجندل فيها اليزيد العروسي احد رؤساء السملاليين ، ومحمد بن حمو الملقب باكيرار الوانكصاني البعقلي . وفي الحين طلع الحسين بن الحاج بمن وجدهم من المعينين . فجال الناس وماجوا . ثم ولى الجيش الايليقي ابداره ، ونجا من فيه برأس طمرة ولجام . هكذا تمارض على تبسوهوش ، ولم يحضر لا مع هذا الفريق ولا مع ذلك . ولعل ذلك يدل على سياسة ودهاء ، واما الجبن فما كان ممن يتدبره . بل يخوض الحرب العوان مع الخائضين . فقد جرح مرات ، مرة في (تامانارت) ومرة في (اكتماض اوساكتا) ومرة في (تازاروالت) وجرح في غير ذلك . وقد اصابته في بعض المعارك رصاصة يوما فطارت ببعض شفته العليا فبرئى فوه على عوج . وكان من الاركان التي يعتمد عليها الحاج ابراهيم الايفشاني طوال حياته . كما كان ايضا في مثل تلك المثابة للشرفاء الايليقيين .

كان مرة في ميادي امره نحو 1261 هـ . في وادي الساموكتيين . فلذا به سمع أن الشرفاء القواد التامانارتيين قتل بهم أولاد سيدي محمد ابن ابراهيم الشيخ . فكان من الذين اغاثوهم . وهو اذ ذاك لا يزال شابا كما قام بنفسه فكان يجول مع شباب مجاط على عادتهم من هنا الى هناك . فكان ذلك سبب حضوره في تلك الهيئة التي سمعت انها كانت احدى المعارك التي تكون بين الفريقين ، وكان ممن حجب اليهم ان يقضى بين الخصوم بالعرف وان اصطدم والشرع . فكان الشيخ الالفي يقول للمجاطيين كلما كان يخاصمهم ويعظهم ويريد ردهم الى الخير : انتم لا تریسون الا شرع على تبسوهوش . يقول ذلك تنديدا وتحذيرا ، واما أخلاقه فقد كان شجاعا كما ذكرنا ، غير انه مسيك . فكان بينه وبين قرينه أمغار محمد - المذكور قبله - في ذلك بون بعيد ، فبينما هذا يرفل في مطرف حاتمي ، اذا بذاك ملزوز بأغلاله في خلق مادر وامثاله . واما عهوده وموائقه فكما كانت عهود غالب الرؤساء من غالب المجاطيين الذين يدورون مع الرياح كيفما دارت ، وكان كرازة يده استمدت من حزونة أخلاقه ، فكانت له خلائق لم تكن مما يرتضى فيما يحكى . فقد قصده مرة الشيخ سيدي سعيد بن هو المعنري مع طائفته

لارشاده الى الخير ، فقابلتهم زوجته ورحبت بهم . ثم لما جا' على ووجدهم فى بيته ، كاد يتميز ، لولا ان قرينته هذه الكريمة ، كففت من غربه . ثم لما سمع من مواعظ الشيخ . ودب بعض الليونة والركة الى قلبه ، قال له : بالله عليك يا سيدى الا ما ارغمت امثالى على سماع هذا الخير . فان امثالى فى واد ، وهذا الخير فى واد آخر . ثم بعد ان جال ما جال بين القنا والقواضب . وغادرته المعامع وليس منه جانب لم تنشب منه رصاصة . فاضت نفسه على فراشه . ومات كما يموت البعير . فلا نامت اعين الجبناء . كما قال خالد بن الوليد . وله اخبار كثيرة تقتصر منها على ما ذكرنا . وقد خلف ستة ذكور اشهرهم محمد والمحموظ وسيدى بريك . وبنت غريبة فى بنات جنسها . تسمى ما مئاس ، كانت تغوض ايضا مع الخائضين فى السياسة .

الحسين بن الحاج

الأيديكوراني المجاطي

قبل 1240 هـ - قبل 1295 هـ

ولد من أوتاد فخذ (أيت علي) ممن أدرك الرياسة بكرمه . كانت له
فلاحة تسمعة . وعبيد ومواش ، فبسط سيطرته لمن كانوا أكبر منه من
رؤساء قبيله . فكانوا يتخلون داره دار الندوة . فيها يرمون وينقضون .
ويصنعون البرامج ، والحطط التي يرسمونها لكن قضيه . توجهت اليها انظارهم .
وارادوا أن يديرز دفتها وفق ما نهب به ريجهم ، ان حقا او باطلا . فكان
احسين يسعد اراءه على حاسية سيطرته . ففزع له المسامع . والمواند بويده .
والجدر بدلى بحجج لا ترد . والبصون شهود ، والامعاء بقول هذا هو احكم
المسقط . فحدث ريسه مريكة اولاً على هذا . ثم لم يكن الا عشية وصحاه
حتى زامم بن هم اقران ابيه . فصار بدرره يجز النار الى فرسه . وكان
ابوه رجلاً عاقلاً سائناً التامة . ممن حجوا بيت الله احرام . وما كان يحوص
مع الحاضرين . ولكن رده نبغ في ذلك نله . حتى كان الرئيس الحسن
أزكوك وامغار محمد . زمن في قرنهما ممن يحسبون له الف حساب . وقد
انصل الحسين في ريق شبيبته بالسيد البركة سيدي ابراهيم بن سليمان
الانفي فراه وهو أعور . فدعا له ان يجعل الله بركة اعين ادايه في العين
الباقية . ثم انه كان ممن يشتغل بالسياسة الداخلية من وسط القبيلة . ولا
يكاد يتعداها . ولا كان يشرئب الى الخارجية ، كما كان اقرانه يصنعون .
وهو الذي قاوم الشريف سيدي الحسين بن هاشم حين اراد أن يجبي المغارم
من الوفه ويمن فيها له شيعة تعينه . وكان هو في فريق المناوئين رئيساً .
وكان امغار محمد الرئيس العلوي في الفريق الآخر الذي يعاون سيدي الحسين
ابن هاشم في ذلك . وقد استدعاه اذ ذاك الشريف المذكور الى (ايليغ)
ففرح ذيل قطيفة كان تحتها مال مكرم . فقال للحسين : تناول هذا .
وكن لي خير معين في هذه القضية . فاستنكف من اخذ الرشوة عما كان
صمم عليه . فركب فرساً جموحاً في هذا العزم . فأبى ان يخنى هامته تحت
طمع هذا الممنود اليه . ثم انه قاوم جيش ابن هاشم في (بنومريم)
فهزمه ومن كان معه . فكانت كلمته هي العليا . فنجت قبيلة (ايت وفاقا) وما
كادت تنجو ، لولا هذا البطل المغوار . وقد كان أيضاً يستنكر مقرماً جباه ابن
هاشم قبل هذا الوقت من ماربطة ايت (تاغللو) ولكن لما كان

التاغلولوثيون ممن يمد عليهم نفوذ (اداو-بغفيل) لم يكن له في ذلك ما يفعل . فكانت هذه الواقعة التي نفذ فيها رايه على رعم الاسوف . وقاوم فيها الاسد الهصور ابن هاشم . دح تل من انحاش ابيه من رؤساء مجاط ، هي المنارة التي علا فوقها علمه الخفاق الذي يشاهده كل أحد . ثم بعد ذلك علا كعبه . وانفي جانبه . فلا يحترش له ضب بعد ، ولا يقع به بشتان . وكان ممن انتصروا للاشكر الايعنسانى . وايت ييبورك في احرب المشهورة بينهم وبين السملالين ، وقد كان له من الكرم - كما ذكرناه - احاديث تطيب بها النواحي وتشنف بها المسامع ، فقد ذكرنا ان ذلك هو سبب نبوغه بين رؤساء قومه بعد ان لم يكن ما شاء الله شيئا مذكورا ، ولم يكن يطمع من مال أحد . ولا كان يتمصص ما يتمصص منه الرؤساء اقرانه . فلا يطمع الا من كد يده ، فجعل الله البركة فيه . حتى كان اغنى غنى في قومه . وكان يلمره يدرى ما يناهز اربعمائة غرارة فاكثر دائما ، مع رباط خيل متعددة بين ذكورها واناثها . وقد كان من عادته ان يستدعى طلبة القرآن ليقرأوا له ختمة في كل اسبوع من اسابيع رمضان . ثم بعد موته حافظ اولاده على هذه العادة المستحسنة ففرقوها على حساب موارثتهم ، فكان اولاده ثم احفاده الى الآن في كل اسبوع من اسابيع رمضان لا بد من استدعاء الطلبة عشية آخر يوم من الاسبوع لذلك . ثم يفيضون عليهم من الخيرات ما يفيضون . ثم انه بعد موته حثف انفه خلف خمسة ذكور : محمدا ، وعلي ، وابراهيم وبلقاسم ، ويريكا ، فكان الصيت لبلقاسم وعلى . فكانا ايضا من الرؤساء كان الثانى اولاً ، ثم تبعه الاول . وكان على هذا متدينا حسن الاخلاق . كثيرا ما يزور الشيخ الالفى ، ويذكر انه شاهد منه امورا خارقة للعادة ، فيذكرها كرامات له . وقد زار الشيخ بعد رجوعه من الحج سنة 1306 هـ . فى (الف) فقال له الشيخ : اننا ما تدنا نسافر حتى اثرتم ما اثرتهم ايضا بينكم من الفتن . وانكم لتثيرونها هوجاء قاصفة ، ثم لا تدرون ما يتبع ذلك . ثم مات قبل 1310 هـ . ثم خلف هذه الطبقة فى الرياسة ولدهم على ابن محمد الذى يسمى اليوم (على ايشلحين) وهو اليوم أشهر من نار على علم . وهو رئيس اخوته (ايدكوران) الرسمى ، بعد أن امتدت يد الحكومة الى تلك الجبال 1352 هـ . وقد تنا ونحن صغار نسمع بذكره يروج كثيرا فى الاندية . ونراه فى مقدمة الرؤساء المجاطيين الذين يديرون دفة فيلنتا المستضعفة مع صفر (الف) الحاج ابراهيم الايغشانى ، وكان ممن يبدنون ويعبدون فى كل ما يخوض فيه المجاطيون قبل عهد احمد الهيبة وبعده ، تكون له الصدارة دائما . وبعد من أركان الندوة الجزولية فى سنى الكفاح من 1330 هـ الى مغتتم 1352 هـ . وهو أحد الذين ابرموا مع الجنرال (لانسوط) على يد الكلاوى ، تلك الهدنة المصطنعة 1335 هـ . ولم يكن بمصون فى امتصاص

أموال المستضعفين، اشتهر بذلك عند كل أحد . وقد يغيب العهد في حلفائه
ببراهم معودة . وله بالاستاذ على بن عبد الله اتصال كبير . يقف معه في
فصل النوازل . وفي الوساطة بين أهلها حتى يصطلحوا أو ينفذ الحكم على
المحكوم عليه . وكذلك كانت له عروة وثقى مع استاذنا سيدى الطاهر بن
محمد التامانارتى . وأظن أنه من يده تلقن الطريقة الاحمدية التى يحافظ
عليها دائما . ثم له وراء ذلك اذكار يقوم بها صباحا . ولا يمكن ان تطرقه
سنة منذ الاستيقاظ مبكرا حتى ياتى عليها . وقد عركته المراقبة بعد
الاحتلال عركا شديدا ، فيسجن ويمتنع ، مع ما كان له فى اوله من ظهور .
ثم امتد به العمر الى أن جاء الاستقلال ، وكاد يرفع رأسه لولا أن رأى أن
ذلك غير ممكن ، فانخس ، الى أن رثم العهد الجديد . فما هو ذا الآن سنة
1380 هـ . مستكين مسكين يرحمه اليوم من كان يغبطه أمس . والدهر قلب .
حفظنا الله من عواقب السوء . ولا ريب أنه وجد بركة ما فيه من ناحية الخير .
فمال اليه فى آخر عمره ، والله لطيف بعباده .

أحمد أوبخيس المجاطى

نمر 1270 هـ نمر 1320 هـ

نسبه

أحمد أوبخيس بن أحمد

كان أوبخيس بن أحمد قطبا من أقطاب (أيت موسى) . وشجعنا من شجعانهم في القرن الماضي . فكان دائما من الرؤساء الذين يتقدمون باندتهم وبخوضهم للمعارك . فلم تسوده قبيلته عن كلاله ، ولكنه يحمي حماها ويتنقى اذاها ويرمي من رماها بمنصب . فما زال يسدى ويلحم ، ويتنقى ويرمى مع اقرانه من (أيت موسى) حتى سقط في بعض الحروب ، يغلب على ظن من حكى لي أن ذلك في حرب بين (ايت علي) (و ايت موسى) وذلك نحو 1290 هـ . ثم تولى مقامه ولده الأكبر محمد أوبخيس ، فكان نظير أبيه كرما وبسالة . فعلا المكانة التي غادرها والده بكل ما تتطلبه من الكفاءة ، وكانت الفلاحة والاملاك التي لهم بوادى (تانكرت) وحظائرهم التي تعج بالغنم تدر عليهم ما يقابلون بهم كل صادر ووارد . وكانت دار أوبخيس وولده محمد في قرية (بويغند) هذا والحروب بين (ايت علي) و (ايت موسى) لا تفتقر . وبينما هو ذات يوم في مداعسة بينهما اذ تردى أيضا بين الصفوف وقد وصف لي من حكى لي هذا الخبر وهو من (ايت علي) أنه كان يعمل عليهم . فاذا به قد أصيب برصاصة . فمال عن السرج حتى وصل الأرض . ثم تجارى العلويون الى الفرس . فتجامل حتى اتصل بعنقها . واداد أن يركبها ليفر ، فرماها رجل من العلويين أيضا برصاصة . فأفقت الفرس على رجلها الخلفتين ثم سقطت . فتجارى اليه الموسويون اخوته فمنعوه ، ثم لم ينشب بعد يومين أن مات ، وذلك نحو 1300 هـ . ثم تولى اخوه أحمد . فكان هو واخوه الحسن رجل طعان ورأى . ثم تفاقم أحمد هذا مع (ايت بوهيا) حول رئاسة (ايت موسى) فكل يريد أن لا يعلى كعبه . ولا يستأنف رايه . فكان ذلك هو سبب افتراق (ايت موسى) فيما بينهم . فكان (ايت بوهيا) يستعملون اليهم (ايت علي) ورأس (ايت بوهيا) هؤلاء يسمى حمو . فكان هؤلاء يغلبون أحمد أوبخيس بذلك . فمات حمو قبل 1314 هـ . فكان هذا هو سبب اتصال أحمد أوبخيس بالقائد سعيد المجاطى ، حين كان هذا ينظر اليه

بين قبيلته وغالب اخوته (ايت على) بالنظر الشزر . والآخر كذلك مغلوب من قومه (ايت موسى) باستفعال (ايت بوهيا) والاعراض تجعل علو العدو صديقا طبعاً . ثم اطلت سنة 1314 هـ . فاعتزت سوس بصدى الكلوليين الذين يتحدث بانهم نازلون بجيوش عظيمة الى سوس . فكان القائد سعيد واحمد اوبخيس يتطلعان الى مجيئها ليستولى كل واحد منهما على اخوته . فكانت حركة من مجاط الى جهة ازغار مع سيدى محمد بن الحسين بن هاشم ولكن القائد سعيد واحمد اوبخيس يمنعان من اليهما من الذهاب مع الذهبين ثم اهزمت مجاط من (تامكرت ايتخسان) وكان القائد سعيد واحمد اوبخيس مهروفين عند الحاج احمد الكلولي . فجعل احمد اوبخيس رئيساً رسمياً على اخوته (ايت موسى) تحت قيادة القائد سعيد ، ولكن (ايت موسى) توجست خيفة منه . فظهر منها تمرد وعدم انقياد ، فكان ذلك سبب حمله الحاج احمد الكلولي عليهم ، حتى اناخ على حصن (تيكيدا) فحاربوه ولكنهم غلبوا بعد ثلاث . فهربوا من الحصن . وقد حشروا فيه كل من ملكوه . فذهب كل ذلك تملد ملد . ثم بقى الحاج احمد هناك نحو 20 يوماً . ثم القى القبض على الحسن وعبد الله من (ايت بوهيا) والمهدى من (ايت على) وولده ، وعلى بن حمو ، ومحمد بن كرئوم ، وابوكناض محمد بن مبارك بن ابراهيم ، فسلسلهم ووجههم الى (نزنيت) حيث هلكوا كلهم . فخذل الجو لاحمد اوبخيس يقبل ويدبر بلا معارض . ثم انه بعد ذلك رجع الى اناس آخرين فقتلهم غلداً . وهم احمد من (ايت بوهيا) واخ له يسمى اخمين ومحمد من (ايت بوهرو) من ابناء اعمام (ايت بوهيا) قتلهم وهم ديارهم حتى ليس فيها انيس الا اليعافير والا العيس . ان كانت اليعافير والعيس هناك هكذا طعن (ايت موسى) وعركهم عرك من لا يشفق ولا يرحم ، ولا يتظر في العواقب . فصار يبنى داره الموجودة الى الآن فى مخرم ما بين الجبلين حيث الطريق الى (تانكرت) ، فقد بنتها له قبيلة (ايت موسى) فى اواخر 1316 هـ . واول التي بعدها . هكذا صفت له حكومته فيما يزعمه . ولكن سرعان ما انقشع سحاب الكلوليين . فثارت الثورات من كل جهة على القواد واعوانهم من الناس بدورهم . فقام الثائرون يهدمون ديارهم او يحاصرونهم فيها ، حتى يستلهم بالايدي صاغرين . فقام المجاطيون الى القائد سعيد واحمد اوبخيس هذا ، والقائد مبارك البنيرائى ، فحاصروا منازلهم ، وقد انحاش الى كل واحد من هؤلاء الثلاثة اصحابه واعوانه . فبقوا كذلك والقبائل التوتية قد امدت مجاط برجال لاعداد لهم . والشيخ احمد الامازرى بلغ مقامه عند هؤلاء الثائرين مبلغاً لا يعلى عليه . ثم لما افرج عن هؤلاء المحاصرين جيش الحكومة الذى قاده القائد انفلوس الذى نزل اواخر سنة 1318 هـ . رجعوا الى ما كانوا عليه . فرجع احمد اوبخيس الى قبيلته بكل

ما اراده منها . ثم ان القائد سعيدا الذى كان اعانه امس خاف منه اليوم ، فاعد له سما فى طعام بعد ما جربه القائد فى عبد له ارداه فى الحين فيما يقول الناس . ثم ما طعم احمد اوبخيس من ذلك الطعام فى دار القائد بـ (تأججكالت) حتى سقط . قال لى الحاكى : وكنت ذلك النهار حاضرا امام دار القائد ، فرأيتة محمولا على بغلته الى داره . ثم لم يلبث الا يوما او يومين حتى كان من المرموسين . هذه حياة هذا الرجل وقد صلق فيه المقال المشهور من اعان ظالما سلف عليه . ثم ان اخاه الحسن وكان بهمة من الجهم قد لبس للقائد سعيد جللة الاسد . وانقطع فى داره الى ان وصل وقت الحصاد . فطلع من دارهم بتلك الشعبة الى دار صهره بوهوش بن حمو بن ابراهيم . فكان خبره عند القائد . فارسل اليه من حاصره حيث هو ، فمر بهم الشيخ الاتقى ، فطلب منهم أن لا يعدلوا شيئا حتى يرى القائد . لعله يتركه ، ولكنه ما غاب عنهم حتى نالوه الحرب ، فرجع الشيخ فوجدهم قد قضى الامر فوقعوا فيما اراد أن يكلفهم عنه حقنا للدماء . فتولى عنهم وتركهم فيما هم فيه يعمهون . ثم فى وسط الليل خرج الحسن اوبخيس هاربا الى داره حيث بقى مع اعوان له ما شاء الله ، حتى خرج منها مرة أخرى لغرض ، فصادفه اعوان القائد فقتلوه . وهكذا جندل كل افراد هذه الاسرة الاباة كما قال الشاعر :

وانا لقوم لا نرى القتل سبة اذا ما رآته عامر وسلول

ثم ان على بن احمد هذا الذى هو اليوم الرئيس الرسمى لقبيلة (ايت موسى) منذ احتلال الحكومة هذه الجبال . قد تركه أبوه صغيرا . ثم لما شب صار ايضا يسلك غير طريق قبيلته . لما كان بينهم مما ذكرنا . ولكن لم يكن له كبير أمر ، حتى اتصل بالقائد المدنى . فصار هذا يصله ويقوى جناحه بالعطايا . واعطى له ولاخيه سلاحا جديدا من آخر طراز . فصار امره يظهر نانيا حتى تقوى أمر القائد المدنى بعد 1335 هـ . فاتخذ (افران) الى (تالكرت) منطقة نفوذه . فاحتاج الى اعوان من (مجاط) ليكونوا له فى (افران) خير نصير ، فوجد من صاحبه على بن احمد اوبخيس طلبته . فاتخذ له من بين (ايت موسى) شيعة تقول بقوله . وتؤمن برايه . حتى لما انتشبت الحرب المشهورة بين القائد المدنى والقائد مبارك ، وكان المجاطيون من شيعة الاخير . كان فريق كبير من (ايت موسى) تحت راية على اوبخيس ممن انضموا الى القائد المدنى . وهكذا استرجع مكانة آباءه . وعلا له شأن ، وانتشرت له شهرة رشحته لهذه الرئاسة التى نالها اليوم من الحكومة . وهو اليوم 1357 هـ . ابن نيف واربعين سنة . ولا يزال الكرم المشهورة آباؤه محل تفاعل دارهم هذه الى الآن . فيما يحكيه الناس (ولا يزال على حيا 1380 هـ .) .

الحاج الحسن ازكوك المجاطى

نمر 1225 هـ 1295 هـ

إذا كان العلماء المصلحون والقواد الفاتحون والباحثون المكتشفون، والنقابون المدققون ، يدرون وراءهم دويما كأنهما تداول سمعك أناملك العشر - فإن هناك أيضا فتاكًا مغاوير خلفوا وراءهم صدى لا يزال يتردد فى الاجواء ما دام فى الوجود صماخ يسمع احاديثهم الغريبة ، وينصت لما يقتحمونه من المهالك ، ثم ينقشع الغبار فإذا هم ناجون ، فمن السليك بن السلكة والشنفرى وعنترة غير فتاك لا يبانون أوقع عليهم الحمام أم وقعوا عليه ، فغادروا بعدهم ما غادروه من الانباء التى تتغلغل فى المعجب . كانت (ايت على) فى القرن الماضى (وايت موسى) وهما فخذان كبيرتان من قبيلة (مجاط) فى تناطج وتطاحن دائما ، والحرب بينهما سجال ، فمن غلب منهما صاحبه فان يده تجول فى (افران) و (ايت وفقا) و (ايت حربيل) التى هى كما قيل فى مصر من قديم هى لمن غلب ، وكان ازكوك هذا صقرا من الصقور، شجاعة وقوة ، فكان ربما يبيت عندهم جيش فيضيفهم هو بكل انواع الضيافة ، حتى اذا ناموا طار الى (ايلغ) فى (تازاروالت) فيقطع تلك الجبال ليلا ، عدوا ثم يصبح أيضا بين الاضياف فكانه نائم معهم ، مع انه ابرم ونقض مع آل (ايلغ) ما يريد ، وكان مع ذلك فتاكًا لا يبالي بازهاق الاذواح ، ولا بهتك الحرم ، هكذا أمضى عمره ، ولا يجول مع أحد الا تبعا . حتى أن امغار محمدا لم يعل مقامه بين اهله الا بعد ما هزم هذا واعيا . وأما قبل ذلك الحين ، فانما كان يسايره . فدام على ذلك طوال شبابه ، ثم لما انخنت سعده ، وجفت نطفته ، بدا امره فى النقصان ، ثم صارت ذات يده تغيض شيئا فشيئا ، حتى ذبلت ، ثم كان حينه على أيدى (اداونسلام) لسماء كانت بينهم وبين المجاطيين يوم اجلاهم هؤلاء عن اوطانهم (تاغونى) تحت (اساكا) بـ(افران) فقام المسلمون وهم أباة لا ينامون عن ثار . فصاروا ياتون على كل من قدروا عليه من خصومهم المجاطيين فكان صاحب الترجمة من الهالكين على أيديهم ، جاء من (تاماانارت) فمصر بـ (تائوت محمد بنيزريكن) حوالى (اداي) . فلم يرم اختباوا له حتى اطلقوا فيه الرصاص فجندلوه ، وهكذا سقط الفضنفر بعد أن صال زمنا ، وقد خلف ولدا له صغيرا يسمى سعيدا حوله الله من دم أبيه الى دم هادئ سائر . لا يعرف الا الاشتغال بشأنه ، ومراقبه ربه : فسبحان الله الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى . ويخرج الحمل الوديع من الفضنفر الهائج ، ولا تزال الاغانى الشلحية من مجاط وما اليها تلهج بذكري الحسن ازكوك الى الآن، وله اخبار كثيرة لم نر داعيا لتبعتها ، ويكفى من القلادة ما احاط بالنعق . وفى كتاب (منية المتطلعين) ترجمة سعيد ولده . لانه من المنقطعين فى الزاوية الالفية

القائد الحاج احمد التامانارتى

1244 هـ . 22 . 7 . 1336 هـ

نسبه

أحمد بن حمو بن عبد الرحمن بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن منصور بن محمد .

قد اشتهر ان هذه الاسرة شريفة النسب من الكثيرين المنتشرين فى سوس ، وقد تكلمنا على الكثيرين غير ما مرة فى بعض التراجم المقدمة فى الكتاب . ووجد مكتوبا كما قال ثقة - ولم أره أنا - أن جد هذه الاسرة الكثيرية تان من جادية الاندلس ، خرج نحو القرن السابع ، لما احتلت اواسط الاندلس كمرطبة وغيرها ، فتوجه الى سوس ، كما توجه الى سوس من تلك الجاليات آل يزيد والاغرأبويينون ، وأبناء أبى بكر القاضى ابن العربى المعافى . يقول هؤلاء الكثيرون السوسيون انهم سكنوا اولافى (ماعازا) ازاء (تينتبكتنو) ، وبعد حين دخلوا مع عربان اولاد دليم والسباعين وتكنة الى صحراء سوس ، ثم تخلصوا عمران الجبال . فخالط منهم من خالط ببناء الديار ، وتانيل الاملاك ، وان كنت أنا استبعد أن ينتقلوا الى بادية الصحراء ، من حاضرة الاندلس ، وانما أريد أن اسوق تل ما يقال ، على أن الكثيرين لا يزالون فى فاس الى الآن . ومن بينهم هذه الاسرة التى الفت فى سوس رحلها فى (تامانارت) وقد ذكر الفقيه سيدى محمد الكثيرى السنى مات قريبا أن اصل أهله الكثيرين الجبليين كان من (تامانارت) ولا تزال عند بعضهم رسوم املاكهم القديمة - وقد تقدم فى ترجمة هذا الفقيه ما يتعلق بنسبه فى (الفصل الاول) من (القسم الرابع) .

رياستهم

ان اشتهر كثيرون من الكثيرين بالعلم فى (جزولة) فان هذه الاسرة مع أسر اخرى كثيرة كاسرة آل القائد محمد بن ابراهيم التسيوتسى ، اشتهرت بالرياسة الدائمة . وقد عرفنا عن التامانارتيين انهم اتصفوا بالرياسة من اوائل القرن العاشر . منذ انبثقت الدولة السعدية ، ولا ندرى الهم اتصال بالرياسة قبل . الا ان أخبار اوائل هذه الاسرة وانباء رياستها .

من السعديين ، قد فقدناها ، لعدم اعتناء الناس بكتابة التاريخ ، وان كانت رياستهم في القرن العاشر في الايام السعدية محققة ، وانما فقدت آثارها لما أصاب الاسرة على يد محمد العالم العلوي . حين خرب (تامانارت) كما سيأتي قريباً . فقد أحرق كل الرسوم وآتى على جميع ما في دارهم . مما عسى أن يستمد منه التاريخ . ويذكر أن في قرية (اكيوتاز) مخطوطاً عند آل القاضي سيدي أحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم ، يتضمن وصية للشيخ هذا بأحد أفراد هذه الاسرة الرئيسية . وقد سماه هناك قائلاً : انه آواني فأحسن نزل . وقام بواجبي مع كل أيلته . أوصى اولاده ان يتصرفوا لاولاده ذلك . لما لاولاد الشيخ عند السعديين من الشغوف ، فانت ترى ما في هذه الوصية . فان ذلك يدل على ان الرياسة اقدم في هذه الاسرة من اوائل السعديين ضرورة ان السعديين ما ثبتت قنمهم في الرياسة في سوس على الاقل ، الا في العقد الثالث من القرن العاشر ، والشيخ سيدي محمد بن إبراهيم الذي كان نزل في (تامانارت) قبل 930 هـ بسنوات احد من اخذ بأعضادهم . وقام بنصرهم ، فدل هذا - ان صح كله - على قدم الرياسة في هذه الاسرة قبل السعديين . ولنتتبع رؤساءهم على حسب ما عندنا من أسماء رجالهم ، وما وقع لكل واحد منهم معتمدين على ما عند الاسرة التي أكتب هذا وسط دارهم . معولا على أحد فقهاءهم سيدي عابد بن عبد الرحمن من نسبهم وغيره من المسنين في الاسرة ، فكتب كل ما يمل على ، كما اسوق الوثائق والظواهر التي تكسبت حولي الآن ، واضعا كل ظهير او مكتوب في محله .

١ - الشيخ محمد - فتحا -

هذا هو الموجود في نهاية السلسلة المتقدمة ، وقد ظهر انه يكون حوالى آخر القرن العاشر ، ولا ندرى من اخباره شيئاً .

٢ - منصور بن محمد

يلدكر بشروة هائلة ، حتى انه ليملك ثلاثمائة من الرقيق على ما اشتهر وهو أحد الرؤساء بلا ريب . ولعله يدرك أواخر السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي برياسته التي يظهر انها امتدت كثيراً في أيام البويلة الإيليقيّة ، وسنرى ان هذه الاسرة من عمد دولة الامير على بن محمد بودميعة .

٣ - عبد الله بن منصور

ولد من قبله وهو بلا ريب يكون في دولة بودميعة . فيقال انه كان قائداً كبيراً . ولم يؤثر عنه ما يكتب الا هذا الكتاب الصغير

الذى وجدته بين الاوراق الرسمية للأسرة. فاحسب انه له من احد العلويين او ممن قبلهم . وذلك بعد تولى اخيه محمد الآتى . ونصه :

« الى عبد الله التامانارتي و ابراهيم بن عبد الله ، سلام الله عليكم مع الرحمة والبركة ، وبعد فاذا وصلكم كتابي فاقدموا الى عندي بالعزم بامان الله عليكم ، وان قعدتم فلا تلوّموا الا انفسكم ، ونشتت شملكم والسلام » . هكذا الرسالة بلا تاريخ ، والله اعلم .

٤ - القائد محمد - فتحا - بن عبد الله

ولد من قبله . هو اول رجل عظيم وجد بعض ما يدل على مكانته العظيمة ، فقد امكن ان يعرف من ثانيا ما وجد من مخطوطات نسوقها ، ببعض ما يتعلق به .

ذكروا ان القائد محمدا - فتحا - كان من اركان الدولة الايليغية ، واحد الناشئة اذ ذاك ، كالمولى الرشيد ، والمولى اسماعيل ، ثم انه بعد الآتى - وقد قوادها الكبار ، فكان ذلك بلا ريب مما تقلد عنه عيون ملوك الدولة العلوية دخال الناس من سوس في ايلة المولى اسماعيل ، وتمكنت ولاته في النواحي - راي ان يجبر الصدع ، فيدخل في الجماعة . فيكون داخلا في ايلة السلطان او في ايام احمد بن محرز . ثم يراجع السلطان . ويتعهد بالهدايا ، وفي مرة عول على مثل ذلك ، فاستدعى قاضي حضرته ، وهو القاضي الذي كان جد آل (ايكينواز) شعبة من ابناء الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي الشهير . وقد كانوا اشتهروا بالقضاء من قبل ذلك الحين ، فامرهم ان يتهدوا للسفر الى مكناص حاضرة السلطان ، فكتب رسائل عن فم القائد ، وهيا له القائد هدية كثيرة من الذهب . ويقولون انه ملء جلد عنق جمل ، فلما ودعه القائد ليلا على ان يبكر على المسير . بيت هو واهله ما يتنوا ، فقد احرقوا الرسائل المكتوبة عن فم القائد. فكتبوا هم من عند انفسهم شكوى يتشكون الى السلطان من ضيم القائد محمد . وما يلاقيه منه ضعفة الناس . خصوصا ابناء سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ. وانه لا يجب الدولة العلوية (1)، وقد جعلوا تلك الهدية هديتهم انفسهم. وكذلك احنالوا ومكروا مكرا كبيرا ، لمنافسة الرئاسة . ولكن المجاورة التي لا يرضى فيها بعض ببعض . فحين اوقعوا بالقائد الذي هو من اسرة بينهم وبينها عداوة من قديم .

(1) هذه حكاية هؤلاء . وأما حكاية ابناء الشيخ فتخالفها . وقد تقدمت في تراجم آل الشيخ في (الفصل الثاني) من (القسم الثالث) في (الجزء السابع) .

تغير خاطر السلطان بسبب ذلك على القائد فاعز الى ولده محمد - فتحا -
العالم خليفته على سوس أن يزحف الى (تامانارت) ليلقي القبض على القائد .
فقضى الامر - فحاصر محمد العالم (تامانارت) شهورا ، يقول بعضهم انها
سنة ، وبعضهم تسعة . حتى اقتحم على المدافعين حصنهم ، فاعتقل القائد ،
وساق محمد ' العالم كل ما وجده على دار القائد من العبيد والاثاث ، حتى
الرسوم يذكرون ان الذي أحرق منها اذ ذاك مقدار حمل جمل . ويقولون ان
ذلك في مخطوط عندهم لم اره فيما رايت ، وانما الذى رايت هو هذا - وقد
كتب فى ايام الشيخ ابراهيم الآتى ، ونصه :

يعرف شهوده اتم المعرفة واكملها . ويشهدون انهم عرفوا وحققوا القائد
محمد بن عبد الله التامانارتى ، حين حصره مولانا محمد ابن مولانا اسماعيل
نصره الله ، حتى قبضوه وربطوه فى الحديد ، وطلعوا - يعنى واطلعوه -
لمدينة مكناس عند ابيه مع جميع متعلقاته - وفى الاصل مع تعلقه - ولم
يرفلوا فى دارهم - يعنى لم يحمل من دارهم - قليلا ولا كثيرا . ودخل
حصنه واكل جميع امواله ، وحرقوا فيه وثائقه - اى رسومه - وغصبوه ،
وجعل الخليفة فى حصنه، حتى مات مولانا محمد. وخربت حرييلة حصنه الخ)
ثم ساق اسماء الشهود . ثم ارخ المرسوم بتاريخ سقط المقصود منه .

ويقول هؤلاء اليوم ان اهل الحصن بعد ان خربه الحريليون تفرقوا شذر
ملذ . فمنهم من ذهب الى قرية (اضارونمان) براس الوادى ازا تيبون،
ومنهم من ذهب الى (تارودانت) او (حاجة) ، ويقولون ان السكان اذ ذاك
كانوا كثيرين جدا فى الحصن وما حواليه ، وانهم اثنتا عشر فعلا ، ثم انهم
لم يرجعوا بعد . ولذلك قل البيض الى الآن فى سكان (اكرض) على حين ان
السود كثيرون

وبعد جلاء هؤلاء تولى المرابطون ابناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ
(تامانارت) باعانة الحريبيين ، وكان هؤلاء اذ ذاك اقوياء كثيرين . لما تفل
شباتهم ، وتبرد نارهم . فاستولوا على املاك القائد محمد واهله . وقد رايت
استرعات كثيرة يستمرعى بها ابناء القائد محمد على من عمروا املاك ابيهم
القائد . بعد ما حصلوا فى رسوم اخرى على شهادات كثيرة بتعيين كل الاموال
التي كانت تحت يده الى وقت الجلاء . ويذكر ان هناك رسما فيها شهادة
كثيرين من الحريبيين بانهم يتحققون ان املاك القائد اغتصبها الناس بعد جلائه،
فعمروها ظلما . واعلنوا انه مصدق فى كل ما يدعى انه له .

ثم ان القائد سبق معتقلا الى سجن مكناس ، فالقى فى السلاسل والاغلال.
ويقولون ، ان السجنائين يفجأونه فيجئونه قائما يتنفل ، وقد تملص من
قيوده . وقع ذلك منه مرارا . فانهم امره الى السلطان ، فاستنعاه فساله
عن محل وثائقه . فقال انه يقف على النبی صلى الله عليه وسلم ودفنه سيدى
محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتى - جد خصومه - فيخلن سلاسل واغلالى ،

ثم استفسره عن قضيته التي سجن بسببها . فادلى اليه بالحقيقة ، وانه مظلوم بايدي أبناء سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ . فحينذاك اطلقه السلطان من السجن ، وامره بالرجوع ، فتضرع اليه القائد ان يسامحه في الرجوع ، فانه وجد الامن في مكناس والراحة . فاحب ان يمضى باقى عمره في العافية . وهو اذ ذاك شيخ كبير . وحينئذ ارسل السلطان اولاده كما سيأتى ، وسيأتى ما يدل على ان السلطان رأى ان محمدا العالم انما ظلم هذا القائد . ولذلك اطلقه بعد صفر سنة 1118 هـ . حين قتل محمد العالم ، ثم ان القائد بقى هناك حتى مات فى وقت لم يعين ، وسيأتى ما يدل على ان وفاته كانت قرب 1130 هـ .

اما ما عندنا مما يتعلق به من الوثائق فاننا نسوقه قريبا . لان ذلك يتعلق باولاده اكثر مما يتعلق به .

ومما يتعلق به انه كان مليا كثير الاملاك ، معينا بالحرث ، ويقولون انه كان اذ ذاك فى (تاهانارات) اثنتان وسبعون عينا ، فكان يسوق مياها فى ساقية كبيرة لا تزال آثارها بالية الى الآن . حتى يصل بها المكان المسمى الى الآن (القصبات) وهما قصبتان متجاورتان ، فيزرع هناك ما يريد من الحبوب . وهذا ما يدل على كثرة العيون حينئذ . واما الآن فقد غار غالبا ، وان كانت آثارها لا تزال بادية للعيان . والقصبتان المذكورتان يقولون انهما من بناء الامير على بودمعة سلطان (ايلغى) (1022 هـ - 1049 هـ) .

ومما يتعلق ايضا بالقائد محمد عند القاء القبض عليه ان فقيها يسمى داود ابن احمد وهو المدفون امام باب الجامع الكبير فى هذه القرية ، كان اذ ذاك مشارطا فى جامع (اكترنض) وهو اجنبى عن البلدة ، وشرىف النسب كما ذكره . انه قاله الشيخ ابو على التيمكيدشتى ، وحين آن وقت ان يلقي القائد بد الاستسلام خرج القائد من داره ، وخنجره فى يده . يشير به الى كل من مد اليه يده من اصحابه الذين يحاولون ان يمنعوه من الذهاب الى المحاصرين . فيجرى وهو يقول انا فى طاعة الله ورسوله ، وفى طاعة السلطان . فلم يزل يمشى قلما ، وهو يعلن بذلك حتى تجاوز القنطرة الصغيرة البنية على مسيل عين (تيملت) فاذ ذاك استفاق من شبه شيء استولى على عقله ، حتى اندفع الى ايدي المحاصرين ، فوقف فلقى عليه القبض حينئذ . ويقولون ان ذلك الفقيه هو الذى سحره حتى صنع ذلك ، وهذا ما يقولون ، والعهد عليهم . والمحل الذى ارسيت فيه المدافع من المحاصرين للقائد اذ ذاك لا يزال معلوما عندهم الى الآن . كما علم محل فسطاط محمد العالم . ياثرونه ابا عن جد . ويقولون انه كانت عند القائد زوج لها بنات منه ، فبمجرد ما استسلم القائد البست بناته ثياب الحداد المعهودة عندهم ، وهو الابيض من الكتان ، ولم تزل بناته على ذلك الى ان نقلن الى (تارودانت) ، ويقولون ان احدهن تزوجت الى

رؤساء (امانوز) ببقيلة . وتلك الزوج تسمى هما - فاطمة - بنت احمد وكان ابوها احمد من الرؤساء الكبار ، وهو من شرفاء (اديينكو) بيمرانة . وقد قالوا انها وكل عيال القائد طلب الرؤساء الجزوليون من محمد العالم أن يطلق الجميع بعد ما استولى على القائد وعلى أمواله ، فاسعفهم . فرجع الجميع الى (تونين) فى (الف) عند المانوزيين .

أقول : لفت بصرى الاحداد باللون الابيض مع انه ليس من عادة اهل هذه البلاد ، وقد اخبرنى التامانارتيون هؤلاء ، أنهم كانوا مختصين بهذه العادة أولا . الا انها الآن عنت كل هذه الجهة ، فالنساء المحداث يلبسن البياض - ومعلوم أن الاحداد بالبياض عادة اندلسية .

٥ - القائد ابراهيم

هو ابن القائد محمد المذكور قبله، وقد كان للقائد اولاد منهم عبد الرحمن وهو كبير ذهب مع ابيه الى مكناش ، وبقي معه هناك . وسترى قريبا اذنان المولى اسماعيل له فى زيارة له لبلده (تامانارت) والوالد الثانى ابراهيم الذى نذكره هنا والثالث منصور ، وهو مع اخيه ابراهيم .

قالوا ان ابراهيم كان صغيرا فى حضن أمه ، حين جلوا عن بلدهم . حوالى 1110 هـ . وحين تشفيح فى العيال الجزوليون - كما تقدم - رجعوا الى قبيلة (امانوز) فبنوا لهم دارا فى قرية (تونين) فمكنوا هناك حتى شب ابراهيم قالوا : وكان حين ادرك يختلف الى مرابط من مرابطى (الف) فيطلب منهم الدعاء بالرجوع ، فبشره بذلك بن اربعين، يعنى اربعين رجلا . فكان نصره أولا بهذا العدد ، والموجود اذ ذاك هو أحد أحفاد الشيخ عبد الله بن سعيد الذين انتقلوا من (ايمور) وقد اتوا بأولادهم الى (الف) وقد كان الحريليون الذين هدموا دارهم بـ (تامانارت) قد عمروا البلدة مع المراطين أبناء الشيخ فلما بلغ ابراهيم ، وعرف كيف يعمل سلاحه ، وكان شابا لبقا احوذا ، سره كليا حتى وصلوا وادى (تامانارت) فى الهاجرة ، وكان ذلك فى شهر غشت من سنة لم تعين ، فى أيام موسم سيدى احمد بن موسى ، وبينما الناس فى القيلولة ، اذا بابراهيم وأصحابه تقلدوا بنادقهم بحبال . فهجموا من جهة شجرة خربة لا تزال الى الآن موجودة ، فادال الله لهم على خصومهم ، فاستولوا حينا على البلدة . فاجفل من بها الى الفرار ، ومن بينهم أبناء القاضى الذى كاد ذلك الكيد الكبار - فقد رحلوا الى قرية (ايكيواز) وتخلف غيرهم من أبناء الشيخ وقد فتك القائد ابراهيم بسبعة منهم كلهم طلبة ، وفيهم عالم كبير يسمى محمدا ، وكان قاضيا (1) ، ويقولون انه هو بعينه

(1) يقول أبناء الشيخ ان قضية الفتك بالقاضى سبقت قضية القائد محمد وانما كانت هذه القضية جوابا عن تلك وربما تعدد ذلك فكانتا قضيتين .

الكائد للقائد محمد ، ومن بين المقتولين مؤذن المسجد . أدركوه في الصومعة فأردوه لانه أعلن بعد الاذان بشعر شلحي يعلم فيه زوج القاضي بقتله ، وهذا الشعر متداول في الافواه ، وقد كان من بين من جلوا اذ ذاك الفقيه سعيد الكثيرى ، فذهب الى (افران) وله شهرة في افران الى الآن . وهو من أبناء أعمام القائد محمد ، وهو سعيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ابن عبد الله . وكان السبب الكبير في تنشيط ابراهيم منذ عقل أن أباه كان يسرب اليه المال حين يجد متملصا من سجنه ، ويذكر أنه كان ربما أرسل اليه كرة اللعب مملوءة ذهباً بين متاع كثير ، يرسله اليه على يد التجار . فتقدم اليه أم ابراهيم فاطمة بنت احمد سوكانت من لبيبات النساء . فتستخرج الذهب فتؤثل به الاملاك لابنها ابراهيم ، ومن بين ذلك أرض (فلاحة في (الذنوب) في (السخ) الشرقى لا تزال معروفة لـ . الى الآن . وبهذا المال الذى يواصل القائد محمد ارساله تمكن القائد ابراهيم في المانوزيين ، حتى تهيأ له ما تهيأ من الرجوع ، وقد سلك القائد ابراهيم مسلك الساسة في تقوية اجنحته ، واعداد العدد ، فيصاهر باخواته ذوى البيوتات . كالاماززيين الذين كانوا رؤساء بعقيلة ، والחסونيين التزيتيين . وقد كانت إحدى اخواته ايضا عند اهل سيدى أحمد بن يحيى ، من أبناء سيدى محمد بن ابراهيم ، كما كانت أخرى عند الشيخ مسعود جد الفقيه الحاج عبد الله الذى توفي اخيرا بتامانارات 1360 هـ . مرت ترجمته في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) .

ثم لما تمكن القائد ابراهيم من (تامانارات) وقف معه المانوزيون والايسيون فيرسل اليه كل فريق منهم 50 رجلا . فأجميع 100 نصفهم لبناء الدار ، ونصفهم للجراسة . ويأتون بزادهم من عند اهاليهم . بقوا على ذلك سنة تامة ، ثم أنه صار يتتبع جميع أملاكه من تحت الايدى المستولية عليها ، وقد رأيت له ما يدل على كل ذلك كما تقدمت الاشارة اليه . كل هذا يزاوله بيده ، ويد السلطان مولاى اسمعيل وان كانت مبسطة في كل نواحي المغرب ، قصيرة في هذه الجهات . كما هي العادة دائما في هذه الجهات . تكلموا زحف جيش قاهر يحنون الرؤوس ، ويسلسون القيادة ، ومتى جزية المد . أو شغل السلطان أو جيشه هذا يشاغل ما ، فسرعان ما ينتثرون من عقد الطاعة ، فيترجعون الى ديدنهم ، فترجع القبائل لما يعهد منها ، ويجب أن لا يستثنى المؤرخ من هذه الكلية حتى أيام المولى اسمعيل من هذا الحكم المسمط ، فقد وقفنا على ما يدل على هذا دلالة واضحة لا شك فيها (1) . ولهذا لم ينتفع

(I) عندنا رسائل من محمد العالم الى أحد الجزوليين حوالى 1112 هـ . عديدة صرحت بذلك ، وقد نشرناها في كتاب (ايلخ قديما وحديثا) ولا يزال في مسودته ، يسر الله تخريجه وطبعه بفضل وكرمه .

أولاد القائد محمد بكل التوصيات الرسمية الآتية الا بمقدار عند الرؤساء الرسميين في مركز الحكومة بـ (تارودانت) وأما ما سوى ذلك ، فقد اتكلوا فيه على سواعدهم التي رجعت بهم الى دارهم فاستقروا . ولا يفترق القادى بكل ما نسوقه من الظواهر فيخال أن الحكومة تأخذ دائما في كل مكان من هذه الجبال بأزمة الحكم . فان ذلك لا يكون الا فينة بعد فينة تلى حسب ما حزنناه في الموضوع .

وهاك ما وجدناه متعلقا بالمقام :

1 - « انعمنا على خدامنا أهل (تامانارت) اخوان خديمنا القائد محمد التامانارتى كافة احرارهم وحراطينهم بالرجوع لبلادهم واصولهم واراضيهم وجناتهم المعروفة لهم . وأمرناهم بالارتجاع ، والسكنى ببلدهم (اكرض) كما كانوا ، وأن يعمروها . فقد ردونا عليهم جميع متاعهم واملاكهم وديارهم واصولهم ، واسقطنا عنهم من ذلك جميع التكاليف والمطالب والتبعات ، وحررناهم منها تحريرا دائما ، محمولين فيه على كاهل المبرة والاكرام انعاما كلياً . دائما بدوام الشهور والاعوام ، من غير معارض لهم ولا منازع ، رعا لوجه اخيهم خديمنا الارضى القائد محمد التامانارتى ، فانتا اردنا أن نوجهه لبلاده قائدا كما كان . وثبطناه قدر ما يسكنون ويوطنون له موضعه . وحسب الواقف عليه العمل بمقتضاه ، والسلام . فى الرابع والعشرين فى الربيع الثانى عام 1118 هـ . »

2 - « دملوكننا احمد العليج الذى عمدتنا بمعدن (تازالانغت) سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فان كتابك الذى وجهته لخديمنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتى بلغه لنا وقرأناه . وعرفنا مضمون خطابك ، وما أنت عليه فى خدمة ذلك المعدن ، جزاك الله عنا خيرا . وهذا خديمنا القائد محمد التامانارتى المذكور ، كثيرا ما أخبرنا بأنك انت محتزم ، وواقف على ساق الجد والحزم فى أمورنا ، وخدمتنا العلية بالله ، جزاك الله عنا خيرا أحسنتم احسنتم ، الله يرضى عليك ، ويزيد على عنايتك - لعل - والذى نؤكد به عليك انك تشد روحك فى موضعك . واحترم اليه ، ورد بالك من كل جانب ومكان ، ولا تغيب عنا الاخبار - كذا - تلك البلاد حيث كان . ورقاصك لا ينقطع عنا أبدا . ونؤكد له عليك ثانيا انك تهلا فى أولاد خديمنا القائد محمد التامانارتى ونستوصى بهم خيرا . وان احتاجوا الى شىء عندك فاقضى لهم . وعندك (1) أن تفرط فيهم . أو تتعالمى عليهم فى كل ما يحتاجون عندك . واتهلا فيهم ، ثم اتهلا فيهم . وهؤلاء اخوانه اذا وردوا عليك بهذا الكتاب الكريم نأمرك أن تهلا فيهم . وتستوصى بهم خيرا واحسانا ، وثق بهم فى كل ما يبلغه عنا اليك - كذا - من أمورنا العلية بالله ، وهذا

(1) كلمة يقصد بها فى اللهجة الدارجة : رد بالك .

اخوهم خديمتنا القائد محمد التامانارتى، ها نحن ان شاء الله نبعثه فى اثرهم
بلاده ، ليعبى داره ان شاء الله . ونوليه تلك البلاد ان شاء الله تعالى بحوله
وقوته ، وشده روحك ثم شد روحك فى موضعك ، ورد بالك لنا : والله
سبحانه وتعالى يعينك على ما ائت عليه :: والسلام . وكتب رابع من جمادى
الاولى (اعله من سنة 4118 هـ) .

انتهى على ما هو عليه من التصحيح ، وقد طبع فوقه بطابع وسط ، لم
استبين منه الا انه اسماعيلي ، وهذا لا ريب فيه .

3 - « ولدنا الارضى مولاي عبد الملك اصلحك الله ، سلام عليك ورحمة الله
وبركاته ، وبعد فالمؤكد به عليك اصلحك الله واثمر غرسك ، هو أن تتهلا فى
حملته اولاد خديمتنا القائد محمد التامانارتى ، هذا الذى جانا ، والذى هو
بالبلاد ، وعاملهم باخير والاحسان ، وراعهم خدمة والدهم ، وللازمته الينا ،
وطول مكته عندنا . حتى توفى رحمه الله ، وان احتاجوك لبعض المقضييات
اقتضيها لهم ، واستوص بهم خيرا واحسانا، فلا تسمع فيهم لقول قائل ، والله
تعالى بمنه يوفقك ، ويرشدك بمنه وبمنه آمين ، والسلام . فى اواسط ربيع
(ثم لفظ المائة او كلمة الثانى) عام ثلاثة وعشرين - لعل - وألف (او سقط منه
عشرين وبقيت المائة) . »

صح من اصله مع ما هو عليه . وطابعه فى وسطه اسمعيل ابن الشريف
الحسنى وفقه الله . دون ما فى دائرته مما لم اتبينه جيدا . فان صح ان تاريخ
هذا الظهير 1123 هـ . نعلم منه أن القائد محمدا توفى قبل 1123 هـ . وان كان
يظهر فيما يلى أنه مات بعد . ولعل التاريخ الصحيح ثلاثة وثلاثون ومائة وألف .
4 - « كتابنا هذا اسدى الله امره ، وأدام مجده وفخره ، بيد خديمتنا
الانصح ومربى نعمتنا الاصلح : القائد محمد بن عبد الله التامانارتى وولده
واخوانه ليعرف به بحول الله وقوته، وبمنه وبركته، اننا وقرناهم واحترمناهم
وحررنا لهم بلادهم وارضهم وديارهم ، وجنتهم واملاكهم ، ومن انشأ اليهم
من الاحرار والحراطين ، والمراطين القاطنين معهم ، وكذلك أهل الدمة ، وكل
من هو معهم : - (اكرض) وكل ما لزمهم ، ووجب عليهم من الزكوات والاعشار
يدفعونها لدار خديمتنا القائد محمد التامانارتى ، فهم الينا ومننا اليهم ، فلا
يلزمهم شئ من المغارم والتكاليف السلطانية من كل ما سيجرى على اهل
(تامانارت) وغيرها من قبائل سوس . فقد صرفنا ما يتوبهم على دار خديمتنا
المذكور ، لا يزاحمهم فيه مزاحم ، ولا يعارضهم معارض . وثامر ولدنا مولاي
عبد الملك اصلحه الله أن يتهلا فى اولاده ويحترمهم ويوقرهم ويعمل لهم
بمفسوم كتابنا هذا . اعزهم الله ، ولا يترك من يتعدى عليهم فى شئ، ومن
ظلمهم أو تعدى عليهم فليحفر جدره - ولا يكلفهم احد ولو بشربة ماء .
والواقف عليه يعمل به والسلام فى اوائل صفر الخير سنة 1127 هـ .

واعلاه طابع فيه مثل ما تقدم .

5 - « على خديمتنا الشيخ ابراهيم ابن خديمتنا القائد محمد التامانارتي ، سلام الله ورحمته وبركاته ، عن اليمين والعافية ، وبعد فاعلم ان والدك مع خديمتنا القائد عبد الملك اماهدى اعطونا خبرك ، انك تحزمت في دارنا التي هي داركم . فذلك الظن بك ، والمعتقد فيك . بارك الله فيك واصلحك ، والآن نامرك ان تشد روحك فيها ، فانها قضيتنا ، وكلامك معنا لا لغيرنا ، ولا تنصت لكلام احد كائننا من كان - ولا تعتر في امورك ، واحترم في شغلك والله تعالى يعينك فيما انت بصلده ، ولا تخرج منها آناء الليل اطراف النهار . فان تلك البلاد بلدة الغدارين (حربيل) قبعهم الله . واياك ، ان خديمتنا الشيخ مبارك بن عبد الله المرابطي واخوانه ، والشيخ احمد اوبيهي المانوزي واخوانه ، والشيخ عبد العالي واخوانه الساموكني تحزموا معك ووقفوا معك وقوف الجد والاجتهاد ، في مصالحنا ، وبنيان دارنا . واعانوا على اعدائنا (حربيل) فانه يجازيهم عنا خيرا . ويعمرهم ولا يروا منا الا ما يسرهم ويرضيهم بحول الله وقوته ، ونامرك ان لا تغيب عنا اخبار ذلك البلد . ما يزداد وما ينقص في تلك النواحي كلها . وكتبك لنا تاتينا على يد والدك ، وعلى يد عبد الملك اوماهني ، فانهما كثيرا ما شكروك ومدحوك بثناء الخير ، فانه يكون في عونك . ويصلح حالك آمين والسلام ، في الثامن عشر من ربيع الثاني سبعة وعشرين ومائة والف » .

واعلاه ذلك الطابع المذكور ، وفي اواسطه بتر كما يرى .

6 - « الابر الارضي ولدنا مولاي الشريف ، اصلحه الله وخديمتنا الباشا عبد الكريم بن منصور ، سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فاعلموا ان اخوان خديمتنا القائد محمد التامانارتي حضروا لدينا بدارنا عليا . واتوا بما لديهم من ظهائرننا له ولاولاده ، وبلادهم وما احتوت عليه من الاملاك والاجنة والسواقي ، وكذلك اهل (اكرض) بوادي (تامانارت) من حراطين واحرار وضمين وما انتاز اليهم من سكان وغيرهم ، يدفعون زكاتهم واعشارهم ومطلبهم بيده بدار القائد محمد المذكور بـ(تامانارت) واخرجناهم من القبائل الذين هم بازاءهم ، فلا مدخل لهم فيهم . فقد انعمنا لهم بهم ، فلانه خديمتنا ومعتوقنا الينا ، - يعني والينا ، ومحبوب علينا فقد عرفتم ما كان بيننا وبينه ، ونؤكد عليكما ان تنهلا فيهما . ولا تترك من يطوف باختهما ، ولا يقربهما ، وكذلك نؤكد على وصيفنا سعيد بن الحياط اتنهلا فيهما . هذا قليل في حقهما عندنا ، وكل ما يحتاج اليه فاقصوه لهما من الزرع وغيره ، ولا تتركوا من يزاحمهم ، ولا يترامى عليهم . فلان القائد محمد خديمتنا ، وملازم بابنا ، وعزيز علينا . دون من كان بسوس ، فوالله الا كنا بنصروه ونستحيوا منه ، - كذا - فايكم ثم اياكم ان يطوف احد بساحتهم والسلام . وفي سابع

وعشرين رجب الفرد سنة ثمانية وعشرين ومائة والـ ؟ وضمير التثنية
لأبراهيم ومنصور . كما يظهر ، وأعلاه ذلك الطابع نفسه .

7 - كتابنا هذا اسمى الله تعالى أمره ، وأطلع في المعالي شمسه الثمينة
وبنزه : ليعلم من وقف عليه من خدامنا ووصائفنا وأولادنا ، أننا حررنا
خديمنا القائد محمد التامانارتي وأولاده بلادهم وأملأهم واجنتهم وسواقيهم ،
أبقيناهم بها ، وكذلك أهل (أكرض) بوادي (تامانارت) من حراطين وأحرار
وذمين ، ومن انحاز إليهم من سكان وجيران ، يدفعون زكاتهم وأعشارهم
ومطلبتهم ووظائفهم لدار خديمنا القائد محمد المذكور ، فلا مدخل لهم من
غيرهم من القبائل في كل شيء . جليلها وحقيرها ، فقد أنعمنا له بهم فلأنها
دارنا ، وهم خدامنا ، وله الحق علينا . فلا ينازعه في كل منازع - ولا
يعارضه معارض ، والواقف عليه يعمل بمضمونه ومقتضاه في سبع وعشرين
من رجب الفرد سنة ثمانية وعشرين ومائة والـ ؟ وفوقه طابعه المتقنم

8 - ولدنا الأرضي مولاي الشريف ، أصلحك الله ، وخديمنا الباشا عبد
الكريم بن منصور ، ووصفنا سعيد بن الحياط ، سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ، وبعد أعلموا أن أخوان خديمنا ، ومربي نعمنا ، القائد محمد
التامانارتي وردوا على مقامنا العالي بالله بهديتهم ، وفرحنا بهم لوجه خديمنا ،
وحررناهم له ليتعاون بهم . وأنعمنا عليه بقبيلته (أكرض) أحرار وحراطين
وأهل الامة ، وجميع ما احتوت عليه (أكرض) انعاما كلياً يجمع زكاتهم
وأعشارهم ومغارمهم ، وجميع ما يلزمهم من الوظائف الخزنية ، والتكاليف
السلطانية . قلت أوجلت ، فمنهم خديمنا المذكور ومنه إليهم ، فلا مدخل لأحد
غيره فيهم ، كائن من كان . واستوصوا خيراً بأولاده وقبيلته ، وجميع ما
يحتاجون عندهم القضاء لهم ولا بد . والسلام وكتب في الثاني من رمضان
المبارك عام ثمانية وعشرين ومائة والـ ؟

وفوقه ذلك الطابع

9 - خديمنا الحسن الحرييل ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد أعلم
أن القائد محمد التامانارتي حين سماع أن الشيخ محمد بن كريش الأداوي - بلالي
هو وولد السيد محمد تاركماط كتبنا لهم على البلاد التي ذكروها لنا وعشونا
فيها ، جادنا بعد ذلك التامانارتي ، وقال لي : نصرك الله ، البلاد بلادى ،
وأنا اشتريتها ، وفكرنى (I) في الشراء حين كنا محاصرين (تارودانت) حين
كان مولاي الحران رحمه الله ، وحضرنا له للشراء ، وبأذننا خلص ثمنها .
ويخبرنا فيها ، فاترك له بلاده ، ولا تترك من يقربها له بوجه ولا بحال ،
فانه رجل مسكين جربناه كم من مرة . فوجدناه لا ينقر على متاع الناس ،
وحين كانت بلاده وفي حوزة وفي ملكه وعلى يدنا ، وهو هنا عندنا ، فاتهلا

(I) هذا يدل على أن لمولاي اسمعيل اتصالاً بالقائد قبل أن تقع له الواقعة .

فيه - ولا تترك من يتجاسر عليه وعلى اولاده واملاكه وساقيته ، وايضا كان
 يبيع في (تامانارت) وغيرها لا يقربه احد فيها الا اولاده ، فانهم معاتقنا ،
 والقبض له متاعه من عند من كان لا ولديه ولا غيره - كذا ولعله لا الدونلالي
 ولا غيره - وكل من تعدى عليه اقطع له ظهره ، واولاده محزونون موقرون ،
 هم ومن معهم من اهل (اكرض) اعمل لهم انت الخير ، كما عمله لهم ولدنا
 مولاي الشريف ، اصلحه الله ، وخديمتنا الباشا عبد الكريم ، وجازيناهم بخير ،
 واتهلا فيه انت كذلك ، والسلام ، في اوئل جمادى الثانية عام تسعة
 وعشرين ومائة والف ؟

وفوقه الطابع المتقدم .

والملك المتقدم في هذا الظهير (تامزاورت) سالت عنه الاسرة . فارونى
 تبشريات للقائد ابراهيم عليه ، وقد بقيت في يد الحرييلين ، ولم ينصتوا
 لكلام السلطان ، فكان ذلك احد الشواهد على ما ذكرته آنفا من ان يد
 السلطان قصيرة في هذه الجهة ، وان كان في هذا الوقت (1124 - 1132)
 تمكن الباشا عبد الكريم في توطيد جبال سوس من جديد ، وقد مر بالغ .
 ويظهر ايضا على ان العامل على وادي (تامانارت) من غير قرية (اكرض)
 هو الحرييل المذكور الساكن في قرية (القصيبة) وان (اكرض) صيرها
 السلطان كزاوية محرورة . تخدم دار القائد محمد فقط ، على ما يظهر ، وان
 كان ذلك انما وقع في اول الامر ، ثم رجعت الرئاسة الى دارهم . كما استرى
 ذلك فيما سياتي :

10 - الى خديمتنا الشيخ ابراهيم واخوانه اولاد القائد محمد التامانارنى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد ورد علينا ولدنا مولاي الشريف
 اصلحه الله ووصيفنا سعيد بن الحياط ، وخديمتنا عبد الكريم بن منصور .
 ذكروا لنا انكم احرزتم معهم ارواحكم ، ووقفتم وقوفا بالجد . وظهرت فيكم
 نصيحة الخدمة مع جيشنا السعيد الذى كان هنا لك ، فحتى الان نحن انعمنا
 عليكم من فضل الله بقبيلة اهل (اكرض) احرارا وعبيدا ، وما احتوت عليه
 من ذميين وغيرهم ، من اهل (تاناديرت) وال (تيسلكتيت) واهل (تانغزوت)
 وكافة (امريبنض) يدفعون لكم مكاليقهم وزكاتهم واعشارهم الواجبة عليهم ،
 منهم اليكم ، فلا مدخل لاحد فيما انعمنا به عليكم ، كما ان من كان . فقد
 حررناكم ، ومن طاف بساحتكم او قربكم فلا يلوم الا نفسه ، وكتبنا به
 والوافف عليه يعمل بضمنه ، والسلام . وفي ثاني رجب الف سنة تسعة
 وعشرين ومائة والف ؟

وفوقه ذلك الطابع نفسه

يعلم من هذا ان هذا الجيش مع مولاي الشريف وعبد الكريم كانوا في
 (تامانارت) ولا يزال محل وسط قرية (اكرض) معروفا بنزول السلطان ، وهل

يعنى به ولد السلطان هذا . او كان ابن محرز . او مولاي اسماعيل حين كان في الصحراء . يطارد أعراب الصحراء ، وربما مر بتامانارت عند الرجوع او محمد العالم يوم نولى الملك نائرا على ابيه هذا . وقد وقعت في يدى ورقة مكتوب فيها ان جيشا يضم عشرين الف فارس نزل بقرية (اركلى) (بدالغ) سنة 1124 هـ . تحت امرة القائد عبد الكريم . فهو هذا ، وقد امتد وجود ذلك الجيش في سوس الى ما حوالى 1132 هـ . واذا كان فقد عرفنا بعض الاخبار عن هذا الجيش .

ثم ان الشيخ ابراهيم نراه الآن يتولى على هذه الامكنة فكان موظفا رسميا ، مستونيا بعد ما كنا نراه كروب زاوية ، حظه ان يحترم هو واهله ، وان تنفذ له زكوات أناس واعشارهم .

11 - كتابنا هذا اعزه الله واسماه بيد الشيخ مبارك بن عبد الله المرابطي وخديمتنا الشيخ محمد بن داود ازوكنى ، وخديمتنا الشيخ محمد بن ابراهيم . وخديمتنا عبيد ، وخديمتنا التميمي عمر ، وخديمتنا الشيخ اخسن . يعلم الواقع عليه اننا انعمنا عليهم بطلب اهل (تانقورت) واهل (تاساديرت) وزكاهم واعشارهم ، يقبضها الاشيخ المذكورون من غير منازع لهم فى ذلك . وكما اسقطنا عنهم الكلاف ، والوظائف المخزنية . فلا يقربهم احد ، ولا يطوف بساحتهم ، ومن رام التعدى او نراهم عليهم ، فلا يلومن الا نفسه ، والواقف عليه من خدماتنا ووصائفنا ، يعمل بمضمونه ويبقيه بايديهم ، والسلام وفى وسط صفر الخير سنة ثلاثين ومائة والى .

وفوقه الطابع المتقدم

ثم ان هذا مشكل ، لان هذه القرى لم يمض على تنفيذها للشيخ ابراهيم الا سنة او دونها ، ثم نرى هذا الظهير ينفذها لآخرين . وهذا عجب ، ولا يدري الا الله ما وقع . فهل عوض السلطان للشيخ ابراهيم بمكان آخر . او ماذا وقع ولا يحسن متخريص ان محمد بن ابراهيم هو ابن الشيخ ابراهيم الذى سياتى ذكره ، لان ابراهيم ان كان لا يزال صغيرا نحو 1114 هـ . فكيف يكون له ولد يذكر مع الرؤساء سنة 1130 هـ . وزد على ذلك ان ابيه لا يزال حيا . اللهم الا اذا ادى ما نفذه السلطان الى ما لا تعمد عقباه ، فاختر ان يتألف بخراج هذه القرى هؤلاء الرؤساء وبقي (آل مرييض) فسي يد الشيخ ابراهيم . وكيفما كان الحال فالامر مشكل . ولهذا سقنا هذا الظهير هنا . وان لم ينص بالشيخ ابراهيم .

12 - كتابنا هذا اسماء الله تعالى واغز امره . واطلع فى المعالى شمس المنيرة وبلره . يستقر بيد اولاد خديمتنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتى ، وقد انعمنا عليهم ببلادهم وقبيلتهم اهل (اكرض) جملة ، وما احتوت عليه من الحراطين والمرابطين واهل اللمة - يقبضون منهم الواجب عليهم ، منهم اليهم ،

واسقطنا عنهم الكلائف بالكلية ، والوظائف المخزنية لانهم اعتقاؤنا ، ووالدهم ملازم بابنا . فقد فوضنا لهم يقبضون منهم مطلبهم وذكاتهم وأعشارهم يستعينون بها على أنفسهم فمن قريبهم أو طاف بساحتهم ، أو رام التعلد عليهم فلا يلومن الا نفسه . كائنا من كان ، ونؤكد على الواقف عليه من خدامنا وولدنا عبد الملك أصلحه الله أن يتهلا فيهما ، ويستوصى بهما خيرا ، ويبقيهما على ما أنعمنا عليهما به . فلا يخرقن عليهما عادة سوى ما ذكرنا كما فعل معهن ولدنا الشريف أصلحه الله ، وخديمتنا عبد الكريم بن منصور ، ووصيفنا سعيد بن الحياط فقد أحسنوا اليهما . وسرنا أحسانهم اليهما ، فلأنهم اعتقاؤنا ، ووالدهم خديم نصيح في جانبنا ، فلا نجب أن نسمع في جانبهما الا خيرا ، والواقف عليه يعمل بمضمته وبقية بأيديهم ، والسلام .

فى أوائل ربيع النبوى المعظم سنة ثلاثين ومائة والى ؟
وفوقه الطابع المذكور .

اقول : ربما يستروح من هذا ما يلقي ضوما على ما اشكل علينا فى المتقم . وربما كان هو عبد الملك ابن السلطان ، الذى كان الخليفة على كل سوس . ولا يبعد انه هو اء من اليه هو الذى تسبب عنه ما تقدم ، فقد راينا كيف اكاد على عبد الملك ليكون على بال فى هؤلاء ، كما كان اخوه المولى الشريف ، ولعله لو كشف الغشاء لوجدنا الامر على ذلك ، والله أعلم .

13 - كتابنا هذا اسماء الله تعالى وأعز أمره ، وأطلع فى المعالى شمسه المنيرة وبدره . ليعلم الواقف عليه من اولادنا وخدامنا ووصائفنا انا سمحنا للشيخ ابراهيم ولد خديمتنا القائد محمد بن عبد الله التامانارتى . وأنعمنا عليه ببلاده وما احتوت عليه من قبيلة اهل (أكرض) وما انحاش اليها من الدمين وغيرهم يستعان بذكاتهم وأعشارهم . فمنهم اليه احرارا وعبدا ، فلا مدخل لاحد فيهما ، فلا يقر بهما أحد . ولا يطوف بساحتهم بكلفة ولا وظيفة ، كائنا من كان ، فقد أنعمنا عليه انعاما كليا ، والواقف عليه يعمل بمضمته ، ولا يتعدى ، والسلام . وفى منتصف جمادى الثانية سنة ثلاثين ومائة والى ؟

وفوقه طابعه المهود فيما قبله

14 - خديمتنا الحسن الحربلى ، بعد السلام عليك . وبعد اعلم اننا حررنا لخديمتنا القائد محمد التامانارتى ، وأولاده بلادهم وأملاكهم واجنتهم وسواقيهم وأبقيناهم بها . وكذلك اهل (أكرض) (بوادى تامانارت) من حراطين واحرار وأهل الدمة . وما انحاز اليهم من سكان ، فلا مدخل لهم مع غيرهم من القبائل فى كل شىء ، جليلها وحقيرها ، فقد أنعمنا لهم بهم فلانهم خدامنا ، ولهم حق علينا ، فلا ينازعهم فى ذلك منازع . انعاما تاما شاملا عاما . والواقف عليه يعمل بمقتضاه . ولا يتعرض لمن احتاج به ابداه . والسلام فى مستهل المحرم الحرام فاتح سنة احدى وثلاثين ومائة والى ؟

15 - خديمتنا القائد ابراهيم بن محمد التامانارتي . سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . هذا وان اخاك خديمتنا الشيخ منصورا ورد علينا مقامته الاسمي بالله ، زائرا فلرحنا به ، واقام عندنا في كرامة ، واحسن ضيافة ، حيث دخل مع مقدمنا على يد خديمتنا وربى نعمتنا الاحظى الباشا عبد الملك ابن عبد الله امأهري اصلحه الله ، واثمر قرسه . وها هو اليوم رددناه اليك ردا جميلا ، ونائبنا عنك لدينا في الزيارة لعل اعتابنا ، فاتهلا فيه ، فاتهلا فيه ، واستوص به خيرا واحسانا . وقد اعجبنا عقله ومروءته ، ولا تفرط فيه . وهو ان شاء الله الواسطة لك معنا بحول الله تعالى وقوته . وانت نامرك امرا اكيدا محتما شديدا ان تشد روحك في الخدمة والحيلة . وبذل النصيحة لنا . ولكن هو على ابدنا ، ترحم وتغنم ان شاء الله دنيا وآخرة وانت عندنا تمت بمثابة والدك في كل شيء . وكلام قبيلتك وجماعتك اهل (تامانارت) حملناه بذك ، والى تحت نظرك كافة ، من غير معارض لك فيه ولا منازع ، عليه ولا مدافم . وحندنا لك على كل ما كان بيد والدك المرحوم بكم الله تعالى خديمتنا القائد محمد ، فشد روحك في الخدمة والحجة ، كما وصفك لنا خديمتنا قبا الباشا عبد الملك ابن عبد الله امأهري ، فانه يمدحك ويشترى بخبر عليك . وحمز وجهه فيما قال لنا فيك . وها . فيه عندنا بمحضر الخاص ، والعام - يعني حل فاه - ولا لك فينا ان شاء الله ان كنت على هذا الا تحب التام العاجل والاجل بحول الله تعالى وقوته . والله تعالى تبارك يعينك ويوفقه بمنه آمين . وفي اواسط ربيع الثاني عام ثلاثة وثلاثين ومائة والى ؟ . وقوف الطابع المذكور

اليوم تولى القائد ابراهيم القيادة الرسمية ، ويظهر ان الذي حدا السلطان الى ذلك امران : احدهما انه رأى موالاته للاحترامات له . مع عدم احترام جيرانه له . فرأى ان يصرح بما يمكنهم ، فجعله قائدا رسميا . والثاني ان والده كانه تولى قريبا من 1133 هـ . فاراد ان يولييه مكانه في القيادة رسميا . وربما يكون هذان الاحتمالان صحيحين . والقارئ تعطى ذلك .

16 - ليعلم الواقف على مسطورنا هذا اعزه الله اننا اذا حامله خديمتنا عبد الرحمن ولد القائد محمد التامانارتي ان يقدم لبلده ، يتفقد اخوانه ، وينظر اهله واحواله ، فلا يتعرض له احد على ذلك ولا يمنعه منه . فمن وقف عليه فليترك سبيله ويباعد جانبه ، والسلام في الثاني عشر من رمضان المبارك عام ثمانية وثلاثين ومائة والى ؟ . واژه طابع اسماعيل على شكل آخر كانه بيشاوى الشكل .

عبد الرحمن هذا ، هو الذي قلنا انه كان مع ابيه القائد محمد في مكناش . ولا ريب انه تولى هناك خدمة مخزنية ، فمكث هناك بعد موت والده ولم يظهر له عقب الآن .

17 - كافة أهل (تامانارت) اخص منهم الطالب ابراهيم ، ولد خديمتنا القائد محمد التامانارتي. سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد اعلّموا ان من فضل الله علينا ومن عوائده الجسيمة لنا ان ولانا الله سبحانه امر هذه الامة المحمدية ، وصرف لنا بمنه رعاية هذه الرعية ، ويوم الكتب اليكم اخذنا المعهد مع الله ومع أهل البيعة من العلماء والفقهاء والمرابطين ، وانكمضت بيعتنا لله الحمد وله المنة . واليوم بنفس وصول كتابنا هذا اليكم اقدموا علينا عزمًا دون توان ولا تراخ لتكمل بيعتكم بين ايدينا ، وترجعوا لبلادكم واسبابكم ومعاشكم ، سائلين غانمين ان شاء الله ، لان الله تعالى قال : « يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، ولا عنوا لنا الا الشيطان ومن يجرى مجراه ، وأمان الله عليكم في أموالكم وأنفسكم ، ولا اردناكم الا أن تاتونا برما تكم بين أهل هذا القطر السوسي ، فنقد اغناق العادين وغيرهم من أهل الفساد والضلal . وكفى الله بحديث المصطفى صلى الله وسلم عليه : ان من مات من غير امام مات موة جاهلية . والله المستول ، ومنه ارجو الاعانة والقبول في توفيقكم وهدايتكم الى واضح الطريق بالنبي و ابا بكر الصديق والسلام ، في ثالث عشر من شعبان عام 1139 هـ . وفوقه طابع كبير ، في وسطه عبد الملك بن امير المؤمنين الله وليه ومولاه ، وفي دائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجاتها تجسم هذا وقد علمنا أن عبد الملك تولى الامارة بعد احمد الذهبي بن اسمعيل ، ثم ان هذا آخر الظهائر التي عندنا الآن من ايدي هذه الاسرة ، مما يتعلق برجالها القلاء. وتحتوي على اخبار كثيرة لمن تتبعها ، وعرف كيف يستشف ويقيس ويستنتج ، وقد حرصت على أن ابقى الظهائر على عباراتها الاصلية ، التي يكثر فيها التصحيف . وغالبها مكتوب بخط ردي . واننى لانتعجب من السلطان المولى اسمعيل كيف يرضى لنفسه هذه المكانة لمكتب رسائله ، مع ما أوتيته من طول وبسط يد . ومن كثرة الخطا والمترسلين في الحواضر وغيرها ، اذ ذاك . وقد وقفنا في المنسوخات على ذلك ، والكمال لله . ثم لم تغير خط الظهائر الا في عهد حفيده سيدى محمد بن عبد الله .

أمور أخرى تتعلق بالقائد ابراهيم

قد رأيت له من بين مخطوطات قوانين وضعتها آل (اكرض) في ايامه كيف يتمشى في الحقول والماء ، كما كان في مرسوم آخر ما يتعلق بأمور السرقة من الحقول ومن الديار . وهو مؤرخ بمفتتح جمادى الثانية 1172 هـ . وذلك مما يدل على أن عمره لا يزال ممتدا الى العقد الثامن في القرن الثاني عشر . وقد

شاع عند أهله أنه معمر . كما يدل على أنه سياسي ماهر يلبس لكل حالة لبوسها . فانه بعد ما زالت الحكومة الاسماعيلية، وتقلص ظلها عن هذه الجبال، اتخذ من اهل (اكرض) رؤساء يكون لهم حظ في ادارة البلد ، وقد عينوا باسمائهم في تلك القوانين .

ومن اخباره ايضا ان الشيخ الصالح سيدى حسين الشرحبيل حين زار جبال جزولة حوالي 1140 ردأ اولاد سيدى محمد ابن ابراهيم الشيخ الى ديارهم في قرية (اكرض) وقد كانوا جلوا يوم هاجمهم القائد ابراهيم كما تقدم، وبعد حين تناصر المرابطون ابناء الشيخ مع الحربيلين وغالب آل (اكرض) على القائد ، فثاروا عليه ، وقد تسرب اليهم من الحربيلين 200 من الرماة ، فدافع القائد والذين يقطنون معه في (اكادير) فادبل لهم على اعدائهم ، فقتلوا من الحربيلين 40 رجلا . فجلا بعض ابناء الشيخ ايضا ، وهم الذين صح انهم مكروا ودسوا لهذا الغدر . وبقي غيرهم في ديارهم . ويقولون انه خلف ثلاثة اولاد : سعيدا ، ومحمدا ، واحمد . والاولان لا عقب لهما الآن، ولم يبق الا عقب احمد . وقد ذكر ان هناك رسالة موجودة فيها ان الشيخ السمي اوبرايم المانوؤى التوني ارسل الى القائد ابراهيم يتطلب منه ان يرسل اليه فارسه المشهور ولده سعيدا . ليقف معه حتى يفصل امر قتل سقط من آل (تاغللو) بايدي آل (اكرض) و (ايت وافقا) ، فان اولياء القتل يتطلبون فصل القضية

ويذكر للة انه رأى مخطوطا فيه تقييد شعير كثير قد فرضه ووزعه القائد ابراهيم على قرى (تامانارت) وقد بين هناك ما اعطاه اهل كل قرية . فدل ذلك على ان بيد القائد صولة وبسطة في كل (تامانارت) في ذلك الوقت الذي عادت فيه القبائل بعد موت المولى اسمعيل الى عاداتها، فمن عزز بز ، ومن غلب سلب .

وقبر القائد ابراهيم في مقبرة الرؤساء القديمة التي في شرق المسجد الموجود ازاء مسجد الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم . وهو لا يزال معروفا عند رجال الاسرة الى الآن .

محمد بن ابراهيم

هو الذي تقدم انه احد اولاد القائد ابراهيم ، وهو الذي خلفه في الرئاسة، وامه وام اخوته تسمى الزهراء بنت احمد ، وهو شيخ رئيس من آل قرية (تافقوت) واصله من قبيلة (تكنة) من (احماد) ولا يزال رسم جهاز الزهراء موجودا الى الآن . ويذكر الشيخ محمد بن ابراهيم باخلاق والده من الشجاعة والاقدام ، وقد جرت بينه وبين قبيلته آل (اكرض) حرب شعواء امتدت ما شاء الله . حتى تكافأت الكتفتان ، فوقع الصلح بين الفريقين ، ثم

وقعت حرب أخرى بين الشيخ محمد بن ابراهيم ، وبين الحربيليين . وكانت شيعته التي يعتمد عليها دون آل (أكرض) آل (أمانوز) وآله الذين سكنوا معه في (أكادير) وعبيده ، وكانوا كثيرين ، فبينما هو يوما في حرب مع الحربيليين والوغي قائمة ، وقد حمى وطيسها ، اذا بئال (أكرض) خرجوا الى ملعبهم يلعبون ويرقصون رقصهم المعتاد . لعدم مبالاتهم بما وقع . وكانت لهم قوة وعدة وكثرة . فوجت امرأة وسط الملعب ، فتناولت حجرا فرمت به الى فوق ، ثم رجع فسقط وسط الملعب ، فقالت لهم تبا لكم . ايموت اخوانكم في مدافعة اعدائهم ، وانتم هنا سادرون ، فلا مناص لكم من الرجوع الى اخوانكم ، كما رجع هذا الحبر الى مكانه وان بعد ما بعد في السماء . فاحفتم عتابا اثارهم فيه فجروا الى سلاحهم . فلحقوا بصغوف الشيخ محمد بن ابراهيم ، فدحروا الحربيليين وهزموهم . فبذلك انام الصمدع ثانيا بين الفريقين . وقد كان الشيخ الحضيكي زار (تامانارت) فراود آل (أكرض) ان يشتروا فرسا للرئيس منهم . فاشتروها فأمر الشيخ الحضيكي محمدا هذا فركبها ، فثار آل (أكرض) فقال لهم الحضيكي هي له بلا ويب ، فصيح الله كلامه ، وهذه الحكاية يشك الحاكى من وقعت معه ، امحمد بن ابراهيم ام اخوه ، والله أعلم .

وقد تزوج محمد من اسرة (اذ بلاء) من (ايمو) (أكادير) ويكثر فيهم العلم . وكانوا اذ ذاك ارباب ثروة كثيرة .

أحمد بن ابراهيم

اخو المتقدم ، وُلِيه في الرياسة حين توفي عن عهد قليل قصير في الرياسة . كما وقع لهذا ايضا . فانه لم ينشب بعد فترة من عهده في الرياسة ان سلو خافرا مع 100 من جيمال المرابطين ، ذهبت بالملح الى جهة الجبال . فتعرض للجبال المجاطيون في بطحاء (تافلتاست) فقتلوه ، ولسم يعرفوه ، ولا ادركوا انه يغفر القافلة ، وسرعان ما ردوا كل ما نهبوه حين عرفوا ما صنعوا ، فحمل الشيخ أحمد الى مشهد سيدي عيسى بن صالح الايزنزيبي فدفن هناك .

وقد اعقب عبد الله وعبد الرحمن ، لا غير .

عبد الرحمن بن أحمد

ولى بعد والده ، وان كان اصغر من اخيه عبد الله . الا أن اخاه قدمه وظهره . ويذكر بمال كثير . وقد ثارت حرب بينه وبين الحربيليين فاستجاش المجاطيين ، فحاربوا يوما ، فمات منهم تسعة ، ثم داخلهم الحربيليون بمال كثير . فانفضوا عن الشيخ عبد الرحمن بغير توديعه ، اثر اكلة قدمت لهم في

فصاع كثيرة فى جبل (ايزريمتكى) فاعتاظ عبد الله من فعلة المجاطيين . فقال له اخوه الشيخ عبد الرحمن لا ردهم الله . فانما اتى الله بهم حتى اخذنا منهم ثار ابينا ، فهو واحد ، وهم تسعة . ثم ان ذلك لم يفت فى عضد عبد الرحمن ، بل ثابر مع اخوته على حرب الحربيليين . حتى دخلوا فى الهرة .

توفى الشيخ عبد الرحمن فى وباء 1214 هـ .

عبد الله بن أحمد

ثم برز عبد الله الى الميدان ، حين لم يجد ازاؤه مثل ذلك الاخ الجسور الذى كان يكفيه المهمات ، ويدرا عنه الملمات . وكان مشهورا بالجرأة وخوض الحروب بنفسه . لا ينكص اذا قامت قائمة الوغى ، ولا يقدر ان يملك نفسه . وبذلك كان شواظا متلظيا على الحربيليين . حتى اجلي غالب المرابطين من قرى ما فوق وادى (تامانارت) وكان ينكى على حزب (تاكوزولت) وهؤلاء المرابطون على حزب (تاحككات) ، وسبب اجلانهم عن تلك القرى انهم يتعدون على عين (تيملت) ، ويفسدونها ، وقد عمدوا مرة الى ثياب الشعر فملئوها بالنوى ، بعد ما يخطوها . فيلقونها فى مجرى العين ، ثم اذا انتفخ النوى يسد مجرى الماء . فادى ذلك الى الاضرار العظيم بـ (تامانارت) فشمى الشيخ عبد الله عن ساعده حتى لم يدع هناك مرابطيا ، ولم يقطنها الا غيرهم من الخراطيين ، وضعفة اناس آخرين . حتى هذا الحصن المنسوب الى (ايت) على المرابطين ، يتقوا الا بعد . وهو الذى خرب كثيرا من حصون تلك الجهة المنسوبة للمرابطين ، كـ (تاكاديرت) ومقل (اموش) كما خرب (امزوروا) اسفل (تامانارت) .

وكانت يده متصلة بيد رئيس (ايليخ) الهاشم بن على ، الذى كان اذ ذاك يعسوب جبال (جزولة) كلها . وهذا هو السبب حتى لا نرى عنده اى اثر رسمى للهوى سليمان الذى كان سلطانا اذ ذاك - كما لم نر عند ابيه اثرا للسلطان سيدى محمد بن عبد الله . كان رجال هذه الاسرة اذ ذاك يفهمون انهم لا ينتفعون الا بقوة جيرانهم هؤلاء ، فزهدوا فيما فى يد الحكومة . وان كان ذلك لا يليق بامثالهم . وقد كان الجيش السلجمايى الذى يقوده محمد بن يحيى اتعتاج الحاحى خاض الجبال هذه من سنة 1224 هـ . فاجفل من امامه الرئيس سيدى الهاشم الايليغى . وباتصاله بنال (تامانارت) نكصوا ايضا عن ملاقاته اتعتاج . بعد ما ارسل الى الشيخ عبد الله هذا فلم يصله ، وقد اجابه بان قبيلة (تكمة) يحسب منهم ، فما يريد من فليذكره لهم ، وقد اعتذر اليه بالخوف . وبعدم مفارقة داره ، لئلا ينقض على داره اعداؤه الكثيرون . توفى الشيخ عبد الله 1242 هـ .

الشيخ حمو بن عبد الرحمن

خلف أهله في مركزهم وفي غناهم وفي بسالتهم ، وقد نالت دارهم في عهده ثروة لا تكيف فيما يقولون - وكان يقايض في تجارة السودان . فبذلك بجرت حقائبه ، ويذكر القائد أحمد ولده أنه يعرف وهو صغير جلودا كثيرة وضع بعضها على بعض ، في نواحي دار من ديارهم . قال وكانى بها ونحن صغار غلف نضع أيدينا على الجلود ، فتتناثر الدراهم في أيدينا . فتعتمد أمهاتنا الى الدراهم التي تفيض مما يتمزق من الجلود . فيرددنها الى محلها . ثم يخطن الجلود ، قالوا : وكان له تبر كثير في أكياس تكال بالموازين واشتهر بمحبة أبناء الشيخ ابن ابراهيم ، وكان كريما فكلما هم احدهم بالزواج اعطاه مائة مثقال ، كما يعطى مما يتزوج من آل (أكرض) خمسين ، وكان عمه عبد الله ينهاه حين رآه يصنع ذلك يقول له : فارق آل الشيخ ، فانك سترى منهم ولا بد وترى، فان الاحسان الى الاعداء يعده الاعداء ضعفا ، وفي الحديث : اتق شر من أحسنت اليه .

وقد ذاع عن الشيخ حمو مجاريته مع الحرييليين . فقد ثارت حروب شديدة بين الفريقين . والحزبية اذ ذاك بين آل (تاكوزولت) وآل (تاحكات) باللغة اشدها . ينصر كل فريق صاحبه ظالما أو مظلوما ، وباتصال الشيخ حمو بمركز (تاكوزولت) (ايليغ) كان جانبه دائما قويا ، ولم يزل على الشآن، مبسوط اليد في ايالته، حتى قتله المرابطون أبناء الشيخ غدرا في سنة 1236هـ في وسط غوشت والفواكه موجودة ، والناس في ظلالهم يقيلون .

ومحصل الخبر ، أن فقيها من أبناء الشيخ يسمى سيدى محمد بن عبد الله كان يحمل معه مصحف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم تحت ابطه . فكان كلما لاقى من أنس منه انصاتا ورجولية ، من آل (أكرض) يميل به الى ناحية . فيستحلفه فى المصحف ، على أنه اما أن يتبع ما يقترحه ، والا فانه يكتم عن كل الناس أيا كانوا ما سيسمعه . ثم يسر اليه بأنه يهين حملة يفتك بها بئال حمو . ثم ان استحلفه فاما أن يسلس له القياد فى الدخول فى حربه . والا فانه كاتم لما سمعه ، وحين أبرم ما أبرم ، والناس كلهم فى امان . والقرية تجمع كلا أبناء الشيخ والرؤساء وغيرهم . اجتمع أناس من أبناء الشيخ فى مسجد الشيخ على اضياف نزلوا عليهم . وهم اناس من (ادبوفولون) من آل القائد المدنى الاخصاصى ، وقد اتى بهم أبناء الشيخ ليتقوا بهم فيما يهتمون به . فارسلوا الى عبد الرحمن ولد الشيخ حمو . وكان رجلا باسلا كبير القدر بين أهله . له أولاد قبل . يقترحون عليه أن يوافيهم فى الليل الى المسجد فجلس الاضياف فسهروا هناك يتصاحكون . ويتراون فيما بينهم خارجهم . أيها أجود ، فاراهم عبد الرحمن خنجره أيضا . بطلبهم بعد ما

مده اليهم بحمائله . لسلامة طويته ، ولم يخطر بباله ما يقصدونه به . فحين
 توصلوا بالخنجر اعتقلوه . فاخرجوه من المسجد الى المتوضا فذبجوه ذبح الغنم .
 ثم لزموا محلهم من غير ان يشعر احد بما كان . وحين أصبح الصباح هياوا
 ما يريدون . فانتظروا حتى جلس الشيخ حمو امام درب (ايت بوونورتغ)
 في الهاجرة ، فرهوه برصاصة . فاشتعلت فيه النار ، ثم قتلوا الشيخ
 مبارك بن عبد الله امام المسجد ، وامغار باها اخاه عند الدرجة السفلى من
 درج (اكادير) ثم ولجوا باب (اكادير) فقتلوا امغار على ابن الشيخ حمو امام
 دوبرة بنى يعيا ، داخل (اكادير) كما مات عبدان آخران ، وكانت زوجة الشيخ
 حمو جريجة في الدار ، ثم ماتت بعد ذلك ، لانها تدافع عن الدار مع ابنها
 محمد . وقد كان امغار حمو بن عبد الرحمن الحرييل في بستان له جالسا مع
 محمد ابن الشيخ حمو في ذلك الوقت ، ومحمد يقول له : احب منك ان تتوسط
 بيني وبين ابي ان يسرحني الى الحج / فاذا بطلقات البارود ، فقال له حمو
 الحرييل ان اباك مقتول ، فخذ سلاحي كله ، وتسليح به وادخل الى الدار
 فاصنع ما امكن لك . وارسل معه عبده . ثم ان العبد مات دون الدار ،
 واما محمد فانه تجلد حتى دخل الدار . فصار يدافع مع امه المذكورة بالرصاص
 عن الدار . ومعهما رجل آخر ، وهذه الدار وسط (اكادير) وتسمى :
 (تكمي اوفلا) - الدار العليا - فصبروا ذلك النهار والنهار بعده . وفي
 النهار الثالث عند العصر ، جاء الايشتيون ، فوقفوا لهم حتى اخرجوهم
 بالحفارة بين سماطين من آل (اكرض) وخصومهم ابناء الشيخ ، والحرييلين
 وشيعتهم ، فجلوا على ارجلهم رجالا ونساء وصبيانا . ثم توجهوا مع آل
 (اتامر) الساموكنين وآل (ايشت) وقد عزموا على الذهاب الى (ايشت)
 خوفا من ان يقتل بهم الساموكنيون ، وحين وصلوا قرية (ايغير ويكولن)
 راوا خيل المجاطين تغلذ نحوهم لاغاتهم . وقد وصلتهم الاخبار على يد
 بعض آل (ايغير ويكولن) فجاء كل فرسان مجاط ، فحين لقوهم رجعوا
 بهم ، فنزلوا عند مشهد الشيخ ابن ابراهيم اسبوعا تاما . ريثما هنيئ لهم
 الدخول الى دارهم بحيلة ، وذلك ان المجاطين حين نزلوا بغيل كثيرة داخلوا
 اهل (اكرض) ومن اليهم بلطف ، فقالوا لهم ان مقصودنا الوحيد ان يرجع
 هؤلاء الاولاد والنساء الى الدار ، واما الرياسة فاختاروا انتم من يصلح لها .
 فاذن هؤلاء لذلك . فاسلسوا لهم القياد في انجاز ذلك ، فنادى اهل (اكرض)
 بان يكون الرئيس سيدي ابراهيم بن محمد من آل الشيخ ، نادوا بذلك على
 المسجد ، فتناجز الناس وتصالحو ، وتم الامر . وكانت دور الراحلين قد
 انتهت المحتلون متاعها كله ، الا ما كان من الحبوب والتمر ، فانهم قالوا بقي
 لنا متكتا في الملمات . ثم انهم يضعون على باب (اكادير) حارسا وفي ليلة خلا
 فيها (اكادير) وليس فيه احد . ذهب الحارس مستخفيا الى مشهد الشيخ ،

فوجد القائد محمدا جالسا . فاعطاه مفتاح (أكادير) وذكر له انه لا احد هناك فارسل مائة من رماة (مجاط) الى جوار (أكادير) عند مصلى العيد . استداروا اليه من بعيد . وامرهم ان يبقوا هناك . وانه سيدخل في الباب ، فان وصل الدار فذاك، والا فانه سيناضل الحرب عند باب (أسكا) واذ ذاك يتسلقون الى الدار . فجاء القائد ومن معه . فلم يجدوا عند باب (أسكا) أحدا ، فدخل مع أربعين من الرجالة معه . فظلعوا الى (أكادير) فنادى فيه بالسرعة . ثم أخرج من معه بارودا كثيرا ، فاندفع من كانوا بالخارج من بقية (مجاط) فاحتلوا البلد . فاجلوا آل الشيخ كلهم بنسائهم وصبيانهم ، ولم يأخذوا معهم قلائد ظفر . لكونهم لا يظنون مثل هذه الفعلة . فدخل أولاد الشيخ حمو دارهم . أكبرهم القائد محمد وهو اذ ذاك شبه أبله . لا يرتجى منه ان يكون ربان السفينة ، الا أنه ظهر منه خلاف ما يحسب ، فحين تمكن في داره التي لم يبق فيها الا الخبواب وحدها ، وصلى رسالة من أمغار حمو بن عبد الرحمن الحزبيل الذي كان مكنه من سلاحه من بنسائه أنفا ، يقول له : ان آل الشيخ نزلوا أمام داري بعيالهم . هل أقبلهم أو لا . فاجابه بان الاولى ان يقبلهم هو ، لا أن يذهبوا الى أحد الحزولين . فتختلف كلمة (ناكوزولت) لذلك هو السبب حتى نزل آل الشيخ الى الآن في (القصبه) . وقد تركوا ديارهم ، فاحتلها آل (أكرض) الى اليوم . وهي كلها معلومة . هكذا خبر هذه الواقعة التي لم ينسها الفريقان الى الآن ، وهذه رواية أهل هذه الاسرة . وقد بقى الشيخ حمو مع المقتولين خمسة ايام في حفرة . وقد هم بعض السفلة بحرقهم . فمنعه العقلاء ، الى ان جاء السادات أولاد سيدي علي بن ياسين فدفنوه وسط المقبرة الجديدة ، وقبورهم معروفة الى الآن . ولم يكن الشيخ حمو بمسن حين مات ، وان ترك ثمانية من الذكور . وانما تزوج مبكرا . وشغله الشاغل التجارة الواسعة مع تجار السودان ، وقد بنى لذلك دارا خاصة وتسمى (دار اكثيد) لانها مبنية في محل منسوب لسلطان من السلاطين كما تقدم .

ومن اخباره أنه كان مرة حاضرا في حرب بين (مجاط) و (بغيلة) فانهزم البغيليون حتى وصل المجاطيون (دار آل على بن أحمد) الكردوسيين فعال دونهم ودون نهبا . وكان بهمة من البهم . وفارسا كرادا في كل مجاله . وهو مع المجاطيين لانه من (ناكوزولت) .

القائد محمد بن حمو

أمه فاطمة بنت أحمد بن محمد بن ابراهيم . بنت عمه . وهي التي تقدم انها دافعت في سطح الدار يوم الفتنة بزوجها ، حتى جاءتها رصاصة من ثقبه فجرحته . ثم لم تشب اثر الرحيل أن ماتت في الطريق . قبل ان تقر

عينها برجعها الى دارها .

واول ما فعله القائد محمد ان خرب بعض ديار خصومه آل الشيخ . ثم صار يتتبع قتل رؤساء الراحلين ، دسا لرجال يثق بهم ، لان كثيرا من حراطين (أكرض) كئال (اصفئارنن) تماثلوا مع آل الشيخ . فرحلوا برحيلهم . ثم دامت حرب بين الحرييليين الذين شايعوا آل الشيخ المغلوبين ومن معهم ، وبين آل (أكرض) سبع سنوات . حتى استجار بعد حروب عنيفة أبناء الشيخ بالرئيس الحسين بن هاشم . فأرسل الى أهل (أكرض) فلم يزل بينهم حتى تصالحوا ، فدفع آل الشيخ اثني عشر قنطارا من الفضة ، أو اثني عشر ألف ريال . ومصطلحهم أن يطلقوا القنطار على ألف ريال ، واذ ذاك فقط توصل آل الشيخ بأملأهم من (تيملت) فصاروا يستغلونها بعد ما كان القائد محمد هو الذي كان يستغلها . ثم ارتفعت عنها يده ثم يد من بعده من أهله الى الآن . ومن حروبه أيضا حرب كبيرة بينه وبين (آل مريض) على قضية (ايشت) وكانت من الحروب التي تناطح فيها حزبا (تاكوزلت) و (تأحكات) جاء اليها رئيس (تاكوزلت) الحسين بن هاشم يجر اليها جيشا لتجسبا . فيه من الولتيتيين والبعمرانيين رجلا وخيلا ، حتى انهم ليعبرون عن كثرة الخيل بانه ولدت اذ ذاك مائة رمكة ، قبل أن يفرق الناس (ولا يفين عن القاري أن أهل هذه الجهات انما يستخدمون الرمكت كثيرا في ركوبهم وفي حروبهم ، وقليل جدا من يملك الفرس الذكر ، لانهم يريدونها للولادة وللحراث) وذلك أن (ايشت) احتلها حزب (تأحكات) جاءوا من (طاطة) ومن (أقبا) ومن كل من في تلك الجهة ، فهاجم الجزوليون (ايشت) الى أن تبجحوها ، الا أنهم غلبوا وهزموا من وسط القرية . وقد نزل هذا الجيش كله في المروء في (تامانارت) فقام القائد محمد بضيافتهم كلهم . فتعجب سيدي الحسين بن هاشم مما رآه ، فقال اننا لاتعجب للحبوب فانها تشتري من الاسواق ، ولكنني اتعجب من التبن الذي يكفى لهذا القدر الكثير من الخيل .

ويؤثر أن القائد محمد كان مشهورا بطول الاناة في المحاربة . وبذلك أمضى كل عمره . ومما جرى اذ ذاك أن الحرييليين والمرايطين اعنى (آل مريض) كما اشتهروا به - زحفوا مرة الى (تيملت) سنة 1286 هـ . فحاصروا القائد . وحرقوا كل نخيل (تيملت) وقد وصلت خيولهم هذا المكان الذي بنيت فيه السوق الجديدة اليوم . وحتى وردت عين (امانيو) التي في مقابلة قرية (أكرض) وفي سنة 1290 جزاهم بالجزء الاوئى . فحاصر قرية (القصبه) التي منها جرتوعة (تأحكات) وهي قرية بينها وبين (أكرض) نحو ثلاث كيلومترات فقط ، الا أن بينها الاشجار . يحجب بعضها عن بعض ، والا جبيلا صغيرا ناتئا ، وكل ضروريات الفريتين مشاركة دائما - فلم ينكشف عنها حتى القى أهلها يد الاستسلام . وخضعوا وذبحوا الذبائح أمامه - وهي علامة الاستسلام

عند كل الشلوح - ثم استنقذ من تحت أيديهم قرية (ايغير ويلنولن) وقد كان ذلك الحزب انتزعها من حزب (تاكوزولت) فكان ذلك اعظم نصر ناله ، لتكون قرية القصبة بين (أكرض) و (ايغير ويلنولن) (1) .

أما ما يتعلق بالقائد محمد من اتصاله بالحكومة على ضعفها في ذلك الحين، فانه تتجلى في هذه الظواهر التي نسوقها، وهي كلها في عهد المولى عبد الرحمن. 1 (خديمة الارضى الشيخ محمد بن حمو ابن القائد التمانارتى ، وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اخبر محبنا الفقيه البرمة الارضى سيدى أحمد بن محمد التيمكيدشتى بما وفقك الله له من الخدمة ، وما هداك اليه من كمال دينك ، والسعى لآخرتك . من الدخول فى الطاعة ، والانخراط فى سلك الجماعة ، واحياء خدمة داركم . وتجديد حرمتها كما كان سلفكم الصالح مع سلفنا . قدسهم الله . وحقق لنا ذلك خديمتنا الارضى حماد ابن بومهدى الهوارى . فقد أوتيت بذلك رشدا . ولقيت سدادا وهدى . واستبرأت لعرضك ودينك واحتطت لدنياك وآخرتك ، وقد ورد على حضرتنا الشريفة اخوك أحمد . وقام بواجب السمع والطاعة ، وناب عنك فى المثول بين أيدينا ، ومعاودة حضرتنا . وها نحن وجهناه صجة ولد الفقيه . وقد وليناك أمر قبائل جبل سوس الاقصى (زُدوتة) الى (ايشت) ومن (وادى الفاس) الى (وادى نول) وجعلناك واسطة بينهم وبين خديمتنا القائد حماد المذكور ، وخليفة عنه عليهم ، لتتولى قبض جبايتهم ، وتدفعها له ؛ ليوصلها الينا . وأمرناه ان يكون معك على رأى واحد . ونظر متحد . وأن يشد عضدك ويعينك فيما تحتاج اليه من أمور خدمتنا الشريفة . فكن معه ذاتا واحدة ونفسا متحدة فانك تجد منه خير معين ، وأفضل ناصح ان شاء الله . وقد كتبنا له فى ذلك ، وعليك بتقوى الله وطاعته ، والقيام بما كلفته جهد الاستطاعة ، والله يتولى هداك ، ويعينك على ما أراك . وقد اطلعنا على ظواهر اسلافنا الكرام قدسهم الله ، التى بيد اخيك . ونحن على أثرهم والسلام ، فى 16 شعبان عام 1262 هـ) . وفوقه طابع وسط فى أثناؤه عبد الرحمن ابن هيشام ، الله وليه ، وفى دائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد فى آجامها تجسم 2 (خديمتنا الارضى الشيخ محمد بن حمو ابن القائد التمانارتى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وليناك على جبل سوس الاقصى من (زُدوتة) الى (ايشت) ومن (وادى الفاس) الى (وادى نول) وما بين ذلك من القبائل الجبلية ، وأسندنا اليك أمورهم الخاصة والعامة . وبسطنا لك يد التصرف عليهم ، وجعلناك واسطة بينهم وبين خديمتنا القائد

(1) فى تراجم آل الشيخ تفاصيل أخرى عن هذه الحروب وقد تقدمت فى (الجزء السابع) .

حماد بن بومهدى الهوارى . لتولى قبض جبايتهم ، وفصل دعاويهم . واخذ الحقوق منهم ولهم . أسعدك الله بهم واسعدهم بك آمين . ونعهد اليهم بالسمع والطاعة ، وحسن الخدمة معك ، بذل النصيحة . ومن حاد عن السبيل الاقوم فليرتقب سطوة الله وانتقامه . ولا يلوم الا نفسه (وائله عزيز ذو انتقام) عليك بنقوى الله تعالى وطاعته ، والقيام بخدمة الشريفة جهد الاستطاعة ، والاعتناء بامور الدين ، والهداية الى سبيل رب العالمين ، والرفق بالضعيف والمسكين ، والتشديد على أهل الفساد والمهرددين . والاهتداء بهدى العلماء العاملين ، والاقتفاء للخدام الصالحين ، والسلام فى 16 شعبان عام 1262 هـ) . وفوقه ذلك الطابع نفسه .

(وهو وما قبله شىء واحد ، مدلولاً وتاريخاً ، الا فى بعض العبارات . كما يراه القارئ)

3 (خديمتنا الارضى الطالب محمد بن حمو التامانارتى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك ، وعرفنا مضمته ووصل عيادة قبائل ايلتك صحبة أخيك أصلحه الله ، وشهدوا العيد ، ودعوة المسلمين ، وقاموا بواجب السمع والطاعة . وادوا الهدية كثر الله خيرهم ، وشكر برهم ، وعوضهم خلفا آمين ، وما طلبت من الخدمة مع خديمتنا الهوارى ، وجعله واسطة بيننا وبينكم . فقد وفقنا وارشدت ، فانا امرناه بذلك ، وأوصيناه عليك غاية ، والسلام ، فى فاتح المحرم الحرام فاتح عام 1263 هـ . وفوقه طابع صغير فيه : عبد الرحمن بن هشام الله وليه .

4 (خديمتنا الارضى القائد محمد بن حمو التامانارتى ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك . وعرفنا مضمته . ووصل احمد بن على الهشتوكى الذى وجهنا اليك مع الخيل للخدمة معك . حسبما طلبت ، فاخبرت أنه لم يقف عند حده . واشتغل بالخوض والوسوسة والافساد عليك ، وحلته وانذرته . وحين لم ينته من فعله قبضت عليه ، ووجهته لخضرتنا العلية . فلذلك جزاء من تعدى طوره ، فانا انما وجهناه لقصد الاصلاح والمعونة ، والكون عند اشارتك وامرك . وقد ذكر أن خيله وحوائجه بقيت هناك ، وما زمامها يصلك ، وجه له ما خلفه . وما طلبت من اعانتك ، وشد عضدك . وانك لا تقصر فى الخدمة . فما قمناك الا لذلك ، لانك من دار خدمة وصلاح . وعلى بالنا ما كان عليه سلفك الصالح من النصيحة والارشاد ، وحسن الخدمة ، مع اسلافنا رضوان الله عليهم ، والفرع تابع لاصله . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتاباه ولأئمة المسلمين وعامتهم . ولتكون ولايتك ارشاد الضالين ، ونصح المسترشدين . وجميع كلمة المسلمين . فان الله تعالى ييسر أمرك ويشرح للخيرات صدرك ، قال الله سبحانه « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » والسلام فى 29 فلحرم

الحرام فاتح عام 1263 ؟) .

وفوقه ذلك الطابع الكبير المذكور آنفا .

سالت عن الهشتوكى هذا فقيل لى انه كان لا يبالى بالقائد محمد . ويختلف الى (آل مريض) والى الحرييلين ، وينصت اليهم . وكاد يثير ما يثير ولذلك بادر القائد محمد ففعل به ذلك .

5 (خديما الارضى القائد محمد بن الشيخ حمو التامانارتى ، وفقك الله واعانك ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بزمك على القنوم على حضرتنا العلية بالله . وانك خرجت من دارك على نية ذلك . ووجهت على اعيان قبائل تلك النواحي لتصحجهم معك ، استيناسا لهم ، وتدريبا لما شرح الله له صدرك من امور خدمتنا الشريفة ، والدخول فى سلك اهل لا اله الا الله ، والسعى فى هداية تلك القبائل وارشادها . والوقوف فى استقامتها ، فاقدم على بركة الله . فمرحبا بكم واهلا . فلکم لدينا من الاثرة والعناية ما تطيب به نفوسكم ، وتقر به اعينكم ، ولا تروا بحول الله الا ما يسركم . اصلحك الله ورضى عنك ، والسلام ، فى 28 من ربيع الاول عام 1263 هـ .) .

وفوقه ذلك الطابع الصغير الموصوف قبل الظهير المتقدم

6 (خديما الارضى القائد محمد بن حمو التامانارتى ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد فقد وصلنا كتابك صحبة اخيك ومن معه وعرفنا مضمنه . وقد قاموا بواجب السمع والطاعة ، وادوا الهدية التى وجهت صحبتهم كثر الله خيركم وعوضكم خلفا ، آمين . وعلمنا العذر فى تاخر ورودكم على حضرتنا الشريفة ، لما رأيت من دخول الناس فى الطاعة ، واعطائهم البيعة على الخدمة والنصيحة ، وتجديد النظر فى امر القبائل . فهذا من اكاد الامور وأولاهها بالتقديم . واحقها بالسبقية والاهتمام ، فقد احسنت فى ذلك ، وقد قام أخوك مقامك ، وأدى عنك . ولك لدينا المكانة والعناية ، سواء أتيت او أقمت . اصلحك الله . وما ذكرت على شأن الم رابط سيدي الحسين بن هاشم والحديم الشيخ مبارك بن عبد الله بن سالم ، فها نحن كتبنا لهما . وأمرناهما أن يعيناك على قبائل ايبالتك . ويكونا معك دائما يدا واحدة ، ونفسا متحدة فى المعاونة على الصلاح ، وشد العضد ، فطب نفسا وقر عينا . وما ذكر على شأن توجيه المحلة . وانك انما تحتاجها بركة وهمة . والقتال يتولاه قومك ، واهل الخدمة معك ، فاعلم أن هذا وقت اشتداد الحرارة - والناس حديثو عهد بقلأ الاقوات ، ولو طلبت منا هذا فى اول الربيع ليسرناه لك . فسدد وقارب ، واحمل الناس اليوم على الاستقامة والصلاح . ألف بين قلوبهم ، واجمع كلمتهم على الخدمة والمناصحة ، حتى يدخلوا فى الطاعة افواجا ؛ ويألفوا الخدمة والاستقامة . وفى العام القابل تنهيا لك المحلة على الوجه الذى

ينبغي في ابانها ، ويقضى الغرض ان شاء الله تعالى ، والسلام . في 2 رجب
الفرد الحرام عام 1263 هـ . .
وفوقه الطابع الكبير المتقدم .

والشيخ مبارك بن عبد الله بن سالم ، هو من قبيلة (إزافاضن) ، وهم
عرب رحالة ، وهم قبيلة من (تكنة) وقبائل تكنة : اد حماد - واد مسعود ،
وايت الحسن، وازافاضن، وايتوت؛ واد ياسين - واد زكري . واد بوهو . واد
بوعشرا ، واد موسى بن ناود ، واد ابراهيم، واداولكتان . ويقال لهم أيضا
(ايت جمل) ولا تزال الرياسة في (آل مبارك) المتقدم . ومركزهم في المحل
المسمى (تيفنمرت) بـ(وادي نول) وللزفنيين رياسة أخرى كانت الآن
1363 هـ . في يد القائد محمد بن يحيى ولد الهيبة في (أسرير) .

7 - (خديمتنا الارضى الطالب محمد بن حمو التامانارتي ، أصلحك الله .
وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بجدك
واجتهادك في الخدمة الشريفة. وسعيك في أمور الصلاح، وتأييد القلوب على الطاعة.
ذلك هو الظن بك . والمعهود من عمال الصلاح وولاة الجد . وعلمنا ما عليه
قبائل ابالتك من الوفاق والائتلاف، وانه لم يخرج عن نظرك غير قبيلة (حربيل)
ومن انصاف اليهم من شلاذ القبائل . ولم يقصروا في الفساد حتى غرمت
على حربهم واخذهم ، فتوقفت على الاذن منا في ذلك . فبوصول كتابنا هذا
اليك تقدم لهم بالاعدار والانداز ، والوعظ والتذكار . فان رجعوا عن غيهم ،
واقصروا من قبيح سعيهم ، فذاك وان اصروا على بغيهم وعنادهم، فقد أذنا لك
في قتالهم وجلادهم حتى يفيئوا الى أمر الله ، أعانك الله وارشدك . وأخبرت
أن خديمتنا الارضى الشيخ مباركا ولد عبد الله بن سالم التيكني امثل أمرنا
الشريف في شد عضدك ، والوقوف معك ، والغير لم يمثل . فان فائدة
العمال تبيحتهم هي شد العضد بعضهم بعضا . وامثال الامر والنهي ، ولا
يزالون كذا بخير مادادوا شادين عضد بعضهم بعضا . متعاونين على الخدمة
والصلاح . وما ذكرت في شأن ما وقع في ايلة الطالب حماد بن بومهدى ،
وما شاع فيهم من الفساد ، وتكرر قتاله معهم ، حتى مات من الفريقين عدد
كثير . وان ذلك من قلة سياسته ، وعدم الرفق في سيرته . فقد صار ذلك
منا على بال . وقد أدبت ما عليك أصلحك الله ، والسلام . في 3 ذي القعدة
الحرام عام 1263 هـ . .
وفوقه ذلك الطابع الكبير .

8 (ولدنا الابن الارضى سيدى محمد أصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة
الله تعالى وبركاته ، وبعد فيصلك كتاب وجهه لحضرتنا العلية بالله الخديم
القائد محمد بن حمو التامانارتي . في شأن فتنة واقعة بينهم وبين الحربيليين
حسبما تطالع فيه مع كتاب وجهه له البركة الفقيه السيد أحمد التيمكيدشتي
في شأن ذلك . فطالعهما . والله تعالى يقول « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا

فاصلحوا بينهما» وقال: «لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو صلاح بين الناس» وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذا التقى المومنان بسيفهما ، فالقاتل والمقتول فى النار . فيجب السعى فى حقن دماء هؤلاء المسلمين . واطفاء نار الفتنة التى اضرمت بينهم الشيطان اللعين . ونحن نحب الرفق بعباده . لان الله سبحانه وتعالى امر به . والنبي عليه السلام نذبه اليه « ان اريد الاصلاح ما استطعت » وعليه فبوصول كتابنا هذا اليك وجه لهم من هناك طائفة من المسلمين تصالحهم . وتذكرهم وتندرهم ، حتى تزول الضغائن من صدورهم ، ويرجعوا لاحسن احوالهم ، واكتب لهم كتابا من عندك بهذا ، وعرفهم وخامة رأيهم ، وحذرهم شؤم سعيهم ، وان الالفه رحمة ؛ والفرقة عذاب ، والفتنة نائمة ، من أيقظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . ووجه لهم ايضا كتابنا هذا ليقرأوه ويعلموا ما امرناك به فى شأنهم وانما يمثلون امر الله . وهذه الطائفة التى تعين ، وجهها لسيدى أحمد التيمكيدشمتى ليوجهها اليهم على يده ، مع اناس من عنده . والله تعالى يوفق للخير ويهدى اليه ، والسلام . فى 12 المحرم الحرام فاتح عام 1268 هـ .) .

وفوقه الطابع الكبير المذكور .

هذه هى الظواهر التى اخرجها لنا القائد محمد بن البشير . وقد انقطعت هنا ، وعمر القائد محمد مدته الى 1293 هـ . فما الذى وقع حتى انقطعت المراسلات ، ان انقطعت حقا . ولم تضع بين الاوراق الكثيرة المكسدة فى دأريهم ؟ فهل غلبت الحزبية التى يرأسها سيدى الحسين بن هاشم يعسوب هذه الجهة اذ ذاك . قادى ذلك حتى انكمش القائد محمد عن التعلق بالسلطين ، وخصوصا ان رأينا أنه يتطلب الجيوش التى يتقوى بها فتعوزه ، ولا يفوز الا بالمواظع ان تلقى لمن يحسن دينه ، وتفتح عقليته . وتلطف شمائله . فانها لا تصلح لامثال هؤلاء الهمج الرعاع ، الذين يقول فيهم الشيخ الحضيكي ان اموالهم يعزل للنهاب منها أن يشتري بها أضحيتهم ، لانهم مبتدعون . ويؤثر مثل ذلك عن الشيخ أبى العباس التيمكيدشمتى . وقد سمعنا حكاية ربما تلقى ضوءا ما على هذا ، فقد كان مرة القائد محمد عند سيدى الحسين بن هاشم . فقال له هذا : بالله ماذا تفتش عنه بعد . وهل يسرك ان نلت القيادة - وكانه يرمى الى ما يتطلبه من السلطين . - فاجابه القائد محمد بأنه انما يتطلب القيادة التى تنشر هنا فى (ايليج) على كل عبد ، فلا نسمع الا القائد قرجى ، القائد صتبنا ، القائد معظلا . حتى كان كل العبيد بـ (ايليج) قوادا . ولكنك انت يا سيدى الحسين ما تطلبه بعد ؟ . يومى الى ما يتهم به الناس سيدى الحسين من تطلب السلطنة . وكذلك ان عرفنا ان القائد محمدا احد اركان حزب (تاكوزولت) كان مكرها على ان لا يفارق شيعته ، لانه لا يجد ازاءه سواها فى محارباته مع أعدائه . ربما نجد هذا السبب

قويا في تحليل انقطاع الاتصالات بالسلطين.. ان كانت انقطعت حقا - فهذا الحسين هيا جيشا من اهل نحلته كلهم ليقاوم المولى الحسن ، حين ارسله والده السلطان سيدى محمد الى سوس . حوالى 1282 هـ . ولا ريب ان امثال هذا القائد لا يجد مناصا من موالة حربه . ومن مماشاة جيرانه ، لئلا يتعرض لهدم داره ، ثم لا تنفعه الحكومة بذرة ، لان اهل تلك الجهة لا يخضعون لها الا ما دام جيشها عليهم . والا فانهم يقلبون لها ظهر المجن وان كانوا دائما يعترفون بالجالسين على العرش تدينا ، وقد بينا هذا فى محلات من هذا الكتاب وغيره . وقد كان الواجب ان يلتفتوا دائما حول العرش . ولا يخرجون عن دائرته .

توفى القائد محمد 1293 هـ . عن خمسة ذكور وبنتين . ودفن فى المقبرة الحديثة التى كان هو بنفسه ادار عليها السور .

وهما يتعلق بالقائد محمد أنه كادت تقع عليه حادثة كبرى بيد (ايت عبال ابن حمو المسمين الآن) (ايت على بن حمو) اولاد عمه ، فقد ادخلوا الحربيلين وآل مريض وخصاصيين ، فتمكنوا فى كل القرية الا (اكادير) الا ان القائد ادبل له عليهم . فاخرجهم بعد ما هلك القادرون . وكان ذلك ليلا . ووقعت له أخرى مثلها من ايدى (آل الاشكر) ، لكنها ايضا خرجت بسلامة .

القائد أحمد

هذا هو الذى اعلنا به اول هذه التراجم ، لانه هو الذى أدركنا له اتصالا بأهاليها ، وان كان هؤلاء كلهم يعتنون بهم كل الاعتناء . أفلا يشكر له ولهم قلم الالغيين هذه اليد . فيخلدهم فى الخالدين . فى كتاب الالغيين . كان له المام بالقراءة والكتابة ، وكان من رجال الدين والسياسة ، مشهورا فى عصره بعمال الامور ، وبالكرم وبمجة اهل الخير دائما، فكان له مقناطيس يحذب به كل عالم سوسى . أو مرشد له سمعة . فلا يهدا حتى يحل بداره . تقدم ان ولادته كانت 1244 هـ . ثم لما وقعت الواقعة بوالدهم الشيخ حمو برز الى الميدان فى اعانة اخيه ، وقد رايت أنه فى سنة 1262 هـ . زار حضرة الملوك . وهو اذ ذاك دون العشرين . ثم أنه يشارك اخاه القائد فى كل ما تقدم انه يجول فيه . وقد حج الحجة الاولى 1279 هـ . والثانية 1307 هـ . وقد كان صاحب معه العلماء . وقد رايت رسالة فيها ان العلامة الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى لباه فيما اقترحه عليه من المصاحبة فى حجة 1307 هـ . وقد كان هذا الشيخ لا يغيب داره ، ولنسق أولا ما يتعلق به من الظواهر ، ثم نعود الى ما يمكن ذكره عنه .

1 (يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره ، واغز امره ، وجعل فيما يرصيه لفه ونشره ، اننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته . جددنا لماسكه

خديمتنا الارضى الحاج احمد ابن الشيخ محمد التامانارتى حكم ما تضمنته
ظواهر أسلافه . قدس الله أرواحهم . ونعم في الفردوس أشباحهم . من
التوقير والاحترام . والمراعاة والاكرام ، وتحرير بلادهم وأملاكهم وجناتهم ،
وسواقيهم التى بأيديهم بوادى (تامانارت) تجديدا تام الرسم ، نافذ الحكم ،
حسب الواقف عليه من عملنا دولة امرنا أن يعمل بمقتضاه ، ويقف عند
حده ومنتهاه . صدر به امرنا المعتر به فى 21 ربيع الاول النبوى
عام 1295 هـ) .

وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه ومولاه .

2 (خدامنا الارضين أهل (تامانارت) وقبيلة (اد ابراهيم) وقبيلة (اد حمد)
وقبيلة (مجاط) وقبيلة (ايت وافق) وقبيلة آل (امانوز) وقبيلة (ناستريرت)
وقبيلة (اداوزيد) وقبيلة (تحت أدرار) وأهل (اليمينيسى) و(عناق ارمال) وآل
(سموكن) وآل (ايشمت) وقبيلة (اكنان) وفقكم الله وأعانكم وسلام عليكم
ورحمه الله تعالى وبركاته وبعد فأتينا ونينا عليكم خديمتنا الارضى
الحاج احمد ابن الشيخ التامانارتى ، مكان أخيه الشيخ محمد المتوفى .
وبسطنا له يد التصرف عليكم . نيابه عن خديمتنا الارضى الحاج عمر
ابن سعيد المنوتى . فاسمعوا له وأطيعوا فيما يأمركم به من خدمتنا الشريفة ،
أسعدكم الله به ، وأسعده بكم ، وعليكم بمراقبة الله تعالى ، والتقوى والطاعة
جهد الاستطاعة وبالمحافظة على صلاتكم فانها عماد الدين ، قال تعالى :
(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفيهموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
وباداء زكاتكم نيبارك لكم فى أموالكم ، فان اداءها سبب للنماء . ووفور
النماء . قال تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال
جل وعلا : (وافيهوا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال صلى الله عليه وسلم حصنوا
أموالكم بانزاة . وورد فى صحيح البخارى أن ساقطها - كذا - فى النار ،
وينقاتل عليها . قال سيدنا أبو بكر : والله لو منعونى عناق لقاتلهم عليه .
وكونوا فى ذات الله اخوانا ، وعلى الخير اعوانا . ولا تحاسدوا ولا تباعدوا
(انما المؤمنون اخوة) وليكن لكم بأهل الخير والدين اقتداء واسوة ، ونسال
الله تعالى أن يوفقكم ويرشدكم ، ويسلك بكم ستن المهتدين ، ويعينكم على
التقوى والدين ، آمين . والسلام فى 21 ربيع الاول عام 1295 هـ .) .

وفوقه طابع كبير حسنى فى وسطه الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله
وليه ومولاه . وفى طرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد فى آجها تجم
من يعصم بك ياخير النوى شرفا فانه حافظه من كل منتقم
3 (خدامنا الامجاد (آل ابراهيم) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد احمد التامانارتى ،

وأسندنا له النظر في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الكل لما فيه رضاه .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

4 (خدامنا الارضيين آل (امانوز) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الامجد القائد أحمد التامانارتي ، وأسندنا له النظر في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به ، وأسعده بكم ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام ، في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

5 (خدامنا الانجاد آل (أقة) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

6 (خدامنا الانجاد آل (تامانارت) كافة وفقكم الله وأرشدكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

7 (خدامنا الانجاد (آل النص) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

8 (خدامنا الانجاد (آل الهوتات) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد أحمد التامانارتي وأسندنا له النظر في أموركم فنامركم أن تسمعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

9 (خدامنا الانجاد آل (ساموكن) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله

تعالى وبركاته، وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد احمد التامانارتي واستندنا له النظر في اموركم فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اولينا من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة . اسعدكم الله به واسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

10 (خدمتنا الانجاد قبيلة آل (طاطة) وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الحاج احمد التامانارتي ، واستندنا اليه النظر في اموركم ، فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اولينا من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة ، اسعدكم الله ، واسعده بكم ووفق الكل لرضاه والسلام ، في 7 جمادى الثانية عام 1300 هـ .)

وفوقه ذلك الطابع الكبير

11 (خدمتنا الانجاد أهل (الويدان) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمتنا الارشد القائد احمد التامانارتي واستندنا له النظر في اموركم فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا فيما اولينا من الامر والنهي في امور خدمتنا الشريفة ، اسعدكم الله به واسعده بكم ، ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 14 جمادى الاولى عام 1300 هـ .

وفوقه ذلك الطابع الكبير

12 (خديمتنا الارضى القائد الحاج احمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد وصل كتابك متضمناً فصولاً خمسة : الاول الاعلام بسلافة أهل هاتيك النواحي ، واحسانهم لملاقاة الموجهين من قبلنا ، والمبالغة في البرور بهم ، والوقوف معهم ، حتى عاينوا جميع الثغور . الثاني الاعلام كذلك بتوجيه الخديم ابن الحاج العيوبى مع البعض لـ (اركيسى) للوقوف على وضع الجيوب من البابور ، وابقاء الخديم ابن حمو مع العسكر في المحلة بـ (بيت بويكر) الثالث كون خدمة البناء بـ (ترنيت) في غاية الاجتهاد . الرابع الاعلام بكون ما وقع من الخلف بين القبائل هناك كـ (رسموتة) و (المعدن) و (بغيلة) و (ماسة) لا بأس به . الخامس كون الناس عند السمع والطاعة ، وكونك تطلب صالح الادعية من قدرة الطاعة وصار بالبال . فلما احسانهم الملاقاة مع الموجهين فذلك المعروف منهم اصلحهم الله . واما توجه العيوبى لما وجه له . وابقاء ابن حمو فقد علمناه . واما اجتهداد خدمة البناء بـ (ترنيت) فيه فبذلك ابروا تقبل الله . واما كون خلف اولئك القبائل لا بأس به . فقد صار بالبال . واما طلبك صالح الدعاء فقد اجبت لذلك ، واستوجبته بحسن اعلامك . اصلحك الله ورضى عنك والسلام ، في 3 ذى الحجة الحرام عام 1300 هـ .)

وفوقه ذلك الطابع الصغير الموصوف اول هذه الظواهر .

13 (خديمتنا الارضى الحاج احمد التامانارتي وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله ، وبعد وصل جوابك عما امرناك به من الساهب للامانة جانبنا السعيد
 (الكلمة) بان الحال وجدنا متهمنا لذلك - غير انك تأتيت حتى يتحقق لك
 حلول جانبنا المعالي بالله هناك ، وصرنا من ذلك على بال . فقد حللنا يوم
 الاحد المؤرخ به شهد سيدى بيبي من بلاد هشتوتة حلول يمن وعز وسعادة
 والاحوال والحمد لله صالحة ، ونعم الله غادية ورائحة . وها أنا فى الاثر بحول
 الله ، والسلام . فى 20 رجب الفرد عام 1303 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الصغير .

14 (خديمتنا الارضى الحاج احمد التامانارتى وفقك الله وسلام عليك ورحمة
 الله ، وبعد فقد وصل كتابك مخبراً بحلولك مع من ورد معك من اياتك
 للامانة ركبنا السعيد ، بمحلة ولدنا مولاي محمد اصلحه الله . واستفهمت
 هل تقدمون او تنتظروننا هناك ، وصار بالبال . فابقوا هنالك منتظرين
 قدامنا السعيد ، والسلام . فى 15 شعبان عام 1303 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الصغير .

15 (خدامنا قبيلة (اداوزيد) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله
 وبعد وافى جوابكم عما امرتم به من الوفود على اعتبارنا الشريفة بانكم عند
 السمع والطاعة فى كل ما نشير به . وانكم الى نظر خديمتنا الحاج احمد
 التامانارتى فنعلم . وانه بحضرتنا العلية بالله بقصد النيابة عنكم ، وقد اخبر
 بذلك ، وقام مقامكم ، وناب عنكم احسن مناب ، اصلحكم الله واصلحه .
 ورضى عنكم اجمعين امين . فى 26 من شعبان الابرك عام 1303 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الكبير الموصوف آتفا .

16 (خديمتنا الانجد الحاج احمد التامانارتى وفقك الله ، وسلام عليك
 ورحمة الله تعالى ، وبعد فقد وصل كتابك بنفود القبائل التى الى نظركمك .
 فاستملهم بالرفق والاحسان والسياسة . فقد ورد ان الله يعطى مع الرفق ما
 لا يعطى مع العنف ، والنفس مجبولة على حب من احسن اليها ، والانسان
 صنعة الاحسان . اى مصنوع بالاحسان . يؤثر فيه ، وينفع من اجله
 بالحكمة الازلية ، فالايلاف بما ذكر انفع وأوثق فى الثام الافئدة ، لانه طبيعى
 للقلب والقلب ، وبغيره بالقلب ان حصل فقط . وليس به وثوق ، والسلام .
 فى 24 ربيع الاول عام 1309 هـ .)
 وفوقه ذلك الطابع الكبير

17 (خديمتنا الارضى القائد احمد التامانارتى وفقك الله وسلام عليك
 ورحمة الله وبعد فنأمر ان تفرض على خدامنا اياتك ستمائة من الرجال .
 الكل يكون منتخبا من اعيان اخوانك ، ووجوه قبيلتك ، يكونون من ذرى قوة
 ونجدة ، يستعد بهم أقوى علة ، ورجالة فعالة صوال . وتقدم بهم على ولدنا
 البار مولاي محمد اصلحه الله فى (رداءة) وتخيم عليه بحر تنك المذكورة ، وان

وجدته نهض فالحقه حيثما رجده ، واصحب ركامه للافاة جانبنا العلى بالله ان شاء الله بالمحل الذى نعينه لكم بحول الله ، والسلام . فى 5 حجة الحرام عام 1310 هـ .) . وفوقه الطابع الكبير .

18 (جددنا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومننه، لما سكه خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى حكم ما بيده من ظهير سيدنا المقدس بالله ، سقى الله ثراه شتايب رحماه . المتضمن توليته على اخوانه على التمام . واستندنا امرهم اليه فى كل مقام . والامر لهم بان يكونوا عند الامر والنهى لما يامرهم به من اوامرنا الشريفة ، السامية الاعلام ، تجديدا تام الاحكام . فى كل نقض وابرار . فنامر الواقف عليه من الخدام ، أن يعلمه ويعمل بكريم مقتضاه . والسلام فى خاتم محرم الحرام عام 1314 هـ .

وفوقه الخاتم العزيزى الكبير فى وسطه عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه . وفى طرته (ومن تكن) البيتين .

19 (خدامنا الانجاد آل (تامانارت) وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستاندنا النظر له فى اموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهى فى أمور خدمتنا الشريفة، اسعدكم الله به واسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . فى 19 صفر عام 1314 هـ .) . وفوقه ذلك الطابع الكبير .

20 (خدامنا الانجاد (آل النص) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستاندنا النظر له فى اموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهى فى أمور خدمتنا الشريفة، اسعدكم الله به واسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . فى 19 صفر عام 1314 هـ .) . وفوقه ذلك الطابع الكبير .

21 (خدامنا الارضين آل (ساموكن) كافة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستاندنا النظر له فى اموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهى فى أمور خدمتنا الشريفة، اسعدكم الله به واسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . فى 19 صفر عام 1314 هـ .) . وفوقه ذلك الطابع الكبير .

22 (خدامنا الارضين آل (امانوز) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمنا الارضى القائد احمد التامانارتى على الولاية عليكم واستاندنا النظر له فى اموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من

الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير

23 (خدامنا الارضين (آل ابراهيم) كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمتنا الارضى القائد أحمد التامانارتى على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير

24 (خدامنا الارضين (اداوزيد) كافة وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اقررنا خديمتنا الارضى القائد أحمد التامانارتى على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الكبير

25 (خدامنا الارضين آل (أهوتات) - اتنان من ايسى - كافة وفقكم الله وسلام عليكم الله ، وبعد اقررنا خديمتنا الارضى القائد أحمد التامانارتى على الولاية عليكم واسنادنا النظر له في أموركم . فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الامر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم . ووفق الكل لما فيه رضاه ، والسلام . في 20 صفر الحير عام 1314 هـ .) .
وفوقه الطابع .

26 (خدامنا الارضى القائد أحمد التامانارتى وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد فقد بلغ علمنا الشريف أنكم لا زلتم مع القبائل في قتال. ولم تصرفوا وجهتكم لما أمرناكم به من النهوض للحركة في الحال . وعليه فنامرك أن تجعل معهم سدادا حتى يفوت غرض المخزن، وحينئذ يظهر ما يكون بحول الله . فلتعجل بذلك ولتقم على ساق فيه فقد أمرناهم بمثله ، والسلام. في 9 جمادى الاولى عام 1314 هـ .) .
وفوقه ذلك الطابع الصغير المذكور آنفا .

27 (خدامنا الارضى القائد أحمد بن محمد التامانارتى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد وصل كتابك مخبرا بأن تلك الناحية بخير وعافية ، وانه نزل بها مطر غزير ، وانتفع الناس به ، وحملوا الله على ذلك. وان التحديم القائد سعيلا الكلولى قد سكن بـ (تزنيت) في هذه الساعة ، ووجه خلافه لافران - وجل أهل افران هربوا لما حصل لهم من الخوف طالبا الكناية

للقائد المدني الاخصاصى فى شأن (ايت ابراهيم) و (ايت جرار (1)) بأنهم من اياتك منذ ازمان . وصار بالبال . اما ما ذكر من فرار جل اهل(افران) فسكن الله روعتهم . واما ما طلبت من الكتابة للخديم القائد المدني فى شأن ما ذكرنا فقد أصدرنا امرنا الشريف للخديم الكلولى بتحقيق الواقع فى ذلك . والسلام . وفى 15 من ذى القعدة الحرام عام 1317 هـ .) .
وفوقه الطابع الصغير .

28 (خديمنا الارضى القائد احمد التامانارنى . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فبوصوله اليك نامرك أن تقوم على ساق الجذ فى جمع حركة اياتك ، من اهل الثروة والملا والاشياخ والاعيان والكبراء . وتنتخبهم من أنجاد فرسان القبيلة ورماتها الذين يعتد بهم فى جلائل الامور ومهماتنا . ذوى عدة معتبرة مغنية فى كل كفاح . وخيل جياذ صحاح . وتنهض بها لحضرتنا الشريفة عاجلا . وفى اقرب حين تكون بها واصلا . اعانكم الله تعالى والسلام . فى 18 حجة عام 1320 هـ .) وفوقه ذلك الطابع الكبير العزيزى
أقول ان هذا من الاستنفار العام ايام ثورة ابي حمارة من (تازة) ، ولكن المرسل اليه لم يلب الاستنفار .

29 (خدامنا الارضين قبيلة (تامانارت) كافة اخص اعيانهم واشياخهم وكبراءهم وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد بلغ لشريف علمنا ما حدث بنو احيكم من التمشوش والاضطراب . وتشوف العامة من قبيلتكم الى احياء الفتنة واستفزاز الالباب . حتى صار ذلك من جهة الى اخرى . وكاد أن يتشب فى اهل الصلاح منهم ظفرا ، واستبعدنا وقوع ذلك بينكم مع تهاونكم فى اخماد ناره ، وعدم مبادرتكم الى تسكين روعته وحسم اضرامه ، لاننا نعدكم من قبائل الصلاح والدين ، وممن لا يدخلهم فى جانب الخدمة تقصير . ولا فى امر الطاعة توهين . وعلى تقدير أن لو صدر ذلك من بعض الفوغاء منكم والعوام . فالمعتقد من العقلاء والكبراء منكم أن يردوهم لطريق الرشد والالهام ، ويسعون فى هوائهم وتسكينهم ، ويصلحون ذات بينهم . ويقومون بما اوجبه الله عليهم من نصيحتهم ، والاجتهاد فى استخلاصهم من مصيبتهم ، حتى لا يحترق الاخضر باليابس ، ولا يلتنطخ البرى بعمل الذين ارتلوا من الفساد اسود الملابس ، فقير خاف أن فضاء الله موكل بمعاقبه المعتدين . وان من لم يشكروا نعمة العافية فقد ضلوا عن طريق المهتدين . واى مفسد للناس كمدون اخلل فيهم والافتتان ، بعد أن كانت نفوسهم مطمئنة واجفانهم رعودا فى ظلال الامان . ألم تعتبروا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « الفتنة نامة فمن اعطها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » ، وقود

(1) نلعه ينصد ايت جرار اراء افران جيران اد ابراهيم بتعاجيجت .

صلى الله عليه وسلم : عقوبتان معجلتان في الدنيا البغى والعقوق . وقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الدين ظلموا منكم خاصة) وعليه فنامركم ان تقوموا على ساق الجد . كف المشتغلين بالخوض والفساد . وقمعهم واطفاء شرورهم . والضرب على ايديهم ، وأن تكونوا عليهم يدا واحدة . وأنفسا متعاضدة وتجتهدوا في تطهير ساحتكم من تلطيخ فتنهم . واسباب محتهم ، حتى يستقر حالكم على ما رجونه لكم من الهناء العام ، والصالح التام . وان لحكم ضرر من أحد أو اذية فاعلموا به جنابنا الشريف . فنحن أولى برفعه عنكم وازالته ، لكون أهم الامور عندنا هو حفظ دين الرعية وصلاحيها وهدايتها وارشادها ، ورفع الضرر عنها والرفق بها الا من ورطوا انفسهم في الفساد والعدوان فتقة الله تعالجهم في كل مكان (ولا يحق المكر السيء الا بأهله) وقد كتبنا لغيركم من قبائل سوس بما عسى أن يلهكم رشادكم ، ويجعل لكم من التوفيق والهناء ملاذا ، وما نحن في انتظار ما نسمعه عنكم ، أن يرد الله بكم خيرا والسلام ، في 5 جمادى الثانية عام 1321 هـ .) .

وفوقه الطابع الكبير .

صدر هذا الظهير وظهائر أخرى مثله الى قبائل سوس يوم ثارت القبائل على قوادها اثر ذهاب القائد النفلسي الحاحي وحشيه المربط في (ترزيت) الى (تازة) كجميع جيوش الحكومة لمقاومة أبي حمارة .

30 (خديما الارضى الحاج أحمد التامانارتى ، وكافة اخوانه الذين الى نظره ، اخص اعيانهم وكبراهم وفقهائهم وشرفاءهم ومربطهم ، واهل الحل والمقد منهم ، وفقهم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، فقد علمتم أن الله تبارك وتعالى امرنا بأمره ، حضنا على اداعها ؛ ونهانا عن أشياء وأرشدنا الى اجتنابها ، وسكت عن أشياء رحمة منه سبحانه غير نسيان . وأمرنا أن لا نبحت عنها . امرنا بالصلاة والزكاة والصوم والحج . وأمرنا بالجهاد عند مفاجاة العدو واخذه ارض المسلمين ، وطالما رأينا وسعنا ، ولا زاجر ولا واعظ ولا من يتعظ ، أخذت (وجدة) فاخذنا أمرها هزءا ولعبا وتهكما وسخرية ولم يجد أهلها ناصرا ولا معينا . فلم يكن الا كلام البصر او هو اقرب حتى حقتا العدو من امام ووراء . (الى آخر المنشور - وقد تقدم في ترجمة القائد المدني الاخصاصى برمنه - وقد كان المولى عبد الحفيظ وزعه في كل نواحي الايالة على جميع المسؤولين ، لا سيما الجنوب الذى كان فيه خليفة رسميا ، وقد رأيت منه نسخا في جهات متعددة . والمقصود استفزاز الناس للانجاش اليه ، وللقيام ضد أخيه مولاي عبد العزيز ليصمد الناس أمام العدو المهاجم للبلاد اذ ذاك ، حين كان ملك الوقت لم يتصد للكفاح ، ولكن لم يكذب المولى عبد الحفيظ يتم له الامر ، ويحتل فاسا ، حتى عجز عن المقاومة بدوره . فكان ما

كان مما طم به الودادى على القرى . والله الامر من قبل ومن بعد) .
بقية من أخباره

هذه هي الظواهر التي وجدناها عند الاسرة ، وناهيك بها دلائل قاطعة على المكانة التي تحب الحكومة أن يتبوأها المترجم ، لو تيسر له ذلك . ولكن الحقيقة أنه لا يعدو حكمه قرية (أكرض) ، ولا يستولى الا على من هناك من الحراطين ، وعلى ما هناك من النخيل ، وقد قيل له مرة كم عدد اياتك ؟ فقال عشرون ألفا . فشد السائل من هذا الجواب ، فاستفسره عن مقصوده فقال له : ان في سقي (تيملت) عشرين الف نخلة ، ولى عن كل نخلة قننو ، ففى التي تصح لى اiale . والمعتاد أن يؤخذ من كل نخلة قنو للقائد أو لشيخ القبيلة ، أو لهوى الجماعة - هذا هو عرف تلك الناحية الى أن جاء الاحتلال . وقد كان مع مولاي الحسن فى سفره الى (تافيلالت) فظهر له مال عتيد بين أقرانه من القواد السوسيين ، فقد انقضى للغالب ما معهم من الزاد والمال . فصار هو يرشهم مما عنده . وقد انتفع اهله وكل افراد أسرته بما تدره عليهم حقول (تيملت) وبما يحرثونه خارجها من (المعدر) وغيره ، وقد كانت حرب شديدة مرت بينه وبين أعدائه الحربيليين نحو سنة 1307 هـ . بسبب ما وقع حول (ايشت) حيث حلفاؤه ، وكذلك أخرى نحو 1327 هـ . اثر قتل الفقيه أحمد الايفرى (1) . فذهبت فيهما مدخراته الكثيرة ، ثم صار يستدين من ذلك الوقت ، فانقصم فقار تموله الذى كان مضرب الامثال ، ثم صار يرهن من بساينه عند كل ملمة تنزل به ، فتناقص بذلك ما كان عرفت به دارهم من الكرم . وقد كان معتادا قبل من عهود أجداده أن ينادى مناد بعد المغرب كل عشية . بأعلى صوته أن ياتى كل من أراد العشاء ، فبقى النناء وحده . ولكن الناس أدركوا انما ذلك عادة لا غير فلا يليه أحد الا من يجهل ذلك من الواردين ، فيرجع خائبا . وقد كانت ثلاث ديار فى جنوب سوس لا توازى تمولا وكروما وشفوقا دار (ايلبخ) ودار (آل يسروك) ودار هؤلاء التامانارتيين ، وكانت كلها ديار نخلة (تاكوزولت) ثم صارت كلها الى تضعضع فى وقت واحد بعد 1325 هـ . الا ان هذه لم تنهر بالكلية الى الآن 1362 هـ . كما ستراه أمامك . وقد صار الحاج أحمد يتمشى بالهوينى أخيرا . مع انكماش وانحياش الى العبادة ، وإلى اهل الخير ، وقد صار موثلا لكل من ساقته الاقرار الى (تاماارت) من القواد الذين لعب بهم الدهر ، كالقائد أحمد الصوابى قائد (ايت يعزى) البعمرانى الذى أوى اليه حتى توفي هناك فى منتصف جمادى الاولى 1346 هـ . ومن العلماء الساتحين ، ومن السدين (1) ذكر ذلك بتفصيل فى ترجمته السابقة فى هذا القسم نفسه .

يلازمونه ، كالفقيه الشافعى السكناى . كاتبه الحاضر الذى استورده من (تيهكيدشت) وابنى عمه محمد الطيب ، وعابد ابنى محمد بن عبد الرحمن ، فصار الشافعى امامه وجليسه وكاتبه ومستشاره ، وقد ألم به الشيخ الصالح سيدى الحسين الزرهونى الجديدى سنة 1316 هـ . فنزل عليه ما شاء الله ، ثم أركبه فرسا ، وكذلك لا يغب زيارته علماء تلك النواحي ، كالفقه أحمد الايفيرى ، الذى كان قاضيه ، حتى انه لما قتل قام لآخذ ثاره بحرب زبون - كما تقدم - وكالفقيه القاضى ابن بداح الذى أوى اليه اخيرا بعد ما فارق آل بلعيد ، واما فقهاء (الخ) فان (تامانارت مغدام وممساهم وخصوصا الشيخ الألفى ، والاستاذ على بن عبد الله اللذين لهما هناك بسانين كثيرة ، وكم أحاديث بينه وبينهما ، كما كان لآبائه مع آبائهم كذلك مخالطات شتى. وقد ألمنا فى كتاب (من أفواه الرجال) وفى (خلال جزولة) فى (الرحلة الثالثة) ببعض اخبار عن هؤلاء الرؤساء التامانارتيين .

قوله الرفاكي فيه

ومنه أبو العباس : القائد الحاج أحمد التامانارتى الجزولى ، كان رجلا عاقلا ، وبمزيد الصبر كافلا ، يتهوع (1) لذباب رآه ، ولا يأخذ عند ذلك مأواه ؛ يومه بعض الخذاق ان رآه ، وانه أخذه ورماه ، فيتركه ولا يتعشاه ، وعينه لا تنشاه ، وطريقه لا يتمشاه ، بل يتهوع ، وبطنه يتجوع ؛ شنشنة (2) لا يفارقها ، وبلية يدافعها ، بنى حصنا أمتع من الإبلق (3) وحماه بكمة (4) على قلب ابن الأزرق (5) ، ولا يحوجه للخندق ، ولا يطمع فيه الا الاحمق ؛ وان شئت قلت : انه الخورنق (6) وبريق الفيظ راميه أشرق ، يقول لابن هند أرعد وأبرق (7) ولساكنه اصطبج واغتبق (8) وارج عفو المعتق (9) ومثل ذلك فى السوس لغيره لم يتفق ، ويقال لطالب التمر حصيه انطلق ، ولا

(1) يتعيا ، (2) شنشنة : طبيعة .

(3) الإبلق (الفرد) : حصن للسموال بن عاديا ، بناه أبوه بأرض تيماء

(4) الكمة ج . كمي : الشجاع ، أو لابس السلاح .

(5) ابن الأزرق : أحد الشجعان من الخوارج واسمه نافع ، واليه ينسب الأزارقة

(6) الخورنق قصر للنعمان الأكبر باليمن (7) ابن هند : هو عمرو بن هند منك

العراق تحت الفرس ، ذكر فى (المعلقات) وأرعد وأبرق : أى تهدد وتوعد

(8) اصطبج : أى شرب الصبوح وهو ما يشرب صباحا ، واغتبق أى شرب

ما يشرب عشية ويسمى الغبوق بفتح أو ثهما

(9) المعتق : أى لله سبحانه وتعالى .

عار على المستتردد (1) الملق ، وعنده يمتاره العالفون (2) وبسحائب جوده يستكفى النازحون لا يرد سائلا ، ولا يعده ثاقلا ، شهد بذلك الزائرون ، ويريه عن الرئى الرائيون (3) استفاض ذلك وذاع ، وأدرك ذات الخدر فى المخداع (4) كم ذى رتبة قعسا ، اصبح عنده وامسى ، وهلا حقايبه واكسى (1) فله ما أبدى وما أعسى (6) .

الناس اكيس من أن يمدحوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان ومن تمام عقله ، أن اختار لمجاورته ووزعته الخراطين اذ لا غرض لهم فى رتبة السلاطين ، لا يانفون اذا ضربوا ، ولا يعصون متى استصحبوا منهم الخراثون ؛ والفسالون والجزاردون ، ومنهم القلم والابارون (7) وفى عراض (8) المواكب يسيرون ، يصلحون للخدمة ، ولا أنفة عندهم ولا حرمة ؛ يرضون بالدون ، ويخفون بالزبون ، أمن منهم من الاعراض ؛ وفقد منهم الامتعاض . ويتبعون من مغلوبهم الاعراض ، بأدنى أمر ينقادون ، ولحزبه يتحاشدون ؛ لا يطمعون فى الامرة (9) ولا يلتفتون فى خدمتهم للاجرة ، وكفاهم ذلك فخرا (10) ، اذ غنموا بالتواضع اجرا ، وهم ايضا اخوان أفضل النبيئين؛ واجل المرسلين ، من أختهم هاجر حليلة ابراهيم الخليل ، وام اسماعيل النبييل الجليل . ولهم المرتبة العليا ، وان كانوا ظاهرا فى السفلى ، وان انحط قدرهم من جهة حام ، بمصيانه دعوة آدم عليه السلام . فلهم المزية من الجهة الاخرى وفاقت هذه اليمنى تلك اليسرى ، فتوجه اليها الواحد بالشخص ، والتفضيل بالتهخيص والفحص .

- (1) المستتردد : المستعطفى المسنعين ، والمملق : الفقير جدا .
- (2) امتار : طلب المبرة بالكسر . المؤونه والزاد : والعالفون : الفقراء .
- (3) كذا ، ولعله يقصد : (الراوون) أو (الراعون)
- (4) كذا ، والمعروف المخدع .
- (5) كذا ، والمعروف كسا : تلائى .
- (6) ما أعسى : لعه يقصد قولهم : اعس به ، أى أجدر به .
- (7) القام : يقصد به الذين يقيمون الاشجار ويقدمونها ، والابارون : الذين يابرون النخل أى يصلحونه ويلقحونه .
- (8) كذا ، ولعله يريد عرض بضم فسكون ، أى جانب المواكب الخ .
- (9) الامرة : الامارة والحكم .
- (10) مستصلحة :

يحكى أن حرطانيا من الخراطين هؤلاء سافر الى جزيره ، فستل من هو ؟ فقال اننى صهر صاحب ابن عم خماس القاتد . فاكسب الشرف هكذا حتى صار يتباهى به . بهذا مصداق ما قاله مؤرخنا الاكرادى الاديب الاريحى رحمه الله .

الى هنا جرى بنا خيل الكلام فلتعف مولانا علينا والسلام
توفي رحمه الله في أواخر جمادى الثانية عام : 1336 هـ . بداره ، المسمى
بلده : (أكرض) ، بتمنرت ، بلدة الولي الصالح ؛ والخير الرابع : سيدى
محمد بن ابراهيم النميخ المتوفى في صفر عام : 971 هـ .
اقول : ان المترجم لزم داره ، ولم يكن له في أعمال الهيبة أى يد ، ولعل
ذلك مما يراه وفاء للدولة العلوية المحببة .

القائد البشير

كان للقائد الحاج أحمد ولدان ، من الذكور : عمر ومحمد ، ثم توفي قبله ؛
فأعقب عمر ولده البشير ، وقد صار رجلاً مذكوراً بين أهله ، يعرف ما يفعل
وما يذر عن تجربة . وقد كان حفظ القرآن حفظاً لا بأس به على يد الأستاذ
مبارك بن هـو الأكرضى ، كان يشارط في مسجد (أكادير) حيث دار القيادة ،
توفي نحو : 1346 هـ . ثم أخذ المبادئ العلمية حتى استطاع أن يطالع ، عن
الاساتذة الملازمين لدارهم ، الشافعى وسيدى عبد الله بن مسعود الألفى
وسيدى محمد الطبيب ابن عمه .

وبهؤلاء انتفع أخذاً ومجالسة ، وقد قام بأمر دارهم بعد جده ، وكان هو
الرئيس على (الكزوليين) أمام (الحاكين) فخاض لذلك على رياسة أهل نخلة
(تاكوزولت) ثلاث حروب ، ضد النخلة الأخرى (تاحكات) التى يرأسها آل
القائد بلعيد المريضى - وقد رأيت ترجمته وتراجم كل أهله قيما تقدم -
واحدى هذه الحروب كانت حوالى 1327 هـ . فى قيادة القائد الحاج أحمد ولكنه
اذ ذاك هرم عاجز . فكان المقواد فى يدخفيه اللبق البشير . وتسمى هذه
الحرب : حرب بوسعيد . وهو رجل من (اد ابراهيم) قتل فيها ، وسببها
هو قتل الفقيه سيدى أحمد الايغرى المشهور . وقد طالت ما شاء الله من
الشهور - وقد تقدم ذكرها فى ترجمة الفقيه - والحرب الثانية سببها المنازعة
حول قرية (ايغير ويثولن) لان الحرييليين انقضوا على هذه القرية لينزعوها
من أهل (تامانارت) فقامت الحرب اثر جلاء هذه القرية الى (أكرض) دامت
سنة ، فوقف القائد بلعيد حتى رجعت السيوف الى اعمادها. والحرب الثالثة
نشأت أيضاً على هذه القرية. فقد دهم أهل (تامانارت) هذه القرية ليسترجعوها.
لان السلم المتقدمة تأسست على أن تبقى (ايغير) خارجة عن منطقة (تامانارت)
ولذلك نقض هؤلاء ذلك ، ولكنهم اندحروا بعد ما احتلوا القرية . وهكذا
بقى الجالون من القرية الى (أكرض) لا يزالون فيها الى الآن ، وكانت هذه
الحرب الثالثة سنة 1340 هـ . والذى اوقف الحرب (المعذر) فقد اعلنت الهدنة
ليشتغل الناس بالحرف. ثم دامت المناوشات بكل مناسبة الى أن جاء الاحتلال

فلم تقع حرب بعدها هنا بين هاتين النحلتين .
ومما وقع على يد القائد البشير المداحسة الواقعة في زاوية (تيمكيدشت)
بين رئيسها سيدى محمد بن هاشم . وابن عمه سيدى العربى ابن الحنفى .
كما بين فى كلام المانوزى - فى القسم الثالث - وكان القائد من شيعة
العربى ، ولكن هذه الشيعة قد اندحرت أمام خصومها .

ومما وقع اذ ذاك أن القائد المدنى ومعه القائد الناجم ذهبوا فى جيش فيه
فرسان كثيرون الى (أقا) فبروا بـ(تامانارت) فنزلوا على القائد البشير ،
فباتوا، وفى الصباح صاح بهم الى (ايمى انوكادير) على نية أن يصاحبهم لطيفهم
الا أنه أخبر سرا أن المدنى ينوى أن يفتك به ، لانه هناك هو الحاجز دون ما
يتمناه المدنى من الاستيلاء على تلك الناحية، ففارقهم الى (ايشت) فنزل على بنته
هناك - ثم رجع . وقد بعث معهم بعض اصحابه وأولاده ، ولذلك لم يمرؤا
بـ(تامانارت) يوم رجوعهم عن(أقا) ، والفكر اذ ذاك بين الرؤساء مسترسل ،
حتى لا يأمن معضهم بعضا ، وان كنت انا اكبر المدنى عن أن يرتكب مثل هذا .
هكذا كان القائد البشير هناك رجلا مهيبا ناعما وضارا . لا يعرب حماء .
وهناك تان منزل محمد بن بلقاسم النكادى حين جلا من(بافيلات) هو و (ايت
سقول) و (ايت حو) و (ايت خباش) . وذلك بعد ما فكوا بالقائد ابراهيم
ابن بلعيد - نما تقدم فى تراجم آل بلعيد فى هذا (القسم الخامس) نفسه -
وان قلهم له 1349 هـ . وبعد شهوور ذهب النكادى الى (تاغجيغت) وقد كان
اكرم وفادتهم لما نزلوا عليه ، مع أن اصحاب النكادى قيل انهم نورا ان
يفعلوا القائد البشير ، وان يحتلوا داره، كما فعلوا بعد ذلك باعل (ايشت)
ويقال ان ذلك بايعاز من أبناء الشيخ ، وابن هاشم التيمكيدشتى ، والقائد
المدنى . غير ان القائد البشير ومن معه استفاقوا ، فارتحل الآخرون الى
(تاغجيغت) وذلك بعد ما استيقنوا ان (اكرض) ليست لهم يدار مقام .

هذه أنباء عن القائد البشير من هذه الجهة ، وعن جهة أخرى كان رجل
المائدة والفائدة ، يأنف ويؤلف ، استطاع أن يجعل حوله حاشية ننظر اليه
باكبار . وقد كان اخى احمد رحمه الله ممن يطرقة كثيرا ، ثم صار يذكره
لى كثيرا بعد ذلك فى أحاديثه . وهو الذى وقف له وللأخ الحبيب حتى توصلا
من عند أهل (ايشت) بشمن ما اغتصبوه منهما من الاملاك التى اشتراها
الوالد بالبيع البات ، ثم استرجعها هؤلاء ظلما ، زمن اخبار القائد البشير
انه استرد كثيرا من أملاك أهله المروهنة . واستتمها ولده القائد محمد ،
فانتفعوا بذلك . فاستطاعوا ان يحافظوا على ثارهم بالثروة ، وهكذا مضت
ايام القائد البشير قبل الاحتلال . ثم صار بعده أحد الرؤساء المحترمين ،
ورئيسا على (اكرض) و (ايت تيكنى) و (ساموكن) ولم يزل يمشى با لسياسة

الى أن توفي ثاني ربيع الاول 1362 هـ . وهو الذي أحدث الدار السفلية ،
وبنى فيها بناء حسنا ، وهى التى زاد فيها ولده محمد الآتى حنى كانت منزلا
مرموقا ، مستتجيبا لجميع الضروريات ، والمنازلة المشرفة ، والقباب الفسيحة .
القائد محمد بن البشير

ولد سنة 1336 هـ . فى الوقت الذى توفي فيه ، جده القائد الحاج أحمد ، وقد
كان والده يرشحه لدهالى . والى أن يكون خير خلف لسلفهم الباسل . ولذلك
لم يكد والده تقبض عيناه ، ويزور الرمس جنباه ، حتى برز للميدان خير
فى يكاد يكون كله عصريا ، وقد كان يسمع فى مجلس أبيه أخبار الوطنيين
حين يذكرون فى تلك المجالس ، اما باعتقاد واما بانتقاد . فصار يتطلع الى
أن يكون احدهم . فيتساءل كثيرا عما يقع فى الحاضر . خصوصا منذ حوادث
1944 م . فيتناجى بها مع بعض جلسائه وأودانه . ولم ينشب فرع من فروع
حزب الاستقلال السرية أن برقت بارقة منه هناك . فانخرط فيه سرا ، وحين
كنت فى (مراكش) بعد 1364 هـ . صار كلما زار المدن يتردد الى ، وربما بات
عندى . فكنت أراه لقنا حاذقا غيورا عيوفا . لولا أنه يلبس بعض خصال
اتمنى لو أنه تباعد عنها ، وقد كنت زرت (نامانارت) فى رحلتى (الثالثة)
المدونة بين مجالاتى (خلال جزولة) فنزلت عليه ، فرأيت كل ما يعجبني من
بناء حسن . وطهو حضرى ، ووزابى مبهوثة ، ووسائد مصفوفة ؛ ثم ركب
من هناك معه الى (ايمى أو كادير) فرأيت اخلاقا وخصالا وشمما . ثم لما تحولت
الى (البيضاء) سنة 1370 هـ . وقد اكفهر الجو ، واحمر الحديق ، وظهرت
السرائر . وقد صار الطيب يتميز من الخبيث ، وأعمال جوان وكيوم تسعى
فيما تسعى فيه . صرت أسمع عنه ما يسرنى سرا . وان كان يحاول أن
يغطفى ما فى قلبه عن الحكومة ، لانه موظف معها . ثم لما ابنا من الصحراء
يوم انطلاقنا من الاعتقال ، وقد كاد الفجر يطغى والاستقلال على الابواب .
ورد علينا أنه كشف عما فى صدره ، وأنه كاد يصرح بفكرته الوطنية ، ثم
بلغنا خبر انتحاره ، واليك وصف ما وقع له ، نرويه عن أحد خلصائه قال
كان القائد عارفا لوقته . يستغزه الشعور الوطنى ، وقد كان الفقيه السيد
الحسن بن أحمد الرسمى التيمكيدشتى (1) مشارطا فى (أكرض) فكان هو
الذى تأسس على يده فرع الجمعية الاستقلالية هناك . فدخل فيه أناس بينهم
القائد الذى سبقت اليه الفكرة ، فدخل معه هناك فى الحزب أناس معروفون
من كبار القوم . وقد كان من بينهم انسان يسمى العريبي من (أكادير أزجرو)
من (أقا) وآخر من (ساموكن) يسمى محمدا ، ويلقب بابن بوفوس . وقد
كان الاول دفعته الحكومة الى القائد ، ووصفته عليه أن يرد اليه باله لئلا

(٢) قاضى مششركة بسوس الآن (137٦ هـ .

يهرب، وقد وصت أيضا العربي سرا على أن يكون عينا على القائد ، والثاني الساموكني مخلص. وقد كان القائد يوم اختبرت فيه الفكرة، اشترى دارا في (أكادير) فيقطع إليها . ويخالط أحمد بن الحاج التمل الوطني المشهور. وغيره من الأولين في الوطنية بسوس، ويتصل بالحزب بوساطتهم، ثم تسرب إلى رجال الاحتلال ما يصنعه القائد في (أكادير) فمنعوه من (أكادير) وقد كان يعطى من ماله للحزب في كل فرصة . وقد أعطى لصدوق الحزب فرصة واحدة سبعين ألف ريال . ثم لما انقطع عن (أكادير) وقد اشتدت أعمال الفدائيين . صار يستنهض من الناس ، بوساطة أصحابه . فقد قام يوما محمد ابن بوفوس الساموكني إلى منعب في قريته (إيغير) بوادي (سادون) فنادى في مجتمعهم ، : أيها المسلمون ، ايعمل سلطانكم . وتنتهك حرمة عرسهم ثم يطيب لكم اللعب ؟ فنسرب على الناس الحاضرين في الملعب. وصار يدكرهم أعمال الفدائيين الإبطال . فقاومه مقدم الغرية . فحصره ، ثم خرج هاربا فورد المندم إلى رجالات الاحتلال في مركز (إيمي أو أكادير) فآخبرهم بما فعل الرجل ، وقد وصفه لهم . فنبه المراقب جميع المرائز على اعتقاله أينما وجد. فصدوف في (بنوز أكادير) فاعتقل وأنى به إلى القائد . وهو القائد محمد صاحبه . فلما قدم إليه في المحكمة ، قال لهم إن هذا لاحق . فكان ذلك هو السبب حتى سرح بعد ما سجن نحو شهر . وبعد استنطق لم يصح عليه فيه شيء . ثم أصبح خيط من خيوط التليفون مقطوعا يوما هناك حول المركز فبحث عن فعل ذلك بحثا مدققا ، حتى نودي بأن من أخبر الحكومة عن فاعل ذلك سيعطى أربعة آلاف ريال . فقام ذاك العربي الأقاوى المقدم ، فواصل إلى الحكومة كل ما يعرفه عن القائد ، وأن أصحابه هم الذين قطعوا الخيط بأذنه ، وأن القائد ينوى الثورة . فعنده السلاح ، وكثيرون عن الناس استحلهم عن ذلك ، فحقق لرجال الاحتلال ما يقوله هذا الجاسوس أن القائد قد صار يتعاطم عليهم ، ويقابلهم بالخشونة أحيانا . والحقيقة أن العربي نفسه هو الذي أمر ثلاثة حراطين فلانا وفلانا وفلانا . أن يقطعوا الخيط. وزعم أن القائد هو الذي قال له ذلك وقد تكرر قطع الخيوط التليفونية قبل هذه المرة ، ولكن الحكومة لم تتهم به أحدا . ثم إن المراقبة في (إيمي أو أكادير) أرسلت إلى القائد أن يقدم إليها والمسافة قريبة - فاعتذر بالمرض ، فأرسلت إليه يوما طبيبا فحصره ، ويوما آخر ممرضا كذلك . ثم لما أبى أن يصل المراقبه وأكثر من الإعداء . جاء المراقب نفسه مع أعوان كثيرين في حافلتين. فوقفوا أمام الباب . فأرسل إلى القائد أن يخرج إليه فخرج . فطلب منه المراقب أن يذهب معه ، فاعتذر أيضا بمرضه . فقال المراقب للأعوان أحملوه إلى السيارة . فاهووا إليه ليحملوه . فاذا برجل من بنى عمومة القائد يسمى

الحسن بن زبير اطلق من بندقيته ثلاث طلعات ، فقتل العون الذى اخذه باحداها ، فاجفل المراقب والاعوان . فرجع القائد الى داهه فاعلق البساب دونه ؛ وهى الدار السفلى المحدثه . ثم ان المراقب ومن معه انحازوا الى (السوق الجديدة) بعد ما كانوا يطلقون بنادقهم تخويفا بكثرة ، وقد ارسل الى المركز فى (ايمى أوكادير) فسرعن ما جاءت الجنود والرشاشات ، وقد كان وقع ما تقدم نحو العاشرة صباحا . كما كان المراقب ارسل الى كبار القرية ، فارسلهم الى القائد لياتى ، ولكن القائد ابى من الاجابة ، الا انه قال للناس اما انا فلا يمكن ان اتلاقى مع اعداء الله واعداء وطنى ، فان اردتم انتم ان تذهبوا بى الى اعداء الله فافعلوا ما شئتم . فقالوا له حاشا ان نذهب بك الى اعداء الله . فرجعوا الى المراقب معتذرين عنه بالمرض . هذا وقد وقف مع القائد اذ ذاك حراطين من اعوانه نحو عشرين . وهم يقولون له اعطنا السلاح ان كان عندك . فقال لهم : لا سلاح عندى . وقد كان الناس اول مرة كثيرين نحو مائة ، فلما علموا انه لا سلاح عنده ، صاروا يخرجون عنه متسللين ؛ حتى لم يبق معه الا نحو عشرين من اعوانه ، ثم رجع رؤساء القرية من عند المراقب فيقولون له عنه : ان أبى أن ياتى الينا فاننا سنوجه افواه المدافع الى القرية لنحطمها . فقال لهم القائد : اذهبوا الى المراقب ونادوا عليه بشرع الله لنلا يهلك قريبتكم ، وأما انا فلا يمكن لى أن يرى وجهى . قال الراوى : فذهبنا ، فاعلنا ذلك امام المراقب ، فامر باعتقالنا . وسلسلونا بالاغلال ووجهوا الينا افواه البنادق ، تقابل صدورنا . والجنود اذ ذاك يطلقون الرشاشات نحو القرية . قال الراوى : ثم ساقونا حتى قربنا من دار القائد . فارسل المراقب من يطلب ثانيا من القائد اما أن يخرج، واما أن يرسل بندقيته فدخل عليه الرسول ، ووجده قد سدّد بندقيته نحو فسيان كان مع الجنود ، وقد تراءى له فى محل تمكن فيه اصابته، فمعه من ذلك. ثم حاوره أن يخرج الى المراقب أو يدفع سلاحه ، فأبى كل الإباء ، ثم رجع الرسول . فأخبر عنه أنه لا يخرج ولا يعطى سلاحه ، ثم عمد هو اذ ذاك ، فجعل فم بندقيته تحت لحيته فاطلق الرصاص على رأسه ، فخر ميتا . وقد غادر الدار كل من كانوا فيها فى ثقب من جدار . فامر المراقب أن يوتى بجثته الى الوادى ، وذلك فى نحو الرابعة والنصف عشية . ثم أمر المراقب ، فأتى ببقرتين من دار القائد . فذبحنا فى الحين للجنود . وقد ذهب الاعوان حتى اختاروهما ، هذا . وقد تفرق جميع رجال أهل القرية فارين . قال : ثم أتى بنا نحن المعتقلين الى وسط السوق ، فاطلقونا . ثم خطب المراقب فى الناس قائلا لهم : ان أبواب الراى منكم يردون بالهم ليجمعوا كل السلاح . فقد قال لى العريسي الاقاوى ان تحت يد القائد سلاحا كثيرا ، ثم تفرق الناس . فذهب المراقب ومن معه ، وقد حملوا جثة القائد الى المركز فى (ايمى أوكادير) فامر المراقب أن لا

يدفن . بل يطرح في حفرة ، ولكن صاحب المراقب - الشاوش - راجعه في ذلك ، حتى انعم بأن يغسل ويكفن ويدفن . وهكذا فعل به . فصل عليه :
 دفن في مقبرة (اي مي او كادير) رحمه الله . وقد كان انتحاره في مفتتح صفر
 قبل أن يرجع الملك بشهر ، وكن من يعلم كيف الجو اذ ذاك يعلم بديهة ما
 هو السبب حتى لم يفك المراقب ومن معه باهل (الارض) كعادتهم في أمثالها .
 قال الراوى : وفي اثناء الليل المقبل جاء ثلاثون ناقلة مملوءة بالجند ، فبانو
 في السوق . وفي الصباح جاء رجال الشرطة و نوامندارات وفباطين ، فاستندار
 الجند بالقرية ، فدخلوا الى دار القائد ، يفتشونها ، لعلهم يجدون سلاحا .
 ولكنهم لم يفوزوا ولو ببندقية واحدة . نعم اختلسوا على عاداتهم ما خف حملها ،
 وامكن ان يجعلوه في الجيوب . وكذلك ما لغت أعينهم من الاواني ومن الزرابي ،
 وقد ذكر اهل القائد انهم فقدوا كثيرا من الذهب والفضة ، ومن الامتعة . ونل
 ما يمكن ان يستميل بعين المفسسين من الاجانب ، وقد قلبوا كل ما في الدار
 ظهرا لبطن فلم يتركوا صنوف ولا حجرة ، حتى الكتب فتشوها ، لان لهذه
 الاسرة مكتبة متسعة فيها ذخائر فيما قيل .

هكذا ذهب هذا البطل الوطني ولسان حاله يقول : بيدى لا بيدى عمرو .

الشيخ أحمد بن البشير

هذا هو الذى قام بالرياسة في هذه الدار اليوم على صغره ، وهو سيبط
 الفقيه عابد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عمهم ، وقد تخرج هذا الفقيه من
 (نيمكيدشت) وتوفي 1365 هـ واخوه الفقيه محمد الطيب توفي قبله 1363 هـ .
 فبقيت سمعة دارهم طيبة . وقد نفعت المترجم هذه الحادثة التى وقعت لاختيه
 فكان رئيسا فى كل ما يرأس عليه أخوه . بل زيد له كثيرا وايالته هم :
 (أكرض) و (ايت على) و (ساموكن) و (القصبه) و (ايكيواذ) و (ايغير)
 و (تاكجيكالتى) ، وهو الآن شاب لبق ، كان أخذ اخذا لا بأس به ، فقد
 كانت له ثقافة مزدوجة من العربية والفرنسية . ولد 1360 هـ . وقد حضر
 عندى اثر الاستقلال ، فوصيت عليه ، فنفعه ذلك . فاتصل بالملك ، وامكن
 له أن تبقى الرياسة فى دارهم وحدها دون جميع الدور التى كانت فيها
 الرياسات السوسية فى عهد الاحتلال . وقد كتبت هذه التراجم فى
 دارهم يوم زرتها فى رحلتى المذكورة . ثم بقى كل ما كتبت عند القائد محمد
 لينسخ منه ، ولم اتوصل به الا اليوم سادس ربيع الاول 1379 هـ . فقد اتانى
 به الشيخ أحمد هذا ، فاتممت ما بقى فيها عن رواة مسنين حضروا كل ما
 زدته اليوم ، فكان هذا ما فازت به هذه الاسرة المأجدة حفظها الله .

كان أحمد بن البشير يزور (اكادير) فاتفق أن بات فيه ليلة الزلزال ليلة
 3 من رمضان 1379 هـ . فقد بين المفقودين . ولم يترك اهله مستشفى ولا

مركزاً الا زابوه، الى أن وقع على اثر له بين انقاض نزل بات فيه . فكان
آخر رجالات هذه الاسرة الماجدة . ولم يترك من يخلفه في اهله . فبقيت
دارهم شامخة الى الآن : 2 رمضان 1380 هـ .

نجز الجزء العشرون . وبه تم كتاب (المعسول)

نجز الجزء العشرون

وبه تم كتاب (المعسول)

بفضل الله



خاتمة

(كتبت هذه الكلمة سنة 1360 هـ وأنا لا أزال فى المنفى)

اليوم نجز بحمد الله كتاب (المعسول) باقسامه الخمسة . فقد رسمت معاله . وبينت مناهجه . وحررد فى كل قسم ما عندنا الآن من تراجم الذين يليقون لكل قسم من الاقسام الخمسة . ولم يبق الا تحرير ذلك وتصفيته . وتنميم ما لا يزال منه ناقصا واصلاح ما عسى ان تقع عليه من خطأ . ومتى انحلت العقدة . وأزيل عنا هذا الحصار الذى نحن فيه . نبذل جهودنا ان شاء الله فى تحرير كل ما سودناه الآن . وتخريجه من مبيضته وادخال ما لا يزال نرجو الحاقه بالاصل . وعلى الله وحده التكلان . وحسبنا الله ونعم الوكيل : اكتب هذا فى دار أهلى بـ (الخ) حيث جمعت من مواد الكتاب ما جمعت وأنا فى عزلة تامة عن العالم الذى يتلظى بهذه الحرب الثانية . وفى غربة أرخت على عزاليها . وأنا منفرد فى غرفتى هذه البدوية الساذجة . وولدى عبد (1) الله يفقر أمامى . واخوه سعيد المولود لنا منذ شهور ، يرقد فى مهده . وأمه تحركه بيدها ليتم وهو لا يزال فى بكاء مستمر . لكن لبكائه الحان ونغمات . وأنا أجد منها ما لا أجده من الحان أم كلثوم . ومن نغمات عبد الوهاب . وعادتنى أن أشتغل وأفراد أسرتى الصغيرة يذهبون ويأتون حولى . وظهري الى جدار ، ففى النهار أستند ازا . قويس صغير مفتوح الى دائرة وسط الدار . فاستمد من نور النهار . وفى الليل أستند فى حجرة الى جدار آخر . وعن يسارى ازا رأسى مشكاة (2) فيها سراج من السرج المعتادة (3) ذوات الشعب الاربع وبنور قتيلته الغريقة فى الزيت كتب بعض هذا الكتاب الذى سيقراه غدا ان شاء الله من يتصلون به من أهل الخواضر الذين لا يالفون الا الكهرياء الوهاجة . نى قصورهم السماء البهجة . هذا وأنا أحمده الله حين وجدت الآن هذا المنزل فى هذه الحرب الضروس التى تهموج فى العالم . وتضيق على الناس بغلاء الحاجات الضرورية . فلا شمع ولا ملبوس ولا سكر . والى الله المشتكى . وعسى ما نحن فيه ان يكون له فرج قريب بحول الله .

(1) استأثر الله به بعد رجوعنا الى مراکش

(2) المشكاة : كوة غير نافذة من الجدار . وهى التى يوضع فيها السراج الصغيرة عادة عند الالفين .

(3) هذا النوع وأيته بعينه فى متحف قرطاجنة . وهو مما اعتيد من عهد الفينيقيين .

كان الغرض الاساسى فى الكتاب من اول يوم هو تخليد اهل هذا البسيط (الخ) فى التاريخ. اداء لحق هذه الأسرة الصالحة العالمة : أسرة آل عبد الله ابن سعيد . ثم لما جمعت منهم ومن يساكنتونهم اخبار صلحائهم وعلماهم وادبائهم ورؤسائهم ما أمكن ، تعالت همتى أن امد السماط لغيرهم من جميع السوسيين الذين يمكن لى أن ادخلهم فى الكتاب . على شرط اشتراطه على نفسى. ففتحت بذلك الباب على مصراعيه. فأتتبع أشياخ الالفيين من الصوفيه والعلماء . ثم الذين أخذوا عن الالفيين من العلماء والصوفية . وقد اقتصرنا فى الاخذين عن الالفيين على الذين اخذوا من المدرسة (الالفيه) ومن الزاولية الدرقاولية (الالفيه) خاصة . فسرت أتتبع من الفريقين كل من يقعون تحت شرطى هذا فأجندنى أودى أكبر واجب لغالب السوسيين المخالطين للالفيين من اهل اهل تدين اخيلين الماضيين ، بل ومن اهل هذا الجيل أيضا . فقد أمكن لى أن اتصل بوساطة من هم على شرط الكتاب من أشياخ الالفيين ، ومن اخذوا عن الالفيين . بكثير من رجال الأسر العلمية الجزولية ، وحين اشتطت أن اذكر أسرة كل من هم على شرطى ، ذكرت ليعقوبيين أولاد سيدى عبد الله بن يعقوب السملالى . والمافانيس السملالين والوكاكين والاكضيبيين والكوسالين . وآل يعزى السملالين . والعباسيين والبوشكريين . والواسخنيين والازاريين والشرفاء التازوليين ، والانساكين الافرائين . وآل سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ النامانارتيين وآل محمد بن عمرو الاسريريين . وآل يعزى وهندى الاساويين ، وآل محمد بن مبارك الافاويين ، وآل الطيفور الساموكيين ، واليزيديين الايسيين ، والسالمين الايسيين ، والتمكيدشنيين الايسيين ، والايديكليين التملين والجشتمين التملين ، والتاسككلتيين ، والتينكيين العبالوين والكوسيفيين ، والدودملانيين ، والتمليين الردانيين ؛ والخطاطيين التملين الردانيين ، والتاكوشتيين . والركراكيين التاوريرتيين ، والافاقيبيين الصوابيين ، والبوشواريين والواغزنيين ، والاسفاركسيين ، واليعقوبيين الابلانيين ، والاكتاويين الابلانيين ، والريشيين ؛ وآل عبد الله بن داود الايسافانيين والاسكاريين ، والكيريين ، والمزواريين الرسموكيين . وآل تامرة ، وآل انراض والمجويين الرسموكيين . وآل سبدي على بن أحمد الرسموكيين ، والمفانين الرسموكيين ، والتاغاتيين الرسموكيين وآل ابن عمرو البعيليين . والاغرابوئين البعيليين . وآل سيدى غنمر البونعمانيين ، والسكراديين الجراريين ، والفراهميين الجراريين ، والمستكاديين والتوماناريين، والاكراديين ، وآل السملالين الساحليين. وآل

تادارات البعمرانيين، وآل العبالو الماسيين ، والالاسيين ؛ والناصرين ؛
السوسيين ، والبنتسعيديين ، وآل حسين الطاطانيين ، والركنيين ؛
الساتلنيين ، والشرحبيليين ، وآل تاغارنغرن ، وآل سيدى ابراهيم بن عى
التيفانيهينيين ، وآل الشيخ ماء العينين الذين صاروا يعدون من السوسيين
ومن أشياخهم . وغير هؤلاء مما سنقف عليهم فيما بعد ان شاء الله ، يوم نملك
أنفسنا فنذهب ونأنى كما نريد ، ممن لهم تعلقو بالالفيين . استاذية او
نلمبذية او صداقة وربما جرى ذكر بعض أسر أخرى ان ذكر بعض رجالاتها
اتنا ، تراجم أسرة من هذه الاسر . كثال حمزة ، وآل تختيسنت ، وآل
أكرامو السملالين ، وكثال البرج الرسموكيين ، فهذا عملنا فى كل من
لهم اتصال بالالفيين من العلماء . ثم لم ننس الرؤساء أصدقاء الالفيين .
إزاء هؤلاء العلماء . فأتينا (فى القسم الخامس) بذلك من القواد والشيوخ
انسياسيين الذين لهم مواصلة تامة مع الالفيين . والمقصود افادة المؤرخين غذا .
هذا عملنا فى هذا الكتاب ولا ريب أنه لا يدخل تحت شرطنا فيه الا قليل من
العلماء والرؤساء من مطلق السوسيين . ما لم يكونوا من رجالات هذه الاسر
العلمية او الرياسية . ولذلك خصصنا كتابا عاما جمعنا فيه من يذكرهم
مورخونا السوسيون فى كتبهم . كالبعقيل فى (كراسه) والتامانارتى فى
(الفوائد الجمة) والرسوموكى فى (وفياته) والكرامى فى (بشارة الزاثرين)
والخضيكى فى (طبقاته) والجشتمى فى (خضيكيين) والاكرادى فى
(روضة الافنان) وابن الحبيب فى (تعطير الطروس) وضممنا الى ما فى هذه
الكتب ما تيسر لنا من غيرها . وسنبنى على هذا ان شاء الله فنجمع كل
سوسى من اى كتاب آخر الى ذلك . ليكون سجلا خاصا بكل علماء سوس .
وقد سمينا (رجالات العلم العربى فى سوس) (I) كما أن هناك مجموعا آخر
خصصناه للرؤساء . ولما تمشى فيه الاخطوات . قلنا هذا لئلا يفتر القسارنى
بـ (المعسول) فيظن أنه تاريخ عام لكل علماء سوس ولكل ادبائه . بل هو
صوان لطائفة خاصة يجمعها شرط خاص . نعم انفراد (المعسول) بسوق كثير
من الاثار الادبية المختلطة مع الاسهاب فى التراجم . فتلك ميزته الخاصة وازاء
ادبياته . كتابان آخران . أحدهما (مترعات الكؤوس) خصصناه لآثار أدبية
حسنة لمن ليسوا على شرط (المعسول) والثانى (جوف الفرا) جعلناه
كسلة المهملات نلقى اليه ما غث وما سمن بحسب رزقه مما يبقى عن تراجم
(المعسول) وهذا كله عمل من يجلس وحده نى هذا المنفى ، بزجى الايام
بتسويد الطروس ، ومداعية القلم ، حتى يفرج الله ولعل كل ما سودناه يكون
له شأن فيكون أفضل هدية لمن سئفد عليهم غذا ان شاء الله يوم تنفرج الازمة

(I) كان هذا هو الجزء الثانى لكتاب (سوس العامة) ولكن آثرنا أن نفرق
بينهما ليؤدى كل واحد منهما ميمته الخاصة .

بحول الله . كيف أحرر التراجم

يألف المؤرخون كالبعقيل ، والتامانارتسى ، والرسموكسى ، والحفيكى والكرامى ، والجشتيمى ، والاكرادى . وابن الحبيب . منذ صاروا يكتبون عن رجالهم الايجاز المطلق فى تراجم كل من يترجمونهم فى كتبهم . ويكون ذلك غالبا ايجازا مَخِيلاً لا يستفيد منه المطالع الباحث عن النواحي التى تركز عليها معرفة حياة الرجال . فكنت أتألم كثيرا متى احتجت الى معرفة رجل من الرجال المذكورين فى تلك المؤلفات التاريخية . حين لا أجد ما أطلبه من الاحاطة بترجمة من أبحث عنه . ومن هنا حرصت كل احرص ان أسهب فى التراجم غاية جهدى حتى لا يقع غيرى بعدى فيما وقعت فيه فالتزم أن أذكر كل ما استطعت اليه سبيلا مما يتعلق بنسب المترجم مع ذكر ما أعرفه من وقت الولادة ووقت الوفاة أولا تحت اسم المترجم ، ثم أذكر نسبه ومن له من الاساتذة فى القراء والمعارف . مع ذكر الامكنة التى أخذ فيها القراء والمعارف (والمعهود أن يغفل اساتذة القراء فى التراجم) ثم أذكر اعمال المترجم من كل ناحية فى التدريس وفى غيره مع التزام ذكر المدارس التى درس فيها . وذكر التلاميذ الذين أخذوا عنه - ان عرفتهم - ثم أذكر مختلف الانباء التى تتعلق بالمترجم ، والاطوار التى تطور فيها . والاثار الادبية ان كانت له . وبالاجمال أذكر كل ما أعرفه عن المترجم . الا اننى من كتاب اليمين لا من كتاب الشهال - الا لبيان ما لا بد منه - وان باشارة من بعيد ، ثم أختتم بذكر اولاد المترجم وبمراثيه ان وجدت . هكذا سرت فى التراجم التى وجدت لها مستندات تمدنى بكل ما أريد . ثم ان كلن المترجم من أسرة علمية أذكر جميع رجال أسرته . من اولهم الى آخرهم . بكل ما أعرفه عنهم نسبا ومولدا واساتيد وتلاميذ واعمالا واثارا ادبية . وان لم تكن الا تافهة كرسالة ساذجة أو قوافى موزونة معربة ، فلذلك أمكن فى الكتاب جمع رجالات الاسرة الواحدة فى صعيد واحد . فيخرج القارئ من كل أسرة ، وقد ألم بغالب احوالها . حتى ليتمكن للقارئ ان يعد مجموع كل أسرة مؤلفا خاصا ، فيكون كتاب (المصنوع) مجموعة مؤلفات شتى ، بعدد ما يحتوى عليه من الاسر التى جمع شملها . وهى عشرات فعشرات .

اننى احرص فى الكتاب أن أذكر الاحياء (1) بين الاسر ، متى وجدت لهم الماما بالعلوم ، بحيث يقرأون العربية ويكتبونها بلا لحن ، او بنحن قليل ، مع مرورهم على المتن ، وان اسوق الاثار الادبية ، وان لم تكن ذات قيمة فى نظر اصحاب الاذواق السليمة ، لا يقاثنى ان ما لا يصلح للاديب الماهر ، يصلح

(1) صار غالب الاحياء اذ ذاك 1360 هـ . فى عالم الموتى الآن 1380 هـ .

للمؤرخ الماهر . التى يستنتج من اثر سقيم ما يدل عليه سقمه . فاذا بذلك يعود عليه مع غيره بفائده عامة . عن آثار ادبية فى عصر من العصور او فى اقليم من الاقاليم . او لا يرى المؤرخ الماهر الحريص على الاستنتاج ان هذا من الفوائد العظمى والكتاب ليس كتابا مدرسيا ينتقى له . بل كتاب تاريخ يحشر فيه كل ما امكن كيغما كان جيدا او غير جيد . ما دام عربيا وان لم يكن من الروائع . فقد يستفيد المؤرخ من عبارات الرسائل الساذجة ما لا يستفيدة من الرسائل الرائعة ، كما اننى اذكر الصوفية كما هم فى بيئتهم وعند معتقديهم فان ذلك ان لم ينقل كما هو فى بيئته لا يفيد المؤرخ ، سواء كان ذلك على مبدأى انسلفى ام لا . ولت شعري كيف يعرف رجال عرفوا بخرق العوائد ، ان لم يذكر معهم ما عرفوا به .

الشلحيون والعلوم العربية

ينشأ الفاسى فى بيئة تتكلم اللغة العربية اللادجة . يسمعا من ابويه ومن اخدم ، ومن اقاربه فى ملاعب الازقة . ثم اذا دخل مكتب القراءة يجد قوما كتاب الله الفاظا لا يقب منها عن فهمه الا بعض كلمات لا تستعمل فى بيئته . ثم لا يكاد يدرك التمييز حتى ترى والده يصاحبه الى مجالس العلم خصوصا بين العشائين (1) والى المساجد حيث يحضر خطب الجمعة . فيمكن له ان يفهم ولو تفهما بسيطا ما يقوله الاستاذ فى مجلس علمه . واخطيب فى خطبته . هذا اذا كان والده عاميا . واما ان كان الوالد احد العلماء . فان الولد يسمع ايضا فى وسط الدار العربية الفصحى من بعض العلماء الزائرين لايه . فى ائنه المذكرات مما لا بد ان يفهم منه القليل ان لم يفهم الكثير . ثم اذا جمع القرآن او كاد يدفع به الى تعلم اسس العربية الفصحى . فسرعان ما يتفوقها . فلا تمضى عليه الا شهور ، حتى يعرف مواقع الكلام العربى المرتب بمرفوعات ومنصوبات ومخفوضاته . ثم لا يقطع الا شوطا او شوطين حتى ترى كفه يتفتح عن الزهرة . التى تتبعها الثمرة وشيكا .

هكذا يكون ابن فاس الذى ينشأ فى بيئة عربية علمية . فلا يمضى عليه فى تلقى العلوم الا قليل حتى يظهر بطفنة وذلاقة وفهم مكين . قبل ان يمضى عليه احيانا حتى سنة .

واما الشلحي البربرى الفح الذى يحيا فى مثل جبال (2) جزولة الذى

(1) هذا وصف لاهل فاس فى الجيل الماضى حين تحتفل بمجالس العلم بين العشائين كما كانت عليه كل المواضع اذ ذاك .

(2) هذه الجبال لا عربى فيها ، وانما تسكن قبائل العربية ، هواره وأولاد يحيى والمنابهة فيما حوالى (تارودانت) فى السهول . وأولاد جران حوالى (تيزنيت) ولم تزدهر العلوم العربية بالدراسة منذ قرون الا فى جبال جزولة ، حتى ان ابن زيد الجشتيمى قال : لا يكون قضاء او عدولا فى (تارودانت) الا من قبيلة امكن من جزولة ، يعنى ان ذلك كثير لا أنه لا يقع الا ذلك .

ينشأ في بيئة لغته الشلحية البعيدة عن العربية ، فانه قد يحفظ القرآن - وكثير منهم لا يستمتون حفظه الا عند البلوغ او أكثر - وهو لا يدري حتى معنى الحز والسمن والبصل والخصير والفاس ، لأنه ينشأ في اقليم متزو متكش على نفسه ، قلما يزوره عربى اجنبى عنه - كما هو الحال في جبال جزولة قبل الاحتلال - وقلما يخرج منه اهله الا تجارا قليلين اذ ذاك . وهم الذين يلمون وحدهم بالعربية الدارجة ويبقى سواهم مرتطمين في لغتهم الخاصة فمن حفظ منهم القرآن لا يفقه من معناه أى شيء . ما لم يلم بدراسة العربية في المدارس . وهكذا يكون حافظ القرآن الذى تبلغ سنه غالباً نحو ثمانية عشر عاماً . فتراه اذا افتتح الجرومية يتخير في معنى (الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع) ثم يزداد تحيره يوم يفرق في (باب معرفة علامات الاعراب) فلا يأخذ كل ذلك الا تلقينا وتقليداً . وحفظاً لما يكتب له (وقد يتم الجرومية ثم يعيدها مع (الجمل) و (الزواوى) وهو لا يفقه ما يزاوله الا توهما . وترديد كلمات يحفظها كالنصريف في (اللامية) على قواعدها . يلقنه اياها الاستاذ تلقيناً ليجيب بها . وهكذا يسير كما يسير الاعمى المقود بيده . وقد تمضى سنتان او ثلاث ، وهو بعد بعيد عن تفهم ما يتعاطاه حق التفهم (1) . حتى ان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالفى يقول :

ند يمك قبل ثلاث سنين فلا تهجرنه أخير أنيس
فلان الشلاوى مصدره أجل مواضيئه غير مقيس

يقصد أن الاستاذ لا يتطلب من تلميذه تمام الفهم فيما يقرأه من العربية الا بعد مزاولة ثلاث سنوات (2) فاذا ذاك فقط يؤاخذة اذا لم يفهم ما يزاوله . وضرب لذلك مثلاً بالمصادر التى تبني من الافعال الثلاثية) فان غالبها غير مقيسة بخلاف الافعال الرباعية فما فوق فانها مقيسة .

ذلك هو التلميذ الشلحي الذى تدرس له العلوم العربية باللغة الشلحية على ما هو العادة فيقرأ الجرومية والالفية حتى مختصر خليل بلغته المعتادة (3) ، فتمتى يا ترى يتمكن في اللغة العربية؟ حتى اذا تمكن من قواعدها بكترة الاكباب

(1) أكبر مؤخر للشلحيين عن الفهم الباكر هو التدريس بغير العربية . وقد كنا في مراكز ونحن لا ندرس بالشلحة بل بالعربية الفصحى نرى فهمنا مسرعاً منهم . وفي المعهد الرداني اليوم وفروعه دليل قوى . فلا يكاد الشلحي يبطى عليه الا قليل حتى يفتتح فهمه بسرعة ، بل يظهر من ذكائهم نواذر عجيبة . نعم ان لمعوم العربية الدارجة المنتشرة اليوم لسبباً كبير في ذلك . (2) قد تنخرم هذه القاعدة في بعض الشلحيين الذين ينشأون في الأسر العلمية ، ولكن العبرة بالكثرة الساحقة . وهذا امر نشاهده هناك الى الآن (3) والعجب أن نحو العربية يقرأ ويفسر بالشلحة . كما يقع مثل ذلك بالفرنسية . فقد حدثني الوزير المعمرى أنه ماقرأ نحو العربية الا بالفرنسية .

سنوات فانه لا يتلوق لبابها وآدابها الا بعد جهود اخرى بين تسلّوات الكتب أدبية كثيرة خارج الدروس المعتادة - كما هي عادة بعض المدارس التي تكتب على أمثال هذه الكتب في عطل الاسبوع يوم الخميس والجمعة والعواشر ويعد مدراسة أمثال المقامات ، ولامية العجم ، ولامية العرب ، والشعر ايطيسية . وبانت سعاد ، والهمزية ، والبردة ، وقلائد العقيان وديوان المتنبي . والمعلقات السبع وأمثالها مما يدرس في كل المدارس أو في بعضها . ثم لا بيئة علمية الا في المدارس أو في مجالس العلماء . أثناء الدراسة فقط . وإما لغة التخاطب فهي اللغة الشلحية دائماً .

فلتسمح الآن أيها القاسي ما يقاسيه صنوك السوسي في تطلعه الى التمكن في اللغة العربية . والتفلسح منها . حتى يمكن له ان سافر من بلده الى (القرويين) ان يجاورك في الاخذ عن اسانذة (القرويين) فربما لم يمض لك أنت في الدراسة الا ستان أو ثلاث مع انه مضى له هو فيها زهاء عشر سنوات . ثم لا يفوق مستواك غالباً . والعلة في ذلك ظاهرة بينها غاية البيان . ومنى ظهر السبب ، بطل العجب .

(وبعد) أفلا تشكر هذا الجزولي المكب على العربية وآدابها حتى استطاع ان يتذوق منها بعد سنين كثيرة في فقر وإقلال في باديته القاحلة . ما تتذوقه أنت ، وانت في أعظم حاضرة تجبى اليها ثمرات كل شيء . أفلا ينبغي أن تعتبر ما كان يلاقيه حتى استطاع ان يتطلع الى التعبير بالعربية وأن يقول فيها ما يقول ، ميداناً عظيماً تجلت فيه التضحية في أعلى مجالها .

ثم لا يحسن القراء أننا ننشد بكل ما في هذا (الكتاب) من منظوم ومثثور . فلسنا والحمد لله من أهل الغباوة حتى نحسب الجمرة ثمرة . والقصة (1) فضة . وانما كل مقصودنا أن يدرك القارئ بتمهل أن ما في هذا الكتاب صدر عن أناس شلحيين . تربوا في غير العربية . ثم لا يتصل سلك أحدهم بالعربية الا بعد جهد جاهد ، فان أحدهم لا يزال يتخطى من الاجرومية فالتى تتلوها من الكتب المدرسية شيئاً فشيئاً . وهو يأخذ من القواعد العربية بلسان أبويه . ثم لا يزال يتعالى الى العربية فتتسرب اليه قليلاً قليلاً بمقدار ضئيل . حتى ينأى له بكثرة المزاوله وشدة الامعان ، وبطول الحرص ان يسلس له قياد تلك اللغة ، وأن لا تحجب الفاظها المعاني التي تقمصتها ، ثم ان كان قدر له أن يكون كاحد هؤلاء الادباء المذكورين في هذا الكتاب . فانه يسير قدماً . يواصل الاسناد بالتأويل . ولا يفتأ عن سير الميقاب (2) حتى يتبحر اللجج . ويسبح في العباب ، ثم لا يقنعه الا أن يتسربل شملة عربية ، ويستلثم فكرة

(1) القصة ، الحصة .

(2) الاسناد : سير الليل كله . والتأويل : سير النهار كله . وسير الميقاب : السير في الليل والنهار معا بلا نزول

مضرية . وان يتصور انه من جبلى (نعان) فيستخلص اليه نسيمه . او انه احد بنى عذرة فيتهالك على نفسه هياما أن توهب له احدى الحسن . او أنه عنتره العبسى فيلحظ جلده كأنه خافية الغراب . ويرفع عقيرته وقد اغلظ من صوته فينشد كما يحسب أنه عنتره ينشد كذلك :

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل : الفوارس ويك عنتره أقدم
او انه ابو نواس فيغازل الكاس والطاس . ويثأثى بالسبين ان جرى على لسانه ذكر محبوبه عباس (1) أو انه ابن زيدون فى اكناف (الزهراء) وهو يراسل ولادة بقواف رقيقة . ومعان تفعل بالالباب ما تفعل الحمير

هكذا يعود ذلك الشلحى عربيا مبينا . وقد سلخ عنه مسلاخ أبويه ، وعادات قومه ، ونسى كل ما يسامته . أو يكون على أيهانه وعن شمائله من الشلحين والشلحيات . يطير كل ذلك عنه . كما طار عن جده الاول كفوه يوم خلق دين الاسلام عليه بأجنحته البيضاء ، وقد اعار أمس للعرب قلبه وشعوره على عهود أجداده . ثم أتبعه اليوم لسانه وذوقه فيستطيب السبع فى بحور أشعارهم وآدابهم . كما يستطيب الصب السبع فى مغازلة من تميّت قوّاده وملكت عليه مشاعره . كآين من شلحى جزول تراه فى شملته السوسية وفى سحنه الجزولية . تكشف لك عما فى طواياه . لرايت أديبا عربيا يمد اليك راحته ليصافحك ، كأنها انتساخ الارواح صحيح . فجالت ارواح بعض أدباء العربية فى العالم . فلم يطب لها ان تتقمص الاشباح بعض افراد من السوسيين الكرام ومن تختارهم الارواح من عليها . فتعود بهم ثانيا الى هذا العالم . افلا تختارهم أنت أيها القارئ الذى تحدّر جسمه من أصلاب عربية حقيقية ، فتقدم اليهم يدك فتشكرهم على ما قاموا به من الجهود الجبارة ، حتى حرصوا على لغة أبائك العربية ، فحنوا عليها حنو المرضعات على الفطيم ؟ لا يهمنا من هؤلاء الادباء أنهم مجيئون فيما يقولون او غير مجيدين ، بل هل كل أدباء الحواضر يجيئون دائما . فالاجادة وهن الحظ ، ومن بنات البخت وكم من اديب كبير عالم بالفنون التى أتقنها حتى فى الحواضر لا يحسن ان يضم كلمة الى كلمة عند مناجاة ربه القريض . كما هو المعتاد عن المفلقين فى القريض ، ولهذا ينبغى ان تكبر من هؤلاء الادباء الجزوليين هذه الهمم المتحفزة الطيارة التى تقطع جوا ، فجوا ، فيحاء واسعة ، قبل ان تطل على ما هو الادب العربى الذى كان منها بمنزلة السماء السابعة ممن هم فى الارض السفلى . لا نشك فى أن غالب هؤلاء أدباء ، ما دما نجد الادب بأنه الاطلاع الواسع على اللغة العربية . والنفوذ الى روحها المكنونة . والاتصاف بوصافها تخلفا ، حتى

(I) قال ابو نواس فيما اسمه عباس :

وشادن سألت عن اسمه ، فقال لى بالشلخ عباس
فصرت من لثغته النفا فقلت أين الكاث والطاثل ؟

يكون خلقا راسخا ، ذوقا وأريجة وشعورا . فأننا ما دام هذا هو الاديب العربي ، وإن المتصف به هو الاديب العربي . نحكم بأن غالبهم مع تفلوت اقتدارهم أدباء . بلا شك يعترفنا في مجموعهم أن كان بعض شك يعترفنا في بعضهم أن سحب عليه وصف كاتب بارع ، أو شاعر مفلح ، أو علامة كبير .

قد يترأى من بين بعض عباراتهم اختلال في التراكيب . وضعف في التعابير ، وهلهلة في النسخ ، ولكن لا ينسبون القارئ أن هؤلاء المذكورين في هذا الكتاب متوزعون على عدة قرون ، كما لا ينسبون أن الادب العربي بـ (سوس) جزء متصل دائما بوساطة (القرويين) و (الجامع اليوسفي) و (تامكروت) بالادب العربي المغربي العام منذ جزرا ، افلاقا واسفاقا . فليدرس الادب المغربي العام في هذه القرون كلها في جميع أجزاء المغرب وليدرس هذا الجزء في ضمن ذلك . ثم لا علينا أن صدر حكمه لهم أو عليهم ، فإن الجهود المبذولة - وهي وحدها مفخرتهم الوحيدة - لا يمكن أن ينسأها هذا الحكم . وإن أمكن أن يكون عليها . فمهما بلغ أن يلسعها من الشدة والعنف ما يلسع ، فإن جهودهم لا تنسى في اتقان العربية وعلومها وآرائها . وعلى المرء أن يسعى وليس عليه أن يساعده الدهر . ومن بذل جهده فقد أعذر .

علي أننا لو قدرنا أن أمة من أمم الهند أو أمريكا أو أوربا اعتنى أفرادها من عند أنفسهم باللغة العربية كما اعتنى بها هؤلاء الشلحيون الإفحاح حتى برز في علومها من بينهم في أعصار متتابعة كثيرون تحصيلًا وتاليفًا وآدابًا وشعراء . ثم أحصى باحث علماءها في ذلك ، فوجدوا نحو أربعة (1) آلاف ، والمؤلفون في علومها عشرات عشرات عشرات ، ثم أقيمت نظرة عجي على أدبائها فحشر ممن تيسر منهم أن توضع اليد على الآثار التي بها يكنسته القدر ويسير الفوز فيلفون عشرات عشرات وبينهم نخبة منتقاة منتحلة ممن مروا في قرون قليلة . ولعل أضعافهم موجودون . ولكن إنما هي جولة قليلة في زمن قصير تحت شرط خاص ملتزم . من رجل ليست يده بطول علماء ومتنولوا . لو قدرنا أمة ما هكذا . ثم خفي أزمانا عن الاعين كثير مما تنطوى عليه هذه الأمة من آثار العروبة . وآيات لسانها الذلق . ثم قام اليوم أحد الباحثين فاكشف لنا ما اكتشفه هذا الكتاب المتواضع . فليت شعري كيف يقابل عند القراء في هذا العصر الذي تقدر فيه جهود الامم . ويشار فيه بنوع النوابع؟ فما هؤلاء الشلحيون وأعمالهم تحت لواء العربية الفصحى . وما قاموا به خير قيام قرونا متوالية بلا ملل ولا فتور . إلا مثل أمة من تلك الامم فاذا لم ترسل صيحة عالية تعجبا واستغرابا تمثل أمام الاعين جهود أدبائها المستعربين . كما لا شك أنها ترسل مثل تلك الصيحة لو ظهر مثل ذلك فجأة من إحدى

(I) في يوم من أيام المنفى الطويلة ، جلست أعد علماء سوس في كل القرون ، فجزرتهم بهذا القدر .

تلك الامم. فما ذلك الا اغماض في الحق . ونكران مجهود بعض الامم دون بعض
واشادة بقوم . واحتقار امثالهم من اقوام آخرين .
وختاما أقول ان كل طلبتنا وراء هذا العمل أن يعرف أن هناك في قاصية
الجنوب المغربي لعلوما عربية ، وآدابا مسترسلة ، منذ أوائل القرن الخامس .
يعتريها اتباعا للحركة العلمية المغربية العامة جزر ومد ، وقوة وضعف ، ولم
يرل ذلك مسترسلا الى الان . وما هذا المجموع في هذا الكتاب الا كعموان من
ما يروج في عصور مختلفة . خصوصا في الاجيال الاخيرة ، فاذا قرأه قارئ
أو قرأ بعضه ان لم يتركه ذوقه العصري أن يقرأه كله . او تصفحه ورقة
ورقة ، كما يفعل أناس غير قليلين من انصاف المتعلمين ، أو القى نظرة على
عنوانه . ثم ألقاه كما يفعله بعض من أولعوا بهس كل كتاب في دكان (الكتبي)
ثم لا يشترون أى كتاب . اذا قرأه أحد هؤلاء كله أو بعضه ، ثم ألقاه استغالا
لادبه القديم . أو تصفحه متعلما أو لمسه من أولع بصدد رأس (الكتبي)
ثم أدرك أن هناك منذ أوائل القرن الخامس في (سوس) علماء وآدباء عربيين
كانوا يعيشون بالهواء المغربي في قرون مختلفة كما عاش امثالهم من العلماء
والادباء في الخواضر والبوادي التي في ضواحيها ، وتحت احضانها . اذا أدرك
القراء هذا ، وادركوا من ورثته أنه من فسي تلك الزاوية الجنوبية المغربية
شاركوا أيضا في النبوغ المغربي في العلوم العربية وآدابها . فان ذلك هو
مقصودى الوحيد الذى انقطعت له منذ سنين .

ثم لم يبق لي الا كلمة ان لم تكن في ذهن بعض من يطالع هذا الكتاب . فانه
يتأفف ان وصل بعض من كانوا عاشوا في هذا الجيل ، ثم درجوا أخيرا .
لأنه يصب عليهم جام غضبه حين لا يزالون عاضين بالنواجذ على ما يزعم انه
ادب أمشاج كمومياء . لا روح فيه الا المحاكاة . والقاء الالفاظ فى بحور
العروض بترصيف أو بلا ترصيف . ويقول قد كنا نقرأ ذلك لمن عاشوا قبل
هذا الجيل فنقبله منهم . لأنهم عاشوا في عصور لا تعرف الا ذلك . ومن يكلف
أحد أبنائها ما ليس في استطاعتهم من نبوغ في عصورهم . وعلو عما كان
معهودا بين أيديهم من غير أن يعثهم الى ذلك فكر عال ، وشعور وثاب
وقريحة جياشة ، فقد حكم عليهم بالمحال ، وحاول منهم أن يطيروا بلا جناح ،
وأما من عاشوا في هذا العصر الذى انبعث فيه الادب العربية كما هي في
عصرها الذهبى العباسى . وصرخت بصرخاتها الصاخة ، حتى ارتجت بها
المسامع ، وتهاوت بها من الادب المهلهل الفقاع . وحتى أبصر الاعمى الصراط
المستقيم ، وسمع حتى الاصم كيف يكون الادب العربى ابن الشعور الحى . لا
ابن افكار ميتة معانيها كالودع الملقى في سيف كل بحر ، وفي تناول كل
يد لا قيمة لها . ولا يهتبل بالتقاطها عاقل ذو عينين . من عاش في عصر
هذا أدبه المتواطى عليه ، ثم لا يزال يغمض عينيه ، وينكر الشمس ، وينسج

بحيوط العنكبوت ، فانه لا يستحق الا ان يرقس من قراء هذا العصر . اخضر
بركلة يتدحرج بها الى الدرك الاسفل . اليه يقود مثل ذلك الادب المنحط اليوم .
ذلك بلا اذتياب ما سيفوله بعض القراء الخاذقين او المحتذلقين او جلهم ،
ولكننى تنالاهم على فكرتهم وان لم يكن بعضها الا خطلا . اقترب من اذن
احدهم فالتقى اليه سرا . لئلا يسمعنا سامع من هؤلاء السادة الذين احترم
شعورهم . واحافظ على ود راسخ وشجته بيني وبين كثير منهم او اصره من
قديم . وكان فضله على عظيم ، فاقول : ان اهل تلك الناحية لا يزالون الآن
1360 هـ . بعيدين عن عذاب تائبك . لأن البعثة الى الآن لا تزال متوقفة دونهم
او لم تحفظ قوله تعالى « وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا » فليتحقوا باصحاب
الفترة كلهم اجمعون اكنعون ابتغون ابصعون الا ما كان من ثلثة منهم كانوا
هاجروا فراوا كيف ترقى الادب العربى اليوم . واما ما عدا هذه الثلثة ممن
كانوا يعيشون فى هذه الجبال ، فلا يزالون بعيدين عن تأثير روح شوقى
وحافظ والزهاوى والرائعى والرصافى والمنفلوطى فى الادب العربى اليوم
والواجب ان يغالب كل من فى تلك الجهة الدارجين منهم والاحياء بشكر جزيل
على محافظتهم على اللغة العربىة الفصحى فى ذلك الاقليم . وعلى الادب العربى
من حيث هو الادب العربى . فان الزمان كفى اذا اراد السعد ان يستمر الادب
العربى فى (سوس) بتلقيح الفكر الادبى هناك ، بروح حية وثابة . حتى
يترقى التعبير . ويتفوق هناك الشاعر اليوم ، كما تفوق سلفه امس . وتباشير
فجر ذلك على الافق . وحسبنا بالونعمانى والتنانى والردانى (1) وامثالهم
دليلا ناصعا .

هذا ما يجب نحو اولئك الفضلاء المستعربين الكرام الذين جعلوا مناجاة
العربىة هجيرا هم . وموضوع اسماءهم ، وعاهدوه معاهدة مستمرة الوفاء . لم
يخسها الابناء ، كما لم يخسها الاباء ، يضحى الاستاذ بجميع عمره فى تعليم
التلاميذ كما يضحى التلميذ بشبابه فى اتقان الفن مع المحافظة على
المثل العليا الاسلامىة .

تذييل

ذلك ما كتب عن (المعسول) يوم كتابته الاولى . وظن ان اتمام ما ينقصه
ربما يكون على طرف الثمائم . وان تنقيح تراجمه المكتوبة . وزيادة تراجم
اخرى امر سهل ، لا يستدعى جهودا اخرى . ولا مواد اوسع . ثم لما افرج عنى
الافراج الاول . فى (سوس) وحدها مختتم 1360 هـ . فصرت آثقل فى الاسفاد
السوسية التى سجلت رحلاتها فى كتاب (خلال جزولة) وقفت على ما ازيده

(1) ولم اكن ادرى وأنا اكتب هنا أن النابغة العثمانى شرقت شمسها فى
الادب الحى ، فى هذا الوقت نفسه .

فى التراجم التى كنت كتبتها فى تلك العزلة . كما وجدت بحرا ذائرا من
 تراجم اخرى يدخل اهلها تحت شرطى فى الكتاب . فملأت ما بين 1360 هـ .
 الى مختتم 1364 هـ . بالكتابة فى ذلك ، حتى تضخم الكتاب وقارب ما يراه عليه
 القارئ اليوم . ثم لما انتقلت الى سكنى (مراكش) فى مختتم 1364 هـ . وانغممت
 فى الدراسة مع طلبة جدد ، اجتمعوا ايضا حولى فى (باب دكالة) بقى
 الكتاب فى حقيبته كبرى منسيا يندب شجوه . حتى كانى لم اكتبه ، فلا يعجز
 ذكره على لساني ، ثم لما دهمت الازمه سنة 1370 هـ ، وانتقلت الى (البيضاء)
 صرت التفت الى ما فى هذه الحقيبة فايزد الكتاب اشياء ظفرت بها جديدا .
 وحين غام الالف وكان الاعتقال على الانساب ، وخيف من تفتيش الشرطة
 الفرنسية . نقلت كل مخطوطاتي فى حقائب . ومن بينها حقيصة (المسول)
 الى انسان أمين . ثم اعتقلنا فكان ما كان . وحين رجعت من الاعتقال ، كان
 اول ما اشتغلت به وشغلت به من يلتفون حولى . كالاستاذ سيدى احمد
 الاقاوى - لسان الحق - والاستاذ الحوزى سيدى محمد بن هناد الكلمىوى .
 والاستاذ سيدى محمد بن مبارك السوسى المراكشى . ان اكبنا على تخرىج
 كل مسوداتي فى ذلك المنفى . ومن بينها (المسول) ، وقد عزمنا على ان
 انتهز الفرصة السانحة من خلوى من الدروس ، فقطنا اشواط تلك السنة
 فى ذلك العمل . ثم جاء الاستقلال . فدهمت الوظيفة على غرّة . فكنت فينه
 بعد فينه ، التفت اوقات فراغى الى عمل الخاص هذا ، فاذا به قد اشرف على
 التمام . فاذا ذاك خطر فى بالى ان الكتاب اذا لم يطبع فى حياة صاحبه ، وتحت
 اشرافه . فانه يكون عرضة للضياع . وهذه مجلدات بقيت من تاريخى استاذينا
 الكبيرين : المراكشى والمكناسى . فآين هى الآن ؟ وهل يحصر على انجاز
 اكمال المؤلفات الا من أسسها من اول يوم . وقدرها قدرها . وعرف مواقع
 الاغلاط فيها . وما الطبع تحت نظر المؤلف حقيقة الا النظرة الاخيرة التى يتم
 بها العمل . على ان هناك امورا ازيدها كلها الآن من جديد . والكتاب تحت
 الطبع مثل حياة (القائد الناجم) التى زينت كلها اخيرا . والمئة لله اولا وآخرا .
 (وبعد) فليعلم القارئ اننى اعرف الناس بكل ما يستهدف له المؤلف ان
 نشر مثل هذا الكتاب . فى مثل قطرنا هذا . فى مثل وقتنا هذا . فانه سيسمع
 ما لا يحب كل ذى قلب حتى ان يسمعه . ولكن ذلك كله هين فى سبيل المصلحة
 العامة ، ولكل ورد شوك ، واذا كل عمل مادم وفادح . على ان فى اخراج المؤلف
 لكتابه وهو حتى لمنافع اخرى . فانه هو بنفسه سيسفيد من التنبيه على اغلاطه
 من القراء ، وخصوصا ان كانت اغلاطا لا يتسامح فيها . ومنذ ايام بعد نشر
 (الجزء التاسع) توصلت من الاستاذ الكبير (لسان الحق) سيدى احمد
 الاقاوى ، برسالة ينهني فيها على اغلاط واضحة فى ترجمة استاذه سيدى
 عبد الرحمن الفاسى . فقد ذكر اننى غلطت فى ترجمة الفقيه سيدى عبد

الرحمن الفاسي . الاقوى في ثلاث نطق اولاهما حين جعلته اصغر من اخيه
القاضي ، مع انه اكبر من اخيه . والثانية حين قلت انه اخذ عن اخيه وعن
الاستاذ الآخر من (اتقا يكرتن) في المتون مع انه انها اخذت الاستاذ سييلاتي
الجامكاني . والثالثة انني نسبته لفرية (تاويرت) مع انه من اهل فرية
(تاكاديرت) ذلك ما نبهني عليه الاخ المذكور ، جزاه الله خيرا . ولا احب الى
من ان ينهني كل من وقع على خطأ مني لاستدركه . ولا فائدة في نشر الكتاب
في حياة المؤلف الا ذلك . وقد قال عمر : رحم الله من اهدى الى عيوبي)
والكتاب كالمكلف لا يرفع عنه القلم ولو طبع .

الغث والسمين في الكتاب

بن في كل كتاب - وفي مقدمتها كتاب (المعسول) - غثا وسمينا ،
ورخيصا وتميها ، وصدا ودرا . وتبنا وجوبا . ذلك ما لا ريب فيه ، زيادة
على ما سيحتوي عليه من اخطاء ، عن جهل او عن نسيان . واختلاف بعضه عن
بعضه (ولو كان من عند غير الله لوجبوا فيه اختلافا كثيرا) لكن بعد اقرارنا
لكل هذا ؟ الا تزال هناك اسباب اخرى . ربما كان التمييز بين الغث والسمين
من مسباتها ؟ او ليس ان من ليس في اقليم اذا كان يقرأ بعض تفاصيل اخبار
محلية ، يعد ذلك كله من الغث ؟ او ليس من لم يكن بأديب يستقل ما يقدم
الادباء من الروائع ؟ او ليس ان من هو أديب محض لا يستلذ كل ما لا يمت
الى الادب ، ، وأخبار الادباء ؟ خصوصا ما يتعلق برؤساء وصوفية يزخر بهما
مثل هذا الكتاب ، او ليس ان من له ذوق عال لا يستطيع ان يسمع ولو
منظومة واحدة من غالب ما في هذا المجموع الذي سقناه للمؤرخ لا للاديب ؟
ان النقطة التي تنطلق منها النظرة التي تفرق ما بين الغث والسمين هي
نفسية القارئ نفسه غالبا . ولذلك لا أقدم هذا المجموع الا للمؤرخ وحده .
الذي يستنتج من السقيم ، كما يستنتج من الصحيح . ويتشوق الى أن يعلم عن
ذلك الاقليم السوسي الذي هو أحد أقاليم المغرب كما يود لو يعلمه عن جميع
الاقاليم المغربية . واما غير المؤرخ . فانه يعرف وينكر ، ويقبل ويرد ،
ويستحسن ويستهج ، ويستغث ويستسمن ، ولكنه ان اقرء ما ذكرته آنفا
من مقصودي في جمع الكتاب - على عواهنه - فانه سيجدني موافقه في كل
ما يقر عليه حكمه . ومن باع وبين عيوب مبيعه فانه غير ملوم . ولو انصفه
القراء لنظروا الى الصحيح لا الى السقيم ، وإلى الصواب لا الى الخطأ . لان
الانسان مجبول على الأخطاء الا من عصمه الله ولهذا اعلن أنني لا ابيع كتابي على
البراءة ، واستغفر الله مما اخطأت فيه فيما بيني وبين الله . او بيني وبين
الناس . وما أنا الا بشر أصيب وأخطئ . والكمال لله :

اننى قد عمدت الى طبع اجزاء من الكتاب على غير ترتيب لسببين اولهما ان فى بعضها ما لا يزال يحتاج الى مراجعة ما . والثانى اننى انحنى الاجزاء المفيدة من كل قسم من اقسام الكتاب الخمسة . اكثر من غيرها ، لاتمام تصميم هذه السنة من طبع أكثر اجزاء الكتاب ان شاء الله . ولهذا تنكبت الاعلان عن الكتاب فى الجرائد والاذاعة ، حتى يتم هذا العدد ، ان شاء الله . فلم اهد الى اية جريدة ، ولا اوعزت الى من يكتب عن الكتاب ادنى كلمة . ولا عرضته فى المكاتب . فكل من كتب عن الكتاب انما كتب من عند نفسه . مع محاولتى الخاصة توقيف ذلك .

هذا فهاكم ايها السوسيون كتابكم الذى لفقه واحد منكم من قبل عشرين سنة ايام فيه بين ظهرا نيكم . فلولا النفى لثم كتاب (مراكش فى عصرها الذهبى) الذى كنت اجمع مواده قبل النفى سنة 1355 هـ . ولكن اراد الله الاشتغال بكتابكم . لانه يعلم ان فى ابناء مراكش من العباقرة من سيقومون بهذا الواجب واتى بى اليكم مرغما . لاكتب عنكم راضيا . فالحمد لله على ما اسدى ، والشكر لله على ما هدى . والفضل له اولا وآخرا وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

تقاريط

بين يدي الآن حول كتاب (المفسول) كتابات كثيرة . للدين قراوا!
الكتاب، وابتهجوا بصدوره فى عالم الطباعة. وفيهم سوسيون وغير سوسيين.
ولما كان الكتاب، سوسيا مفعوما بأخبار السوسيين . اثرت الآن ان لا اذكر
هنا التقاريط التى كانت بأقلام سوسية . لأن ذلك كاشادة الانسان بعمله
نفسه . فاقترنت على ما تخيرته من تقاريط غير السوسيين . من الائمة
الاعلام ، ومن بينهم اناس كانوا هم السبب حتى عجلت بطبع الكتاب ، فلم
يزالوا يحفظوننى حتى لبيت مرادهم ، وانى لهم لمن الشاكرين .
هذا ، واننى غير غبى - والحمد لله - فيحملنى ما فى هذه التقاريط حتى
اغتر . واننى لبصير بكل ما فى الكتاب مما لا يسلم منه اى كتاب كيفما كان،
وانما نشرنا التقاريط للتاريخ أيضا كما جمع الكتاب من اساسه للتاريخ ،
فالله يقول الحق وهو يهدى السبيل .
وساتبع التقاريط على حساب تواريخها ، ان شاء الله . واصحاب هذه
التقاريط هم المؤرخون اليوم فى (المغرب) لا يعل عليهم فى هذا الميدان .
حفظهم الله .

قال الاستاذ البحاثة الاخ النقادة

سيدى مصطفى العربى الرباطي

لقد كان من دواعى غبطتى فى السنة الماضية تمكنى من الاطلاع على جل انتاج اخينا فى الله البحاثة الكبير ، والمؤرخ الحبير : سيدى الحاج المختار السوسى . وبصفة خاصة كتابه (المعسول) تلك الموسوعة السوسية التى تضم تاريخ رجالات سوس ، ومدارسها التى كان لها الاثر العظيم فى تكوين حركة علمية هنالك ، تدعو للاكبار والاعجاب . وهى تحتوى على عشرين مجلدا . وهى كما عبر عنها فى مقدمة الكتاب (مجموعة مهية لمن سيستقى منها غنا) وقد حرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار والنكات الادبية والوادروا المستملحات والغوافى ، وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب . والمقصود اولا وآخرا منها - كما قال - أن يرى القارئى مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب . يضم طائفة من ابناء اتمازيغ الشلحين البدوين فى نشر اللغة العربية ، وعلومها وآدابها . وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا . فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة ، من غير أن تعينهم الدولة .

وكان السبب الرئيسى فى انكباب اخينا لجمع هذا التراث القيم من تاريخ سوس من (المعسول) وغيره منفاه الاول لقرية (الخ) مسقط راسه . التى بقى محصورا فيها خمس سنوات متوالية لا يرى ولا يجتمع ولا يجالس الا بعض من يتسربون اليه فى زاوية ابيه الصوفى الكبير ، والمربى الجليل ، الشيخ سيدى اخاج على الدرقاوى . فكان يقتنص منهم ما يفيد فى غايته التى رسم خطتها ، زيادة على كتب عثر عليها فى تاريخ تلك الناحية ، فكان من نتائج هذه الجهود الطيبة التى ملأت فراغ تلك السنوات وأنسته الغربة والوحدة اخراج كتب جزيلة الفائدة غزيرة المادة مع الطرافة فى بحوثها . وهى (من افواه الرجال) و (الترياق المداوى) و (ايليف قديما وحديثا) و (مترعات الكؤوس) و (خلال جزولة) رحلاته العلمية الاربع التى استوفت تصوير تلك الناحية الكبيرة من سوس .. وكتاب (المعسول) الذى اتحدث عنه الآن ، وغيرها مما لا يزال لم يخرج من مسوداته ولقد كان انغمراه وحته قبل ذلك على جمع هذا الكتاب - كما يقول - زيارته للزاوية الدلائية من (ايت اسحق) فى سفح الاطلس الكبير ، وعبرته بالتدثار آثار علمائها وادبائها العظام ، حتى لم يبق لها اى اثر . فكانت هذه العبرة من الحوافز القوية على قيامه بهذا المجهود الجبار ، كان العناية الالهية استجابت لهذه الامنية التى اختصرت فى نفسه بمنفاه مختتم 1355 هـ . لقرية (الخ) ليتفرغ كامل الفراغ مدة سنوات لمهمته النبيلة ، ولما استقر به المقام فى المنفى اثار فيه بعض اهله هذا الكامن

الدفيس الذى كان يساور ذهنه أثناء اقامته بـ(مراكش) ولكن لم يجد لتنفيذه
 وقتا حين رآه ينقطع ما يستر ممن يحاطهم من اذكاء من يعرفون زوايتهم .
 ويستجل ذلك فى كتاب (من افواه الرجال) فلاحظ عليه بكلمة استغفرت
 نشاطه لهذا العمل الذى كان قبل فى نفس المؤلف من التمتنيات (المعسولة)
 وقد قال له الاجدى من كل هذا ان نهى لنا كتابا ككتاب ال زاوية (تيمكيدشت)
 اكلى الله العربى المنرفى الفاسى . فكانت هذه الكلمة من ذلك الاخ - كما
 قال - هي البذرة الاولى من هذا الكتاب

ويشتمل الكتاب على غالب أعمال زوايا سوس العلمية الارشادية ومدارسها
 التربوية مع الالمام بأخبار بعض رؤسائها والخروب بينهم ، وجمع رجالات
 الاسر العلمية فى مكان واحد تفصيلا. وقد رتب المؤلف الكتاب على خمسة اقسام
 واشترط انه كلما ذكر رجلا على شرط الكتاب أن يذكر كل ما حوالياه من درجات
 أسرته من العلماء ، ومن تلاميذه ومن أسانذته ، وبهذا تضخم الكتاب ، وتفرعت
 اجزأؤه العشرون ، الى اختصاص ثلاثة منها فى الالفين العلماء والرؤساء ،
 وخمسة فى اسانذتهم ، وثلاثة فى تلامذة مدرستهم ، وستة فى الأخدين عن
 زوايتهم ، وثلاثة فى اصداقائهم السوسيين . وصار متشعبا لهذا النوع من
 الترتيب الذى اقتضاه حال البحوث المبكرة ، وسوغته الاحاطة المرغوب فيها
 فى التراجم المكتشفة ، على تسجيل اكثر ما يمكن تسجيله للغد عن هذه الناحية
 المجهولة من تاريخ المغرب . نعم ان القارئ غير المتانى ، المحروم من التركيز
 الذهنى ، قد يصل لهذه التشعبات ، والتفرعات الاسرية . فلا يستطيع ربط الفروع
 بالاصل ، فيسام ويدع الكتاب ، فيحرم بذلك من معلومات عديدة ذات الاهمية
 والفائدة ، حول احداث ووقائع تاريخية مهمة ، لم تلون فى كتاب آخر ، كحركة
 (الهيبة) بن ماء العينين ، وأسرة المجيدة . وصفحات مجهولة من ثورة (أبى
 حمارة) وعن الثائر الذى قاوم الاحتلال بـ(تافيلالت) ومذكرات قيمة عن حياة
 القائد الناجم الشهير الكفاحية ضد قوات الاحتلال ، والمتعاونين معها من قواد
 ورؤساء وباشوات ، التى أملاها بنفسه على المؤلف بانه احداثا عظاما فى المقاومة
 ضد الاجنبى وعملائه ، وقعت فى الاصقاع السوسية ، لم ينشر عنها بيننا فى
 الحواضر اى حديث. فللقارئ ان يقض الطرف عن هذه التفرعات والاستطرادات
 التى يعتبرها غير لازمة ، ما دامت تجلب له هذه المعلومات القيمة . وتكشف
 له عن كثير من الحقائق تتمم ما كان ناقصا من التاريخ المغربى فى تلك الربوع.
 ولقد شعر مؤلفنا الكبير بما يمكن ان يحسه قارئى من شبابنا بما يعده فى ذوقه
 من الخرافات التى لا ينبغي ذكرها فى كتاب يستفيد منه العموم . فقال ردا على
 هذا الشعور المتوقع بسطور فى آخر المقدمة ، تعطيك صورة واضحة عن مهمة
 المؤرخ النزيه . (هذا وقد يجد من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط
 المتاع ومما لا ينبغي ان يهتم به . مما يعده هو عند نفسه فى ذوقه من الخرافات

ولكن لا يشين اننى مؤرخ، وفلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل شىء، أمامها حتى ما تغدق به الأعين . فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة ، تلتقط الظلال العاتية . فان لم يكن فلم من يجمع للتاريخ كذلك . فانه فلم الصليل والمسخ للحقائق ، لان واجب المؤرخ ان ينقل فادنه بوساطة يراعته الى الذى يتحدث عنه، حتى كان القارئ يساهده عيانا. واما ان يهذب أو يسدب ويحدف ويزيد ، حتى يضل القارئ عن الحقائق. فذلك هو الزور بعينه. ولهذا احرص انا فى التراجم ان اذكر كل شىء مدحا وقدحا ، وان كنت اعمل فكرى واختار وارجح ، لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ . ولا خير فى مورخ جماع فقط من غير ان يظهر أثر فكره فيما يكتب)

هذا والكتاب غير مقتصر على الاحداث التاريخية ، وانوفانح الحريية فحسب ، بل هناك حكايات طريفة ، واخبار مفيدة ؛ واشعار عديدة . تصور الحياة الاجتماعية تصويرا دقيقا ، فضلا عن الثروة الادبية الغزيرة من شعر ونثر، تشر عليها خلال مطالعتك فى تراجم اعلام رجال) نعم فيها الفت الكثير فى بعض الانظار . ولكن المؤلف يبرر غير ما مرة نشرها فى الكتاب ، رغم مباينتها للنوق القارئ . للفائدة التاريخية وتسجيلها النظرات الحق عنها . ولتصورها للحياة الاجتماعية التصوير الصحيح ، ولكونها كذلك تمطيك بدقة لا تكلف يشوبها البيان الواضح ، عن حياة المترجم من مجموع انتاجه . وقد تجد مفهوما وسط هذه الغزارة من منظوم ومنثور ، عيونا من الشعر الجيد ، تبلغ احيانا درجة التحليق ، وصفحات شيفة من النشر الفنى بقلم المؤلف تستحق الالتفات ، بين رجالات من تراجمه تكون مجموعة ثمينة من الادب العالى تعزز الادب العربى المغربى، وتقوى مادته الصالحة بالوان طريفة من القول ، وتظهر ما كان مجهولا من شخصيات ادبية تزيد فى قيمته .

اجل ومن هذه الالاف من الصفحات الزاخرة بعديد من المعلومات فى جميع الميادين الحيوية المختلفة عن تلك البلاد ، وعن كل ما يتعلق بها من تاريخ وادب واجتماع ، التى جمعها من هنا وهناك مؤرخ سوس الكبير. او دبجتها يراعه تلقيا من افواه الرجال ، او استفادة من كتب هزيلة عثر عليها فى الموضوع وقد يظهر للمطلع على نوع الحياة التى تركز عليها تلك التواحي ، والازمات التى تتخبط فيها حيناً بعد حين . ان هذا سيكون قليلا بالنسبة لما ضاع . وخصوصا اذا اعتبرنا تلك الحروب التى كانت لا تفر رحاها الساحقة هنالك بين القرى والمداشر بين نحتلى (تاكوزولت) و (تاحتكات) وتنفذ نار اوارها لادنى سبب حتى خلت من اجلها ديار ، فانجلي عنها باقى السكان ، علاوة على الاربعة والخمسة والجوهر العدو الفتاك الدائم لتلك الاصقاع ، فياتى فى بعض السنين على الاخضر واليابس ، ويخصد الحياة فى المواقع المار بها حصدا ، ويجمع مع كل هذا قلة الامكانيات اللازمة فى بناء الدور التى يمكن ان تحفظ

هذا التراث من الامطار الواكفة من السقوف ، وتصونه من الرطوبة الراشحة من الجدران ، ويزيد على هذا انعدام الوسائل الواقية من الارضة والجردان .
والمانعة من الاحداث الداعية للضياع والفساد .

وبعد ، فقد حملنى على كتابة هذه الكلمة حول كتاب (المعسول)
تقديرى واكبارى لهذه الجهود المحمودة التى بذلها المؤلف لتهيئ هذه المجلدات
الضخام كى تكون كمرجع نافع ، ومصدر صالح ، لمن يرغب فى التعرف عن
ذلك الجزء المغمور ، من قبل ان يفكر فى طبعها . فكان من الواجب والانصاف
ان اعلق على عمل وطنينا البجائة ، مع اعترافى بحميلة فى تقديم هذه المجموعة
للاطلاع عليها بما سنحت به القريحة ، وتدوين ما عنى لى عنها من ارتسامات
وخواطر يوم طالعتها كلها قبل ان تقدم للطبع ؛ ولعل قارئها المنصف الراغب فى
الاستفادة بعد استيعابه لمعلوماتها الطريفة يشاركنى برأيه فيما كتبت
حولها ، ويدرك بذلك الاسباب الوجيزة التى دعتنى للتنويه بها ، والتشبيد
بذكرها والتعليق على قيمتها . وبطبيعة الحال لا استطيع ان اجد من قارئى اقتصر
على مطالعة فهارسها ، والالام باسماء اعلامها ، واختزال مواضيعها ، والتنقل
من هنا وهناك ، ان يرى رأى فيها ، وهو قد تجاهل كنوزها ، وتغافل عن
محتوياتها الثمينة ، التى توجد وسط خضم مفعم بالوان عديدة من الكلام . بل
اعتقد انه قد يرمى بالمبالغة فيما وصفت ، فى بعض ما ذكرت من قبيل التقريف
المجرد ، لقصوره على هذا النوع من الاطلاع وعدم تتبعه لاقسام الكتاب بامعان
والسلام .
اواخر قعدة 1380 هـ

قال العلامة المؤرخ الكبير سيدي العابد الفاسي

قيم خزانة القرويين

ربما كان من أصعب الصعب أن يكتب الإنسان تقریفا أو ملاحظة من الملاحظات حول كتاب لمطلق صديق من الاصدقاء ، فكيف بصديق تجمعه معه عدة روابط وعلاقات، من أهمها اتفاق في المبدأ، وإخلاص لروح العمل ، وسير فيه الى النهاية . صديق تمثل فيه الاخلاص والتواضع منذ شبابه الى كهولته . هذا ما حدث لي عند ما حاولت أن أكتب كلمة لشرح بعض آرائي فيما نشر من كتب الاستاذ الكبير الشاعر الفحل سليل الائمة الصالحين أبي عبد الله محمد المختار الالفی السوسي ، ولكن ماذا عسى أن أعمل وأنا بين تيارين ! تيار الصداقة الطارفة والتالدة كما قلت ، والتي يرجع شأنها الى عهود سحيقة تزيد على الثلاثين سنة ، في الوقت الذي كانت تجمعا فيه حلقات الدروس في مجالس الاساتذة الكبار بجامعة القرويين . وكانت نواتنا الخاصة لا تتجاوز دائرة البحث العلمي ، ومراجعة النصوص ، ومسايرة مبادئ الثورة الفكرية ، والحركة الوطنية في مراحلها الاولى ، يتخلل جميع ذلك نكتة لأذعة ، وحكمة لأمعة ، وشعر متين ينشد ، أو قصة أدبية نجعلها محور البحوث ، وهدف الحديث ، وبين تيار آخر تيار حب الصراحة ، وصلق القول . وشرح ما اشتملت عليه كتب الصديق من نقط يتعين لفت النظر اليها ، واستكناه حقائقها ومصادرها ، ونقد ما يتعين نقده منها ، ثم أخيرا معرفة مقدار ما لهللا الادب السوسي من أثر في الحياة العامة بالمغرب، وما هو حظها في تاريخ المدرسة العالمة في البلاد، وليس من السهل أن أتحدث عن سائر كتب الاستاذ (المختار) وليس من الهين أن أفرد مقالا أو كتابا في موضوع كتاب (المسؤول) خاصة لأنني اعتقد أن الامر جد وليس في الامكان استقصاء البحث مهما حاولت في هذه المجالة الموجزة ، لذلك اخترت أن أبدا حديثي بكتاب (المسؤول) بصفة عامة لا أتعرض فيها للجزئيات ، وعسى أن أكون بهذه المشاركة المتواضعة قد أدت بعض الواجب ، ونجحت في تقديم هذا الاثر الجليل لعموم الادباء ، وهذه رغتي . وكل ما أرجوه من أفراد الائمة العاملين أن يقبلوا على هذا النوع من الانتاج ، حتى يمكنهم الاطلاع على صفحة خالدة من صفحات تاريخهم المغربي المملوء بحكمة وعبقرية وإيماننا .

رتب صديقنا الاستاذ الكبير كتابه هذا على خمسة اقسام ، وفي كل قسم فصول . وقد احتوت الاقسام والفصول على كثير من الغرائب والتودر بعد وصف (الخ) جغرافيا ، وذكر كثير من عوائد البلاد الالفية في الاعراس والمثائم ، والحدائق ، وغير ذلك من ضروب معاملات ونوع تجارتها ، مما يجعل المرء على بصيرة من اجتماعيات هذا البلد الامين ، وان الموضوع الذي اختاره

المؤلف لكتابه من الحديث عن بلده ، وسائر نواحي سوس المعروفة بالتحصب الفكرى ، والانتاج العلمى ، وما ينشأ عن ذلك بالطبع من ذيول فى تراجم شخصيات علمية ، وحوادث أدبية ، سواء فى عصر المترجمين الموضوع فيهم الكتاب مبدئيا ، أو قبله وبعده كيفما كان الحال هو موضوع مهم ، يكاد ينفرد به التنوين الاسلامى . وليس من السهل أن يدعى شخص خلاف هذا ، ويذهب الى أنه من قبيل التفاخر ، أو التحدث بشائر الاءاء والاجداد ، وأثرهم فى المجتمع ، بل نحن نرى الامر من زاوية أخرى لا يراها هؤلاء الناقنون. ونذهب الى أن من العقوق للعلم والادب أن لا يتعرض الانسان لما كان عليه اسلافه ومواطنوه من المجد والعلم والنباعة . وهل تاريخ أمة من الامم الا مجموعة من قصص هؤلاء وأولئك ، على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، وهل هؤلاء الافراد المترجمون الا خلية متينة من جسم كل أمة ينبض قلبها بالحياة ؟ وهل يتكون تاريخ أمة من الامم الا بعرض عام لكل ظروفها وملابساتها، وطريقة تفكيرها، واسلوب انتاجها ، وليس لذلك من سبيل الا طريق النشر ، وذكر الشاذة والفاذة من آثار الاسلاف .

لقد كان للمغاربة الفيدح المولى فى هذا الموضوع ، حتى أننا ربما نعتبر تنوين الطبقات والتراجم نوعا خاصا برز فيه مؤرخوهم ، وامتاوا به ، فكثيرا ما نجد المؤلفات ذوات المجلدات فى خصوص عائلة من العائلات ، أو بينت من البيوتات ، ممن كان له شغوف فى التاريخ المغربى ، بله ناحية من النواحي ، أو قطرا من الاقطار . وكان لهذا النوع من التأليف وقع كبير فى مجرى التنوين المغربى ، حتى صرنا اليوم نعتبره مصدرا من المصادر الصحيحة ، التى نلجأ اليها فى كثير من الاحيان ، اذا أعيانا البحث ؛ وغمت علينا النتائج . نلجأ اليها فى كثير من قضايا التاريخ المغربى بسبب ما تذكره هذه الكتب عرضة من استطرادات مدهشة ، لمسائل غامضة ، لا نجد لها أثرا فى مظانها الا قليلا، ولنضرب لك مثلا بكتاب (مראה المحاسن) المطبوع بفاس ، فرغما عن كون الكتاب فى موضوع خاص اختاره المؤلف ، وهو ترجمة والده الشيخ أبى المحاسن ، فقد ملأه بحونا وقضايا تاريخية ، يعز نظيرها ، ويصعب العثور عليها فى غيره ، وارجع ان شئت الى بحثه فى قضية ثورة أبى عبد الله الشيخ المامون على والده المنصور (ص 29) وإلى ذكر الخزانة العلمية المحدثنة فى قبلة جامع القرويين (ص 30) وإلى ذكر غزوة (تامدة) أو وقعة (وادى المخازن) (ص 34) وإلى البحث القيم فى محارب فاس واختلافها (ص 41 43) وانظر (ص 142) فيها ذكر أسماء قواد وأشخاص لعبوا دورا مهما عندثورة القائد محمد القرطوسى بـ (مالة) زمان أبى الحسن على بن سعد من بنى نصر ، مما لا يعرف فى غيره ، وانظر ص (145) فى موضوع التعريف بـ (القصر الكبير) المدينة الاثرية الواقعة على نهر (لوكس) فيه من الفوائد

الغريبة ما لا تجده في كتاب ، أتيت لك بهذا كنموذج لهذه الكتب المؤلفة في تراجم العلماء والصالحين ، من وضع أبنائهم وأحفادهم وغيرهم ، لأبرهن لك على أن هذا النوع من التأليف ، فيه أشياء وأشياء ، مما لا نعرفه في كتب التاريخ المكتوبة في خصوص مدينة أو قطر ، وكتاب (الروضة المقصودة) و (البدور الضاوية) لأبي الربيع سليمان الخوَّات خير مثال شاهد لا قرينه ، وإن هؤلاء المؤلفين أو بعضهم حين أقدموا على هذا العمل ، كانوا من دون شك يشعرون بما يمكن أن يقوله المتفولون الجامدون ، ولكنهم رغم شعورهم هذا ، فانهم يشعرون في الوقت نفسه شعورا آخر كان الباعث القوي على قيامهم بهذا الواجب ، مهما كانت العراقيل ، ومهما كانت الانتقادات واستمع الى مؤلف المرأة يقول في ديباجة كتابه . وقد شعر بما يمكن أن يخطر ببال المتقاعسين (ولعل منتهورا يرى ما نشر من الخلى ، وأثبت لمن يتصل به من المراتب العلى . فيسترع الى اللام : ويقول مادم نفسه يقرئك السلام ، وعلى رسله فان المحاسبة اذا كانت لا تحمد ، وليس يحسن في كل عين من تود) وشهادة الجار الى جاره تسقط في المرافعة وترد . ومادم نفسه هازل في الحقيقة وإن جد . فانه لا يحمد العقوق ولا اضاعه الحقوق ولا الخروج عن العدل والمروق ، ولا بغض الناس اشياهم فانه فسوق ، (وكلا طرقتي قصد الامور ذميم) والعدل هو القسطاس المستقيم

بمثل هذا يتضح لك أن الاستاذ الكبير في كتابه (المعسول) لم يات ببدع في طريقته ، انما هي سنة العلماء الاقدمين في نشر العلم والادب من أي ناحية اتت ، وفي أي فصيلة نبتت ، لا يهمهم الا افادة العظم وبث الاداب والعلوم ، ولو اردت أن اورد لك فهرسا عاما للذين كتبوا عن عائلاتهم وأمجادها ؛ لطال الحال . وغزر المقال ، والاوروبيون انفسهم اخذوا من هذه الطريقة بالنصيب الوافر ، بل ذهبوا الى ابعد من ذلك ، فنشروا تراجم انفسهم ، وشرح مذهبهم وما المذكرة المختلفة التي تنشر بين الحين والحين الا فصل من فصول حياة الكتابين لها ، والقائمين بتمثيل أهم ادوارها . وصديقنا الاستاذ لم يخرج عن هذه الدائرة ، فقد جعل محور تأليفه وأساسه حياة علماء قبيلته كالاستاذين الكبيرين محمد وعلى ابني عبد الله ووالده الشيخ الامام الصوفي الكبير سيدنا الحاج علي . ثم اتبع ذلك فصولا ممتعة في تراجم تلاميذهم والمتصلين بهم من علماء وادباء واصحاب حيثيات ، وتبسط في الموضوع ؛ فكتب الصفحات المتوالي في كثير من حوادث بلاد (الخ) الجبلية ، ثم اتبع الكلام في كثير من القايم (سوس) وعقد التراجم الواسعة لجمهرة من علمائها وادبائها ورؤسائها . لقد طالعت ما ظهر من كتاب (المعسول) مطالعة باحث منتقد مستفيد ، فصدق الخبر الخبر . ووجدت الكتاب فوق ما يظن ويتحدث عنه بصفة يمكن للمغربي معها لا خصوص الاثني . أو السوسي أن يرفع راسه عاليا بوجود

شخصية من أمثال (المختار) يظهر في هذا الوقت القريب ، حيث لم يبق من معالم التضلع في اللغة العربية الا الآثار والاطلال . ولست أستغرب هذه الظاهرة من صديقي اللفي ، فمنذ عرخته عرفت فيه الشاب النشيط الواصل لبله بنهاره في الكد والبحث والاستطلاع . عرفت فيه العبقريّة والشخصية والشيم الديني ، والاخلاص للعقيدة،ومثلها العليا . عرفت فيه معنى التصوف في حياته البيئية ، وجميع مظاهره العادية ، عرفت فيه حب المزيد دائما من العلم ، والتفاني في طلبه ، والارتواء من مناعله ، والاقتداء بآثار آبائه وسلفه . وهل ينبت الحطى الا وشيجه وتفرس الا في منابتها النخل

وبالجملة فكتاب (المسول) مدونة جامعة، ومعلمة تاريخية أدبية ، لمجموع عصور سوس ، على اختلاف مظاهر تلك العصور ، ارتقاها وانخفاضا حسب المؤثرات التي يتأثر بها مسيروا الحركة هناك ، وحسب المدرسة التي تخرجوا منها وهي لا تتجاوز في الغالب الحاضرتين فاس ومراكش، وكثير منهم ممن اشتهر بالطابع الحضري في الادب لم يرض بغير فاس بدلا ، وهذا شيء يقرره المؤلف نفسه في كثير من المناسبات ، ويعترف به ، ولست في حاجة الى ايراد كثير من تصريحاته ، فالكتاب مملوء بنصوص لا تقبل التشكك ، وان كنت لا أبرته في بعض الاحيان من تغلب النزعة التي لا معيد للانسان(1)عنها، وربما حاول ان يجتدل شخصا أو أشخاصا ممن عرفوا بالتبريز ، وحمل راية الادب ، متخرجين من مدارس سوس، ومناهلها العرفانية، من دون أي اثر أدبي لغيرها ، وحينما تشوق نفوسنا الى عناصر الدعوى وبراهينها ، نجدها سلسلة من الاحتمالات والامكانيات مما لا يمكن ان يكون قاطعا في الموضوع ، واستسمح القارئ فقد التزمت في الحديث ان أعرج على ذكر ملاحظاتى على المؤلف الاستاذ ، مما يشبه ان يكون نقدا ، وسوف ادع ذلك الى رسالة خاصة ، اقدمها لصديقي المخلص ، في صورة بحث علمي ، جبا في الاستفادة ، واستزادة من اطلاعاته الواسعة واحاديثه العذبة ، وساجد فيه على العادة انصافا ونزاهة في الحكم، وفصلا في القول ، واكتفى الآن بلفت انظار الشباب ، والطبقات الواعية في هذه الامة ، الى ما حواه هذا الكتاب الثمين من ضروب الفوائد ، وجميل العوائد ، ففيه يجد المؤرخ بغيته من الحديث عن عصور مختلفة ، وحوادث بعلمها المنطقية ، ونتائجها الصحيحة ، وفيه يجد الاديب باقة ملونة من ازهار الشعر القديم ، والجديد مما يبلغ في بعض الاحيان الدرجة الممتازة في البلاغة والمتانة والخيال والابداع ، والتصوير الشعري ، والاحساس المرفه ، وفيه يجد الاجتماعي مجالا واسعا للدراسة كثير من الاوضاع في افليم احتفظ بطبيعتها وسجيته ، وصقلته روح الاسلام وتعاليمه ، وفيه يجد الفقيه دراسات واسعة

(٢) حقيقة يا أخى العابد : لا يمكن طبيعة أن انسلخ من سوسيتي ، ولا أن تنسلخ من فاسينك بالكلية، ولكن نتحرى معا الحق حين نضع الموازين القسط.

عن تطور الفقه ، ومبلغ سمو الفكر السوسى فى تطبيق النصوص ، وتفهم القواعد العامة ، وفيه يجد السياسى مجالا خصبا ، ومراة ناصعة ، لكثير من قادة البلاد، وزعماء الثورة السياسية ، وما قاموا به من محاولات لاصلاح سياسى فى نطاق ظروف خاصة ، واخيرا يجد الصوفى ما يشبع نهمه ، وشلج فؤاده ، من سيرة اولئك الصالحين الذين عرفوا المقاصد ، وتفهموا الحقائق ، وتناولوا هذه الحياة الدنيا تناول قوم تفهموا اهدافهم ، وتبينوا طريقهم . ولعمرى لقد ابدع المؤلف الاستاذ فى كل هذه الميادين ، ووزع القسمه على طريق العدل بين الروح والعقل . واى خير فى هذا الوجود لولا بصيص سن شعاع الروح يغمر قلوبنا ايمانا ، ويملا افئدتنا نورا ويقينا ، ونسال الله تعالى اعانة مؤلفنا حتى ينشر جميع بحوثه ، وانتاجه العلمى الغزير ، والى اللقاء فى ساحة اخرى .

1380/11/20

تقريظ العلامة النظار كاتب رابطة العلماء سيدي عبد الله كنون الفاسي ثم الطنجي

معالي الوزير الاثير العلامة الكبير اخينا سيدي الحاج المختار السوسى حفظكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته (وبعد) فقد وصلنى (الجزء التاسع) من كتابكم (المعسول) ، بل معلمتكم الكبرى عن (سوس) التى اصبحت بها هذا الاقليم من وطننا العزيز يجر ذيل الفخار عما سواه من الاقاليم ، بما ابرزتم من توثيق له عظيم فى تاريخ (المغرب) ، وما سجلتم له من تاريخ ادبى حافل ، يكفى وحده لاستظهار هذا القطر بشرائه الفكرى الضخم . وما عرفتم به من تراجم رجاله الافذاذ ، وابنائنه النبغاء ، فضلا عما ضمنتهم من صور رائعة ، لطبيعته البديعة ، وحالته الاجتماعية ، وعوائده اهله وتقاليدهم، وتفسير واضح لما انبهم من اقوالهم والفاظهم التى يجرى الكثير منها على السنة عموم المقاربة ، ولا يعرف اصله ولا مدلوله بالتدقيق ، فهو ولا تكرران للحق مجهود طائل . ينوبه العصبه اولوا القوة . وهو مع ذلك منسوج على غير منوال سابق . فاذا كان غيركم يعتمد الى مجهودات الناس فيهتضمها ، او الى كتابات الاجانب فيترجمها ، ثم ينسب ذلك الى نفسه مع انه ليس فيه الا النسخ بل المسخ ، فانكم برئتم من الخلتين اعنى الانتحال والتقصير . وجئتم بعمل تام مشكور ،

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

على ان كلمة الانصاف التى اقولها تقديرًا لعملكم الجليل (1) وليس فيها مبالغة ينبغي ان تتجنب عند التقدير والتحليل . هى ان من يرى (المعسول) ولم يكن يعرفكم لا يشك فى انه انتاج جيل من الباحثين ، ومشروع تضافر على انجازه غير واحد من العاملين . ولكننا نعرف انكم وحدكم ابو علوه فنقدركم قدركم بهذا ، ونحكم بانتم فى تاريخنا الثقافى بمثابة جيل كامل من العاملين فى ميدان البحث والانتاج ، والافراد من هذا القبيل ليسوا ممن تدفعهم الحالة العادية ، المنطوية فى المبالغة النواسية ؛ ولكنهم على كل حال قليل ؛ وقليل جدا . وكماكم ان تكونوا منهم . والقريب فى الامر هو تأليف موسوعة كـ (المعسول) عن اقليم لا اقول انه لم يكن شيئاً ، ولكنى اقول انه لم يكن عند الناس كل هذا الشيء الذى تحدثهم عنه . وقد الف العلماء موسوعات كثيرة كـ (نهاية الارب) للنويرى و (صبح الانعشى) للقشندى وسواهما، ولكن فيما يتناول اقطار الاسلام ، وبلاد العرب وغيرها لا فى اقليم واحد من تلك الاقطار ، وناحية من نواحي هذه البلاد ، فسبحان الله الذى يوتى الحكمة

(1) الجليل يقال لمعنيين متناقضين ، عظيم وحقير ، والمقصود هنا الاول .

من يشاء . لهذا فاني اهنيئكم من صميم الفؤاد بهذا الفتح المبين ، بل اهنيء
البلاد بما أحرزت عليه من هذا الكنز الثمين . متمنيا لكم دوام العز والسلامة
حتى تخرجوا بقية أجزاء الكتاب لياخذ مكانه في الخزانة المغربية علقا نفيسا .
ومرجعا رئيسيا ؛ لا أغنى عنه لمؤرخ او كاتب ؛ وعلى خالص المودة والسلام .
طنجة 24 قعدة 1380 هـ .

تقريظ المؤرخ البجاعة سيدي عبد السلام بن سودة مؤلف (دليل المؤرخ)

إذا كان الباحث في عصور ما قبل التاريخ يتطلب كثيرا من العناء ويبدل كثيرا من الجهد المستمر عشرات السنين والاعوام .

وإذا كان الباحث عن الحقيقة التاريخية الضالة ينفق من زهرات شبابه بغير حساب ، متنقلا بين القارات والمحيطات مستطلعا الاحجار . ومستنتظا الرمم والاطلال ؛ ليقدم للانسانية الظمأى وشلا من المعلومات ونزرا من الاخبار عن ماضى الانسانية الغابر .

فان الباحث في تاريخ المغرب يتطلب مجهودا اشق وزمنا اطول وثقافة اوسع واطلاعا اشمل ، ذلك لان كثيرا من الآثار المغربية قد عملت على ابادتها عوامل الارض والسماء والنسر والخير والجهل والعلم . والاهمال والنسيان تارة . والتعصب والانتماء تارة أخرى .

فكثير منها أصبح في خبر كان بينما يظن ان اكثرها في خبر ليس من العلم المحض ، وما بقى من الوثائق والمستندات المكتوبة عبثت به أيدي الزمان فبعثرته بين المتاحف ، واخزائن الخاصة والعامة والقتة الى من لا يستفيد ولا يفيد ليحبسه في زاوية من زوايا المهملات فريسة للارضة واخوانها من الهوام الحشرات مع انه علم نفيس وكثر ثمين .

وعند ما هبت نسيمات النهضة المغربية على الشباب المغربي تدعوه الى العمل انبناء لتجديد شباب الامة الدابل وانعاش حظها العاثر ؟ ونشر دقات الامجاد ومفاخر الاجداد وربط حلقات الماضي بالحاضر . كان بعث التاريخ المغربي فاتحة في سفر العمل فشطت الهمم . وشجذت العزائم وتضافرت الجهود وانكب كل في ناحية باحثا منقبا ينشر ما طواه البلى ويبعث ما دفنه الاهمال ولسان حاله يقول نحن احفاد اولئك الاجداد وفروع تلك الاصول ؛ واعصان تلك الادواح . فلم لا نسود كما سادوا ولم لا نعتز كما اعتزوا ولم لا نبني كما بنوا ...

فظهرت المحاولات الاولى في بواكير الاقلام . واسهم كثير من العاملين بمجهودات دلت في معظمها على جهد منقطع النظير . وصبر عديم الشيل وأذكر اني نشرت سنة 1355 هـ . 1936 م . مقالا في بعض الجرائد الوطنية ادعو فيه الى العمل على جمع الوثائق التاريخية وتكوين لجنة من المختصين لكتابة تاريخ المغرب . لكن المعركة السياسية التي كان المغرب يخوض غمارها شبابه وشيوخه وعلماءه وفادته جعلت الجهود تتكتل لمقاومة العدو وتحرير البلاد من قبضته فكانت البلاد لا تخرج من معركة حتى تجد نفسها امام اخرى ولا تنفض غبار شدة حتى تتلوها اخرى .

وفى غبار هاته المعارك استطاعت كثير من الهمم ان تقدم للخزانة المغربية مؤلفات وابحاثا ونشرت مخطوطات ومستندات قيمة غزيرة الفائدة . جليسة القدر تصلح لان تكون مادة للباحث ؛ ودليلا للمؤرخ . ومنارا يهذى الخائرين . ولندكر على سبيل النمثيل لا الاستقصاء . ما كتبه اخونا المأسوف عليه المرحوم محمد الكانوني عن (آسفى وما اليه) وما كتبه المؤرخ الواعية الشيخ مولانا عبد الرحمن ابن زيدان العلوى عن مكناس والاستاذ الاخ المطلع محمد داود عن تطوان والقاضى عباس بن ابراهيم عن مراکش ، والسيد الرجراجى عن الصويرة والاستاذ محمد أبى جندار ودينية عن الرباط ؛ والشيخ مجاهد ابن على الدكالى عن مدينة سلا . والشيخ سكيرج عن مدينة طنجة فهؤلاء وان كانوا قد بذلوا جهودا مشكورة . وأسهموا فى حفظ تاريخ المغرب . وقدموا للباحثين مواد لكتابة التاريخ المغربى العام فان الفائدة من عملهم ظلت مقصورة محدودة فى نطاق ضيق لم يشمل النواحي الاخرى . مثل سوس التسى ظلت محتفظة بسرها الودود الولود المخضب بالاعمال والرجال والربط والى المدارس والزوايا والمدن والقرى .

وقد ظلت منذ فجر الاسلام هذه الديار معتزة بالعروبة والاسلام . يضرب ابناؤها اباط الابل الى الشرق والاندىلس ويرحلون الرحلات الواسعة فى طلب العلم ، حتى اذا عادوا الى سوس كانوا مصاييح الدجى . وايمه الهدى . ولا تنسين الرؤساء والشعراء والفقهاء ورجال الحرب والسياسة ورجال التصوف من هؤلاء السادة غير ان الزمان وعوامل الاهمال العام جعلت الوصول الى اخبار هذا الجزء النشيط من الوطن ، صعب المنال ، لعدم جميع الوثائق والمستندات فى سفر من الاسفار ، حتى قال الناس عن اهل سوس انهم تجار اذكياء لا اقل ولا اكثر .

وقالوا عن سوس انها جزء فاحل شحيح التربة ، لا يسمن ولا يغنى من جوع . وكان الزمان كان يسخر من هؤلاء حين غاب عنهم ان (المفسول) يكون احيرا فتنسى حلاوته ما تقدم من الطرف والفواكه ؛ وتمحو اشعته ما سبقه من الظلام الخالك . وذلك بفضل ما قام به مؤلفه اخونا العلامة الواعية الحجة مفخرة هذا الجيل وصاحب الذكر الجميل معالى وزير التساج الشيخ محمد المختار السوسى حفظه الله .

وقد كنت وانا اقرا الاسفار التى صدرت من (المفسول) اشعر اننى امام دائرة معارف ادور فيها بين العلم والادب والدين والتاريخ واللغة والتصوف . لا اكاد احصى ما يمر امامى من اخبار خاصة وعامة تافهة أو جليسة . ولا اكاد اودع موضوعا طريفا حتى يتلقانى ما هو اطرف واجمل . كل ذلك وقلم الشيخ محمد المختار قابض على الزمام ينتقل بك احببت ام كرهت الى رياضه الغناء لتقتنص الشوارد . وتفيد الاوابد . ولسان حاله يقول هذه سوس بقصها وقضيضها تلقى اليك بخبايا زواياها . واسرار خلاياها ، وكنوز

دفاعتها فان كنت من هواة الادب فاغرف من حياضها وان كنت من هواة اللغة فاشرب من معينها ، وان كنت من هواة التاريخ فاقرأ وادرس ، ثم استنتج فيها هي المادة الدسمة بين يديك . والشيخ محمد المختار في مؤلفاته (سوس العالة) و (خلال جزولة) و (الرسائل) البونعمانية والشوقية و (المعسول) وفي كل كتبه عن ذلك الاقليم هو الشيخ محمد المختار في احاديثه ومحاضراته ودروسه تصوف شرعى . وبحث علمى واطلاع موسوعى . وتواضع عمرى ، وصراحة فى القول واستقامه فى السلوك ومحافظة على القديم واستفادة من الجديد المفيد . ولا نشك أن الاجزاء الباقية من (المعسول) ستكون هي الاخرى حافلة بكل شاذة وفاذة من اخبار (سوس) الادبية والاجتماعية والدينية والسياسية ، ولا نشك انها ستكون اصخم موسوعة تنشر لأول مرة تحت سماء المغرب المستقل، يملك صاحبها من الصراحة والشجاعة والصبر ما يجعله مثلاً يضرب ونموذجاً يحتذى وما أظن أنه يوجد بالمغرب من لا يجتو امام هذا المجهود الجليل ، وهذا الصبر العظيم ، وهذه العزيمة القوية التى تحلو هنا المبقرى الفد الى بناء هذا الصرح الشاهق من مجدنا التاريخى الذى هو أولا وقبل كل شىء مجد المغرب وابناء المغرب . لا فرق بين من ودعوا هذه الحياة ، وبين من لا يزالون فى معركتها الصاخبة .

واما الاجيال القادمة فستعرف كيف ينقدرب ابناءؤها الشيخ المختار ويطاطنون رؤوسهم قائلين انه عمل ألف رجل لا عمل رجل واحد ، اما نحن الذين بلونا البحث فى الاوراق وعرفنا اى جهد يمثل تحرير عشرين مجلدا فى كتاب واحد لا يسعنا الا أن نفاخر بعمل اخينا ونهنئه ونقدريه ونعتر به غاية الاعتراف:

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيتها

بارك الله فى عمر اخينا العلامة الواعية الوزير الجليل واعانه على تميم مشاريعه العلمية حتى يحقق ما يصبو اليه من نفع لوطنه وخدمة للفته ودينه . وتخليد من الذكر لا تلوى زهرته، ولا تبلى جدته . وأنا له من الشاكرين والسلام

فى 10 ذى الحجة الحرام 1380 هـ . 26 ماى 1961 م .

تقريظ الوطنى الغيور السلفى سيدى ابراهيم الكتانى أبو المزايا قيم المخطوطات فى الخزانة العامة

لم يتح لواحد منا أن يستفيد من سجنه ومنفاه ما اتيح لصديقنا الحميم
الوفى لأصدقائه . العلامة النفاع السيد المخنار السوسى . وذلك عند ما
اختطف سنة 1937 م . من مدرسته الحرة بـ (مراکش) حيث كانت دروسه
تستغرق من وقته النهار كله . وطرفا مهما من الليل أيضا . ونفى الى مسقط
رأسه قرية (الخ) باقليم سوس . وكان قد لمس أثناء طلبه للعلم معنا قبل ذلك
بعشر سنوات ، بعاصمة العلم والثقافة والحضارة ، ومنبعث الوعي الوطنى
(فاس) الفيحاء ميسس حاجة المكتبة العربية المغربية لمجموعة من المؤلفات التى
تسجل أحوال مختلف الاقاليم المغربية فى جميع نواحي الحياة . وخصوصا
الثقافية والدينية والاجتماعية منها .

وقد اشتدت هذه الحاجة عند ما جرؤ العدو المحتل على أن ينكر فى وقاحة
منقطعة النظير عروبة البلاد المغربية واسلامها . وعما العاملان الفعالان فى
تكوين المجتمع المغربى ، وتكيفه وتماسكه واستقصائه على الغزاة والغاتحين .
وشرع يعمل فى تنفيذ خطته الاجرامية الرامية لاقتلاع جذور هذه العروبة
وهذا الاسلام من البلاد . وذلك بتشجيع الرطنات الاعجمية ، واللهجات المحلية .
واحلال الاعراف الجاهلية محل الشريعة الاسلامية ، وتشجيع الدعاية الصليبية
وفرض اللغة الاجنبية ، وجعلها وحدها لغة الادارة ، مع مقاومة اللغة العربية
والثقافة الاسلامية ، واضطهاد أهلها ، والتنكيل بهم ، ومطاردتهم فى كل
مكان . الا من قبل منهم أن يتخلل عن رسالته ، ويعين العدو فى جريمته .

فلما تهيأ للصديق المختار فرصة نفيه وفصله عن تلاميذه وطلبته وأصدقائه
اغتنمها فرصة سانحة لتسجيل كل ما أمكنه تسجيله من غث وسمين . من
اخبار اقليمه وأحواله . مما شاهد بنفسه ، أو سمعه من أقوال الرجال والنساء
والتقطه من ثنايا الوثائق والمستندات العائلية ، والتقايد الشخصية على ظهور
الكتب الدراسية ، متصلا بكل من هب ودب ، الى أن رجع من منفاه بهذه
المكتبة الضخمة ذات المجلدات العديدة التى استمر فى الزيادة فيها وتنقيحها
أزيد من عشرين سنة ، والتى لا يوجد فى موضوعها ما يقنى عنها .

وان قارئى هذه المؤلفات ليستطيع أن يتعرف منها الى مقدار استعراب هذه
الاقليم ، ومدى انتشار الثقافة العربية ، والمدارس الاسلامية فيه . والجهود
التي بذلها السكان لاحتضان هذه الثقافة . وتشجيعها وحمايتها بدافع من
انفسهم ، وخصوصا لعقيدتهم الدينية التى تغلقت فى نفوسهم ، وسيطرت
على حياتهم ، من غير أن تنبى أية حكومة من الحكومات المتعاقبة على البلاد ،

فرض هذا الاستعراب ، أو وضع تصميم عمل لرعايته وتسييره .
ولم يكن المؤلف الجليل بما بذله من جهود ، وما صرفه من وقت طويل .
وما نعمله من تنقلات وأسفار في سبيل البحث والاستقصاء ، والتنقيب في
المكتبات العامة والخاصة ، والاتصال بكل من يتوقع من الاتصال به العنور على
ما يفيد في موضوعه . بل أضاف الى كل ذلك قيامه بطبع هذه المجلدات دفعة
واحدة على نفقته الخاصة . مستخدماً لذلك جل المطابع الاهلية الموجودة بمختلف
المدن المغربية ، الامر الذي مكنتنا لحد الآن من الحصول على زهاء عشرة أجزاء
في اقل من عشرة اشهر . وهو امر لم يسبق للنشر بالمغرب أن عرف له نظير
من قبل . وذلك في وقت تتعرض فيه الثقافة العربية لمحنة عنيفة قاسية ، بسبب
طغيان الاستعمار التعاقبي واللغوي ، الذي هو أشد خطراً على الامة من الاستعمار
السياسي والعسكري والاقتصادي مجتمعاً . وهي صورة حية لايمان المؤلف
بمستقبل الثقافة العربية بهذه البلاد . وان خانها اليوم وتآمر عليها ، وكاد
لها ، وتغلي عنها من أبتائها بعض من كانت تنتظر منهم حمايتها ورعايتها ،
والدفاع عنها (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين)
ودلك ان اليوم الذي تسترجع فيه الامة وعيها ، وترجع الى نفسها ، وسنجه الى
ميدان التطور ، ومحاربة ما ترزح فيمن تخلف فكري وتغافى وتربوى واجتماعي
وصناعي واخلاقي وحضاري ، في نطاق حماية معوماتها الاساسية ، من لفة
ونعاف ودين وحضارة واخلاق ، لهو يوم أت لا ريب فيه (ويومئذ يفرح
ابومنون بنصر الله) .

ان صديقنا الاستاذ المختار قد ادى بعمله الجليل هذا خدمة مهمة للمكتبة
العربية المغربية ، وابلن عن مقدار مسؤولية المتغنين باللغة العربية في بقية
الاقليم الاخرى من انحاء المغرب في التعريف باقاليمهم واحوالها واخبارها
ورجالها ، فعسى أن يكون ظهور هذه المجلدات حافزاً لبعض بقية الاقاليم الاخرى
فياخلدوا انفسهم بمثل ما اخذ به المؤلف نفسه . ليملأوا ما في مكتبتنا من
نراع في هذا الميدان .

كما نرجو أن يكون في ادباء الاقليم السوسى من له نصيب من علم المؤلف
واطلاعه وصبره واخلاصه . فياخذ نفسه بدراسة هذه المجلدات ومحاولة
التعقيب على ما عساه أن يكون فات المؤلف من معلومات أو وقع فيه من أخطاء ،
كما يقترحه المؤلف دائماً في كل مناسبة أثناء كتابته .

جزى الله صديقنا المؤلف خير الجزاء ، على ما بذل من جهود ، وصرف من
وقت ، وأنفق من مال . واعانه على نشر بقية مؤلفاته لعلها تحفز لتأليف
مؤلفات اخرى أمثالها :

وكتب بالرباط يوم عيد الاضحى المبارك عام 1380 هـ .

تفريظ محيي (تطوان) بكتابه العظيم الاخ العلامة

سيدي الاستاذ محمد داود

الاستاذ المختار ومؤلفه (المعسول)

زارني احد التلاميذ النجباء منذ ايام ، وسلم لي بطاقة اتى بها من مدينة (سلا) فاذا فيها ان المجلد الاخير من كتاب (المعسول) على وشك الخروج من المطبعة . وان من المناسب ان اكتب فيه كلمة تضاف الى ما يكتبه اصدقاؤه (المعسول) من المعجبين بهذا الكتاب من روائعه . وفكرت وطال تفكيري ، لاني لم افكر في الموضوع من قبل . وجالت بذهني خواطر كان من جملتها ان مؤلف (المعسول) هو حقيقة اخ كريم ، وصديق حميم . الا انه وزير يقصده الطالبون لقضاء الحاجات ، والراغبون في حل المسائل والازمات ، ومن كان كذلك فان من المنتظر ان تتقاطر عليه تقاريف من الذين يصطادون هذه المناسبات ، ليتوصلوا الى مختلف الغايات . وهنا تساءلت النفس الامارة بالسوء ؟ استبعد يا داود ان تجد اسمك غدا مسطرا بين أسماء أولئك الطالبين الراغبين . ونحن يا عزيزي قوم اذا وصل الحال لمثل هذا السؤال نفث روحنا وترتبيتنا ونفسيتنا موقفا يصعب معه اذعانها ، فضلا عن خضوعها وعدلت عن التفكير في الموضوع موقتا .

ثم بعد ذلك ببضعة ايام زارني علامة الشمال المغربي اخي الاستاذ عبد الله كنون صحبة بهجة الاخوان ، وتحفة تطوان ، اخي الاستاذ محمد بنونة . فسألني هل كتبت كلمة عن (المعسول) فاجبته بانني لم اعزم على ذلك . وهو لحسن ادبه ، ولطف اخلاقه ، ودراسته لنفسيتي : لم يلجأ على في الامر . ولم يسألني لماذا ؟ وعلى ماذا ؟ ثم بعد بضعة ايام جاءني من (الرباط) رسالة يقول كاتبها - وهو اخ عزيز ، وصديق محترم : انه لا يناسب ان لا تكون من بين تقاريف (المعسول) كلمة للاستاذ داود . النعم الذي يعرف ما يكتب وما يقول . واذا ذاك استأنفت تفكيري ، في الموضوع . ولم يحظر ببالي قط ان تكون تلك التزكية لي كرشوة من احد المعجبين بالاستاذ المختار وكتابه (المعسول) ، وما أترهم وأنا منهم :

وتجاهلت الوظائف والموظفين . والالفاظ والملفيسن . ونسيت التملق والمتملقين ، واصحاب الحاجات والراغبين . وانتقلت ما يشده العازمون على الامور .

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور وزدت على ذلك ان من اكثر من التردد ، والخوف من الفيل والقال ، ضيع اصحابه وغبن افرانه واترابه . وحملت العلم ، واطلعت له العنان ، فاذا به يتلخس ويعجم امام وصف الوزير الذي يف ببابه الطامعون في تقلد الوظائف ، او تسنم

الدرجات . ثم يحزن ويتعثر حتى يكاد يتكسر في يدي ؛ ويتركني وحدي في الميدان . واخيرا رايت ان لا معيد لي عن سلوك طريق السياسة والمناورات ، لاني رايت ان سوقها هي الرابحة في هذا العصر ، وتجاريتها هي الرباحة في هذا العصر . ووقفت مسعاه ، واستطعت ان اقنع نفسي بانه لا خوف عليها من الاتهام ، ولا تهمة تحوم حولها في هذا المقام . لان لنبيه الناس موازين ، يفرقون بها بين الفث والسميس . ولهم قوانين تجعل حلا بين الظامعين المتملقين ، والنزاهة المترفعين ، والانفس والاقلام يا عزيزي شأنها شأن بعض مناهير الرجال . تغدع بالثناء فتغدع ، وتوتسى من باب ضعفها فتسلس وتتضع .

(أما بعد) فلونك يا عزيزي هذه الخطرات التي كتبها هذا القلم المستعصى ، وانا خائف من أن يحدث حادث ، أو يدس داس . فنعوذ لاستيناف المعركة من جديد بيني من جهة ، وبين نفسي وقلمي من جهة أخرى .

كنت منذ بضع سنين قرات ، في كتاب : (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) لآخينا الاستاذ أبي محمد ابن سودة أسماء عدد وافر من الكتب . ذكر ان مؤلفها هو الاستاذ المختار السوسي . فتسائلت نفسي هل يمكن أن يكون هذا العدد العديد من هذه التتاليف كلها لهذا الطالب السوسي الذي لم يدرس الا في نفس المعهد الذي درست فيه ، وهو جامعة القرويين . اليس في الامكان ان يكون هذا الشخص من ذلك الصنف الذي سمعنا وقرأنا عنه ، وراينا منه غير قليل ، هذا الصنف الذي يفكر الواحد منه في موضوع من الموضوعات التي يؤلف فيها الناس . ويضع برنامجا مفصلا ، ثم يتوجه باسم لماع براق . ثم يسجل اسمه في لائحة تتأليفه التي كلها خيال في خيال . وقد يتحدث عنها في مجالسه بالاحاديث الطوال . والحال انه لم يكتب منها الا الاسم والمقدمة والمشروع ان هذا الصنف من الناس موجود ، وقد عرفنا من أشخاصه من عرفنا ، وسجلنا اسماءهم في لائحة الاغبياء والمغفلين .

ولكني لم البث ان اجبت نفسي بنفسي : ان شخصا لم يبلغنا عنه الا انه مخلص في دينه ، نزيه في اخلاقه ، متين في علمه . لا يمكن ان يصدر منه مثل هذا . وجزمت أو كنت اجزم بان للاستاذ المختار السوسي مؤلفات لا مشروعات فحسب . وزرت الاستاذ المختار بـ (مراكش) وزارني بـ (تطوان) وتعارفنا من قريب ، بعد ان كان تعارفنا بالسماع من بعيد ، فوجدنا انفسنا سائرين ، في اتجاه واحد ، ثقافتنا اسلامية عربية . عواطفنا تعترج برجال السلف الصالح ، وتحترم شيوخنا الابرار ، مبدؤنا الاعتزاز بالاسلام ثم بالعروبة ، ثم بالوطنية الاستقلالية الحرة الصادقة المخلصة . والافتخار بامجاد فومنا وماضي امتنا ، واحتقار التتاردين ، من انصاف المتعلمين . والقروود المغلدين للمتحدثين ، من جهال المستشرقين .

و ذات يوم ناولنى الاستاذ المختار احد المجلدات من تـأليفه وقال لى ، ان كان لديك فراغ ، فى الوقت فلك ان تطلع على هذه المخرمزات (1)

وتناولت من يده الكريمة ذلك المجلد بكامل الارتياح ، لان حبى للمطالعة ، وسخفى بالمعرفة ، اشد من ولوع بعض رجالنا بلعب الكارطة وشرب الراح ، وتصفحت الكتاب ثم قرأته . ثم تلوقته ، فاذا بى فى ذلك المجلد امام عذيب سلسبيل ، فى ارض اريضى، وظل عريض . اسلوب بديع ؛ وادب رفيع . ونثر بارع ، وشعر رائع . فقلت سبحان الله : ايصدر مثل هذه الجواهر والدرر عن اناس يتكلمون فى اوساطهم العادية بغير لفتنا، ويتعاهمون بلهجة غير لهجتنا، ايانى بهذا السحر الخلال من يصفهم بعض الناس بان فى كلامهم عجمه ، وفى لسانهم لكنة . ان هذا نـشء عجاب ، ولم يطل تعجبنى ، ولم يكسر تساؤلى اذ وجدت ان الواقع هو ما ارى وما اقرا ، لا ما افهم ولا ما اسمع .

وتتابع اعجابى ، ولاحظ الاخ المختار ، وهو الذكى النجيب : الدقيق الملاحظة ، السريع الادراك ، بالرغم من نفاذه او تقاييه فى بعض الاحيان . انى انهم مؤلفاته وادابه النهما ، فتابع امدادى بالمجلد تلو المجلد. فاذا بى امام نيف وتلاين (2) جزأ الفها هذا الطالب المدرسى البوى النشأة ، السداسى بالفرويين ، عن بلده اقليم سوس ، ورجال سوس ؛ وادب سوس (وحوادث سوس . فالتفت الى حبيبتي (فاس) سائلا ماذا عندك يا عزيزتى من هذا ؟ فاذا بها لا تلهدننى ولا بعثر ما وجدته عن (سوس) فكبرت فى نفسى سوس وعظم فى عيني ابن سوس البار . واصبح فى نظرى هو بلبلها الصداح ، ونابتها المختار . وقلت الله اكبر (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

ورجعت ببصرى وبصيرتى الى عزيزتى (فاس) فاذا بها تميمس وتتسلم نحوى . وتضع راحتيها على منكبى وتهمس وقد خنقتها العبرات ، الا ترى الى ما حاق بى من اعراض واهمال ، وما صرت اليه من مرفعات واسمال . وفى صناديقى من الدرر واليواقيت مثل الجبال ، ولى من الثروة الدفينة ما لا يخطر لك ببال ؟ وارتمت فى احضانى وقد اجهشت فاغرورقت عيناي ورفعت طرفى الى السماء . وقلت يا رب يا رب اهد اخانا العابد الفاسى لتأليف (معسول) عن فاس ، التى شاع حبته لها بين الناس وسمعت عن يمينى انينا فاذا بى اجد الاخت (سلا) وهى تستعطفنى فقلت يا رب يا رب اهد اخانا محمدا التطوانى لتأليف (معسول) عن (سلا) محل البرور والاحسان ، ومركز العطف والحنان ، ومرتع الاجاب والخلان .

(1) اصل الكلمة من المخرمشات ، وهذه عربية فصحا .

(2) يعنى من (المعسول) و (خلال جزولة) و (الالفيات) و (حول مائدة الغداء) و (من افواه الرجال) وغيرها .

والتفت الى يسارى ، فاذا بغادة تتهادى وتجر وراءها الاذيال وقد اماطت
عن محاسنها الحمار. ووقفت امامى وقد احمرت وجنتها . وتهدج صوتها تقول:
ايكون جمالى سببا لى حرمانى من عطف علمائنا الابرار ، واعتناء فقهاننا
الاخير ، خوفا فى الاتهام باخلاق الفجار . فاغضيت حياء وخوفا على نفسى
وحسبلى ، وقلت يا رب يا رب اهد اخانا ابن العباس ، لالهائنا عادة (الرباط)
بـ (معسول) تعذيبا معه الانفاس . ويوجب لفتتها عن الناس .

وعزمت على الانصراف لحال سبيل . فاذا بابنة اسماعيل تنادى الا يوجد
الجمال الا عند جارتى ؟ الا يفتنك ايها الجميل الابيض (فاس) الا تتلوق ايها
اللطيف حلوة سمره (مكناس) فقلت وقد تكاثرت على القلب . وانا حديث
العهد بالعودة من (قباء) . اللهم لا تفتنا ، اللهم اهد اخانا محمدا المنونى لشغل
هذه الفتنة بـ (معسول) يتوج به (اتعاف اعلام الناس) (1)

وهرولت خوفا على نفسى من الفتانت ، الكاسيات العاريت . فاذا بى امام
شيخ وقور (الله اكبر) انه ابى (المغرب) العزيز، فتقدمت اليه وقبلت يده اليمنى
على عادتي مع اشياخى، بالرغم من كونى اصبغت او كنت اصبح من الشيوخ(2).
فقال لى بدون مقدمات ما هذا الكسل ؟ ما هذا الاهمال ؟ ما هذا الفتور ؟ السهم
يق فى الدنيا اعتناء وبرور ؟ ما هذه العجرفة والانانية ؟ ما هذه العنصرية
الاقليمية ؟ ما هذه الافكار الضيقة ؟ ما هذا التزامت المحل ؟ وخفت من
استرساله فى ارسال هذا الشواظ من الاتهامات التى اعلم اننى ورفقائى منها
براء ، فتراميت على يده اليمنى ، وقلت وانا اعلم ان الشيوخ تنحل
عراهم عند ما يتواضع الثبان امامهم . ويقبلون ايديهم - عفوك ايها الاب
الحنون - او منى- ونحن نمثل ، فقال : اصحيح ؟ قلت بحقك علينا . فقال اذن
لتعملونوا جميعا على كتابة تاريخى الذى الى الآن لم يكتب . فقلت اطمئن ايها
الاب العزيز ، وكمن واثقا من اننا بتواريخنا الاقليمية الخاصة المتواضعة ، انما
نمهد لتاريخك العظيم تمهيدا ، ونسهل تسهلا . فقال احقا ما تقول ؟ فقلت
ذلك ما نعتقد . والله على ما نقول وكيل . فاذا ذاكَ تفترت حديثه وسوتره
وتلالا جبينه وجهته . وقال وقد سالت على تلج لحيته قطرات فضية : اللهم
اهد ابنائى الابرار ، اللهم ارض عنهم ، وكن لهم خير معين .

(وبعد) فهذا اقليم سوس قد حاز قصب السبق ، بتفوق ابنه البار ، اخينا
الاستاذ الحاج المختار السوسى ابن الشيخ الصالح الربى الناصح . سيدى
الحاج على الالفى . فى كتابه (المعسول) الكتاب الذى ملاه علما وادبا وتاريخا

(1) اما تطوان فانها لو تكلمت ثلاث الجوز غاريد بما ظفرت به من (معسولات)
لا معسول واحد فى مؤلف الاستاذ الكبير الجامع الذى لا نظير له .

(2) محمد المختار ، والسادة : محمد داود. والحاج محمد بنونة . والتطوانى
هم اليوم فى الرابعة والسنين . او ليسوا بشيوخ يحال امثالهم على المعاش .

وحكما . الكتاب الذى يبحث فى الاصول والاعراق . وتدرس فيه العوائد والاخلاق ، ونجد فيه من تراجم اخوان لنا ، وتصوير حياتهم . وتسجيل لروائع ادبهم . ما يضيف الى صفحات تاريخنا ، وباقات ادبنا ، ثروة لا تقدر بشمن .

هذا الكتاب الذى لا ننتهى من قراءته ، الا وقد احطنا او كدنا نحيط بمعرفة الكنوز الثمينة التى يحتوى عليها هذا الاقليم من بين اقاليم هذا الوطن المغربى العزيز ان بعض الذين تعودوا قراءة نوع خاص من كتب التراجم والتاريخ ، قد يرون أن (المعسول) وامثال (المعسول) - ان كانت له امثال - فيه معلومات نافهة أو تفصيلات دقيقة ليس لها فى نظرهم من الاهمية ما يدعو لتسجيلها وتخيلد ذكرها . والذى ارى أن ذلك الراى قصر فى النظر ، وتأثر بار يستوقراطية فرضها بعض المؤرخين الذى كانوا خداما لبعض الولاة ، أو ابواقا لاصحاب السلطة والجاه .

وان التاريخ الصحيح فى نظرى هو الذى يؤرخ للشعب كما يؤرخ للحكومات ويترجم للأفراد فى الشعب كما يترجم لكبار الشخصيات ، ويصور مختلف الافكار والنفسيات والاتجاهات والحيثيات ، وخصوصا فى الأوساط التى يعيش فيها المؤرخ تصويرا يجعل قارئى الكتاب ، يشعر بأنه يكاد يعيش فى تلك الاوساط . وهذا المعنى يجده متجليا باكمل وضوح فى مؤلفات الاستاذ المختار . وخصوصا فى كتابه (المعسول) .

لقد كنت قبل اتصالى بالاخ المختار . لا أكاد اعرف شيئا عن سوس ، وادباء سوس . واتصلت أولا بأخيه الاديب النابغة الاستاذ ابراهيم اللفى ، الذى قضى زهرة شبابه عندنا بـ (تطوان) فوجدت فيه من علو الهمة ، ولطف الاخلاق ، وسمو الافكار ، وبارع الادب . ما اكبر فى عينى هذا الاقليم الذى يصدر مثل هذه البوة اليتيمة . ثم اتصلت بالاستاذ المختار نفسه ، وهو مدرس حر بـ (مراکش) ثم فى (الدار البيضاء) فلذا بى فى بحر زاخر من العلم والادب . وجبل شامخ فى الدين المتين ، واخلق القويم ، والهدى النبوى والكرم الخاتمى ، الى باع طويل فى علوم اللغة العربية والادب الممتاز . واطلاع واسع على مجرى السياسة والاحداث فى الداخل والخارج ، مع سداد فى الراى واتزان فى الفكر ، وبراعة فى الاسلوب . ثم قرأت جل تآليفه عن سوس . فانهت الى نتيجة وآية نتيجة ، وهى أن من الانتاج الادبى العربى بالمغرب ما يحق الافتخار به امام بقية أقطار العروبة فى القديم والحديث ، ولولا ابتعادى عن المبالغة . وكانت لى فى مجالس الاحكام كلمة - لا قدر الله - لحكمت بأن الاخوين عبد الله كنون والمختار السوسى ، هما فى عصرنا هذا معجزتان من معجزات هذا المغرب العظيم .

(تطوان) فاتح محرم الحرام عام 1481 هـ .

تقرير الأديب الكبير الأخ شقيق الروح سعيد محمد بن العباس القباقي الرباطي

سعيد الأخ الكريم الأستاذ الكبير العلامة البجاعة محمد المختار السوسي .
وتحية وتقديرا هذا كتابك (المسول) بين يدي الآن . وقد طويت آخر صفحة
منه بعد أن أنهيت مطالعته مطالعة المستوعب المتفهم وارتويت من موارده وتمليت
من فوائده ولا أكتفك أنني انتفض انتفاضة المأخوذ أعجابا وسرورا كلما
خرجت من ترجمة عالم إلى حياة أديب ، وانتقلت من عرض أخبار حافلة إلى
آثار أدبية تمثل في كل سطر من سطورها شخصيات أولئك الذين عاشوا
أو يعيشون في جزء من المغرب مغمور كنا نحسب عن حسن نية أنهم بمنأى
عن اللغة العربية بعيدون عن أجواء الحضارة ومقومات العلم وفنون المعرفة .
وهكذا سيظل يترأى لمن لم ينحله الاطلاع على ما تضمنه (المسول) أن الحضريين
هم وحدهم الذين حباهم الله دون سواهم بنور العلم والعرفان .

ولعلك وأنت تعكف على إنجاز مؤلفك القيم (المسول) وتبدل في سبيله
جهدا وغناء تهدف إلى الغرض السامي المحبب إلى قلب كل غيور وتنشد الأمانة
الغالية التي تجمع في تعريف مواطنيك بأخبار وآثار إخوان لهم بتلك الجهة
التي ظلت أحقابا في عزلة وانزواء وظل المواطنون أنفسهم في انكماش وانعزال
لا يتطلعون إليها ولا يتحدثون عنها فيما يكتبون ويؤلفون وتود أن تصحح من
أخطائهم وتبث في روعهم أن بنى عمك فيهم رماح ، وتضع أمام أنظارهم
سلسلة موصولة الحلقات عن مقومات سوس العالمة وطائفة من رجالات الاسر
العلمية هناك ، وحتى لا يعود مفتر يقول: إن تلك الجهة لم تكن منذ الأجيال غير
صحراء قاحلة لم تتخللها دوحة عرفان . ولم تنفتح فيها براعم أدب . ولا
تفجرت فيها ينابيع الثقافة التي اصطلحوا على أنها وليدة الحضارة ومؤثرات
الحضريين . وكأنني بك وأنت تسمع ما تسمع من قول مفترى . أو تقرأ ما تقرأ
من تحامل على الصقع السوسي الواعي تزداد وثوقا وإيمانا أن الأيام كفيفة بتوفر
الأسباب لوضع مؤلفات تتركز في التعريف بسوس وإظهار مكانتها العلمية
والأدبية . ولامر ما أحببت الانصراف إلى شرع الأقلام والانقطاع إلى المحابر .
وعزفت عن الأدب والقريض ، إلا عند من يجيش به صدرك وتحس بدافع قوي
إلى لوك النظم وهكذا اشتد حرصك على ارتياد زوايا العلم المشهورة المنبثقة
بين شعاب سوس وهضابها تستقصى الوثائق الشخصية . وتستمد من
مراجعها ومصادرها التي قلما تنهيا لراغب إلا في خبايا تلك الزوايا . ثم كانت
مشيئة القدر أن تمتحن بالنفى السياسي ، وما عهدتك إلا الأديب الملمه والعالم
الباحث ، وكيف يهتبل بالسياسة ويمارسها من لا يفرغ من الدرس والأفادة

الا عند انصرام الهزيع الاول من الليل ، ولا يكاد يستريح جنبه قليلا الا وقد
ايقظه داعي الفجر ليستأنف مهمته ويواصل في سبيل نشر العلم والدين
ماموريته . ولكن لله حكمة بالغة . فقد كتب في تديره لهذا القطر عائدعميمة
وفائدة جزيلة . فكان في نفيك الخير الوفور والبركة المدخورة .

خينر كله هذه المجموعة من التأليف التي تخرجها للناس تباعا مليئة باخيار
وسير علماء وادباء سوس وتراثهم الفكري وانتاجهم الادبي وبركة . حيث
هياك الله لصون ما الهمت اليه من عوامل الاندثار وحفظه من أن تمتد اليه
غوائل البوار. ولكن كان هناك فريق لا يرضيه هذا الضرب من التأليف .
ويقصر فهمه عن ادراك مرما، ويتساءل عن مبلغ ملائمة هذه الموضوعات
لمقتضيات الحياة العصرية الجديدة الزاخرة بالوان الابداع والاختراع فانا لا
نقول أكثر من ان مجالات النشاط لاتقف عند غاية وهي تختلف باختلاف الميول
وتتعدد بتعدد الاتجاهات . وكل يعمل على شاكلته ، وحسبك انك ادبت امانة
لم يكن سواك قادرا على ادائها بحثا وتدقيقا واستفاضة . وبينت لنا مبلغ
ازدهار اللسان العربي بين قوم شلحين بالرغم عن اللهجة السائدة في وسطهم
وبيئتهم ومجتمعاتهم .

فليهن أخى الكريم بتوفيقه . ويسعد بما يتحف به المكتبة المغربية من
مؤلفات قيمة ومجهودات مشكورة .
8 محرم 1381 هـ .

تقريظ الاديب الكبير عبد القادر زمامة الفاسي (المعسول) بين الادب والتاريخ

بين يدى الآن اجزاء من هذه الموسوعة الكبرى التى تصافرت المطابع المغربية على اخراج الواحد منها تلو الآخر . وقد لبس كل جزء منها رداء واحداً فى العنوان ، والورق ، والحروف ؛ والحجم . مما يجعل القارئ يظن لأول وهلة ان المطبعة الواحدة لفظت هذا التراث الضخم فى وقت واحد ، ولكن هيهات ! فلو اشتغلت مطبعة مغربية واحدة بهذه الموسوعة لاحتاجت الى معونات ورجال وازمان .. والمؤلف - حفظه الله - كان موقفاً كل التسويق حين وزع الاجزاء بهذه الكيفية ، اختصاراً للوقت ، مع المحافظة على الحلة الانيقة التى تَوَحَّدُ بين الاسفار ..

فاذا تخطينا هذا المظهر العام الى ما تضمنته تلك الاسفار من اخبار الاعصار والامصار . فاننا نجد انفسنا امام مؤرخ اديب رحالة ، يفرغ من بحر وينلق من جم :: ويربط التاريخ بالادب :: والحاضر بالماضى ، ويقدم لكل الوانا من المعلومات . قد تكون انت بالذات فى غنى عنها ، ولكنها فى الوقت نفسه ضالة قارئ غيرك وطلبة باحث سواك . والمؤلف فى كل ذلك يدهشك بتقيد الاوابد واقتناص الشوارد ، من اخبار سوس ، ورجال سوس على العموم ، و (الخ) ورجالها على الخصوص :: ويظهر ان المؤلف كان منذ الساعة الاولى التى فكر فيها فى انجاز مشروعه - حريصاً كل الحرص على الانتقام :: من الاهمال والمهملين . حريصاً كل الحرص على تسجيل ما اهمله التاريخ . وما زال يهمله الى الآن . فهناك حواضر فى المغرب ، وامصار وقرى ، ورباطات - وزوايا - كانت مصابيح متألثة فى سماء المغرب برجالها وعلومها ومدارسها ، أصبحت فى خبر ليس وكان . وما (نكور) و (البصرة) و (الدلاء) و (سجلماسة) و (اغمت) و (داي) و (تيط) و (تامكروت) و (زاوية العياشى) الا امثلة لما جناه الاهمال على تاريخ المغرب الفكرى والسياسى . وقد حظيت (الخ) من ابنها البار بما لم تحظ به غيرها من أبنائها فى القديم والحديث ، مع العلم أن (الخ) ليست للآفقيين وحدهم . ومراكش ، ليست للمراكشيين وحدهم . وكذلك تطوان ومكناس وفاس وغيرها من مدن المغرب وقراء بل أن المغرب بجمع اقاليمه للمقاربة اولا واخيراً . وتاريخه العام ليس الا عقداً نفيساً استهمت فيه كل ناحية من نواحيه بطائفة من العلماء والادباء ، ورجال الفكر والسياسة يكونون فرائده الدرية الالعة .

وأول ما تلاحظه في الجزء الأول من (المسول) هذه المعلومات الجغرافية التي تكون لأول مرة تاريخ المغرب بقلم خبير مختص ، يكتب عن البيئة الطبيعية والاجتماعية ، والحياة الاقتصادية والعلمية والأدبية ؛ ومشاعر السكان في جدهم وهزلهم ، وأفراحهم وأحزانهم وعلائقهم الشخصية والاجتماعية ؛ الأمر الذي يجعلك محيطاً بظرف الزمان والمكان لهذه السلسلة من المعلومات التي يقدمها اليك هذا العلامة الخبير . وقد استغرقت هذه المقدمة الجغرافية خمسا وسبعين صفحة ، أتى فيها المؤلف بكل طريف ممتع :: ولا يعوزها من عين الكمال إلا حرمانها من مصور جغرافي مفصل لأقليم سوس بالقبائل والمدن والقرى والمراكز المهمة . ، والأعلام التاريخية . ولعل المؤلف آخر ذلك ليلحقه ببعض الأجزاء التي لا تزال تحت الطبع .. إذ لا تغفى أهمية التخطيط الجغرافي لتتبع وقائع الأحداث ، لاسيما عند الذين لم يسبق لهم أن تعرفوا عن ذلك الأقليم من المغاربة أو غيرهم .

ثم يأتي المؤلف بتقسيم الكتاب ، فيقسمه إلى خمسة أقسام ذات فصول وفروع ، وهذا التقسيم ليس إلا ترتيبا للأخبار والأحداث والشخصيات ، والأسر السوسية التي لها شغوف واعتبار في الدين أو العلم أو الرياسة . وبذلك استغنى المؤلف عن ترتيب تراجم الأعلام على الحروف (1) الهجائية أو الأبجدية :: كما استغنى عن الترتيب الزمني بالترتيب المكاني . ولم يراع الزمان إلا في الفصلين الأول والثاني من (القسم الأول) وقد أحيا المؤلف سنة الروايات والأفادات والأنشادات والوجدات ، فلا يترك مناسبة تمر دون أن يكشف لك سرا مكنونا . ولولا العلامة المختار لبقى مجهولا في الجاهيل أو نكرة في النكرات . وهكذا يرضى بعلمه المؤرخ البعثة الذي لا يقنع بالمشاج ، والأنشال ، بل يتطلع دائما إلى منابع الثروة والعيون الدافقة ، ليحكم على الشخص أو العصر حكما مستمدا من أدلة ومستندات وافية شافية .

فاذا تخطينا ناحية التاريخ - وهي بيت القصيد - إلى ناحية الأدب ، وجدنا المعجزة الكبرى والآية العظمى . معجزة اللغة العربية ، والأدب العربي بشعره ونثره وأمثاله وحكمه . فلا تخلو ترجمة من تراجم أعلام سوس من قصيدة أو مقطعة أو رسالة تريك مدى سيادة لغة الضاد في تلك الأرجاء الشاسعة :: فهي لغة العلم والعلماء . ولغة الأدب والأدباء - وهي لغة الدين .. عبادة ومعاملة . وهي لغة الحكم والإدارة ، بها تعقد العقود . وبها تنفذ الأحكام . منذ عرفت سوس الإسلام إلى الآن . وكفى بذلك نعمة وخيرا وفخرا لهذا القطر المغربي المسلم .

ولا يعزبن عن البال أن أدبيات (المسول) هي الأدبيات التي تتضمنها عادة الكتب الموسوعة التي يكون هم مؤلفيها التدوين والتسجيل والجمع . فلا

(1) سيقوم بذلك الفهرس العام للكتاب كله إن شاء الله .

يفسرها ان تكون معرضا فيه المختار الجيد ، الى جانب الفاتر المتكلف . وقديما عرفنا شعر الفقهاء والنحاة . كما عرفنا شعر ذوى المواهب الحية ، والعوالم المشبوبة . وشعراء سوس فيهم ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين . والقراء هم المحظوظون الراحون على كل حال..حيث انهم يجنون المواد الاساسية للدراسة الادبية او التاريخية بجميع عناصرها .

- وفي يقيني ان هذا الكتاب سيسد فراغا ظل شاغرا الى الآن . وسيجد فيه الادباء والمؤرخون معنا لا ينصب ، وينبوعا لا يفيض ، وقبل ان اودع هذا الكتاب اود ان يتم الله نعمته على مؤلفه ، فيهبه من تمام العافية ، وجميل الصبر ، ما يتم به اخراج مؤلفاته الاخرى التى علمنا منها شيئا ، وغابت هنا اشياء

وما ذلك على همة هذا النابغة العبقري بعزير ... فما ضاعت اخبار ولا آثار ورائها علامة مختار
فاس ، 8 محرم الحرام 1381 هـ .

تقریظ الادیب الکبیر سیدی عبد الکریم ابن الحسنی الرباطی (المعسول)

فی اعلام (الخ) ورؤسائها وشيوخهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسین ومن
اليهم من الاقارب

سوس اقليم كبير فى المغرب يكتنفه البحر الاعظم ، والطود الاشم .
والساقية الحمراء . والصحراء الفيحاء ، وفى تحديد رقبته وتميز اقصاء من
ادناه قد تتفاوت العبارات . وتختلف الاعتبارات ، فصاحب (الحلل الموشية)
يقول : (سوس الاقصى هو بلاد ماسة وهو على يمين القبله من جبل (دَرَن)
الى أن يتصل بالصحراء) ويقتصر التادل الرباطى فى (المطلع) على قوله (سوس)
الاقصى اقليم عظيم فوق مراکش) ويقول السوسى المرغيتى فى (المتع(1)) وهو
(سوسان أدنى وأقصى، فالادنى وادى العبيد الى سجلماسة ، الى وادى درعة ،
الى مراکش ، مع الجانب الذى يليه من جبل درن الى حاحة الى دكالة الى وادى
ام الربيع ، وسوس الاقصى هو ما بعد ذلك الى الساقية الحمراء ، من ناحية
الصحراء ، الى البحر من ناحية ماسة ، وجبل كنفيس ؛ ومدينة ودانة مع
الجانب الذى يليها من جبل درن) .

وكان الشيخ محمد بن عبد الله بن الحسين الدليمى الاصل . الدرعى النشأة
الورزازى الدار ، المكى الوفاة سنة 1174 هـ . لم يجل فيما حوله . ولم يستمتع
بهذا المتع ، فاحتاج - وهو من (ورزوات) التى قال بعضهم انها بنواحى
سوس - الى الغير وزبى الشيرازى اليمنى ، للتعريف بسوس ؛ وراى
نفسه . فى شرحه المبيض سنة 1164 للمقنع مضطرا الى نقل قول القاموس ،
متصرفا فى نصه . الذى ذكر فيه سوس الاهواز وبلدا آخر بالمغرب ، وهو
سوس الاقصى . بينهما مسيرة شهرين) وكل ذلك ليرتب عليه قوله (ولهذا
نسب الناظم رحمه الله نفسه) .

اما معاصره عبد الله بن ابراهيم النفيسى فقد آتى البيوت من ابوابها ؛
فقال ملخصا كلام المرغيتى فى (رحلة الوافد) التى ألفها فى هجرة والده المتوفى
سنة 1134 (قلت : وبلاد السوس عندهم على قسمين :سوس الاقصى، وسوس
الادنى ، فالاقصى من بلاد ماسة قرب مدينة (تارودانت) وهو على يمين القبله
من جبل درن الى أن يتصل بارض الصحراء ، والادنى من وادى العبيد قرب
مراكش الى ماسة . نص عليه الشيخ سیدی محمد بن سعيد المرغيتى وصاحب

(٢) المطلع والمتع شرحان على رجز (المقنع)

(الحلل) .

ولم يزد الشيخ مرتضى فى شرحه للقاموس على قوله فى (التكملة) كانه لم يلق سوسيا ولا حدثه عن سوس أو سوسة أحد من أعلام المغرب الذين لقيهم ، فأخذ عنهم أو أخذوا عنه ، مع أنه يوجد فى نسيوخته باللغاء : على بن محمد السوسى ، وبالمراسلة أحمد بن عبد الله السوسى التونسى .

أما تلميذه الشيخ محمد أبو راس المسمى المتوفى سنة 1239 فقد قفى بكلمة سوس فى أواخر قصيدته السينية (الحلل السندسية ، فى شانزهران والجزيرة الاندلسية) المتضمنة للذكر ما ضاع من بلاد الاسلام وما استرد منها . وذلك عند تعرضه لتطهير السعديين لسواحل سوس من البرتقال . وقد نبه فى شرحها الى التعريف بسوس (فأتى بحدود المرغيتى غير منسوبة اليه . وانما قال اثرها (وتلك أجبال هى بلاد محمد بن سعيد الذى اختصر نظم أبى مفرغ المشهور) . وذكر بعضهم أن (ابن سرتكاو) من (اداوتان) هو أول سوس (1) .

ولكل من سكان سوس ومكانه خصائص ومزايا معروفة ، يذكر بها فى سائر المغرب ، وتبرز فيها الاقليمية واضحة ، حتى كان بعض المؤلفين والكتاب يطلق عليه قطر سوس . وأهله فيهم الذكاوالتبوغ والنشاط فى الاعمال . وطبيعة جيلهم وبلادهم المختلفة الاحوال بين الخصب والجديب ، والغامر والغامر . يغلب عليهم الاجهاد والكد والحرص والاقتصاد والاتحاد ، والاعتراب فى طلب الرزق بالعمل والتجارة فى سائر الجهات ، ولهجتهم الشلحية مفارقة لباقى اللهجات غير العربية بالمغرب ، والمستعرب منهم يكون نطقه بمفردات العربية أفصح وأقوم من نطق العربى عندنا بها (2) .

وقد تكلم المؤرخون واصحاب المسالك قديما على حالة سوس الفلاحية والعمرانية وذكروا ما كانت عليه من اتصال العمارة بالقرى والمزارع ، وأنواع الاشجار والفواكه والثمار والمعادن ، واحوال المدن والسكان ، وخصب البلاد ؛ ورخص الاسعار ، ورفاهية العيش .

أما الناحية العلمية والدينية فقد كانت سوس على المعروف من تاريخها دار علم ودين وتصف ، زاخرة بالقراء والفقهاء والادباء والصلحاء . كثيرة المساجد

(1) ابن سرتكاو قرية كبيرة ازاء أكادير .

(2) من الملاحظ أن نطق الشلحيين بالحروف هو نطق العرب بها حتى الضاء فانه شلحي فصيح الا ما كان من الثاء والذال والظاء فانها ليست فى الشلحة . كما ليست أيضا اليوم فى اللغة العربية الدارجة . وأما الكاف المعقودة فانها لهجة عربية فصيحة كما نبه عليه المفويون ، كالسيوطى فى (الزهر) .

والزوايا والمدارس والخزائن. عامرة القرى والمدامر بالايمة والمعلمين. ينصب اهل كل قرية قارنا فقيها يرتبون له ما يكفيه من المؤنة اليومية ويشترطون له عليهم غيرها من العطاء والحرائه واخصاد كل سنه . فيعتكف في مسجدهم على اقامة الصلوات والامامة بهم وتسجيل عقودهم وتعليم اولادهم الكتابة وتحفيظهم القرآن فمن ذلك كانت تفل فيهم الامية ، ويكثر الحفظة بينهم بنحو ربع غالب القرى . واذا ظهرت نجابة الابناء انتقلوا الى المدارس لحفظ متون العلم ودراستها والتمكن من العربية والفقه. وكان لكل قبيلة مدرسة او مدارس للعلوم اوللقرارات حتى زاد عندها على المائتين . ويقارب طلبة المدارس الزاخرة منها مائتين (1) ، او يبلغ ثلاثة ارباعها ، وكانت كل قبيلة تقوم بمدرستها فياتون الى خزيتها بثلت اعشارهم ، ويدفعون لها كل سنة غير ذلك ، مما تتوقف عليه لتموين طلبتها ، ومدرسها الذي تكون له شروط على القبيلة ، ويكون فقيها يفصل نوازلها، والقيم على المدرسة وهريها وطلبها الذين يجلون فيها ما يحتاجون اليه من المأوى والماكل والدراسة مجانا . فاذا حصلوا من العلم كفايتهم ، قاموا بمثل عمل شيوخهم . فانتصبوا للامامة والتعليم والتدريس والفتوى والشهادة والقسم للتركات والقضاء والارشاد والاصلاح وكان يغلب عليهم التمكن مما تعلموه ، فيكون علمهم معهم لا يغرب عنهم ولا يحتاجون عند التدريس الى مراجعة او مطالعة لانهم يمثلون ما يقولونه: العلم ذهب به الحفاظ ومنهم من كان يلزم كتب الادب والتاريخ حتى يصير مستحضرا لها ولما فيها من المفردات اللغوية والامثال والحكم ، ويستعمل ذلك في حديثه وكتابته ، ناسجا على التراكيب البليغة ، حافظا لشوارد الاسماء . وغريب الالفاظ التي قد تخفى على غيرهم ممن اصله عربى . ولا يكاد يرددها فى استعماله وقد يمهز بعضهم فى سائر العلوم الاسلامية ويتفوق فى علمه او ادبه او صلاحه . فتطير شهرته وينفذ به خارج اقليمه .

وتكلفهم للتعب - مع ما يستنفد ذلك منهم من جهد ، وما يقتضيه من وقت ، لم يقصر عملهم على القراءة والتدريس ، ولم يصددهم عن التأليف بالعربية والكتابة فيها ، وحوك الشعر والاجادة فيه . على اوزانه. فقد صنفوا بالعربية كتباً فى القراءات والتفسير والحديث والسيرة والفقه والعربية والادب والتوقيات والطب ، وكتبوا على الرسالة والتلقين والتتقيح والمدونة ومختصرى ابن الحاجب و خليل وجامعى خليل وبهرام ، والشفا، والاربعين والبردة والهمزية والالاميات والتسهيل والالفة وغير ذلك مما اشتهر بعضه عند الطلبة والفقهاء والمسندين حتى خارج اقليمهم. فكان يستعمل فى الدراسة والفتوى والمراجعة مثل شرح الرسومكى على جمل المجرادى ، ومقنع المرغيتى وشرحه ، ونوازل السكتانى والعباسى ، وصلة ابن سليمان الردانى وفوائده

(1) كما كانت عليه مدرسة أدرز وتيمكيدشت وبونعما حينا .

التامانارتى ، وقد نقلوا الى لهجتهم الشلجية بعض الكتب المشهورة فى الاعتقاد والفقه والسيرة والقصص . سهيلا على الذين فاتهم نعلم العرييه ، وحرصا على ارشادهم لامور دينهم . فترجموا مختصر حليل ، ومرشد ابن عاشر ومجموع الامير . ورياض الصالحين للنووى ، واربعينه وبردة البوصيرى . وحكم ابن عطاء ونور اليقين والمقنع والفرائض وغيرها .

وكذلك انجبت سوس فى مختلف مراحلها التاريخية طائفة من رجال الدين والعلم والادب والحرب والسياسة والحكم ، كان لهم اثر فى تاريخ المغرب السياسى ، والعلم الدينى ، من أشهرهم : وجاج بن زلوا اللمطى (نحو 445) تلميذ أبى عمران الفاسى ، صاحب دار المرابطين المؤسسة لطلبة العلم ، وقراء العروان وتلميذه عبد الله بن ياسين الجزولى التامانارتى (451 هـ) داعية الاسلام بالصحراء ومؤسس دولة المرابطين ، والمهدى بن تومرت الهرغى (485-524 هـ) مقيم دولة الموحدين تلميذ الغزالى ، ومحمد المهدى مؤسس الدولة السعيدية الناشئ فى تلمسى هو وابوه قبله نحو (917) وأبو موسى عيسى الجزولى (- 606) المراكشى النحوى صاحب المقدمة ، والشيخ محمد بن سليمان الجزولى (- 870 هـ) صاحب الدلائل . والشيخان محمد بن المارك الاقاوى وبركات التيدسى اللذان لهما ذكر فى اقامة دولة السعديين بسوس (920 هـ) وفى تحريض القبائل على الانقياد اليهم ، لجهاد البرتغال ، والشيخ احمد بن موسى السملاى (- 971) واحمد بن على البوسعيدى الهشتوتى دفين فاس (- 1046) صاحب بلل المناصحة ، ووصلة الزلفى ، وعبد الرحمن التامانارتى (- 1060) قاضى تارودانت المحدث صاحب (الفوائد الجمة فى اسناد علوم الامة) والشيخ محمد بن سعيد المرغيتى الاخصاصى (1007 - 1089) دفين مراكش صاحب الفهرسة ، والمقنع ، والمطلع ، ومحمد بن سليمان الردانى (1037 - 1094 هـ) نزيل الحرمين دفين دمشق ، الحكيم المحدث الراوية ، صاحب مجمع الفوائد ، والفهرسة صلة الخلف بموصول السلف ، ومحمد بن أحمد الحضيكى (1118 - 1189) الراوية . صاحب الطبقات ، والرحلة ومحتشى البخارى ، والشفاء ، ويحيى بن عبد الله الجراردى المعمر (نحو 1240) صاحب الفهرسة . ضوء المصباح ، وعبد الرحمن الجشتيمى (1185 - 1269) واحمد بن محمد التيمكيدشتى (- 1274 هـ) ومحمد بن عبد الله الالفى (1265 - 1303 هـ) مؤسس مدرسة (الف) ، ومحمد ابن العربى الادوزى المؤلف (1248 - 1325) والشيخان الحاجان الحسين الافرانجى التجانى (1275 - 1347) وسيدى الحاج على الالفى الدرقاوى (1268 - 1328) واحمد بن محمد التيمكيدشتى (1328 هـ .) والقاضى الاديب على بن عبد الله الالفى (1275 - 1347) والشاعر المجيد الطاهر الافرانجى (1285 - 1374) الى غيرهم من اعلام جزولة وسملالة ورسومكة وهوزالة وبعقيلة وهشتوكة ورجال الاسر التى تسلسل العلم فيها اجيالا .

واخيرا جاء صاحب (المعسول) الذى اغتنم تلك الفرصة التى كان فيها منفاه الى مسقط رأسه فحرر ما يهديه اليه اليوم ، وقد يكون الانسان غريبا فى بلده واهله حوله هالة ، على نحو ما قاله فى المائة الرابعة ابو سليمان حمد الخطابي صاحب معالم السنن ، وشرح البخارى ، وهو بستى كالحافظ ابن حبان ، والاديب ابن الفتح .

وما غربة الانسان فى شقة النوى ولكنها والله فى عدم الشكل
وانى غريب بين بست واهلها وان كان فيها اسرتى وبها اهلى
وقال غيره فى سجستان التى ينسب لها ابو داود احد اصحاب الكتب الست :

وليس اغترابي فى سجستان اننى فقدت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكننى مالى بها من مشابه وان القريب الفرد من يعلم الشكلا
واذا كان هذا حال الحر المطلق الارادة ، فكيف بحال سجين بيته : المنوع من الاتصال بالناس ، يكون كالتائر المقتنص من الروض الاعن ، الموضوع فى القصى الضيق فلذلك كان مثله لا يفتأ يحن الى بهجة مراکش ، واسرته الروحية فيها ، وينفث كذلك شعرا ونثرا مما علا به مذكراته (اللفيات) الا ان ظاهر هذه النعمة ، كان فى باطنه نعمة . وقد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد . فقد كان هذا النفى مباركا على تاريخ سوس . ميمونا على خزانة المغرب اذ خلا فيه واعية تاريخ سوس الى نفسه . لما بان عن خلانه وعن عمله ، فبات لا يجد انيسا غير القلم والقرطاس . ولم يكن له بد من الاعتكاف على البحث والنسج بالنقيض . فشغل نفسه بالجمع والتدوين فى هذا الاغتراب الروحي ، وانصرف الى التصنيف والتسجيل والتقسيم ، وامكنه من ذلك فى حالة العسر ما لم يمكنه فى حالة اليسر .

وامره فى حاله هذا يشبه بعض الاعلام الذين اشتغلوا بالاملاء والتصنيف اثناء الاعتقال ، وقد حبس الشمس ابو بكر محمد بن ابي سهل السرخسى الحنفى . (- 483) لنصيحة قالها فائز كتابه (المبسوط) فى الفقه ، املاء وهو بالحبس باوزجند (1) . واصحابه يكتبون فى اعلاه . وقد طبع فى ثلاثين جزءا . وجلد فى نصفها . ولما سجن المستنجد العباسى (518 - 555 = 566) القضاة كان منهم احمد بن على المعروف بابن المامون (509 - 586 هـ) فاقام فى الحبس احدى عشرة سنة ، وكتب فيها ثمانين مجلدا ، وشرح الفصيح ، وجمع كتابه اسرار الحروف الى ان ولى المستضى فافرج عنهم . وكذلك صنف التقي احمد بن تميمية (661 - 728) فى السجن كتابه البحر المحيط فى التفسير فى نحو اربعين مجلدا . والتمس منه صاحب سبته ان يجيز له بعض مروياته ، فكتب له لما كان معتقلا بالاسكندرية - وكان ذلك بين سنين (709 - 712 هـ) جملة من ذلك .

(I) (اسم محل)

في عشره اوراق باسانيده من حفظه . بحيث يعجز ان يعمل بعضه من هو اكبر من يكون) ولما اعتقل بقلعة دمشق سنة 726 اقبل على التفسير ، وكتابة الرسائل في الرد على المخالفين ، والتصنيف فيما حبس بسببه . الى ان جرد من الكتب والاوراق والمداد . وقد ألف غيرهم من المعتقلين كتابا سماه (ما علق بالبال في زمن الاعتقال) وهكذا يتفجر العلماء في الخلا بما لا يتفجرون به في الملا ، ولما تنفس ابن (الخ) اخذ يستكمل عمله ، ويجوس خلال الديار ، باحثا متقبا مستقصيا . رواية وتلقيا من الافواه . واخذ او وجادة من الاوراق ، حتى اجتمع لديه من احبار سوس ورجالها واحوالها . ما ملا عشرات الاجزاء (1) اختصت (الخ) وما حولها من ذلك بغمض المتحصل . فكانت بذاك (مجمع همومه . ومجال يراعه) وكان يتداوى منها بها .

وبعد عودته للحمراء ، وانتقاله الى البيضاء ، ثم الاعتقال الاخير بتينجداد وكردوس الذي اغرقه انفراج الازمة ، وزوال الغمة وحصول النعم لم يشغله ما يحوم حوله من المناصب العليا والمجالس التي يشارك فيها ، عن مجموعته التاريخية السوسية . فاقبل على تخريجها وهي خمسينية الاجزاء ، مختلفة العناوين والاسماء ، بحسب الموضوعات والمباحث . ثم اخذ يقدمها الى المطابع ، ثم يجلوها للباحثين متلاحقة الاجزاء ، ناعمة الغلاف ، صقيلة التراب ، مكتنزة الاطراف وقد أبرز (سوس العالة) مدخلا لتلك المجموعة ، وفاتحة لها ، مخصصة تلخيصا يشرف منه المطالع على احوال الثقافة العربية الاسلامية في (سوس) ويحصل منه على فذلك جامعة لما فصله تفصيلا في غيرها . وبعد بيانه فيها لما يعنيه بسوس في كل اجزائه التاريخية (وهو ما يقع من سفوح درن الجنوبية الى حدود الصحراء ، من (وادي نول وقبائله من تكنة والركائب وما اليها الى حدود طاطة وسكتانة) (16) تكلم على حالة العلوم بسوس في عصرى الفموض والنهوض الواقع في المائة التاسعة ، وازدهار القرون بعدها . وقد ذكر العلوم المعنى بها في سوس . فتأفت على عشرين علما . ملقيا نظرة على كل علم منها ومقدار انتشاره . وكيف كانوا يدرسونه ، ومن اشتهر أو ألف من اعلامهم فيه . ثم فصل القول في الادب العربى السوسى . مشيرا لازدهاره في الدولة السعدية . ودويلة (ايلخ) السلالية ، وخلافة المولى محمد العالم الوردانية . ولما تلا ذلك من فتور وانتعاش وازدهار . وأنبع ذلك بالكلام على الاسر العلمية بسوس . فذكر 157 بيتا ، من مختلف القبائل والقرى . تسلسل العلم فيها اجالا بما يقارب المائة عالم الى سبعين ، او خمسين الى اكثر من اربعة . ثم تكلم على بعض مدارس سوس الزائدة على مائتين ، فعدها منها خمسين مدرسة كنماذج عما لم يذكر . ثم ذكر بعض خزائن الكتب السوسية فسمى منها اكثر من ثلاثين خزانة . ثم تعرض للمؤلفين السوسيين وبعض مؤلفاتهم . من القرن السادس الى الرابع عشر . وختم بذكر مراجع

(1) يعنى الحسين التي كتبت كلها عن سوس

تاريخ سوس التي صنفها السوسيون انفسهم . مما سنح له . فبلغ ذلك 112
تتابعا من موجودها او المظنون وجودها .

وقد تبين بهذا العرض أن هذا الجزء وحده - وإن كان مهفوف الحصر - له
قيمته في تاريخ المغرب الثقافي ، ومنزلته في خزانته العربية . وإن سواحى
المغرب الأخرى يغبط فيه إقليم سوس وتود ودادا لو أن لها مثله ، فيما
يخص بها .

أما (المعسول) فقد أفرد مؤلفه أجزاءه (العشرين) لذكر اعلام (الخ)
ومن اليهم . وقد صدره بوصفها الجغرافي ، وذكر قراها ، وبعض عاداتها في الاعياد
والحفلات ، وحرفها والصنائع ، والحالة الدينية والعلمية والأخلاقية ؛ والاطعمة
والأشربة ، والملابس والألبسة والفرش . والمساجد والدراسة والمرأة والأمثال
والألعاب وما قيل في وصفها .

ثم قسم الكتاب الى خمسة أقسام . أولها في المرابطين السعديين الألفين :
علمائهم ورؤسائهم أمواتهم وأحيائهم - وهذا القسم استغرق الجزءين الأول
والثاني - والقسم الثاني في غيرهم من الألفين الذين ساكنوهم في بسطهم -
وقد أفرد بالجزء الثالث - والقسم الثالث في شيوخ الألفين في القراءان
والعلم والنصوف - وقد ملأوا خمسة أجزاء من الرابع الى الثامن - والقسم
الرابع في تلامذتهم في العلم والنصوف - وقد شغلوا تسعة أجزاء من التاسع
الى السابع عشر - والقسم الخامس في أصدقائهم السوسيين (والمقصود
بسوس جنوب مراكش ، 1 ، 76) وقد استغرقوا ثلاثة أجزاء من الثامن عشر
الى العشرين . فإن كان المترجم في تلك الأقسام من بيت علم أو رياسة استنطرد
المؤلف ، فذكر معه جميع علماء أو رؤساء ذلك البيت . الحاقا لهم بالمترجم
الأصيل . وجمعا للفوائد ، وأسهابا في القول . وبذلك اتسعت دائرة الكتاب .
وقد كنت أشرت في الكلمة التي صدرت بها تاريخ مكناس من سنة 1348 هـ
الى استحسان الطريقة التي يسلكها بعض الأفاضل الذين تفرغوا لجمع ما يتعلق
بتاريخ بعض المدن المغربية . وتقصى أحوالها ، واستيعاب تراجم أهلها ،
والواردين عليها ، وإبراز المكنون من ذلك . وقد كان في عملهم تسجيل
لحقائق من تاريخ المغرب . كان جلها من قبل غير مذكور ولا معروف ، فكشفوا
عن جوانب مهمة كانت مهملة . وقد يعسر على غيرهم الاهتداء إليها والوصول
الى وثائقها . فكان لعملهم أثر في تاريخ المغرب العام الذي يقوم هيكله بمثل
هذه التواريخ الخاصة . ولا يأتى للفرد الواحد القيام به مستقلا وإن استغرق
فيه الاوقات . وجمع الوسائل . وبذ في ذلك الاواخر والاوائل . وجل
المصنفات الموضوعة في تاريخ البلاد والمدن والجهات . مما كتبه اعلام أهلها .
كان الناس يستفيدون اخبارها من أقلام ابنائها ، ويشكرون صنيعهم ولا ينكرون .
ولم يزل الابناء والاحفاد . يعتنون بتراجم الآباء والامهات والاجداد :

فيذكرونهم في مواضعهم من تواريخهم أو يفردون لهم كتابا خاصا بهم ، ومن المؤرخين الذين جمعوا اباؤهم في كتبهم الخطيب البغدادي في تاريخه ، والنجاشي في طبقاته - وقد ترجم فيها ايضا لآخيه الحسين ولابن أخيه محمد ابن البهاء أحمد . ولجده عبد الكافي ، ولعم وانداه يحيى ؛ ولحفيدة محمد بن عبد الطيف بن يحيى - وابن فرحون في الديباج . والسيوطي في البقية ، والشوكاني في البدر ، والسوداني في النيل . وابن الموفى في (السعادة الابدية) ودنية في (مجلس الانبساط) والاكرادى في (روضة الافتان) ومن ترجم اسمه القاضي ابن عسكر في (دوحة الناصر) .

ومن الذين أفردوا اباؤهم بكتاب : القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى (- 595 هـ) وأبو حامد العربي الفاسي في (مرآة المحاسن) وأبو زيد عبد الرحمن الفاسي في تاليفين ، أحدهما (تحفة الاكابر ، في اخبار الشيخ عبد القادر) والآخر (بسنان الازهر في اخبار الشيخ عبد القادر) ، والف في تلامذته (ابتهاج البصائر فيمن قرا على الشيخ عبد القادر) ولولده محمد بن عبد الرحمن فيه (اللؤلؤ والمرجان . في مناقب الشيخ عبد الرحمن) والشيخ الطائيب ابن الحاج أفرد والده بـ (رياض الورد . فيما اتقى اليه هذا الجوهر الفرد) وابن الموقت بـ (اظهار المحامد في التعريف بمولانا الوالد) ومن الذين أفردوا اباؤهم بالكتابة : الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي . وضع كراسة في التعريف بوأدته السيدة حفصة الانصارية . وكذلك السيد محمد ابن الشيخ المختار الكنتي الف (الطارقة والثالثة . في مناقب الشيخ الوالد والشيخة الوالدة) والحسن التيمكيشتي (رسالة الانوار) في والده ، وللشيخ النعمة مؤلف في والده ، وكذلك مربيه ربه ، ووالدهما هو الشيخ ماء العينين الصحراوي . ومن أفرد جده الأدنى أو الأعلى أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد ابن الشيخ أبي محمد صالح . أفرد جده أبيه بكتابه (المنهج الواضح ، في تحقيق كرامات أبي محمد صالح) وأبو زيد عبد الرحمن الفاسي بن عبد القادر بن علي ابن يوسف ألف (ابتهاج القلوب ، بخير الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجلوب) وله في عم جده العارف (ازهار البستان في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمان) ولابن عمه محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف ، (روضة المحاسن الزاهية بمآثر أبي المحاسن) واخصرها في (الجواهر الصفية ، من المحاسن اليوسفية) وللسيد العربي ابن بنعناود الشرقي (الفتح الوهبي . في مناقبه جده الشيخ العربي) . ولدنيه (السمات الندية) ومن ألف في اهل بيته وعشيرته . السيد عبد السلام بن الطيب القادري ألف (العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر) وعبد الله بن عمر العياشي ته (الاحياء والانتعاش في سادات زاوية ايت عياش) وأحمد بن ابراهيم الدكالي ته (سلسلة المذهب المنعقد . في دهر الاعلام من الاسلاف

(والجلود) والسيد الوليد العراقي . له (الدر النفيس فيمن بفاس من بنى
 محمد بن نفيس) (والسيد أحمد بن خالد الناصري له (طلعة المشرى ، في
 النسب الجعفرى) والسيد توفيق البكرى الاديب المصرى له (بيت الصديق)
 ومن العلماء من ترجم نفسه فى كتابه كابن خلدون فى آخر عبره : وصاحبه
 ابن الخطيب فى آخر (الاحاطة) وابن حجر فى (رفع الاصر) والسخاوى فى
 (الضوء اللامع) والسيوطى فى (حسن المحاضرة) وبعضهم افرد نفسه
 بكتاب ذكر فيه نشاته وترجمته كالنقيب الحوئات فى (ثمرة انسى فى التعريف
 بنفسى) والقاضى البلغينى فى (تحبير طرسى) وابو حامد البطاوى فى
 (جزء) وطه حسين فى (الايام) واحمد امين فى (حياته) .

والاستاذ صاحب (المعسول) قد سلك هذه المذاهب فالف فى احوال (الخ)
 وتراجم اعلام وروساء اسرته السعيدية ، وترجم لهم والوالديه ولاعله ولم
 يخص نفسه فيه بترجمة . كانه اكتفى بما ذكر عن نفسه مفرقا فى مواضع منه
 ومن غيره . او بما كتبه عنه مفردا فى كتابه (على قمة الاربعين (1)) كما افرد
 اباه بكتابه (الترياق المداوى) .

واذا كان موقع (الخ) فى بسيط (أجرد بلقع مسطح) (- 1 . 26 -)
 وكانت أرضها (لا تخصب كثيرا . والجذب والاقلال هو الغالب على من فيها)
 (- 1 . 27 -) وكانت الخ (عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت
 عنه زهرة الحياة الدنيا) (فما هناك الا أعاصير شمالية او قبولية او دبورية
 تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع تتدافع متتابعة وهى قائمة
 ممتدة من الغرباء الى القبة الزرقاء كأنها صفوف نخيل متدافع ، وصرير الجواء
 يصك الاذان، وتلاطم مختلف الرياح كأنه صغير الجنة فى اوديتها) (- 1 . 160 -)
 فلن يكون لذلك اثر يودى لاهمال شأنها ، والتفاضى عنها ، والتفريط فيها ؛
 والتنكر لامومتها . من ابنها البار ، الذى كانت مشوى أسرته ، ومهد صباه ؛
 ومسرح نشاته، ومبدأ شهرته . فلما اشار عليه اخوه مونسه فيها بتخصيصها
 ببعض ما يكتبه باور لذلك غير متجانف ولا متوان ولا مقصر . ولئن كانت
 (الخ) مهمها قفرا، وقرية ساذجة، فقد من الله عليها برجال فجرؤا فيها
 بنوع المعرفة والهدى ، فأخصب ربعا ، وأينعت ثمارها ؛ واصبحت مهد العلم
 والحكمة ، ومنتجع الطلاب ، ومحط رجال ايمه الدين والعلم والادب . فصار
 من حقوقها على نائفة ابنائها ان يخصصها بهذا الكتاب ، وان يطلع الناس على
 حقيقة امرها ، وما يجهلون من شأنها . وان ينوه بذكر الاعلام الذين نبغوا
 منها ، او درجوا حوايلها ، والذين اثروا فيهم او قاتروا بهم . فسرى اثر
 الجمع الى حيث انتهى به المسير . كما ان من حق المغرب عليه ان يكشف للناس
 عن مواطن الفضل والخير فيه حيثما كانت . ومن حق التاريخ عليه ان يسجل

(1) رساله صغيرة بين محويات (اللغات) .

حقائق كما هي . غير متعمد اطرا جهة . ولا غمط أخرى . واذا كان حب الوطن من الايمان ، فمن حبه التعريف به . وحفظ مآثر اهله في عهد بدات فيه امارات الانقلاب . وأخذت النفوس تتحول عن معتاد ابائها ، وتنصرف الى غير وجهتهم . حتى لا تنطمس فيه المعالم . وتندثر بقايا المآثر ، وصالحوا الابناء أعرف بمزايا الاباء . وأولى بحفظ ذكراهم . وأهل مكة أدرك بشعابها ، وابصر بمواقع البحث عن رجالها .

وبالاستجابة لهذه الدواعي المتزاحمة ، واداء حقوق الاسرة والبلد والتاريخ صارت لقرية (الخ) المنة على اقليم سموس كله ، ثم على المغرب اجمع . بما كتبه واعية ابنائها في التعريف بسوس ورجاله واحواله ، وتسجيل حوادثه ، والاحتفاظ بتراته التاريخي .

وتلك تالق اسم (الخ) وسطع نجمها بما قام به المرابطون آل عبد الله ابن سعيد من نشر العلم والدين والادب فيها وفيما حولها بمدرستهم المثقفة للعقول ، ويزاوتهم المهذبة للنفوس . ثم بدائرة معارفهم التاريخية المتسعة الابحاث والارجاء ، الخمسينية الاجزاء .

وبذلك كله عظم شأن هذه القرية الصغيرة المغمورة بسوس الاقصى . وطالت بتاريخها الحفيل (المعسول) الامصار الكبار ، وطاولت قواعد الملك العظام ، اذ جاء متبخترا يجر ذبوله الفسفاضة على (سلوة) فاس (واتحاف مكناس) و (اعلام) راکش وحلب . و (عمدة) تطوان و (احاطة) غرناطة و (معالم) الفيروان و (خطط) القاهرة ، وتاريخ بغداد وغيرها من البلاد التي لم يؤلف فيها كتاب مفرد يماثله جرما . أو يقاربه حجما ، فاذا صفت الصفوف واستعرضت الرفوف ، ظهر تفوق اجزائه (العشرين) على تواريخ البلدان الاخرى . حتى لا يكاد يذكر امامه الا ما يقال عن تاريخ الحافظ ابن عساكر لهشق . المعداد في ثمانين مجلدا ، المسرود في اربعة وعشرين سفرا . وتاريخ الكمال عمر بن العديم حلب . المسمى (بغية الطلب) في نحو ثلاثين مجلدا أو اربعين . (1)

ولا استحضر الآن مقربا ألف كتابا يقارب أو يماثل هذا (المعسول) في عدد اجزائه ، الا ما كان من رجلين ، أحدهما عمر بن علي بن يوسف بن محمد ابن هادي ، المعروف بابن الزهراء ، والودياعلى العثماني العمراني . فقد شرح (المطا) بكتابه المهد الكبير الجامع لمعاني السنن والاحكام وما تضمنه موطا مالك من الفقه والاثار في واحد وخمسين مجلدا . فرغ من آخرها عام 720 هـ . وفرغ من السفر الحادي والاربعين عام 709 هـ ومن الخمسين عام

(1) عن انشد وأنا جامع (المعسول) اذا ما ساقه هذا السد من هذه الموازنه التي فيها ما فيها .

أما الحيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسايتها

٢١٠ هـ . ويوجدان بخطه في مجلدين ضخمين بجامع القرويين من فاس رسم
 40 - 178 -) بحسب عام 766 هـ . من محمد بن أبي القاسم بن أبي محمد
 العثماني ، صاحب العلامة سنة 757 عند السلطان أبي عثمان المريني ، أما المؤلف
 الآخر فهو الشيخ محمد المعطى بن محمد الصالح بن محمد المعطى الشرقي
 النادلي البجودي (- 1180 هـ .) فقد ألف في السيرة النبوية (ذخيرة الفنى
 والمحتاج . فى الصلاة على صاحب اللوا . والتاج) فى نيف وسبعين مجلدا .
 من القالب الكبير ، توجد كاملة فى الخزانة السلطانية بفاس الجديد . ادخلها
 اليها السلطان المولى الحسن ولا توجد مجموعة فى غيرها . لكثرة اجزائها وعسر
 اجتماعها . وتوجد اجزاء منها منتشرة فى الخزائن ويوجد فى الواحدة ما لا
 يوجد فى الاخرى .

ومزية (المعسول) غير مفسورة على ناحية الدم . فكما امتاز بعدد اجزائه
 حتى يمكن علم الكتاب المغربى الثالث . كذلك يمتاز من جهة الكيف . بما انفرد
 به من تراجم الرجال ، وحقائق الاخبار . وتفصيل الوقائع . وتاريخ الحوادث
 وايراد الاشعار ، وتسجيل ايام المقاومة . ومواقف الجهاد ، وتراجمه الكثيرة
 الجامعة لطائفة كبيرة ممن كانوا بسوس من العلماء والادباء والصالحين والرؤساء .
 وما كان يجرى بينهم فى زوايا العبادة . وحلق التدريس ، ومجالس الادب .
 ومعتزك النزاع فى مواسم الطلبة فى الانشادات . وفى المراسلات ما بين
 الناشئين من المبتدئين . فضلا عن الادباء الماهرين . وفى مجاذبة النوازل
 الفقهية ، كما فيه اخبار السياسة واخرى العلم والارشاد والدين والزوايا
 والمدارس والخزائن وبيوت العلم والرياسة ، بحيث يكون مطالعه على علم ودراية
 حقيقة الاحوال فى اقليم كبير من ارض المغرب قل الاعناء بتدوين اخباره .
 ونشر انباء احبائه وهو شئ كل ذلك جم الفوائد . كثير الصلوات بالعوائد .
 مستعمل على تراجم وتفصيل ، لا توجد فى غيره ، ولم يتعرض لها سواه . وقد
 خلت الديار من وعاتها وغادرت الطيور وكناتها . وكاد كل ما هناك يدخل فى
 خبر كان .

وقد صور المؤلف فيه نبوغ السوسيين فى لغة العرب وعلوم الاسلام .
 وأوضح حرص اولئك البندوين المعجم الا مازيغ الشلحين على تفهم الدين
 وحفظه ، والتفقه فيه . والقيام بعلومه واركانه ، وبين ولوعهم القريب بتحصيل
 العربية وحذقها . ونشر علومها وآدابها ، واجادة القول فيها . واسهب اسهابا
 فى تفصيل وسائلهم الى التوصل لتلك المقاصد ، وظهر ما كانوا يعانونه فى
 سبيلهم من جذب الارض ، وضيق المعيشة ، وقلة ذات اليد : وشرح كيف
 كانوا يكلفون انفسهم تعلم العربية تحت لهجهم الشلحية . واتقان قواعدهما ،
 وحفظ مفرداتها واستظهار كتابها . لياخذوا الدين من منبعه . ولينثروا قوهم
 وبغيموا فيهم شعائره . ويحفظوا بينهم كتابه . ويلقنوه ابناءهم ، ويبشوا فيهم

دعوته مستسهلين كل صعب ، صابرين على القلة ، مكفين بالمضغة والجرعة :
مقتنعين من العيش بالكفاف ، متبلفين منه بالضرورى او ما دونه . نجر عابئين
لا بتحصيل المراد ، واداء الواجب ، ودر الزيف عن النفوس . واعلان كلمة الله
بين الناس ، واقامة شريعته فى البلاد . ومنهم اناس جعلوا ذلك هجراهم .
فانفوا فيه حياتهم ، وبذلك صار العلم والدين فى سوس غضا طريا .
وقد اتى فى كتابه بما يعرفه او ما بلغه كما هو . لا كما كان ينبغي أن يقع
فهو ورد الشئ كما عرفه او سمعه ، ثم يعلق عليه بما قد يبدو له غير منزّه
نفسه عن خطأ او غلط . وقد نزل مترجميه او من عرض له ذكرهم فيه منازلهم .
فلا يسمو بهم عن مستواهم . ولا ينحط بهم عن رتبتهم ، ولا يلبسهم من
الاوصاف والحلى ما لا يناسبهم ، او يخالف ما يراه فيهم ، وقد انكر المجازفة فى
مثل ذلك . بقوله (قد صارت الاوصاف تنثر يمينه ويسرة ، حتى صار من
يريد أن يضع الاشياء فى مواضعها ، والاوصاف ازا . مستحقها ، يستحق أن
يصف بأحد تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف أن يظن أنه القى
ايضا ذلك الوصف بغير تبصر أو أنه ممن يخطون بخط عشواء ، ككثيرين
غيره) . 1 - 325 - وهو يذكر الرجل بما احسن فيه الى جانب ما ساء منه .
ولا تصرفه سيئات النسي ، عن ذكر حسناته . ولا حسنات المحسن عن الاشارة
لسيئاته . ولا اجلاله لشيخه ، ووقاؤه له ، ولا صلته باقرب قرابته وبره لهم .
من التصريح بالواقع ، وذكر الزلة والعودة ولو بالايماء لئلا من وقع منه ذلك
من بعيد بالطف تعبير . وهو - سده الله - فى هذا كله يحافظ فى كتابه على
التاريخ الهجرى . محافظة أحمد تيمور عليه فى كتابه (اعيان القرن الرابع عشر)
وهو فضيلة فى عصر تفرنج التاريخ فيه ، واستعجمت الاذواق فى التفكير
والتعبير وقد اضطر الى السلوذ عن ذلك فى مواضع قليلة ، ابقى فيها بعض
ما جاء مخالفا لعادته على حاله . لأن هذا التاريخ الاجنبى قد غلب على الاستعمال
فيما تنطق به الالسن وتكتبه الافلام ، وتتصور عليه حوادث الايام ، حتى صار
يعلق فى بعض المساجد ، وينشر على بعض القبور ، وذلك ما جعل بعض
المحافظين من فضلاء الباحثين ، مضطرين الى مسايرة الواقع . فصاروا يلترمون
الجهع بين التاريخين فى سائر الحوادث ، ويتكلفون عناء ذكر الموافقة . كلما
ذكروا الوقائع والسنين . وان الذى يسر الجلاء ، ووفق للشروع فى التعريب
لتأدر على سحب هذا التاريخ الدخيل . والرجوع بالناس الى تاريخهم الاصيل
ومن محاسن هذا (المعسول) اشتماله على بعض الرسائل النادرة ، أدرجها
المؤلف فيه لعظيم فائدتها وغرايبها . مع حسن فائدتها) كذكره فى (الفصل
الحامس) من (القسم الثانى) ترجمه الاديب محمد بن أحمد المانوزى بقلمه
فانها . على اوهام له فيها - شيق السرد . مشتملة على تفصيل اخباره .
وتصوير تغلاته ومشاهداته . وعوائد سوس واحوالها ، وحوادثها الاخيرة .

وما قام به صناديد الرجال ، من مكافحة الاحتلال . غير عابئين بما يكتنفهم من الخلاف والاختلال ، وكذكره في (القسم الخامس) لرسالة (نفعات الشباب) التي تصور مجالس الادب بـ (نارودانت) في العهد الاسماعيلي ، وكادخاله في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) ما كتبه أحمد أذافال عن الشيخ أحمد بن موسى . وكادخاله بعض مؤلف يتعلق بالشيخ يعزى وهدي في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) وكتلخيصه مؤلفات أخرى مثلها وادخلها في محلاتها . وهذا صنيع معروف من كبار المؤلفين ، فقد ادرج ابو العباس العزفي السبني في كتابه (الدر المنظم ، في مولد النبي المظم) رسالة ابن العربي (تبين الصحيح في تعيين الذبيح) وملا ابن رشيد السبتي (عيبته) بالفوائد الكثيرة ، وربما ينقل الجزء بكماله ، من أجزاء الخلعى . واورد التاج ابن السبكي في (الطبقات) كل رسالة القشيري (شكاية اهل السنة ، بحكاية ما نالهم من المحنة) قائلا انه يخشى على مثلها الضياع . فان هذا شأن المستغاث للطف) كما ادرج رسالة الفياء أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف القرطبي (زجر المفترى ، عن أبي الحسن الاشعري) ورسالة الشهاب أحمد ابن يحيى بن جبريل الكلابي في الرد على ابن تيمية في الجهة ، وكذلك ادرج ابو سالم العياشي في رحلته عدة رسائل كـ (التحفة المرسلة) لمحمد بن فضل الله الهندي لوجازتها وغرابتها في مغربنا وكرتاسة الاسماء الادريسية، من خط شيخه الملا ابراهيم الكوراني ، وان كان فيها طول لاستمالها على فوائد كثيرة قل ان توجد في غيرها و (منقذة الموهوم . من مزلة الوهوم) لسالم شيخان و (الاقماغ المحيط) في مسئلة الكسب، لشيخه الكوراني . ثم روى في الاخير عن شيخه أبي مهدي عيسى الثعالبي ، رسالة القشيري - الشكاية المذكورة عند السبكي - وذكرها باختصار . كما اورد ما سمعه منه من احاديث رسالة ابن حجر في (الحصول المكفرة للذنوب) وكذلك لخص صاحب (الاعلام) ترجمة المنصور الذهبي من (المتقى المقصير) لابن القاضي ، اتيا بمقاصده كلها ، كما اختصر فيه ايضا رحلة العبدري الخاخي لعزتها . كما فعله صاحب (المعسول) برحلة (العيني) الايكراوى .

هذا ولو لم يكن من مزايا (المعسول) الا ما ضمنه من خرائد السيد الطاهر الافراني لكفى . فقد كان فضله بابرزها عظيما على الادب المغربي، لا على خصوص ادب سوس . وقد كنت مولعا بهذا الشاعر السلس التعبير ، منذ لمحت احدى درره في اعقاب (الدرر الفاخرة) للشريف الرضي تقيب مكناس . فنبهتني (غريزته) الى صاحبها بحسن سبكها ، ومتخير لفظها ووزنها - كما نبهت قصيدة (حياك حياك رب العرش يا دار) الشيخ حمدون بن الحاج الى صاحبها ابن ادريس ، ونفسه الغريب اذ ذاك؛ فكان ذلك هو السبب حتى اشتهر (فجعلت اتبع نفاثته ؛ ولا اكفى بالنثف التي عثرت عليها تقريفا في آخر (الابتهاج)

ومديحا اواسط (عواطف الشعراء) وامثلة في (الادب العربي) وغير ذلك مما اقتطفه من بعض المذكرات الخاصة ، فلما تناولت (المعسول) وجدت خلال تراجمه واجزائه من شعر الافراني ما حرك الساكن من اعجابي القديم، وزادني اعجابا بجيد من شعره المحكم الرصف . الرقيق النسج . المستعذب الالفاظ الفاني الاخاط .

ما ثغور الزهر في اكمامها ضاحكات من بكاء السحب
نظم الوسمي فيها لؤلؤا تشايا الغيد او كداحب
عند من يقضي بابهي منظرا من (لثاليه) التي تلعب بي
بسمت للنفس فاستهوت نهى مفرم الفضل وصب في الادب
وقوافيه الجياد في آل ماء العينين وغيرها . من منتخب شعره . تجعله في طليعة شعراء المغرب ابن حبوس والكرأوى والمزوزى والفشتالي وابن ادريس . والفضل في الامتاع بها لـ (المعسول) .

والمؤلف عليم بمواقع النقد من كتابه الضخم ، المشتمل - حسب تعبيره - على اللؤلؤ والصدف ، والذهب والحزف ، والسمين والفت . بحسب الواقع قليلا ، وبحسب اختلاف الانظار كثيرا . الا من كان مؤرخا فانه كله لؤلؤ وذهب سمين عنده . فالمؤلف يسبقك بعده قبل أن تلاحظه بنفسك . ويقربان كتابه ككتب الناس غير منزّه عن الخطأ . ويعتذر للقارئ عما يكون فيه من تفاوت في التفكير والتعبير ، بين اطناب الاديب اللغوي ، وتلميحاته . وبين ايجاز المستوفز الضيق العبارة (لان الكتاب كان يجمع من ازمان شتى ، فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة ، او تمة ترجمة . كيفما يتيسر ! فحين بلغنا ساذجة تسحب ذيول الفهامة ، وحينما يحاول أن تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها اللوق . وحينما تغلب فيه فكرة الادباء ، وحينما فكرة الصوفية الاصفياء . وحينما اكون من هؤلاء العصريين الذين ! تدور أعينهم الا في مجالتها المعادة)

- 1 . 25 -

كما يعتذر عن بعض ما اودعه فيه بالحرص على اقامة الدليل على الاسعراب والحافطة على آثارها واطهار ما يعاينه القوم في التعرب فمنهم من يحلق فيسمو فيشكر . ومنهم من يطير فيقع فيعذر ويقول : (اننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وحدهم ، فليسامحونا في سوقنا لامثال هذه الابيات . وما اكثر امثالها في الكتاب) - 1 . 291 - (وحين كان مقصودنا نحن أن نشيد بآثار المستعربين من آلتنا كنا نسوق ذلك كيفما كان) - 4 . 252 - .

(وبعد) فان هذا (المعسول) جملة كتب لا كتاب واحد . وقد احصى على تراجم عدة بيوت من بيوتات العلم والرياسة على حدة ، بحيث تجي تراجم كل أسرة متناسقة في موضع واحد . كأنها في جزء مفرد قائم لتلك الاسرة بخصوصها . وقد ملأ فراغا عظيما في تاريخ المغرب . وسجل ما لم يكن معروفا

وصور ما كان مجهولا . وجنه متلقى بالسمع مستمد من الافواه ، وهو مجهود فرد لا كما لافراد . استقل وحده بما ننوء به الجماعة . ومزيتته تظهر واضحة اذا حاول الانسان معرفة بعض ما فيه عن غير طريقه . او تذكر ان فيه مالا يوجد في كتاب ، لانه يستقى من الصدور لا من الكتب . ولذلك انفراد بكل ما فيه وحده . واذا كان مؤرخو المغرب يهتمون سلبهم بالاهمال ، وبدفنتهم فصلاهم في قبري راب واخمال . ويقولون انهم من فاضل نبيه . طوى ذكره عدم التنبيه . فصار اسمه مهجورا . ان لم يكن نبييا مدنورا (١) فالمؤلف - حفظه الله - قد خرج من نطاق تلك القولة المشهورة . والوصمة المتواترة المسطورة . مرفوع الرأس مدفون الكرامة . حنكلا جوانب الزعامه والامامة . اد قام بواجباته التاريخية . ووفى بما عليه منها بهذه المجموعة الكبرى . وتبرع بما لم يسبقه اليه سابق . والظن انه لا يلحقه بمثله لاحق .

لهم لا يقع في نفسك استنكار كل هذه الاجزاء (العشرين) او (الخمسين) عن صنف سوس . ولا تحسبن هذه المجموعة السوسية المختارة - على وفرة اجزائها . وتنوع مباحثها . وتقسيم موضوعاتها - قد جمعت كل اخبار سوس واحوالها ، وتراجم رجالها . فجاءها يستصغر ما فيها بالنسبة لموضوعه . ويستقل صنيعة على عظمه . ويأسف على ما فاتته على كثرة ما حصله . ويصرح في مقالة (سوس العالم) بقوله : (لا تظنوا انني في كل ما سودته مما كتبت في مختلف تلك الاجزاء (الخمسين) مما خصص بالرجال او بالحوادث او بالحالات اديت به حتى عسر العشار من الواجب عن سوسهم . فاني ما عدت ان جمعت ما تيسر جمعا بسيطا . كيفما اتفق . بقلم متعثر ؛ واسلوب لا يزال يتبع خطأ اساليب القرون الوسطى . الا انني لا انكر انني حاولت فتح الباب فبذلت جهدي ، وافرغت روعي . فكيف من غلط لا بد ان يقع لي . وكم من تحريف او تصحيف اسم لا جرم واقع فيه ، ويقول في آخرها انني - وان بدلت من المجهود ما بذلت ما جمعت مما امكن جمعه الا قليلا ضيلا . لاتساع الرقعة . ولعدم تيسر الاتصال المطلوب مع كل احد ، حتى التاريخ العلمي للمجود الاخرة فان كل ما حرصت على جمعه حوله . لن يبلغ الحد المطلوب ، ولا نصيحتة ولا قاربه ، لعدم حرية التجول امس . وللاشتغال بالوظيفة بعد استقلالنا اليوم . وكل ما تقمته هنا وهناك قانما خطفته كما يغطف الباشق من ثمرات البستان الذي لا يغفل ناطوره) - 232 - .

أما نحن فنقول كيت لنا مثل هذه المجموعة ، او مثل هذا الكتاب او نصيفه هو ربه او عشره - في تاريخ كل حاضرة او قرية او قبيلة او ناحية من المغرب بذكر حدودها ومواقعها . ومجمل نقليات الدهر بها ، وما اشتملت عليه من (١) مما كلام بعض المؤرخين الذين يكون على تضبيع المغاربة لعضلائهم

بعد الاستاذة بهم .

السكان والامكنة والمعالم . ويصف ما قدم فيه من الآثار والمعاهد والمساجد والزوايا والخزائن والمكاتب والمشاهد والحصون والجسور، وسائر المرافق . ومن نبغ ودرج فيها من رجال العلم والدين والسياسة والادارة . وما عليه اهلها من العوائد في جميع احوالهم .

وعسى الله ان يصرف الانظار الى هذه الوجهة . ويحول بعض الجهود المبذولة في غيرها الى ما هو اولى وانفع واجرى . فيلهم بعض النفع من تسليح جهة الى القيام بهذا العمل المفيد المتأكد . ويرشدهم لابتكار الكتابة في الجهات التي لم يؤلف فيها شيء بالخصوص ، أو التذليل والتهديب لما سبقهم السلف الى بعض الكتابة فيه . فيحتفظون بذلك للأجيال القادمة ، بصور واضحة من بقايا الماضي والحاضر . ويشاركون بحظ وافر في اعداد تاريخ المغرب العام وترصيع أبوابه وفصوله .

وانى لأهني الاستاذ الكبير مؤلف (المعسول) بظهور اثر عمله العظيم . وأقدر جهده الفائق، وصنعه الراق . وخطوه الشاسع ؛ وبذلكه الواسع وادعوه له بتمام التوفيق، وكامل الاعانة على موالاة ابراز هذه الذخائر التاريخية واتمنى حصول الانتفاع بها ، وتمام الاستفادة منها ، والسلام .

9 - 9 - 1381 هـ .

وقال البذل الصداح مجاور سيدي الرسل محمد بن اليماني الناصري

أخي في الله . منذ صباه ، من نظمه الله في سلك اللثالي . وحلاه بصاحب
المعال ؛ وأمدته في العلم والدين بالسند العالي ، وحماه على رفعة قدره من التعظيم
والتعالي ، فازداد بذلك قدرا ، واطلع في سماء المجد بدرا . ورشحته نوازعه
الدينية لأن يكون على قدم الامام الطوسي وزير الناج العلامة الاديب السيد
محمد المختار السوسي . أيد الله بكم هذا الدين ، وأوضح بكم لهذا الشعب
سنن المهتدين .

أما بعد اهداء عاطر السلام وإدائه حق الاخوة على اللوام . فان كتابكم
(المعسول) غنى بفراره والحجول . وما اعتر به من أصالة الاصول ؛ ووجاهة
الابواب والفصول ، عن تقرظ الكتاب والشعراء الفحول :

تساب لو تأمله ضريبر لعادت مقلته بلا ارتياب
فلقد أنى منه جمال الاسلوب وبراعة البداهة . وكنت عند رؤية ديباجته
أن أعد نفسي من أهل الهي والفهافة ولولا لطف الله لحال الجريض ، دون
الريض . ولما جادت القريحة ، بهذه الملحة المليحة :

أعدت لنفسي كل الأمل	بما شدته من رفيع العمل
فأصبحت أومن أن لنا	رجالا اذا عملت لا تمل
وان لأقلامهم أن جرت	مضاء يقل الظبا والاسل
فتي (الخ) أطلعت في أفقنا	بمعسولكم كل نجم اقل
فأحييت تاريخ سوسي وما	يمت لامجاده من ملل
وأخرجت منه لنا أمة	اساء لها من غفا أو غفل
تحررت صوب الصواب به	فأصلحت كم خطأ أو خطل
وأبدت آثاره بعد ما	تداعت عليها دواعي الهمل
وأبرزتها اليوم مجلوة	مرفلة في بديع الحلل
مديفك (معسول) أبكارها	لمي أدب يزدرى بالعسل
ويصبح (أملو) (١) بجانبه	على طيبه من قبيل الممل
وما ذاك الا جنس همة	تري عز أهل العلا في النقل
وتسمو بأفكار امتها	فتزدان أجادها من عطل
فلله درك من كاتب	بذائوره تستنير المقل
ويزكو الحجى وينم الرجا	ويضرب بين الهداه الممل
تراه بهالاته يخفى	وعلم جديد به يخفى

(١) أملو . طحين النور . ويوكل مع العسل عادة .

ورأى سديد به يسنفى وسج بديع به يستمل
وآدابه حولها راية بها يستطل الأديب الاجل
إذا ما تلوقها ثمل بغيرها لم يجد من ملل
وأصبح نشوان من رشفها يطيب له في هواء الثمل
فتى (الغ) لا زلت بين الوردى حليف المعالي لغير اجل
وخلد ذكرك مقترنا مدى الدهر بانصالحات الاول
ونلت المقاصد كاملة تلازمها بهجة وجل

(وبعد) فانك قد أصبحت أنت بنفسك تاريخ امتك في الاجادة والافاده
والاشادة والتاريخ . اذ سقيت دوحة عزها بعزير علمك . حتى ترعرعت منها
الشماريح . فأوفيت على الغاية ، وبلغت النهاية . جزاكم الله خير الجزاء ، في
هذه الدار وفي دار الجزاء .

أمير أمين لا ارضى بواحد حتى أضيف لها الف طمينا
في أوائل ربيع الثانى عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف كتبه بقلمه محمد
المنى الناصرى عفا الله عنه أمين .

وفاء شاعر العروبة اليوم على الاطلاق الزر نلى السفير الجليل مؤلف « كتاب الاعلام »

ام سطور نلى من (المعسول) ؟
ومن الرشد بعض سحر المعسول
ح عذاب من سابع سلسبيس
ت ، وصيد لآبد من نقول
ت ، وكشف لعالم مجهول
ر ، وان شئت اساطير جيل

انوس من السلاف الشمول ؟
سكرت هذه وبلد عسولا
ما معسول (المعسول) الا يابى
واقنص لسارد من روايا
وسجل خادئات وعادا
هى ان شئت احاديث سمنًا

بك ضوءا ينير كل سبيل
خبر النازلين حول النيل
س احاديث آل اسماعيل (1)
ة والبخرى والفضيل
سيف اخبار حاشد وبكيل (2)
صفت دنيا فروعهم والاصول
وتتير ومشد ومعول
ونكولا لانجم وشكول
من اب او عمومة او خوول
جمع الناس فى فناء ظليل
كان نسيا فعند فى الماهول

يا صديقى المختار اطلعت معسو
انت اسينا باخبار (الخ)
وباخبار ال بربر فى اسو
وبمنظوم « طاهر » شعر در الرء
وبهتسوكة وحاجه والكر
كت اوى الملا لاشباح فض
رحت بحصى انارشم من نظم
وضممت الاشئات منهم نجومًا
ثم لم تنس اهل قرباك فيهم
فكان (المعسول) سوق عكاظ
حقبة دؤذت ، فصينت ، وفطر

الرباط ، فى 2 ذى الحجة 1380

كلمة أخيرة للمؤلف

هذا كتاب يجب أن يعد ككتب القرون الوسطى. لأن مؤلفه وموضوعات الكتاب
أساليبه وكل ما يضم عليه جنبه نما اصطلاح الناس أن يسموه بالقديم ،
فمن اراد أن ينظر اليه ككتاب عسرى فقد ظلم مؤلفه وظلم الكتاب من جميع
نواحيه . اقول قولى هذا واستغفر الله واتوب اليه من كل ما زل به القلم فى
جانب الله أو فى جانب عبد من عباده . (ان أريد الا اصلاح ما استطعت)
والحمد لله رب العالمين .

(X) المقصود بنال اسمعيل ملوك مصر المتأخرون .

(2) حاشد وبكيل : قبيلتان يمنيتان معروفتان من قديم الى الآن .

تنبيه

ان الاخطاء والتحريفات والالوهام من عادات كل مؤلف مؤلف .
فرحم الله من صحح نسخته على هذه التصحيحات التى فى اخر
الكتاب ، ثم نبهنا على ما سيقع عليه بعد ذلك - ولا يكون
قليلا - لنستدركه فيما بعد . كما نرجو من كل مطالع أن
ينبهنا الى الاخطاء والى كل ما يراه محرفا عن اصله . واننا لا
نبيع الكتاب على البراءة . وخصوصا امثالتنا الذين يعتمدون
على النقل من الافواه غالبا . فالوهم قد يكون منا أو من المخبرين
أو منا معا . فكل من فيه غيرة فلينبهنا على ما يقع عليه من
الاطياء والالوهام . كما نبهنا الاديب سيدى أحمد بن بديك
البحراني على أن شيطا - وهو اسم اللص المعلوم - ككتاب
لا كسحاب . كما وقع فى رقم 337 من الجزء الثالث عشر .
ولو تتبع الكتاب لنبهنا على كثير .
المؤلف

الفهرس ارس خمسة

الفهرس لاول فى اسماء الذين تأسس عليهم الجزء

« الثانى فى محتويات الجزء المعنونات

« الثالث فى الاخطاء المطبعية

« الرابع فى الاسر

« الخامس فى الظهائر والرسائل الرسمية

= الفهرس الاول =

فى اسماء الدين اسى عليهم الجزء

- 5 - القائد الناجم الاخصاصى
- 176 - القائد المدنى الاخصاصى
- 205 - القائد الحسن البيرانى المجاطى
- 210 - مبارك أبو الطعام الرخاوى المجاطى
- 213 - أمغار محمد العلوى المجاطى
- 218 - على نبوهوش العلوى المجاطى
- 221 - الحسين الايدكورانى العلوى المجاطى
- 224 - أحمد أوبخيس الموسوى المجاطى
- 227 - الحسن أزكوك الموسوى المجاطى
- 228 - القائد الحاج أحمد التامانارتى

الفهرس الثانى العام

فى محتويات الجزء المعنونات

ولم نتبع غير المعنونات ، لنترك للقارئ ما يكتشفه بمطالعتة .

- 5 - القائد الناجم الاخصاصى
- 6 - نسبه وسيرته
- 7 - منشأه
- 7 - فى دار القائد دحمان
- 8 - فى سوق النخاسة
- 8 - فى دار القائد بوهيا
- 10 - الافلات من الاسترقاق تانيا
- 10 - ملاقة القائد بوهيا بالسلطان
- 11 - اجنبى يدهم سوسا بتجارته فى ساحل ايت بوعمران
- 12 - فى وشك الاسترقاق ثالثا
- 13 - عند القائد محمد بن الطاهر الديلمى
- 15 - فى مراكش
- 15 - فى مرافعة السلطان
- 17 - صاحبنا فى آيت باعمران
- 17 - فى التجارة
- 20 - فى قيادة الجند
- 21 - فى ملاقة السلطان
- 22 - فى الجيش الى سوس

- 25 - فى سكانية
- 28 - رجوعه الى مراكش
- 29 - فى رحلة أخرى الى سوس
- 31 - فى مراكش أيضا
- 32 - فى الجندية أيضا
- 35 - الى بنى مستارة
- 36 - فى حرب أبى حمارة النائر المنهور - وهو فصل طويل -
- 52 - فى مليلية
- 53 - على وشك الاعتقال فى آسفى
- 54 - فى اسبانية ثم فى مليلية
- 55 - فى تطوان
- 56 - فى جباله
- 57 - فى العقبة الحمراء
- 58 - فى الاثنين بسيدى اليماني
- 58 - فى وادى الدجاج
- 60 - الى فاس
- 61 - فى آيت يوسى
- 63 - فى بنى مطير
- 65 - مع أبى حمارة ثانيا - حتى اعتقاله بيه - وهو فصل طويل
- 75 - تعقيب ، وفيه نظرة على ما يحكيه الناجم
- 76 - فى تغريم قبائل جباله
- 76 - فى حرب مع نكوش
- 77 - فى مناوأة المدنى الاكلوى - وهو فصل مهم أيضا
- 81 - فى قيادة الكيش بمراكش - وهو أيضا فصل مهم -
- 87 - مع الهيبة فى مراكش - وهو أيضا فصل مهم -
- 101 - فى تارودانت - وفيه أخبار مهمة عن حروب
- 106 - فى أسارسيف
- 110 - قائد هشتوكه
- 111 - فى أبى يكر
- 114 - فى تيمكر
- 117 - فى تاماشنت ببعيلة
- 121 - فى كردوس - وهو فصل مهم طويل -
- 134 - فى أزاريف
- 137 - فى أوزريب بالجبل

- 138 - فى آيت ولياض
- 139 - الرجوع الى تونودى - وهو فصل طويل -
- 148 - القائد يرعى يخيس العهد
- 151 - فى اد جلولى بالاخصاص
- 152 - فى تيمولاي العليا بافران - وهو ايضا فصل طويل -
- 160 - طلائع الاحتلال لجمال جزولة
- 164 - فى آيت بصران
- 166 - مع اسبانية
- 167 - بتفسح فى اسبانية
- 168 - تحت الحراسة
- 169 - فى عهد الاستقلال
- 170 - يمثل أمام الملك المحبوب
- 170 - فى مراکش
- 171 - حول أملاكه
- 174 - خاتمة لترجمة القائد الناجم
- 176 - القائد المدنى الاخصاصى
- 176 - نسبه
- 176 - الفقيه الحسين بن عبد الله
- 177 - أحمد بن عبد الله
- 178 - سعيد بن عبد الله
- 179 - عمر بن عبد الله
- 179 - القائد المدنى
- 180 - قيادة الاخصاص قبل المدنى ، وقيادة بوهيا وغيره
- 185 - كيف تولى القائد المدنى
- 187 - يرأس أيضا على ايت رخا
- 188 - جلاؤه الى فاصك
- 188 - مع المولى عبد الحفيظ
- 190 - مع الهيبة
- 190 - فى مراکش
- 191 - فى محاصرة تزنيت
- 191 - فى مقاومة حيدة
- 191 - كاتب القائد يتحدث عنه - وهو ماء العينين
- 192 - فى مصاحبة القائد المدنى

- 202 - أخريات أيامه
 202 - من أخلاقه
 202 - أولاده
 203 - القائد الحنفى
 204 - القائد الحسين
 204 - القائد الطاهر
 205 - القائد الحسن بن أحمد البنيرانى المجاطى - وهناك ترجمة القائد مبارك
 البنيرانى والحاج ابراهيم
 210 - مبارك الرخاوى المجاطى أبو الطعام .
 أحمد وابن عمه سيدى الحسين بن على
 213 - أمغار محمد العلوى المجاطى
 218 - على ندبوهوش العلوى المجاطى
 221 - الحسين بن الحاج الايدكورانى المجاطى
 224 - أحمد اوبخيس المجاطى
 227 - الحاج الحسن أزكوك الموسوى المجاطى
 228 - القائد الحاج أحمد التامانارتى
 228 - رئاسة أهله
 229 - الشيخ محمد - فتحا -
 229 - منصور بن محمد
 229 - عبد الله بن منصور
 230 - القائد محمد بن عبد الله
 233 - القائد ابراهيم بن محمد
 235 - ظهائر ورسائل رسمية وهى كثيرة
 243 - أمور أخرى تتعلق بالقائد ابراهيم
 244 - محمد بن ابراهيم
 245 - أحمد بن ابراهيم
 245 - عبد الرحمان بن أحمد
 247 - عبد الله بن أحمد
 247 - الشيخ حمو بن عبد الرحمان
 249 - القائد محمد بن حمو
 251 - ظهائر أخرى
 256 - القائد الحاج أحمد
 256 - ظهائر أخرى

266	-	قولة الرفاكي فيه
268	-	القائد البشير
270	-	القائد محمد بن البشير
273	-	الشيخ أحمد بن البشير
275	-	خاتمة
276	-	محتويات الكتاب
278	-	كيف أحرر التراجم
279	-	الشلحيون والعلوم العربية
285	-	تذييل
287	-	الغث والسمين في الكتاب
288	-	والآن
289	-	تقاريط الكتاب
290	-	تقريظ الاديب سيدى مصطفى الغربى الرباطى
294	-	» » المؤرخ الكبير المتطلع سيدى العابد الفاسى
299	-	» » العلامة النظار سيدى عبد الله كنون الفاسى
301	-	» » المؤرخ الجليل سيدى عبد السلام الفاسى
304	-	» » العلامة الفيور السلفى سيدى ابراهيم الكتانى
306	-	» » المؤرخ العلامة الفريد الاستاذ محمد داود التيطوانى
311	-	» » اديب الرباط الكبير سيدى محمد بن العباس القباج
313	-	» » اديب فاس ومؤرخها الجديد النابغة سيدى عبد القادر زمامة
316	-	» » العلامة الاديب النقادة سيدى عبد الكريم بن الحسنى .
332	-	» » البلبل الصداح مجاور سيد الرسل محمد بن اليمانى الناصرى
334	-	» » شاعر العروبة اليوم على الاطلاق الزركلى السفير الجليل
		مؤلف » كتاب دليل الاعلام »
334	-	كلامه أخيرة للمؤلف

= الفهرس الثالث =

في الاخطاء المطبعية

صفحة	سطر	خطا	صواب
19	12	يسى	يسمى
30	31	الفائد سعيد بلخير	الفائد بلخير
62	27	فكا ان	فكان
77	23	هذا الدار	هذه الدار
97	1	في الحاشية : كسكاب	سكاب
103	15	لا يردون	لا يريدون
183	5	فقال	فقالوا
192	14	دون	درن
202	19	متابة	مثابة
205	3	1304 وفاة	1306
205	5	هكذا سلسلة النسب	الحسن بن أحمد بن مبارك بن الحسن ابن أحمد بن منصور بن مسعود بن علي
206	10	وذلك قبل 1286	وذلك سنة 1280 هـ
206	14	ونشاطا	ونشاط
207	12	ولا يخلو مجمع	ولا يخلو منه مجمع
208	28	بعد 1360 هـ	12 - 3 1371 هـ .
208	6	ولسان حال	ولسان حاله
278	6	ايجاز	ايجازا
280	8	تبلغ	تبلغ
282	16	تكشف	لو تكشف
287	24	كما	كل ما
311	4	وتحية	تحية
319	29	1325 - وفاة	1323 هـ .
319	30	(1275 - 1347 هـ)	(نحو 1259 - 1328 هـ)
319	31	وأحمد بن محمد	أحمد بن محمد
321	17	مخلصة	ملخصة
325	29	(المطا)	(الموطا)

= الفهرس الرابع = في الأسر

228 - أسرة الرؤساء التامانارتيين

= الفهرس الخامس =

في الظواهر والرسائل الرسمية

في ترجمة القائد المدني الاخصاصى عدة : المبتدأ من 176 - الى - 203
في تراجم التامانارتيين المبتدأ كذلك عدة ، المبتدأ من 228 - الى - 274

طبع بمطبعة الجامعة = الدار البيضاء
المغرب الأقصى
عام ١٣٨١ هـ . = الموافق سنة ١٩٦١ م

